

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ والحضارة

جبل شمَّر في عصر الدولة السعودية الثانية

١٢٤٠-١٣٠٩هـ/١٨٢٤-١٨٩١م

دراسة حضارية

دراسة مقدمة إلى قسم التاريخ والحضارة في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر

إعداد:

طلال بن خالد الطريفي

المحاضر في قسم التاريخ والحضارة

إشراف الأستاذ الدكتور:

عُمر بن صالح العُمري

أستاذ التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر في قسم التاريخ والحضارة

العام الجامعي ١٤٣٢-١٤٣٣هـ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونسأله العون والتوفيق. وأصلي وأسلم على رسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فللتاريخ أبواب عدَّة، يطرقها الباحثون في ثنايا دراساتهم وبحوثهم، ولكل منهم اهتماماته وميوله، فمنهم من يفضل التاريخ السياسي، ومنهم من يركز على الجانب الحضاري، وغيرهم يمزج بين التاريخ والحضارة. ولا يزال التاريخ الحضاري يحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة، خصوصًا في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية، وكل هذا مرتبط بالحال السياسية للفترة المراد دراستها، والإقليم المراد البحث فيه.

يبقى تاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث والمعاصر من أبرز ما يثير اهتمامات الكثيرين، وجُلُّ الباحثين فيه أظنتهم كثرة الموضوعات، وأعياهم الكشف عن المصادر، وعلى الرغم من ذلك، نجد أن المصادر متوافرة، إلا أنها مترامية هنا وهناك، بين دور الوثائق التاريخية، وبعض الأسر، والمكتبات الخاصة. كذلك هناك من المخطوطات التي لا تزال حبيسة الأدراج، يضني المؤرخ الوصول إليها، إلا أن الحصول عليها؛ يعدُّ إنجازًا في بعض الأحيان، لا يوازيه إنجاز بالنسبة لبعض الباحثين، ذلك لأن المؤرخ يجب أن يستنطق المصادر بأدواته، ويستثمرها أفضل استثمار، كي يخرج بجديد، ليثري المكتبة التاريخية.

ظلّت شبه الجزيرة العربية ميدانًا خصبًا للأحداث التاريخية، إذ ارتبط تاريخها الحديث والمعاصر بالدولة السعودية بأدوارها الثلاثة، التي حرّكت بها مياهًا راكدة، وجعلت القوى العالمية تزنها بميزانٍ جديد، وتعاملها معاملة الندّ، والمؤثر في سير الأحداث في الأقاليم المجاورة. وهذا مما يبعث مشاركة الأقاليم المترامية في أطراف شبه الجزيرة العربية، سواءً الإقليم الشرقي أو الحجاز وجنوب شبه الجزيرة العربية، كذلك نجد والشمالية، في صياغة الحدث التاريخي العالمي. وليس هناك دليل أكبر من كتابات الغرب عن أهمية شبه الجزيرة العربية، والدولة السعودية على وجه الخصوص في فترة مبكرة من التاريخ السعودي، ذلك من خلال المبعوثين الرسميين، أو من خلال الرحالة الذين دونوا فترةً مهمةً من فترات المنطقة، وتناولوها بتفصيلٍ أفاد منه المؤرخون.

وعى المؤرخون ما للدعوة الإصلاحية، والدولتين السعوديتين الأولى والثانية من تأثير تمثل في قيام قوة مؤثرة في إقليم نجد، نفض عنه غبار ركودٍ لازم تاريخه فترةً من الزمن، كما أن لهذه القوة التي حملت لواء الإصلاح الجديد؛ تأثيرًا أثار انتباه الدول العظمى، إذ توسع نفوذها بطريقة أذهلتها، خصوصًا أنها لم تتنازل عن مبادئها على مر التاريخ، كما أن موحد الجزيرة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن – طيب الله ثراه – حافظ على هوية هذه الدولة، واستكمل المسيرة من بعده أبناؤه، ونهضوا بالمملكة العربية السعودية، حتى باتت منارةً يُستضاءُ بنورها في العالم الإسلامي.

ولكل جزءٍ من أجزاء المملكة العربية السعودية أهمية تاريخية، ومن المناطق التي حظيت باهتمام كبير، ولها نصيبٌ وافرٌ من كتابات المؤرخين؛ جبل شمَّر أو المنطقة التي تُعرف باسم حائل، التي كانت تحكمها أسرة آل علي في عصر الدولة السعودية الأولى، وبداية عصر الدولة السعودية الثانية، ثم تشكلت فيها إمارة آل رشيد، بتعيين الإمام فيصل بن تركي لأول أمرائها عبدالله بن رشيد سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، الذي كان أحد رجالات الإمام فيصل، وكان يثق به إلى درجة أنه كان يعتمد عليه في كثير من الأمور التي كانت تستوجب

رأياً سديداً ويعدُّ ذلك من أبرز الأسباب التي دعت الإمام فيصل إلى تعيين ابن رشيد أميراً من قبله على المنطقة.

ولأهمية هذه الإمارة في التاريخ السعودي، في أدواره الثلاثة؛ كانت دراسة نظمها وحياتها الإدارية والعلمية والاقتصادية والثقافية مهمةً إلى حدٍ بعيد، خصوصاً في عصر الدولة السعودية الثانية، ذلك لأن ذروة تَشكُّل واكتمال شخصيتها الحضارية كانت خلال هذا العصر، خصوصاً وأن مشاركتها السياسية كانت حاضرةً بشكل واضح، وكانت طرفًا في أهمِّ وأبرز الأحداث التاريخية، حتى أنها باتت مؤثرةً في سير الأحداث، ووصل الأمر إلى أنها اكتسبت الوهج في إقليم نجد حتى أثرت في سقوط الدولة السعودية الثانية، التي بدأت عهدها فيه تابعةً لها. لذا كان اختيارنا لموضوع هذه الرسالة آتٍ من أهمية الإمارة خلال عصر الدولة السعودية الثانية (١٢٤٠-١٣٠٩هـ/١٨٢٤-١٨٩١م) ولما اكتسبته من تطورٍ وازدهار.

أما الحدود المكانية لهذه الدراسة؛ فإنه من الصعوبةِ بمكان تحديدها، لنفوذ الإمارة المتذبذب، حيث سيطرت الإمارة على بعض المناطق الشمالية والنجدية، لكنها لم تستمر فترةً طويلة في هذه السيطرة، وقد أثرت في نظم بعض هذه المناطق، لكنها لم تستطع أن تقوم بالأمر نفسه مع الأخرى والأغلب، لقصر الفترة الزمنية التي سيطرت فيها عليها، واقتصر التأثير على المناطق الشمالية. ولهذا السبب اقتصرت دراسة الجوانب الحضارية على عاصمة الإمارة حائل، وعلى القرى والبلدان المحيطة بها، وإدارياً على بعض المناطق التابعة لها، كما أن دراسة الحدود الإدارية للإمارة وحدها كافية لهذه الدراسة، والتي تتمثل في الحدود الطبيعية لها من عاصمة الجبل وقراها.

كان لاختيار موضوع الدراسة أسباب عدَّة، أهمها:

أنه لم تتم دراسة الموضوع بشكلٍ متكامل، خصوصًا في الفترة التي تم تحديدها. وإن كانت هناك دراسات فإنها اقتصرت على الحياة السياسية، ونشأة الإمارة في جبل شمَّر، أو تحديد موضوع سياسي خاص من تاريخ الإمارة. كما أن كثيرًا من تلك الدراسات لم تعتمد بشكلٍ مباشر على الوثائق، التي تعد مصدرًا مهمًا في كتابة التاريخ الحديث والمعاصر، أو أنه غاب عنها مصادر مهمة لتلك الفترة، وغياب بعض المصادر قد يكون مبررًا، بسبب أن عددًا منها موجود في أماكن يصعب الوصول إليها في فترة سابقة، أو أنها بلغات أجنبية تحتاج إلى جهدٍ مضنٍ في ترجمتها.

٢. أهمية موضوع الدراسة، باعتبارها تتحدث عن فترة من تاريخ الدولة السعودية الثانية تشجع الكثير من الباحثين على سبرِ أغوارها، خصوصًا في منطقة جبل شمَّر، التي لها تأثير في سير الأحداث التاريخية والتطورات الحضارية في تلك الفترة، وباعتبارها منطقة كسبت الوهج بعد عودة انضمامها للدولة السعودية في دورها الثاني في عهد الإمام تركي بن عبدالله، بعد أن سقطت الدولة السعودية الأولى.

٣. حظيت منطقة جبل شمَّر بكثير من كتابات الغربيين، الذين وصفوا الحالين السياسية والحضارية، ولا تزال معلوماتهم تحتاج إلى تحقيق في دراسات دقيقة وعلمية، ومما يساعد في ذلك أن جميع الرحالة الذين زاروا الجبل – باعتبار كتاباتهم للغرب –؛ تم ترجمة جلّ كتبهم، وسَهُل على الباحث في الموضوع الوصول إلى معلوماتهم التي دونوها.

٤. أخذت منطقة جبل شمَّر ميزة بين مناطق نجد الأخرى، حيث تمتعت بعلاقات خارجية مع القوى ذات النفوذ في تلك الفترة، مثل الدولة العثمانية بشكلٍ مباشر ومن خلال ولاتها في الشام والعراق ومصر، كذلك علاقتها مع أقاليم شبه الجزيرة

العربية الأخرى كالحجاز وشرق شبه الجزيرة العربية، ما ساعد على إعطائها شخصيةً حضاريةً خاصة.

٥توافر كم كبير من المصادر لدى الباحث، خصوصًا من الوثائق والمخطوطات ورحلات الغربيين الذين زاروا المنطقة خلال فترة الدراسة، والكتب والمراجع الحديثة.

٦. حاجة المكتبة التاريخية إلى مثل هذه الدراسة التي تعتمد على استقراء المصادر التاريخية، والاستنتاج والرصد والتقويم، إذ إن هنالك موضوعات عدة، لم يتم تناولها كما يجب في تاريخ جبل شمَّر الحضاري خلال التاريخ المراد بحثه، على الرغم من وجود بعض الدراسات التي تناولت الموضوع، لكنها تحدثت بشكلٍ مقتضب عن بعض الجوانب الحضارية، وفي غالب الأحيان لم تسد بعض الثغرات فيه، ذلك لعدم الاعتماد على الوثائق التي تعطي صورة واضحة وجلية عنه، وكانت الاهتمامات في الغالب منصبَّة على فترة نشأة الإمارة، والتفصيل في معلومات تناولها أكثر من باحث، إضافةً إلى أن البعض الآخر اعتمد على الرواية الشفوية من دون المقارنة بالمصادر التاريخية الأخرى.

٧. محاولة إيضاح بعض الجوانب الغامضة حول تاريخ الإمارة الحضاري، خصوصًا في ما يتعلق بجوانبها الإدارية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، وذلك من خلال الحقائق المستقاة من المصادر التاريخية المتوافرة.

٨ما يحتويه موضوع الدراسة من وفرةٍ وتنوعٍ في الأحداث، كذلك فيه من جِدَّةٍ وأهمية في التاريخ الحديث والمعاصر لشبه الجزيرة العربية بشكلٍ عام، والتاريخ السعودي بشكلٍ خاص.

عمد الباحث إلى تقسيم هذه الدراسة إلى تمهيدٍ وخمسةِ فصول، حيث تناول التمهيد جغرافية جبل شمَّر، وحدود عاصمته حائل وأهم بلدانه وقراه، كذلك الأسماء التي عُرفت بها المنطقة، ومظاهر سطحها، إضافةً إلى تاريخ المنطقة القديم والوسيط حتى قبل وبعد إمارة آل

علي، ومن بعد ذلك تناول التمهيد ظهور عبدالله بن رشيد في السياسة المحلية للجبل، وابتداء إمارة آل رشيد سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، وحكام الفترة التي تناولتها الدراسة حتى سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م.

أما الفصل الأول فقد تناول التنظيمات الإدارية لجبل شمَّر، فكانت البداية بالحديث عن منصب الأمير وعلاقته بالدولة السعودية الثانية والدولة العثمانية، إضافةً إلى علاقته مع العامة في حدود إمارته ومبدأ الشورى. كما تناول ألقاب أمراء الجبل وانتقال السلطة وولاية العهد، أيضًا سياسة السلطة تجاه القرى والبلدان التابعة لها، والنظرة الشعبية للحكام. وتحدث نه الفصل عن أهم الوظائف الإدارية في الإمارة، سواءً الرسمية أو غير الرسمية، كذلك نواب الأمير، وإدارة البلدان التابعة للإمارة، كما تحدث عن القضاء في الجبل ومجالسه، وأبرز القضاة أيضًا تناول الفصل الأول الشرطة وتنظيماتها، وأخيرًا التنظيمات العسكرية وتقسيماتها، وقواعدها وأساليبها، ومصروفات الجيش والأسلحة.

وفي الفصل الثاني كان الحديث عن الحياة الدينية والعلمية، وقد بدأ الفصل بالتعليم الديني في الكتاتيب ووسائله ومناهجه، وأبرز علماء الجبل في فترة الدراسة، وموقفهم من موالاة الدولة العثمانية. وتناول كذلك نسخ الكتب وأشهر النُّساخ، ووقف الكتب، والمكتبات الخاصة، أيضًا الأدب والشعر في الجبل، والذي قُسِّم إلى شعرٍ فصيح وعامي، وأبرز شعراء الجبل في القسمين، كذلك عناية أمراء الجبل بالشعر والشعراء.

الفصل الثالث تناول الحياة الاقتصادية، وموارد الإمارة المالية ومصروفاتها، كذلك الزراعة ومقوماتها في جبل شمَّر، وأبرز محاصيلها، والرعي والثروة الحيوانية، إضافةً إلى التجارة ومقوماتها وقوافلها، والسوق التجارية في عاصمة الجبل، وأوزانها ومقاييسها ومكاييلها، والعملات والنقود المتداولة فيها، وأخيرًا الحِرف والصناعات التي اشتُهِر بها جبل شمَّر.

أما الفصل الرابع فقد تناول الحياة الاجتماعية، وفيها فئات المجتمع من حاضرةٍ وبادية وموالي، والتقسيمات الطبقية في مجتمع الجبل، والعلاقة بين هذه الطبقات الاجتماعية، كذلك تناول اتصال مجتمع الجبل الحضاري مع المجتمعات الأخرى، سواءً داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها، وأخيراً تناول أبرز العادات والتقاليد.

وأخيراً الفصل الخامس، الذي خُصِّص للحديثِ حول الحياة العمرانية في جبل شمَّر، حيث تناول أبرز العوامل المؤثرة في عمارة المنطقة، والمواد المستخدمة في البناء، ونماذج من الفن المعماري في الجبل.

وفي ما يتعلق بالمصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، فقد جاءت الوثائق في مقدمتها، والتي تقسَّمت إلى:

١. **الوثائق المحليَّة**: وهي نماذج من المراسلات والوقوف والمكاتبات بين العلماء وشروحاتهم على بعض المؤلفات والكتب. وأغلب هذه الوثائق تم الحصول عليها من المكتبات الخاصة ببعض العلماء والأسر في حائل، ومن مجموعة من المهتمين والباحثين في تاريخ منطقة جبل شمَّر، كالأستاذ أحمد بن فهد العريفي، والأستاذ حسَّان بن إبراهيم الرديعان، والأستاذ راشد بن عساكر وغيرهم.
٢. **الوثائق المصريَّة**: تناولت هذه الوثائق جميعها حصل عليها الباحث من دار الوثائق القومية في القاهرة، وكانت تتناولت في الغالب فترة بداية الإمارة، حيث كانت تتحدث حول الغزو المصري لشبه الجزيرة العربية، التي تحدثت عن بعض الملامح الحضارية، سواءً الإدارية أو حتى الاقتصادية.
٣. **الوثائق العُثمَانيَّة**: وقد حصل الباحث على جزء منها خلال زيارته إلى استانبول من الأرشيف العثماني، كذلك ما حصل عليه من بعض الباحثين والمهتمين، ويأتي في مقدمتهم الأستاذ حمد الحمّاد العنقري. وأفاد الباحث من هذه الوثائق في وصف

بعض الملامح الحضارية للإمارة، وعلاقتها بالدولة العثمانية، ووصف بعض الموضوعات التي تناولتها الدراسة.

كما استفاد الباحث من بعض الوثائق المنشورة في بعضِ المؤلفات الحديثة حول تاريخ المنطقة.وكان لمجموع هذه الوثائق أهميَّةً في إعطاء صورة واضحة عن بعض الموضوعات التي تناولتها الدراسة، خصوصًا تلك التي لم تكن واضحة في بعض المؤلفات من مخطوطات ومصادر ومراجع تناولت الموضوع.

وتلي الوثائق أهميةً في المصادر التي اعتمدت عليها هذه الدراسة؛ المخطوطات، حيث تم الاعتماد على مجموعةٍ منها، يأتي في مقدمتها مخطوطة تاريخ نجد لعباس العزّاوي، المحفوظة في المتحف العراقي (دار صدام للمخطوطات سابقًا)، والتي حصل عليها الباحث من العراق بعد مراسلة أحد الباحثين في بغداد، وقد كان لهذه المخطوطة أهميةً في وصفِ بعض الجوانب الحضارية للجبل، حيث تناول المؤلف فيها عددًا من الموضوعات الخاصة بالجبل، لكن بعد قراءة هذه المخطوطة ومقارنتها بالمصادر الأخرى؛ لاحظنا أنها اعتمدت وبشكلٍ كبير في معلوماتها على ما ألفه الضابط العثماني حسين حسني بعنوان الأوضاع العامة في منطقة نجد، الذي ترجمه الدكتور سهيل صابان من اللغة العثمانية. كذلك مخطوطة حجاز سياحتنامه سي لسليمان شفيق كمالي، والمحفوظة في مكتبة جامعة استانبول، وقد استعنت بأجزاء مترجمة من المخطوطة لدى الحبك حمد الحمّاد، وكان لهذه المخطوطة أيضًا أهميةً في وصف بعض الجوانب الحضارية، التي كانت قيِّمةً في معلوماتها، خصوصًا في ما يتعلق بالجانب الإداري، وعلاقة الإمارة بالدولة العثمانية.

ومن المخطوطات التي استفادت منها هذه الدراسة النجم اللامع للنوادر جامع لمحمد العلي العبيد، والمحفوظ نسخة مصورة منها في مكتبة الأستاذ راشد بن عساكر، وقد تناول المؤلف تاريخ جبل شمَّر، وبعض تفاصيل الأحداث التي أعطت صورةً حضارية في بعض

الجوانب، سواءً الاجتماعية أو الاقتصادية والإدارية. كذلك مخطوطة تاريخ ابن نهير لمؤلفها ندا بن نهير أمير بلدة الأجفر، ومحفوظ منها صورة لدى الباحث محمد العميري، وقد تناولت هذه المخطوطة جزءًا من تاريخ قبيلة شمَّر ونسب عبدَّة، التي ينحدر منها أمراء الجبل من آل علي وآل رشيد.أيضًا مخطوطة شذى الند في تاريخ نجد، لمطلق بن صالح، المحفوظة في قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وهنالك مخطوطات أخرى اعتمد عليها الباحث، وكانت خاصة بشعراء الجبل، وهي مخطوطة لشعراء الجبل وشعراء من نجد لعبدالله بن علي الداود، ومخطوطة البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم لسليمان الدخيل، ومخطوطة الصويغ لفهد الصويغ، كذلك المخطوطة الخاصة بشعر عبيد بن رشيد التي جمعها تشارلز هوبر خلال زيارته إلى الجبل، حين استعان بأحد النُّساخ.وأخيرًا مخطوطة الأستاذ عبدالعزيز الطريفي، وتحدثت عن مكتبة آل يعقوب ومحفوظاتها.

وهنالك مخطوطة لم يستطع الباحث الوصول إليها، وهي مخطوطة القول السديد في أخبار إمارة الرشيد لسليمان الدخيل، حيث حاول الاتصال ببعض المهتمين في العراق، لكن يبدو أن المخطوطة قد فقدت من المتحف العراقي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، كما حاول الباحث الاتصال بالدكتور محمد الزعارير، الذي ذكر في ثنايا كتابه إمارة آل رشيد في حائل أنه اطلع على مخطوطة الدخيل، وبعد الاتصال به ذكر الدكتور الزعارير أنه اطلع على المخطوطة وهي ليست لديه حاليًا. كذلك حاول الاتصال بمركز الشيخ حمد الجاسر، حيث ذكر الشيخ حمد حين طبع أجزاءً من هذه المخطوطة أنها لديه، لكن من دون جدوى، ولم يحصل عليها. لذا لم يكن هنالك إلا الاعتماد على ما انتقاه الجاسر من المخطوطة، وطبعه ضمن مطبوعات دار اليمامة.وقد ذكر الجاسر أنه أغفل كثيرًا من معلومات هذه المخطوطة، وانتقى أجزاءً منها.

ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث أيضًا في هذه الدراسة مؤلفات الغربيين الذين زاروا المنطقة خلال فترة الدراسة، ورحلاتهم جميعًا تمت ترجمتها إلى اللغة العربية عدا

كتاب ألويس موزل شمال نجد، الذي اطلع عليه الباحث بلغته الإنجليزية، كذلك ترجمة رحلة تشارلز هوبر إلى اللغة الإنجليزية. وأهم تلك الرحلات التي اطلع عليها الباحث باللغة العربية:

١. كتاب سفر نامه حج ١٢٦٠هـ، لمؤلفه محمد ولي ميرزا قاجار، تمت ترجمته من اللغة الفارسية.

٢. ترجمتان لرحلة جورج أوغست فالين؛ الأولى بعنوان رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ترجمة: سمير سليم شلبي، والثانية بعنوان صور من جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر، للمترجم نفسه.

٣. وسط الجزيرة العربية وشرقها، لوليام جيفورد بلغريف.

٤. ترجمتان لرحلة كارلو غوارماني؛ الأولى بعنوان شمال نجد، ترجمة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، والثانية بعنوان نجد الشمالي رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم، ترجمة وتعليق: أحمد أيبش.

٥. ترحال في صحراء الجزيرة العربية، لتشارلز داوتي.

٦. ترجمتان لرحلة الليدي آن بلنت؛ الأولى بعنوان الحج إلى نجد، ترجمة: صبري محمد حسن، ونشر المركز القومي للترجمة في القاهرة، كذلك ترجمة أخرى لأحمد أيبش، بعنوان رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية.

٧. رحلة شارل هوبير، بعنوان رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢م.

٨. رحلة داخل الجزيرة العربية ١٨٨٣م، يوليوس أوتينج.

٩. الأوضاع السياسية وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٩٣م/١٣١٠هـ، لأدوارد نولده.

١٠. الأوضاع العامة في منطقة نجد، لحسين حسني، وأصله باللغة العثمانية.

١١. رسائل جيرتروود بيل ١٨٩٩-١٩١٤م، للرحالة جيرتروود بيل.

١٢. كتابان لألويس موزل؛ الأول أخلاق الرولة وعاداتهم، والآخر عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية.

وقد كان لهذه الرحلات أهميةً بالغة، إذ كانت تعطي وصفًا حيًا لكثير من جوانب الحياة الحضارية التي اعتمدت عليها الدراسة، لأنها تعد الأكثر دقةً من بين المصادر، خصوصًا وأن الرحالة كانوا يصفون مشاهداتهم، وعلى الرغم من ذلك، نجد أن بعضًا منهم كان يعتمد على الآخر في وصفه، وقد ذكروا ذلك في رحلاتهم، حيث كانوا يذكرون ما كان يقوله سابقيهم من معلومات، ويتحدثون عما إذا كانت باقية أو أنها تغيرت.

أما أهم المصادر المطبوعة التي أفادت منها الدراسة فجميع مصادر الدولة السعودية الثانية، مثل كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر، ونبذة تاريخية عن نجد لضاري ابن فهيد بن رشيد، وكتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم لإبراهيم بن عيسى، وتاريخ القصيم السياسي لإبراهيم بن محمد القاضي، وغيرها من المصادر المطبوعة الأخرى، التي تناولت تاريخ الدولة السعودية الثانية. وقد كان لهذه المصادر أهمية في وصف الحياة السياسية، التي تم استخلاص بعض الملامح الحضارية منها.

وبالنسبة للمراجع والأبحاث الحديثة؛ فقد كانت مؤلفات الأستاذ أحمد بن فهد العريفي في مقدمتها، خصوصًا وأنها كانت تخص تاريخ الجبل الحضاري، وأهمها مقامات حائلية، الذي جاء في جزئين، وتناول فيه الباحث موضوعات خاصة بحائل وجبل شمَّر عمومًا، وتناولت جوانبًا حضارية مهمة، وغيرها من مؤلفات العريفي الأخرى، كذلك مؤلفات الأستاذ الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين، سواءً نشأة إمارة آل رشيد أو قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد، وكتاب السياسة في واحة عربية لمضاوي الرشيد.أيضًا كتاب التاريخ السياسي لإمارة حائل لجبار عبيد يحي، وكتاب إمارة آل رشيد في حائل لمحمد

الزعارير، وغير هذه المؤلفات الكثير. أما الأبحاث فقد كان في مقدمتها أبحاث سليمان الدخيل في مجلة لغة العرب، وأبحاث أحمد العريفي وألويس موزل في مجلة العرب، وغيرها.

ومن المراجع التي اعتمدت عليها الدراسة أيضًا؛ الرسائل العلمية، حيث اعتمدت على مجموعة منها، يأتي في مقدمتها رسالة مايكل براون بعنوان تاريخ إمارة آل رشيد في حائل، وهي رسالة دكتوراة مقدمة إلى جامعة متشقن في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٩٢م، وقد اطلع عليها الباحث بلغتها الإنجليزية، ويحتفظ الباحث بنسخة كاملة منها، وقد تناولت هذه الرسالة الحياة السياسية في إمارة آل رشيد بشكلٍ كامل، منذ نشأة الإمارة حتى ضم الملك عبدالعزيز لحائل. كذلك رسالة الأستاذ حمد الحمّاد العنقري للماجستير في جامعة الملك سعود بعنوان حكم محمد العبدالله بن رشيد لنجد ١٢٨٩-١٣١٥هـ/١٨٧٣-١٨٩٧م، وهذه الرسالة كانت مهمةً في وصف الحال السياسية، وبعض الملامح الحضارية لإمارة الجبل خلال عهد محمد العبدالله الرشيد، أيضًا رسالة ساير بن غربي الشمري للماجستير بعنوان الأحوال السياسية في حائل في عهد إمارة عبدالله بن علي بن رشيد في جامعة القصيم، وقد تناولت الحياة السياسية في عهد مؤسس الإمارة وأخيرًا رسالة ماجستير بعنوان منطقة حائل – دراسة إقليمية –، للباحث إبراهيم بن صالح الصغير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بقسم الجغرافيا، وقد كانت رسالةً جغرافية، إلا أنها كانت مهمة في بعضِ جوانب الدراسة أيضًا تمت الاستفادة من رسائل أخرى، لم تكن في صلب الموضوع، لكن عاد إليها الباحث في بعض الموضوعات.

أما المراجع الأجنبية، فجميعها كانت باللغة الإنجليزية، عدا بحث واحد باللغة الفارسية، وأهم هذه المراجع رسالة مايكل براون المذكورة، ورحلة تشارلز هوبر، وكتاب شمال نجد لألويس موزل، أيضًا كتاب فيليب وارد واحة في السعودية العربية وألدون روتري رحلة إلى حائل.

وفي نهاية الحديث عن مصادر ومراجع هذه الدراسة؛ فإنه تم الاعتماد في أجزاء بسيطة من هذه الدراسة على الرواية الشفوية، خصوصاً في بعض الجوانب التي لم تسعفنا المصادر والمراجع بمعلومات كافية عنها، لذلك لجأنا إلى الرواية الشفوية، وكان الحرص على أن تكون هذه الروايات من أناس عُرف عنهم اهتمامهم بتاريخ الجبل، ومن أهلها، لذلك كان الأبرز ممن أُخذت منهم الروايات الشفوية الأستاذ أحمد العريفي، الذي أفاد هذه الدراسة بكثير من معلوماته القيِّمة، التي لم نجد لها تفسيراً في كثير من المصادر والمراجع التاريخية، كذلك الأستاذ إبراهيم بن سعيد الهمزاني، والأستاذ عبدالرحمن بن زيد السويداء، وغيرهم.

كما قام الباحث بزيارات ميدانية إلى عدد من المواقع التاريخية، التي تناولتها هذه الدراسة في منطقة حائل، حيث قام بزيارة إلى آثار البيوت القديمة في حيِّي مغيضة ولبدة، وغيرها من المواقع التاريخية الأخرى، والمكتبات الخاصة في منطقة حائل.

ومن أبرز العقبات التي واجهت الباحث ترجمة بعض المصادر التاريخية التي حصل عليها، من وثائق عثمانية ومراجع ومصادر إنجليزية، وتم التغلب على هذه العقبة من خلال الاستعانة بمترجمين من اللغة العثمانية إلى العربية، والترجمة الذاتية للمؤلفات باللغة الإنجليزية، ذلك بعد أن درس الباحث لمدة سنة خلال إعداد هذه الرسالة اللغة الإنجليزية في بريطانيا. كذلك من العقبات الحصول على بعض المخطوطات، حيث أخذت مسألة البحث والمراسلات مع المهتمين فترة طويلة، خصوصاً في ما يتعلق بمخطوطة سليمان الدخيل القول السديد، أيضاً مخطوطة عباس العزاوي تاريخ نجد.

وخلال فترة إعداد هذه الرسالة قام الباحث بمجموعة من الرحلات العلمية؛ إلى استانبول وبيروت ودمشق والقاهرة وأبوظبي ولندن، وقد جمع خلالها في بعض هذه البلدان مصادراً مهمة، خصوصاً في ما يتعلق بالوثائق، التي كانت أهمها العثمانية والمصرية، من تركيا

ومصر، أما البلدان الأخرى فلم تكن على حسب ما توقعه، حيث كانت المصادر فيها شحيحةً إلى درجة كبيرة، إلا في جمع بعض المراجع الحديثة.

وفي نهاية هذه المقدمة أود أن أتقدم بالعرفان والشكر الجزيل لأستاذي معالي الأستاذ الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، الذي كان مشرفًا على هذه الرسالة في بداية الأمر، وكان له دورًا في توجيهي وإرشادي خلال إعداد خطة هذه الرسالة، وقد نهلت منه الكثير، سواءً خلال إعداد المشروع، أو من قبل ذلك في إشرافه على رسالة الماجستير. كما أتقدم بالشكر والعرفان أيضًا لمعلمي وأستاذي الأستاذ الدكتور عمر بن صالح العُمري المشرف الحالي على هذه الرسالة - حيث لم يألو جهدًا في توجيهي ومتابعتي خلال إعداد هذه الرسالة، وقد بدأ معها منذ كانت فكرةً، حيث أرشد الباحث خلال إعداد مشروعها، ومن ثم أصبح مشرفًا عليها بعد أستاذنا معالي الأستاذ الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، ويعد الأستاذ الدكتور عمر العُمري معلمًا، إذ إن الباحث لازمه فترةً طويلةً من الزمن، منذ كان طالبًا في مرحلة البكالوريوس والسنة التمهيدية لدراسة الماجستير ومناقشاً داخليًا للماجستير، كذلك أستاذًا في برنامج الدكتوراة، لذا أثركان بارزًا وملحوظًا في توجيه الباحث لفترة طويلة من الزمن.

وأتقدم أيضًا بالشكر والامتنان إلى دارة الملك عبدالعزيز ممثلة بمعالي أمينها الأستاذ الدكتور فهد بن عبدالله السماري، الذي كان له أثرًا في تقديم النُّصح والمصادر التاريخية التي احتاج إليها الباحث، كذلك اختيار هذه الرسالة، كأحد الرسائل العلمية للدكتوراة الحاصلة على منحة جائزة الأمير سلمان بن عبدالعزيز لدراسات تاريخ الجزيرة العربية. أيضًا الأسر التي مكنَّت الباحث من الاطلاع على مكتباتهم الخاصة في حائل، والتي كان لها فائدةً كبيرة في إعداد هذه الدراسة. كما أشكر قسم التاريخ والحضارة، وعلى رأسه رئيسه الأسبق الأستاذ الدكتور عُمر بن صالح العُمري، كذلك رئيسه الحالي الأستاذ الدكتور إبراهيم بن محمد المزيني، وأعضاء قسم التاريخ والحضارة كافَّة، الذين كان لهم أثرًا في تقويمِ مشروع هذه

الدراسة وتقديم النصح والتوجيه خلال فترة الإعداد. وأشكر كلية العلوم الاجتماعية ممثلة بعميدها الأسبق الدكتور فوزان بن عبدالرحمن الفوزان، وعميدها الحالي الأستاذ الدكتور محمد ابن عبدالمحسن التويجري.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري إلى مجموعة ٍ من الباحثين والمهتمين والمؤرخين، يأتي على رأسهم الأستاذ أحمد بن فهد العريفي، الذي لم يتوان َ عن تقديم المساعدة والمشورة، سواء ً في تقديم المصادر والمراجع، أو حتى الروايات الشفوية، والتي كان يكتب أغلبها ويرسلها إلى الباحث مكتوبةأيض ًا أشكر الأستاذ حسّ ان بن إبراهيم الرديعان، والأستاذ راشد بن عساكر، والأستا حمد الحمّ اد العنقري، والأستاذ تركي القدّاح، الذين قدموا للباحث ما لديهم من مصادر ومراجع أفاد منها كثير ً ا.

وفي النهاية أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا إلى كل ما فيه الخير والصلاح، وأن ينفعنا بما علمنا، ويرزقنا علم ً ا نافع ً ا، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

- الموقع الجغرافي لمنطقة جبل شمَّر.
- تاريخ منطقة جبل شمَّر في عصر الدولة السعودية الأولى.
- الحياة السياسية في منطقة جبل شمَّر في عصر الدولة السعودية في دورها الثاني.

تُعدُّ الدراسات الحضارية من أهم الفنون التي تكتمل بها الصورة التاريخية؛ ذلك لما تُعطيه من جوانب تفسيرية للحدث، لذا كانت جزءاً أصيلاً من دراسة التاريخ، بجوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والعمرانية لهذا قال ابنُ خلدون في مقدمته: "إنَّما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر، فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار ... ؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبين به أخباره، وقد كان ... يفردونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه أحوال الأمم والآفاق ... الثلاثين والثلاثمائة غرباً وشرقاً وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف ... الجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار إماماً ... وأصلاً يعوِّلون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه"(1)، وعلى الرغم من أن ابن خلدون ساق مثالاً بالمسعودي(2)، إلاَّ أنه أعطى صورةً واضحةً حول العلاقة بين التاريخ والجوانب الحضارية، ورأى أنهما متلازمان، أحدهما يكمل الآخر، ومنه تبرز أهمية الدراسات الحضارية.

ومن أهمِ الموضوعات التي تحتاج إلى مزيدٍ من الدراسات الحضارية في التاريخ الحديث والمعاصر؛ تاريخ شبه الجزيرة العربية، إذ لا يزال يحتاج إلى سبر أغواره، على الرغم من وجود

(1) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، ج1، تصحيح وفهرسة: أبوعبدالله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م، ص 34.

(2) في المسعودي وجهة نظر؛ حول منهجه في كتابة التاريخ، ونزعته المذهبية الشيعية وتعاطفاته العلويَّة، التي أثرت بالتالي على أحكامه التاريخية، وما فيها من تدليس. للمزيد حول منهج المسعودي؛ (السويكت: سليمان بن عبدالله، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، (د.ن)، (د.م)، ط1، 1407هـ/1986م، ص ص 397-400).

بعض الدراسات التي كان لها الأثر الكبير في إيضاح بعض الجوانب الحضارية لهذه البقعة الجغرافية.ولعل عصر الدولة السعودية الثانية حظي ببعضٍ من هذه الدراسات؛ إلا أنه لا يزال أرضاً بكراً لا سيَّما أنَّ كُل إقليم من أقاليم شبه الجزيرة العربية يستحق أن يفرد له دراسة حضارية لوحده، سواء أكانت شاملة للجوانب كافة أم متخصصة في جانب واحد.

وتُعدُّ منطقة جبل شمَّر أحد أهم تلك المناطق في شبه الجزيرة العربية،التي لم تحظَ بدراسة حضارية وافية، خصوصاً أن لها الأثر الكبير في سير الأحداث في عصر الدولة السعوديةثالية، لا سيَّما أنها كانت محركاً ومؤثراً في الحدث، خصوصاً قبيل سقوط الدولة السعودية الثانية بعقدين تقريباً . ولعل لمنطقة جبل شمَّر من الخصائص ما يميزها عن غيرها من المناطق النجديَّة الأخرى، تحديداً في تركيبتها الاجتماعية، والحراك الاقتصادي والعلمي والسياسللنيَشدِ ط، وربما أن موقعها الجغرافي أثر في تميُّز المنطقة عن غيرها.

ولأهمية موقع الجبل، الذي منحها ميزاتٍ عدَّة؛ سيكون التمهيد به، كذلك الخلاف حول تسمية المكان، حيث تعدَّدت الأسماء، على مختلف العصور التاريخية، ولا تزال تحتفظ بالأسماء كافة في ذاكرة التاريخ حتى يومنا الحالي، ما بين جبل شمَّر وحائل، الجبلين، وجبلا طيء، وأجا وسلمى، ومن ثم نعكف إلى الخلفية التاريخية للمنطقة، التي ربما تُعَدُّ مثار بحثٍ منفصل، تناولت جوانباً منه بعض الدراسات العلمية. ولعل أهم تلك الموضوعات التي تحتاج إلى مزيدٍ من البحث والتقصي؛ تاريخ المنطقة قبل فترة الدراسة، أي قبل العام ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م إذ تُعدُّ المصادر قبل هذا التاريخ شحيحةً ، حتى وإن كان هناك بعض الإشارات التاريخية في المصادر، إلا أنها لا تبل صدأ الباحث، حيث إنه لا يزال هنالك من جوانب الغموض، ما يحتاج إلى تفسير، حتى وإن تناولتهالرواية المحكيَّة، إلا أنها لا تحِلُ محل المصادر المتعارف عليها علمياً ، أو بمعنى أنها لا يمكن أن تكون ركيزةً للدراسات التاريخية أو أساساً .

الموقع الجغرافي لمنطقة جبل شمَّر:

تقع منطقة جبل شمَّر بين خطي طول (٣٠-٤١) شرقاً، ودائرتي عرض (٣٣-٢٧) شمالاً [١] وتُعدُّ أقصى حدود نجد الشمالية، كذلك هي الحدّ الفاصل بين نجد والحجاز، إذ إن الأراضي الصخرية التي تسمى بالحِرار تبدأ من بعد جبل شمَّر غرباً، وتدخل ضمن حدودها عدداً منها.[٢]

تتباين الآراء حول حدود جبل شمَّر، خصوصاً إذا تم الخلط بين حدودها الطبيعية والسياسية خلال فترة الدراسة، أو حتى حدودها الإدارية الحالية. وطبيعياً يحدها من جهة الشمال النفود الكبير[٣]، ومن الجنوب وادي الرمة، وغرباً واحة تيماء، والدهناء من الشرق.[٤] أما حدود الجبل -سياسياً - خلال فترة الدراسة؛ فمن الصعب تحديدها، ذلك لأنها لم تبقَ على حدود ثابتة، حيث تتغير الحدود حسب قوة إمارة الجبل وضعفها، فتارة تتسع حتى تصل إلى الصحراء السورية شمالاً [٥]، والقصيم والرياض من جهة الشرق والجنوب، وتقف على حدود المدينة المنورة غرباً، أو تنحصر هذه الحدود وتقف عند حدود منطقة القصيم في الجنوب الشرقي، والجوف شمالاً، وفي الشمال الغربي تيماء، أما حدودها الغربية فاستقرت إلى حدّ ما، إلاَّ حين دخلت في حدودها الغربية خيبر، وثمة تحديد آخر؛ الكويت

---

(١) الحواس: فهد بن صالح، **عمارة المنزل بمنطقة حائل**، وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف (التربية والتعليم)، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٩.

(٢) مدني: أمين، **التاريخ العربي وجغرافيته**، دار القوافل، الرياض، ط٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ١٩٣.

(٣) الوليعي: عبدالله بن ناصر، **بحار الرمال في المملكة العربية السعودية**، (د.ن)، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٩٩.

(٤) الشمري:ساير بن غربي، **الأحوال السياسية في حائل في عهد إمارة عبدالله بن علي بن رشيد**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد بن عبدالله السلمان، القصيم، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ١١.

(٥) لوريمر: ج.ج، **دليل الخليج (القسم الجغرافي)**، ج٦، ترجمة: مكتب أمير دولة قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، ط١، (د.ت)، ص ٢٢٣٦.

والعراق من الشرق، وبادية الحجاز والمدينة المنورة غرباً، وبادية الشام شمالاً، وبلاد القصيم العليا جنوباً.[1]

أما فيما يتعلق بحدود جبل شمَّر - حائل - الإدارية الحالية؛ فيحدها من الشمال والشمال الشرقي منطقة الحدود الشمالية ومنطقة الجوف، ومن الجنوب منطقة القصيم، والغرب منطقة المدينة المنورة، ومنطقة تبوك.[2] ومساحتها الإدارية الحالية تُقدَّر بحوالي (١١٨،٢٣٢ كم٢).[3]

أهمية موقع وجغرافية الجبل:

اكتسبت منطقة جبل شمَّر أهمية استراتيجية، عطفاً على موقعها الجغرافي وتكوينها الطبوغرافي، حيث أفادت منه على المستوى الاقتصادي والعلمي والسياسي، وقد تأثرت تركيبتها الاجتماعية، وتبرز أهمية موقع الجبل في الآتي:

١. تنوع السطح في المنطقة؛ أدى إلى مساعدتها على توافر مقومات الحياة البشرية، ذلك من خلال تحصينها الطبيعي بالجبال، ما جعل منها آمنة للسكن منذ عصورٍ قديمة، حيث عُرِفت كأحد مراكز الحضارات القديمة في عصر الآشوريين والبابليين[4]، كذلك وفرة المياه في المنطقة ومناسبة تربتها للزراعة؛ جعل منها مصدرجذبٍ للإقامة، لا سيما في جودة

---

(١) عبيد: جبَّار يحيى، **التاريخ السياسي لإمارة حائل**، تقديم: عبدالله بن محمد المنيف، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ١٨.

(٢) الصغير: إبراهيم بن صالح، **منطقة حائل – دراسة إقليمية –**، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف الدكتور: محمد الأمين البصير، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ع.

(٣) العفنان: سعد بن خلف، **حائل وعبقرية المكان**، مطابع المعرفة، حائل، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ١٦٥؛ الحواس: المرجع السابق، ص ١٩.

(٤) عطفاً على ما وجد فيها من كتابات ورسوم تعود لهذه الحضارات في جانِّين وياطب؛ (السبيت: عبدالرحمن وآخرون، **منطقة حائل**، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (٨)، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٧٥).

ما تنتجه من محصولات، تأتي التمور في مقدمته، ولعل أشهر تلك التمور في المنطقة على الإطلاق؛ الحلوة، إضافة إلى المحصولات الزراعية الأخرى.(١) كذلك مناسبة مناخها القاري، الذي منح ساكنيها التواؤم مع الطبيعة، حيث ترتفع عن سطح البحر حوالي (٩٠٠م).(٢)

٢. وقوعها في منتصف المسافة بين وسط نجد والعراق والشام، كذلك وقوعها في منتصف المسافة بين الخليج العربي من الشرق والبحر الأحمر من الغرب، الأمر الذي جعل منها منطقة التقاء للمارة بين هذه الأماكن، إذ أصبحت البوابة الشمالية للقادم من الجنوب، والجنوبية للقادم من الشمال صوب الجزيرة العربية وتحديداً منطقة نجد.(٣)

٣.منذ فترة مبكرة من التاريخ والمنطقة كانت تمثل ممراً مهماً للقوافل التجارية، وقوافل الحجاج القادمين من العراق وفارس، وقد ارتبطت قوافل التجارة بقوافل الحج، حيث كانت تمر بالمنطقة لتحقيق هدفين، التجارة، ومرور الحجاج للحجاز، ومن أبرز الأمور التي تبرز أهمية المنطقة في طريق الحاج العراقي؛ اختراق درب زبيدة(٤) لها، حيث لا تزال آثار البرك وصهاريج المياه باقية، التي كانت تخدم الحجاج المارين بها إلى الحجاز، واستمر هذا الطريق حتى وقتنا الحالي، للمار براً لتأدية مناسك الحج والعمرة من العراق وفارس.(٥)

---

(١) الصغير: المرجع السابق، ص ق.

(٢) وزارة المعارف (التربية والتعليم): **سلسلة آثار المملكة العربية السعودية – آثار منطقة حائل**، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٥.

(٣) عبيد: المرجع السابق، ص ٢٠؛ الصغير: المرجع السابق، ص ع.

(٤) سمي درب زبيدة نسبة للسيدة زبيدة بنت الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وزوجة الخليفة هارون الرشيد، الذي تزوّج بها عام ١٦٥هـ، وهي أم ابنه محمد الأمين وسبب التسميّة أنه حين حجّت السيدة زبيدة عام ١٨٦هـ؛ أدركت ما كان يعانيه الحجاج في طريقهم إلى مكة من مشقة في الحصول على المياه، لذا أمرت بوضع برك وصهاريج المياه على طول الطريق إلى مكة؛ (الطبري: محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، ج ٨، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٥٠٦؛ حسن: حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٦٤م، ص ٤٣١).

(٥) السبيت: المرجع السابق، ص ٧٥.

٤ بعطفاً على أهمية الموقع؛ فإن التركيبة السكانية في الجبل تنوَّعت، حيث حوت المنطقة أجناساً عِدَّة، ظهر ذلك منذ فترة مبكرة في التاريخ الحديث والمعاصر لشبه الجزيرة العربية، حيث استقر عدد من المارَّة بالجبل، إما لرغبة في السكن فيه بعد أن طابت أنفسهم للمُقام، أو لظروف اقتصادية؛ في ممارسة التجارة أو أي حرفة كانت.[(١)]

حدود بلدة حائل (قاعدة جبل شمَّر):

تغيرت حدود حائل – البلدة – خلال تاريخها الحديث والمعاصر، إذ كانت حدودها في عهد إمارة آل علي – حكامها قبل أسرة آل رشيد – في ما يسمى بحدري[(٢)] حائل، وكانت تقتصر على ما في داخل السور القديم، ونتيجة للتكاثر، ولعدم استيعاب البلدة القديمة للأعداد المتزايدة للسكان؛ اضطروا إلى توسيع حدود البلدة، حيث انتقل عدد منهم إلى خارج السور، بالقرب من جبل السمراء شرقاً وتنتهي غرباً إلى قرب جبل أجأ، وكانت تعرف هذه الأرض الجديدة باسم البطين، وضمت البطين أحياء حائل المشهورة؛ مغيضة[(٣)]، سوق[(٤)] الجراد، لبدة، سوق الرزين.[(٥)]

واستُحدِثت بعد ذلك عدداً من الأحياء الأخرى، حيث خَطَّت بعض الأُسر لها مزارعاً بالقرب من حائل، فنشأ على إثرِ ذلك حي الوسيطاء[(٦)]، وكان من أبرز الذين

---

(١) سيأتي التفصيل في هذا – إن شاء الله – في الحديث عن الحياة الاجتماعية.

(٢) بمعنى أسفل حائل، ويسمى المكان أيضاً الحدريين، كما يسمى السويفلة؛ كنوع من تحديد مفهوم الاسم بشكل أدَّق، ولا يزال يعرف بالاسمين.

(٣) كانت من أخصب أراضي البطين، واشتهرت بوفرة مياهها.

(٤)اعتاد أهالي حائل وصف الحي بالسوق، إذ لا يعني اسم سوق وجود سوق تجاري، على الرغم من أن هذه الأحياء كانت تحوي داخلها أسواقاً ، ولا يزال هنالك من يستخدم مصطلح سوق من كبار السن.

(٥) العريفي: أحمد بن فهد، **مقامات حائليَّة**، ج١، مطابع الناشر العربي، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ص ١٦-١٨.

(٦) القويعي: عقيل بن ضيف الله، **أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل**، مطابع النهضة الوطنية، حائل، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٠٦.

انتقلوا إلى الوسيطاء آل خليل،(1) وقبل نهاية حكم أسرة آل علي نشأت أحياء أخرى؛ أهمها بَرزَان والزَّبَارَة.(2)

ومن صفات حدود البلدة أنها بشكل عام تمتاز بأرض خصبة، وتحيط بها الجبال والشِعَاب، حيث يحدها شمالاً شِعب غَطَاط، وجنوباً شِعب عِيرِّف(3)، وشرقاً وادي الإدِيرِع، وغرباً وادي عِقدَّة، ما يجعلها حاجزاً طبيعياً للمياه، لذا تكثُر فيها منابت الكلأ والنباتات البريَّة.(4)

أهم البلدان والقرى:

هُنا تم الاقتصار على ذكر أهم البلدان والقرى التابعة للجبل جغرافياً، ذلك لأن إمارة جبل شمَّر خلال فترة الدراسة؛ تبعت لها عدد من البلدان البعيدة عنها، منها الجوف وتيماء وخيبر والقصيم والرياض، حتى وإن كانت هذه التبعية مدتها قصيرة. لذا كان الأهم ذكر البلدان المرتبطة بالمنطقة جغرافياً .أما أهم تلك البلدان، فتأتي مرتبةً حسب أهميتها كما يلي:

١. **قفار:** تُعَدُّ قفار هي البلدة الثانية من حيث الأهمية بعد حائل – قاعدة الجبل –، وقد تساويها في نسبة عدد السكان تقريباً، لكنها تتميز عن حائل بكثرة بساتينها الزراعية،

---

(1) ينتمون إلى الجعفر من عَبدَّة من شمَّر، وكان جَدّ عبدالله بن علي بن رشيد – مؤسس إمارة آل رشيد – أحد أولئك الذين انتقلوا إلى الوسيطاء، كما يبدو أن الجَفوَّة التي نشأت بين الحُكام وأبناء آل رشيد، كان منشأها من هذا الانعزال، حيث إن أسباب التنافر وإن تعدَّدت في وقت الحدث، إلاَّ أن العداء يبدو أنَّه متأصلاً بين الأطراف، ويدُل على ذلك الحساسية التي يتعامل بها كل طرف مع الآخر. وسيأتي – إن شاء الله تعالى – التفصيل خلال هذا الفصل التمهيدي.

(2) القويعي: المرجع السابق، ص ١٠٧.

(3) شِعب جنوب حائل القديمة، وعُرف باسمه جبلٌ أسمر صغير، حالياً يقع في وسط المدينة، فيه قلعة مبنية من الطين، ولا تزال شاهدةً حتى الآن بعد أن تم ترميمها؛ (الضبعان: محمد ويوسف الشمري، **المواقع وأسماؤها في منطقة حائل**، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٨٢).

(4) العفنان: المرجع السابق، ص ص ١٦٥-١٦٦.

إضافة إلى أن أغلب سكانها من قبيلة تميم.[1] وتحديداً تقع قفار في سفح جبل أجأ الشرقي، جنوب غرب بلدة حائل، إذ تبعُد عن حائل حوالي ٩ أميال (١٤،٤٨١ كيلومتر)، ومقدار ارتفاعها عن سطح البحر يساوي ٤٠٠ قدم.[2] ويقال أنها كانت تسمى قديماً بالهييماء، عطفاً على ما ورد في قصائد شعراء تميم من مفاخر وانتصارات قبيلتهم على أحد فروع قبيلة طيء[3]؛ لذا جاء الرأي أنها قفار الحاليَّة؛ نتيجة إلى أنَّ الهييماء[4] ورد أنها في أرض الجبلين، وكانت اسماً ليوم من أيام العرب بين طيء وتميم.[5]

٢فَيْد: تقع فيد جنوب شرق مدينة حائل، وتبعد عنها ٦٤ ميلاً (١١٠ كيلومتر)[6]؛ وتُعدُّ وتُعدُّ أقدم البلدان التابعة لجبل شمَّر، حيث إن تاريخها ضارب في القِدَم، واكتسبت هذه البلدة شهرةً واسعة بعد الفتح الإسلامي للعراق، إذ إن موقعها في منتصف المسافة بين

---

(١) الرشيد: مضاوي، **السياسة في واحة عربية (إمارة الرشيد)**، ترجمة: عبدالإله النعيمي، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص ٢٠.

(٢) لوريمر: المصدر السابق، ج٥، ص ١٨٣٥.

(٣) فأدركهم دون الهييماء مقصرا　　　وقد كان شأواً بالغ الجهد باسطا

انتصروا على الطريفين من طيء: طريف بن مالك، وطريف بن عمرو، وأجلوهم من أماكنهم إلى الجبل؛ (الفريح: عبدالرحمن، **قفار**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٣٣).

(٤) ورد في لسان العرب أنَّ هييما قوم من بني مجاشع وقيل أنَّها اسمُ ماءٍ لهم، كما أورد ياقوت في معجمه أنَّ الهييماء: "اسم موضع كانت فيه وقعة لبني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة علي بني مجاشع"، وفي كلا الإشارتين؛ فإن موقع لهييماء المذكور في شرق شبه الجزيرة العربية، ليس له علاقة بقفار، غير أنَّ بني مجاشع ينتمون لقبيلة تميم؛ ما يعني أنَّ الاسم – على الأغلب – مشهور في شرق شبه الجزيرة العربية، ولا يمنع أن يكون قد أطلق في فترة سابقة على قفار؛ (ابن منظور: محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج١٢، دار صادر، بيروت، ط١، (د.ت)، ص ٦٢٨؛ الحموي: ياقوت بن عبدالله، **معجم البلدان**، ج٥، دار الفكر، بيروت، ط١، (د.ت)، ص ٤٢٢).

(٥) الفريح: المرجع السابق، ص ص ٣٤-٣٥.

(٦) الضبعان: المرجع السابق، ص ١٩٦.

الكوفة ومكة[1]؛ ما يجعل منها ممراً مهماً لقوافل الحج على مر التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر وربما أنهَّا اكتسبت وهجاً في فترة التاريخ الإسلامي الوسيط أكبر من أجأ وسلمى، أو حائل، يدلُّ على ذلك أن ابن الأثير حين عَرَّف بجبلي طيء قال: "وهما بقرب فيد"[2]، ما يدل على أنَّ فيد بالنسبة لابن الأثير وأهل زمانه؛ أشهر منجبلي طيء، على الرغم من شهرة الجبلين، وكل ذلك آتٍ من موقعها في منتصف المسافة لطريق الحاج العراقي إلى مكة. وقد كان أغلب سكانها منذ القدم من البادية[3]، حيث احتفظت بسماتها الاجتماعية، مع أنها كانت ممراً مهماً يفده الناس في كل عام مرتين، غير أنَّ أبلغ الفوائد التي كان يجنيها سُكان فيد؛ الحراك الاقتصادي الذي كان ينتعش مع موسم الحج.[4]وحالياً هي أحد أهم مساكن الأسلم من قبيلة شمَّر.[5]

٣ عقدَة: تقع عقدة[6] جنوب غرب حائل، وتبعد عنها ٦ أميال (٩،٦٥٤ كيلو متر)، ما يعني أنهَّا الأقرب إلى بلدة حائل، وتكاد تكون ضمن حدودها[1]، غير أنها أكثر ارتفاعاً

---

(١) الدمشقي: أبوبكر بن بهرام، **جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير**، ترجمة وتحقيق: مسعد بن سويلم الشامان، مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ٣٠٣؛ السنيدي: عبدالعزيز بن راشد، مدينة فيد، مطابع سفير، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٨.

(٢) **الكامل في التاريخ**، ج١، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ، ص ٢٧٣.

(٣) الجرجاني: حمزة بن يوسف، **تاريخ جرجان**، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٢٢٣؛ الحسني: محمد بن عبدالله، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج١، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٣٨٠.

(٤) قال ابن بطوطة في رحلته يصف فيد: "ثم أسرينا ليلا وصحبنا بحصن فيد وهو حصن كبير في بسيط من الأرض يدور به سور وعليه ربض وساكنوه عرب يتعيشون مع الحاج في البيع والتجارة وهنالك يترك الحجاج بعض أزوادهم عند وصولهم من العراق إلى مكة شرفها الله تعالى فإذا عادوا وجدوه وهو نصف الطريق من مكة إلى بغداد ومنه إلى الكوفة مسيرة اثني عشر يوما في طريق سهل به المياه في المصناع ومن عادة الركب أن يدخلوا هذا الموضع على تعبئة وأهبة للحرب إرهابا للعرب المجتمعين هنالك وقطعا لأطماعهم عن الركب"؛ (اللواتي: محمد بن عبدالله، **رحلة ابن بطوطة**، ج١، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ، ص ١٩٢).

(٥) الشمري: المرجع السابق، ص ٢٠.

(٦) قال البكري: "عقدة بضم أوله على لفظ عقدة الرابط رملة مذكورة في رسم عوق، وقال محمد بن حبيب عقدة أرض معروفة كثيرة النخل يضرب بها المثل فيقال آلف من غراب عقدة لأن غرابها لا يطير لكثرة خصبها، وقال=

من حائل، حيث إن ارتفاعها عن سطح البحر ٤٠٢٠ قدم، بفارق ٥٠٠ قدم عن حائل، وهي تُعدُّ ملتقى أودية صغيرة في الجبل، تحيطها الجبال من جهاتها كافة، وقد كانت حصناً طبيعياً للبلدة، إذ يُلجأ إليها في حال الضرورة اتقاءً للهجمات الخارجية. لها مدخل ضيِّق ووحيد، سمِّي ربع عقدة يتسع ١٠٠ ياردة تقريباً (٩١،٤٤ متر)، ويضيق حتى يصل إلى ٥٠ ياردة (٤٥،٧٢ متر)، وكانت لعقدة بوابة حديديَّة تتسع لمرور أربعة من الإبل فقط.[٢] كما أنها مليئة بالبساتين الصغيرة، التي تُزرع بها بعض أنواع الفاكهة، وتملأها أشجار النخيل؛ يملك نصفها تقريباً سكان حائل، والربع للبادية، الذين يأتون في موسم الحصاد، والباقي يملكه أمراء الجبل، وقد كانت زراعية بالدرجة الأولى، لمناسبة تربتها ووفرة مياهها.[٣] يسكنها قبيلة شمَّر؛ خصوصاً فرع عَبدَّة.

جُبَّة: تقع شمال غرب حائل، وتبعد عنها ٦٣ ميلاً تقريباً (١٠٠ كيلومتر)، يحدها من الشمال صحراء النفود، وتبعد عن منطقة الجوف حوالي ٨١ ميلاً (١٣٠ كيلومتر)، وقد كانت محَطَّةً مهمةً في طريق القوافل التجاريَّة الآتية من الشمال، وتحديداً من العراق، لذا نَشَطَّت فيها الحركة التجارية بشكل ملحوظ، إذ كان فيها سوقٌ عامرٌ ينتعش بتغذية تلك القوافل له، كذلك أرضها زراعية، وفيها من الصناعات ما جعلها مشهورة على مستوى المنطقة، لا سيَّما في صناعة أشِدَّة ركوب الإبل، يسكانها فرعٌ من الرمَال من قبيلة شمَّر.[٤]

=ابن الأعرابي كل أرض عقدة لأن غرابها لا يطير لكثرة خصبها، وقال ابن الأعرابي كل أرض ذات خصب عقدة ، والعقدة من الكلأ ما يكفي الإبل، وعقد الدور والأرضين من ذلك لأن فيها البلاغ والكفاية"؛ (البكري: عبدالله بن عبدالعزيز، **معجم ما استعجم**، ج٣، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ص ٩٤٩).

(١) حالياً هي جزء من مدينة حائل، إذ وصل إليها العمران.

(٢) لوريمر: المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج١، ص ١١٥.

(٣) نفسه، ص ١١٦.

(٤) الهذال: عاشق بن عيسى، **جبة**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ص ٢٠-٢٤.

٥. موقق: من أقدم البلدان في منطقة الجبل[1]، تقع غرب حائل، وتبعد عنها ٤٧ ميــــلاً (٧٥ كيلومتر)[2]، وقد ذكر البكري أنها موضع في بلاد طيء[3]، وقال ياقوت: "قرية ذات نخل وزرع لجرم في أجأ أحد جبلي طيء وقيل موقق ماء لبني عمرو بن الغوث صار لبني شمجي إلى اليوم".[4]ومن أهم الأمور التي تميِّز موقق جغرافياً ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ٣٩٣٧ قدم، حيث توجد فيها أعلى قمة في سلسلة جبال أجأ، كذلك تدخل في جزء من صحراء النفود، ويوجد فيها مساحة من السهول، كما تتميَّز بزراعة النخيل، أيضاً أنواع عِدَّة من الفواكه والخضراوات.[5]

وتُعدّ هذه البلدان الخمسة؛ أهم البلدان في جبل شمَّر، نظراً لتاريخها وأهميتها بالنسبة لقاعدة الجبل؛ حائل، وقربها منها، كذلك تأثيرها في تاريخ المنطقة، وعلى الرغم من أن هنالك قرى وبلدان أخرى مهمة، إلا أنها لا تصل إلى درجة أهمية هذه البلدان الخمسة، ومن أهم البلدان التي لم يرد ذكرها؛ السبعان، بقعاء، المستجدَّة، الغوطة، الروضة، الغزالة، الشنان، وغيرها.

---

(١) كانت موقق إحدى أهم المواقع التي يتركز فيها وجود قبيلة طيء، حيث كان يسكنها الصحابي زيد الخيل – رضي الله عنه –، وذرية عمرو بن كلثوم بن شيماء الجرمي الطائي؛ (المرمش: عبدالعزيز بن سلطان، موقق، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ١٦).

(٢) الضبعان: المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق، ج٤، ص ص ١١١٥-١١١٦.

(٤) المصدر السابق، ج٥، ص ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٥) المرمش: المرجع السابق، ص ص ١٧-٣٨.

الأسماء التي عُرِفت بها منطقة جبل شمَّر:

تعدَّدت الأسماء التي أُطلقت على جبل شمَّر، فمع كل مرحلة تاريخية تأخذ اسماً يتواءم وإياها، وفي بعض الفترات يطغى اسم على آخر، بالرغم من أنَّ الأسماء الأخرى لا تندثر، غير أن الاستخدام هو الذي يروج لاسمٍ أكثر من غيره، ذلك من مرحلة إلى أخرى.

وربما خلط بعض الباحثين، حول التسميات؛ حيث إن اسم المنطقة كان له خصوصية في استخداماته، فتارة يأخذ الاسم بعداً سياسياً، وأخرى اجتماعية أيضاً جغرافياً. فلكل بُعد تسميته، ويطغى في بعضِ الأحيان بُعدٌ على آخر.

أبرز الأسماء التي عُرفت بها المنطقة وأبعادها:

١. أجأ وسلمى:

أبعاد هذا الاسم جغرافية، وهو أقدمُ اسمٍ عُرفت به، فهو اسمٌ للجبلين المحيطين بالمنطقة، وتعود تفاصيل هذه التسمية إلى أسطورة أوردها المؤرخون؛ مفادها أنَّ أجأ بن عبدالحي عَشِق امرأة من قومه[1] اسمها سلمى بنت حام، وهرب وإياها إلى الجبل، وقد ذكر ابن كثير أنَّهُ فَجَرَ بها والحين كُشِفا صُلب كلُّ واحد منهما[2] في جبلٍ، وسمي باسمه.

وبعيداً عن تفاصيل هذه الأسطورة؛ فإنه على الأغلب أن التسميَّة تعود لرجل وامرأة من العماليق[3]، ذلك لعدم وجود ما يتنافى مع ما ورد في هذه الأسطورة، من تعليلاتٍ تعطي معلومة حول التسمية، حتى يتم الترجيح، لذا يجب قبول الرواية، على

---

(١) من العماليق قبل أن تسكن طيء الأرض.

(٢) ابن كثير: إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، ج٢، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، (د.ت)، ص ١٩١.

(٣) هم من ذريَّةِ عمليق بن سام بن نوح عليه السلام، والعماليق منهم الكنعانيون، وجزء منهم في اليمن، وقد انتقل أيضاً بعضهم إلى أرجاء الجزيرة العربية، ومنها الجبلين أجأ وسلمى، وهم من العرب البائدة؛ (ابن الأثير: المصدر السابق، ج١، ص ٦١).

الرغم من عدم تواترها في المصادر التاريخية. والأهم أنَّ هذا الاسم هو الأقدم بين لأسماء المتعارف عليها في المنطقة كافة، حيث لم يرد في المصادر قبله اسمٌ آخر. واسم الجبلين أو الجبل منبعه هذا الاسم.

قُرَيَّة[1] حائل:

هذا هو الاسم الأقدم بعد أجأ وسلمى؛ وقد انشغل الباحثون في مدلولاته اللغوية[2]؛ محاولةً منهم لإيجاد تفسير منطقي للاسم، الأمر الذي يوحي بأن أبعاد هذا الاسم لغوية، أكثر منها جغرافيَّة، في حين أنَّ التفسير اللغوي لصِفةِ المكان؛ هي القرية الحائِلة والحاجزة للطريق بين أجأ وسلمى بمياهِ الأمطار. وربما هذا هو المعنى المنطقي للاسم، أما المعاني التي أوردها الباحثون حول حائل، فهي ليست إلاَّ إضافةً

(١) قال ياقوت: "القُرَيَّة تصغير قَرية مكان في جبلي طيء مشهور"؛ (الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص ٣٤٠). قُرَيَّة: تصغيرٌ لقرية، أما حائل؛ فتأتي بمعانٍ عِدَّة:

- الناقة أو الشاة أو البقرة التي لم تلد لسنة أو سنتين أو أكثر، أو لا تنتج حليباً وقد انساق كثيرٌ من الباحثين وراء ما أورده ياقوت في معجمه وابن منظورٍ في لسان العرب على الرغم من أنَّ الأخير استدرك وشمل بها المرأة والنخلة والشاة -؛ حيث قصرا الأمر على الناقة، واعتقد الكثيرون أنَّه يخصُّ الناقة التي لم تلد عامها ذاك فقط، في حين أنَّ الأمر يشمل كل أنثى لم تلد أو جَفَّ ضِرعُهَا؛ إذ ورد في المصادر ما يدلُّ على أنها تعني الشاة كما جاء لدى ابن كثير في البداية والنهاية، والبقرة التي جَفَّ حليبها كما جاء في المنتظم للجوزي.لكن حقيقةً أنَّ هذا المدلول اللغوي لا يتناسب وتسمية المنطقة، فليس ثمة ما يدعم مناسبته لها.
- المتحول أو المتغير أو المتحرك، وقال ياقوت: "رجل حائل اللون إذا كان أسود متغيراً"، كذلك قال ابن منظور في لسان العرب: "الحائل: كُلُّ شيء تحَرَّك في مكانه: وقد حال يحول"؛ وهذا المدلول أيضاً لا يعطي دلالة على مناسبته للمكان، بل ويتنافى معه، حيث إن الأرض لا تتحرك أو تتحوَّل.
- الحاجز؛ وقد تواتر هذا المعنى لحائل، حيث يعني الحاجر الحائل بين شيئين. ولعل هذا المدلول هو الأقرب للمكان؛ ذلك لأنَّه حين ينزل المطر على المنطقة يحول الماء بين أجأ وسلمى، فسمي المكانُ حائلاً.

(الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٠؛ ابن منظور: المصدر السابق، ج١١، ص ١٨٩؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج٣، ص ٣٠؛ الجوزي: عبدالرحمن بن علي، **المنتظم**، ج٢، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ، ص ١١٧؛ الرازي: محمد بن عبدالقادر، **مختار الصحاح**، ج١، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٦٨).

للمدلولات اللغوية للاسم، لكن لا علاقة لها بالمقصود، وهو البلدة المعروفة بين أجأ وسلمى.

أمَّا في ما يتعلق بتاريخِ الاسم؛ فإنهُ قديمٌ جداً، إذ يعود إلى العصر الجاهِلي، وما قبلُه، حيث ورد اسمُ حائل لدى الشعراء في الجاهلية، ومنهم أحد شعراء المعلقات امرؤ القيس.[1]

واستمر اسمُ قُرَيَّة حائل بعد ذلك؛ حتى بدأ يفترق المُضاف والمُضاف إليه في التسميَّة، حيث يُطلقُ على المكان تارةً القُرَيَّة، وأخرى حائل. ومن الآراء التي لم تُنصِف هذا الاسم، ما جاء في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، للشيخ حمد الجاسر؛ حين ذكر ما نصه: "لم يطلق اسم حائل على البلدة – فيما أعلم – إلا في عصر متأخر، وكانت الشهرة إلى ما قبل قرنين من الزمن لبلدة قفار"[2]، وبعيداً عن طغيان شهرة قفار على حائل من عدمه؛ نجد أن الشيخ حمد في المُؤَلَّفِ نفسه يذكر أن اسم حائل ورد لدى الهِجري والبكري، كما أورد بيت امرئ القيس السالف الذكر[3]، مما يدل على أن الاسم موجوداً قبل التاريخ الذي حدَّدَه بقرنين سابقين أما إن كان يقصد أنَّهُ لم يَرِد مجرداً من المُضاف إليه القُرَيَّة؛ فإن امرؤ القيس

(1) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي؛ صاحب أول مُعَلَّقة وضعتها قريش على الكعبة، كان والده ملكاً لكندة في نجد، قتله بنو أسد، فقضى امرؤ القيس أن يحُرِم عليه الخمر والنساء، حتى يقتل من أسد مئة ويطلق مئة، فلجأ إلى قبائل العرب لنصرته، فوجد من بعضهم قبولاً، ومن الأراضي التي وقف بها لنصرته؛ قُرَيَّة حائل، إذ كان بنو نبهان من طيء من مناصريه، فأقام فترةً لديهم، وقال عن حائل في قصيدته:

أبت أجأ أن تسلم العام جارها	فمن شاء فلينهض لها من مقاتل
تبيت لبوني بالقُرَيَّة أمنـــــــاً	وأسرحها غبــــا بأكناف حائل
بنو ثعل جيرانها وحماتهـــــا	وتمنع من رمـــــــاة سعد ونائل

والقُرَيَّةُ في البيت المذكور هي المُضاف إليه في قُرَيَّة حائل.

(ابن الأثير: المصدر السابق، ج1، ص 398-404؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج2، ص ص 218-219).

(2) الجاسر: حمد، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة)**، ج1، دار اليمامة، الرياض، ط1، 1397هـ/1977م، ص ص 382-383.

(3) نفسه، ص 380.

قد أورد الاسم في بيت شعره أيضاً إن كان يقصد شهرة الاسم وطغيان قفار عليه؛ ففي كتب التاريخ ما يتنافى وهذا، حيث إن قفار لم تكن بشهرة حائل، فمصادر البلدانيات المتقدمة؛ لم تأت بذكر قفار، وإنما هناك إشارة إلى اسم الهييماء كما ورد في الحديث عن قفار — في قصائد شعراء تميم، أيضاً هذا الاسم لم يأخذ من الدلائل ما يكفي لإثباته وأخيراً الإثباتات التي تؤكد قدم الاسم وشهرته، كذلك أهميته في المنطقة؛ أبلغ من أن يقال بغربته أو تأخره، فقد ذكر في أكثر من مصدر، وفي أزمنة مختلفة من التاريخ، منذ قصيدة امرئ القيس، مروراً بكتاب ياقوت والبكري، كذلك كتاب الأندلسي نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب[1]، الذي عاش في القرن السابع الهجري وعاش بين سنتي ٦١٠-٦٨٥هـ/١٢١٣-١٢٨٦م، أيضاً في كتاب نزهة الجليس للعباس بن علي الحسني الموسوي المكي، المتوفى ١١٨٠هـ/١٧٦٦م، ذكر اسم حائل، ووصفها بقوله: "فأتينا بعد ثلاثة أيام على جبل شمر، والكل منا لذيل الانشراح شمر، وهناك قرية تسمى حائل، ضرب الأنس بينها وبين الهموم بحوائل"[2]، واستفاض في وصف زراعتها وطيب هوائها، وصفات أهلها.[3]

وهناك اسمٌ لحائل في إقليم الوشم، قد يخلط بينه وحائل الجبلين لدى النادر جداً من الباحثين، وقد فُرِّق بين الموقعين في عدد من المصادر، منها قول ياقوت: "وحائل أيضاً ماء في بطن المروت من أرض يربوع قاله أبو عبيدة وأبو زياد وأنشد أبو

---

(١) الأندلسي: ابن سعيد، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، ج١، تحقيق: نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عَمَّان، ط١، ١٩٨٢م، ص ٦٦.

(٢) المكي: العباس بن علي، **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس**، ج١، مكتبة المعارف، الطائف، ط١، (د.ت)، ص ٩٢.

(٣) الغريب أنَّ الشيخ حمد الجاسر في كتابه (المعجم الجغرافي)؛ أورد أغلب الروايات القديمة التي تحدثت عن حائل؛ (الجاسر: المرجع السابق، ص ص ٣٨٤-٣٨٩).

عبيدة إذا قطعن حائلاً والمروت فأبعد الله السويق الملتوت وقال ابن الكلبي حائل واد في جبلي طيء".[1]

٣.جبلا طيء أو جبلا شمَّر:

الاسمان مختلفان زمانياً، لكن المقصود أنَّ أجأ وسلمى هما الجبلان المضافان لاسم القبيلتين؛ طيء وشمَّر، وبغض النظر عن الرأي القائل أنَّ شمَّر فرعٌ من طيء[2]؛ فإن الفترة التي أُطلق فيها الاسم بطيء، كانت بعد هجرة القبيلة إلى أجأ وسلمى، وهذا الاسم تغير بعد أن ورثت شمَّر طيئاً في المنطقة، لا سيَّما في القوة السياسية.

وقد عُرِف الجبلُ بطيء؛ منذ أن استوطنت طيئاً الجبل، واستمر ذلك في بداية العصور الإسلامية الأولى، حتى نهايات القرن التاسع الهجري وبدايات العاشر، حيث إن اسم شمَّر لم يرد في كتاب نشوة الطرب للأندلسي، وهو من توفي نهايات القرن السابع الهجري، حيث نسب الجبل لطيء[3]، ومن غير المنطقي أن يتغير العصر التاريخي خلال القرن الثامن بحلول شمَّر مكان طيء من دون إشارات؛ خصوصاً أنَّ ابن بطوطة زار أطراف المنطقة في منتصف القرن الثامن الهجري تقريباً، وزار أهم مراكزها ولم يأتِ بذكر مثل هذا التغير، ولا حتى الإشارة إليه. لذا فإن التشكُل الجديد لشمَّر، وحلولها محلَّ طيء؛ فإنهُ ربما تم خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، والراجح أنَّهُ خلال العاشر؛ فمن أوائل الأخبار التي أتت بنسبة الجبل لشمَّر بدلاً من طيء؛ غزو شريف مكة حسن بن محمد بن أبي نمي الثاني[4] لجبل

---

(١) الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٠.

(٢) سيأتي التفصيل فيه – إن شاء الله تعالى – في الحديث عن فئات المجتمع.

(٣) الأندلسي: المصدر السابق، ج٢، ص ٨١٥.

(٤) هو الشريف حسن بن محمد أبي نمي الثاني بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان، تولى مع والده شرافة مكة، ثم انفرد بها بعد وفاةِ والدِهِ له نسلٌ كثير، فكان ذائع الصيت، حكم مكة حتى توفي عام ١٠١٠هـ/١٦٠٢م؛ (البلادي: عاتق بن غيث، **الإشراف على تاريخ الأشراف**، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، ص ص ٣٠٧-٣١٢).

شمَّر سنة ٩٦٤هـ/١٥٥٦م، حيث لم يرد قبل هذا التاريخ في المصادر الموثوقة المتوافرة لدينا ما يذكر قبيلة شمَّر قبل القرن العاشر الهجري، وبعد هذا التاريخ توالت الأخبار مع الأشراف، ومن أبرز الأخبار أيضاً خبر وفاة الشريف إدريس بن الحسن[(١)] في ياطب[(٢)] سنة ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م، والوارد في كتاب منائح الكرم، وهو يتحدث عن الشريف إدريس بن الحسن في حوادث سنة ١٠٣٤هـ بالنص التالي: "وتقدم أنه خرج مريضاً فتوفي في الرابع عشر من جمادى الآخر. وجاء نعيه غرة رجب من السنة المذكورة، وأنه توفي بمحل جبل شمر يقال له ياطب"[(٣)]، وهذا الذكر في بداية الربع الثاني من القرن الحادي عشر، ما يعني أنَّ القبيلة تغلبت في نهايات القرن العاشر الهجري تقريباً .

وعلى الرغم أن شمَّر انتزعت الجبل من طيء، ونُسِب لها؛ إلا أنَّ المكان عُرِف في فتراته التاريخية اللاحقة، بالأسماء المعروفة عنه كافَّة، حيث ورد باسم حائل، القُرَيَّة، الجبلين، الجبل[(٤)]، جبل طيء، جبل شمَّر. كما لا تعني إضافة اسم قبيلتي طيء وشمَّر للمنطقة، عدم

---

(١) الشريف إدريس بن الحسن بن محمد بن أبي نمي الثاني، ولد عام ٩٧٤هـ/١٥٦٦م، عُرِفَ عنه طيب الأخلاق، تولى شرافة مكة عام ١٠١٢-١٠٣٤هـ/١٦٠٣-١٦٢٤م، وعُزل إثر فتنة في مكة تقلد الشرافة بعدها الشريف محسن بن حسين، وقد خرج الشريف إدريس من مكة مريضاً وتوفي في ياطب بالقرب من جبل شمَّر عام ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م؛ المحبي: محمد أمين، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج٢، دار صادر، بيروت، ط١، (د.ت)، ص ٣٩٠).

(٢) ياطب، جبل متوسط الحجم، يقع شرق مدينة حائل، ويبعد عنها حوالي ١٩ ميلاً (٣٠ كيلومتر)، ويعد من أهم المواقع الآثرية في حائل؛ إذ يحمل رسوماً آثرية تعود للثموديين، قبل القرن الخامس قبل الميلاد؛ (الضبعان: المرجع السابق، ص ٢٦١).

(٣) السنجاري: علي بن تاج الدين، **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ج٣، تحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ص ٦٠١-٦٠٢.

(٤) عُرِفت المنطقة بالجبل في مراسلات الدولة العثمانية لأمرائه؛ حيث ورد أكثر من مرة اسم الجبل مجرداً من القبيلة، وبلفظ أمير الجبل؛ (الدخيل: سليمان، **إمارة آل رشيد**، مجلة لغة العرب، ج١١، السنة (٣)، بغداد، جمادى الآخر ١٣٣٢هـ/ آيار ١٩١٤م، ص ٥٨٣).

وجود قبائل أخرى فيها، حيث يوجد على مر التاريخ قبائل أخرى، غير هاتين القبيلتين في المنطقة؛ إلا أنَّ إضافة الاسم كانت للقبيلة التي كان لها الغَلَبة.(١)

مظاهر السطح:

تميزت منطقة جبل شمَّر بالسلاسل الجبليَّة، التي تتكون من الغرانيت(٢)، وأهم تلك الجبال؛ جبل أجأ وجبل سلمى، وجبل رُمَّان(٣)، وجبل السمراء(٤). كما تميزت المنطقة بتنوعِ تضاريسها، حيث ضمت للجبال الهضاب والسهول والأودية والحرَّات والكثبان الرملية، أما أبرز الهضاب فيها؛ هضبة الأجفر في الشمال الشرقي، هضبة الأديرع في الجنوب من حائل، هضبة التيسية شرقاً، وأشهر حرَّاتها؛ حرَّة أبضة، فيد، الهتمة، الدهاقة، رشيد، خيبر، فدك.(٥) وبالنسبة للأودية؛ فيأتي الإديرع في أولها وأهمها، بسبب وقوع بلدة حائل عليه، كذلك وادي أبا الكروش، العدوة، الشعبة، الفهد، سميراء. وتقع المناطق السهلية في شمال وشمال شرق وشمال غرب مدينة حائل، وتتصف هذه السهول بانبساط أرضها، وخلوها من المرتفعات، لذا كانت صالحةً للزراعة، وأهم تلك السهول؛ القاعد، الخطة، العدوة، المحفر.(٦)

---

(١) العثيمين: عبدالله بن صالح، **قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد**، ألوان للطباعة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ١٧.

(٢) في هذه الجبال تكمن المادة الخام للصخرية، وفيها وُجِدَ على حِمَمٍ بركانية ومقذوفات تعود إلى العصر الرباعي في المنطقة الواقعة غربي فيد؛ (بيتر وآخرون: **التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لمسح المنطقة الشمالية**، مجلة أطلال، العدد (٢)، وزارة المعارف (التربية والتعليم)، الرياض، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٣٥).

(٣) جبل رُمَّان أحد أهم جبال المنطقة، وقد يكون ترتيبه الثالث بعد أجأ وسلمى، إذ يقع الجبل إلى الجنوب الغربي من جبل سلمى، ويمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، حيث يبلغ طوله ٤٤ ميلاً (٧٠ كيلومتر)، وعرضه ٤٠ ميلاً (٦٥ كيلومتر)، ويبعد رُمَّان عن حائل ٣١ ميلاً (٥٠ كيلومتر)؛ (السويداء: عبدالرحمن بن زيد، **منطقة رمان حائل**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ١٦).

(٤) يقع جبل السمراء في وسط بلدة حائل، وهو منفصل عن أجأ، ويقع شرق البلدة، مخروطي الشكل، داكن اللون، لذا سميَّ بسمراء حائل؛ (العريفي: المرجع السابق، ص ص ٧-٨).

(٥) وزارة المعارف (التربية والتعليم): المرجع السابق، ص ص ٢٥-٢٦.

(٦) نفسه، ص ص ٢٧-٣٠.

ويقع النفود الكبير شمال جبل شمَّر، وهو يحتلُّ مساحة شاسعة بين حائل والجوف، حيث يبلغ أقصى اتساع له من الشرق إلى الغرب ٢١٢ ميل (٣٤٢ كيلومتر)، ومن الشمال إلى الجنوب ٣٥٥ ميلاً (٥٧٢ كيلومتر)، ومساحته تبلغ ٦٤٦٣٠ كم٢، تغطيه الرمال الكثيفة وترتفع من جهته الغربية والجنوبية بشكل ملحوظ.(١) وقد كان خلال فترة الدراسة ممراً مهماً للقادم من العراق وفارس صوب شبه الجزيرة العربية، والمتجه عن طريق جبل شمَّر إلى الجهات الشمالية، لذا مرَّ به الكثير من القوافل والرحالة، وأتوا على وصفه وصفاً دقيقاً، غير أنَّ شُحَّ المياه فيه، كان من أبرز المخاطر التي تكتنف طريقه، كذلك يحتاج إلى أدلاء مهرة، حيث إنه على الرغم من اتساع مساحته، إلا أنَّ أرضه متشابهة إلى حدٍ كبير.(٢)

وجميع هذه المظاهر التي تتميز بها منطقة الجبل متجاورة، حيث إن الفاصل بين سلاسل الجبال والنفود –مثلاً– أرض حجرية، حُدِّدَ عرضها بساعتين مشياً(٣)، كما نجد أنَّ الجبال تتخللها بعض السهول الزراعية. وكل هذه المظاهر؛ جعلت من المنطقة أرضاً ذات ميزة مختلفة؛ جعلت منها ملائمة للحياة البشرية، أو أنها أصبحت مثالية بتنوعها، لذا كانت مأهولة بالسكان منذ أزمنة قديمة.

المناخ:

يعدُّ مناخ الجبل مناخاً قارياً، حيث إنه متطرف البرودة في فصلِ الشتاء، شديد الحرارة في فصل الصيف(٤)، والفارق الحراري خلال اليوم الواحد قد يتغير بشكلٍ ملحوظ، نتيجة

---

(١) الوليعي: المرجع السابق، ص ص ٩٩-١٠٠.

(٢) الشمري: المرجع السابق، ص ص ١٣-١٤.

(٣) فالين: جورج أوغست، **صور من جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر**، ترجمة: سمير سليم شلبي، أوراق لبنانية، بيروت، ط١، ١٩٧١م، ص ص ٩٥-٩٦.

(٤) يتساقط الجليد في بعضِ مواسمه، ما يسبب في نفوق الحيوانات الرعوية كما أورد لوريمر في دليله؛ (لوريمر: المصدر السابق، ج٦، ص ٢٢٤١).

لارتفاع المنطقة عن مستوى سطع البحر[1]، وتتراوح درجة الحرارة بين ٢٨-٣٢ درجة مئوية خلال فصل الصيف، وبين ٨-١٤ درجة مئوية خلال فصل الشتاء، وتنخفض في غالب الأحيان إلى درجة التجمد، أما درجة الرطوبة فقد تصل في فصل الصيف ١٦% إلى ٣٣%، وترتفع خلال فصل الشتاء إلى ٥٠%، أما الأمطار فتسقط في فصلي الخريف والشتاء، وتتراوح بين ٥٠-١٢٥ ملم.[2]

(١) السبيت: المرجع السابق، ص ٨٣.

(٢) وزارة المعارف (التربية والتعليم): المرجع السابق، ص ٣٣.

تاريخ منطقة جبل شمَّر في عصر الدولة السعودية الأولى:

لا يزال التاريخ القديم لشبه الجزيرة العربية يكتنفه بعضُ الغموض، لا سيَّمَا وأنَّ نظريات عدَّة منه تعتمد على التحليلات التاريخية؛ غير أنَّ الشواهِد الآثارية قد تعطي مبرراً في كثيرٍ من الأحيان.فمنطقة جبل شمَّر قديماً يغلب الظن على أنها كانت أرضاً لقوم عاد[١] وثمود[٢] — على الأخص ثمود؛-ذلك نتيجةً لتلك النقوش الثمودية التي اكتشفت في عددٍ من جبالها[٣]،وقد كان لحائل علاقة بالآشوريين والبابليين، حيث غزا الآشوريون شمال شبه الجزيرة العربية، وتمركزوا فيها حقبة من الزمن[٤] حيثُ بسطوا نفوذهم على المنطقة قرابة ثلاثة قرون، والهدف الأساس من هذا النفوذ؛ السيطرة المباشرة على الطرق التجارية التي تتحكم بها جهات شمال شبه الجزيرة العربية.[٥] لذا من المؤكد أن جبل شمَّر كان ضمن الحدود التي سيطر عليها الآشوريون.

---

(١) هم قوم عاد الذين أرسل الله تعالى إليهم هود عليه السلام، بعد أن عصوا الله وأشركوا به الأوثان، فدعاهم إلى توحيد الله فكذبوهولم يتبعه منهم إلا القليل، على الرغم مما مَنَّ الله عليهم من النعمة، وحسن البناء، إذ قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾"، سورة الليل آية ٦-٧، وحين لم يتبعوا هوداً حبس الله عنهم المطر ثلاث سنين، ثم عاقبهم بالريح؛ (الجوزي: المصدر السابق، ج١، ص ص ٢٥٢-٢٥٣).

(٢) قوم ثمود عمروا بعد عاد، وهم أبناء ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح، ويقال أنَّ أرضهم بين المدينة المنورة والشام، ونحتوا من الجبال بيوتاً، وقد أشركوا بالله تعالى؛ فبعث إليهم صالحاً، وآتاهم الله الناقة التي عقروها، فأخذتهم الصيحة، إذ قال تعالى: "كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾"، سورة الشمس آية ١٠-١٥؛ (المقدسي: المطهر بن طاهر، **البدء والتاريخ**، ج٣، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط١، (د.ت)، ص ص ٣٧-٤٠).

(٣) الضبعان: المرجع السابق، ص ٢٦١.

(٤) الروسان: محمود محمد، **القبائل الثمودية والصفوية**، جامعة الملك سعود، الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ص ٣-٤.

(٥) نفسه.

وقد يكون لاكتشافات تشارلز هوبر[1] الدليل الواضح، على أنَّ ثموداً كانت تقطن جبل شمَّر؛ ذلك بحكم اكتشافه عدداً من النقوش الثمودية في عددٍ من جبالها، خصوصاً أنهَّا نالت نصيباً وافراً من مجموعِ تلك النقوش التي اكتشفها في شمال شبه الجزيرة العربية كافة، التي بلغت ٤٦ نقشاً ثمودياً.[2]

واستمرت الأوضاع في المنطقة غامضة خلال فترة التاريخ القديم؛ حتى ظهور قبيلة طيء[3]، كقوة فرضت وجودها لدى الحضارات الأخرى شمال شبه الجزيرة العربية. وقد غلب ذِكرُ الطائيين على الجبل، على الرغم من وجود قبائل كانت تقطن المنطقة قبلهم، غير أنهم كانوا الأكثر نفوذاً وزعامةً في المكان، وإلا سكنت قبلهم قبيلة بني أسد[4] العدنانية، وتميم أيضاً، إلا أنَّ تاريخ سكنى تميم للمنطقة لم يكن واضحاً، أو لم تأتِ روايات صريحة تورد وجودهم قبل طيء كأسد.

---

(١) هو جغرافي فرنسي، كان مهتماً بعلم الآثار، وزار شبه الجزيرة العربية مرتين، الأولى كانت عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م، والثانية خلال السنتين ١٣٠١-١٣٠٢هـ/١٨٨٣-١٨٨٤م، وكان قد رُشح من قِبل وزراة التربية الفرنسية لاكتشاف نجد، وهو المكتشف لحجر تيماء الشهير، حيث نقله إلى باريس، وحُفظ في متحف اللوفر؛

(Ward, Philip: Oasis city of Saudi Arabia, the oleander press, New York, first edition, 1983, pp 389-391).

(2) Huber, charles: Journal d'un voyage en Arabie (1883-84), Paris, 1891, pp 391-400.

(٣) يُعَدُّ طيء أحد أهم القبائل القحطانية المهاجرة من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى شمالها، تنسب إلى جلهمة ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وجُلهمة هو من تسمى بطيء، وسمُيَّ بذلك لطيهِ المباني والأرض ماراً بها ومهاجراً من اليمن، وأول ما استقرت طيء بعد هجرتها من اليمن في الحجاز، ثم انتقلت بعدها إلى شمال شبه الجزيرة العربية في منطقة أجأ وسلمى ودومة الجندل وغيرها من مناطق الشمال، ومن هاجر بالقبيلة أحد أحفاد طيء، وهو أسامة بن لؤي؛ (السويدي: أبو الفوز محمد أمين البغدادي، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، (د.ت)، ص ص ١٦-٣٥؛ أبوسديرة: السيِّد طه، **حائل في صدر الإسلام**، دار الأندلس، حائل، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ص ١٣-١٥).

(٤) الفريح: المرجع السابق، ص ٤٧.

ما قبل إمارة آل علي في الجبل:

تعدُّ الفترة التي سبقت إمارة آل علي في الجبل؛ فترةً يكتنفها كثير من الغموض، خصوصاً أنَّه لم تأتِ مصادر موثوقة ترويها، حتى يُستدَّلُ ويحُتَجُّ بها، غير أنَّ الرواية الشفوية للتاريخ جاءت ببعض الإشارات حول تلك الفترة، ولعل الشعر أكَدَّ بعض ملامح تلك الروايات. وعلى الرغم من ذلك إلا أننا لن نصل للحقيقة الكاملة، أوالصورة التي نأمل الوصول إليها، لعدم تواتر مصادر تثبت هذه الفترة بما فيها من روايات، حيث إن جُلَّ ما بينَ أيدينا هي روايات شفوية وأبيات من الشعر، نحاول من خلالها إعطاء لمحة عن الصورة الحقيقية التي كانت تحياها المنطقة.

اسمان ارتبطا بتاريخ الجبل قبل إمارة آل علي؛ بهيج السنبسي[1] وابن بقار الأسلمي[2]، إذ إن هذين الاسمين ما يتداولهما العامَّة، ومن المؤكد أن ما يتداولونه لا يخلو من وجهٍ لجزء يسير من حقيقة تاريخية.

---

(١) بهيج بن ذبيان، ومن المرجح أنه من أبناء عمرو بن سنبس بن معاوية بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء، وقد قيلأنَّه زعيمٌ لمسميات عدَّة؛ العبيديون والزبيديون والسنابسة، ويبدو أن كل هذه الأسماء مفادها واحد، يعود إلى قبيلة طيء، والفرع الذي ينحدر منه بهيج، والذي كان زعيماً للجبل في فترة حياته، التي يُرَى أنهَّا كانت على الأقرب خلال القرن الثامن أو التاسع الهجري؛ حيث يحتَّج من يرون حياته خلال هذين القرنين ببداية اللحن في الشعر من الفصيح إلى العاميّ، ذلك من خلال الأبيات التي نُسبت لبهيج بقوله:

يقول بهيج بن ذبيان مثايل	دمعه على الأملاك دون الشلايل
جلونا عن ديارنا العذيَّات شمَّر	قراح وبرد ماء يداوي الغلايل

(العريفي: أحمد بن فهد، **بهيج السنبسي... صاحب عقدة**، مجلة العرب، ج١،٢، السنة ٢٨، الرياض، رجب – شعبان ١٤١٣هـ/يناير – فبراير ١٩٩٣م، ص ص ٩٩-١٠٢).

(٢) لم يرد ذكر لابن بقار الأسلمي في المصادر المكتوبة، سوى في المقامات للأستاذ أحمد العريفي، وقد أشار إلى أنَّه من الزعماء الذين حفظتهم الرواية الشعبية في حائل؛ أما ما بقي من ذكرٍ لهذا الزعيم الذي لم تعرفه المصادر؛ فينحصر في رواة التاريخ من الأسلم من قبيلة شمَّر، وقد ورد أنَّه كان الزعيم المتغلب على الجبل وعاصمته قفار، غير أنَّ في ذلك خلاف كبير بين أبناء المنطقة، وورد أن اسمه عجيان بن بقار؛ (العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع=

ولعل بهيج بن ذبيان السنبسي هو الاسم الأكثر تواتراً، الذي يتفق الكثيرون من الرواة في الجبل؛ أنَّهُ الزعيم المعروف قبل إمارة آل علي، غير أن تحديد فترته غير معروف بشكل دقيق، ويقول الأستاذ أحمد العريفي أنهَّا في حدود القرن التاسع الهجري أو بداية العاشر، ذلك عطفاً على ما سمعه من روايات شفوية من كبار السن وكبار قبيلة شمَّر على وجه التحديد.(١)

إمارة آل علي:

اعتلت السلطة في الجبل أسرة آل علي، وهم أمراء عبدَّة شمَّر، لكن ابتداء حكمهم غير معروف، فمن الواضح أنَّه كان بعد فترة من رحيل بهيج عن الجبل، حيث إنَّه من المؤكد أنَّ القبيلة مرَّت بمرحلة تشكُل ومخاض سياسي في المنطقة أفرز فرعاً تغلَّب على السلطة، ولا نستطيع تحديد الفترة التي قضت فيها القبيلة فترة هذا المخاض السياسي، لكن على الأغلب أنهَّا أخذت فترة طويلة من الزمن. ذلك ما يبرره تأخر ذكر آل علي في سلطة الجبل، أيضاً عدم الجزم بعدد حكام هذه الأسرة، وأول ذكر لهم كان مع وصول الدولة السعودية الأولى إلى حدود الجبل. ويبدو أنَّ وصول آل علي للزعامة لم يأتِ على إثرِ نزاع عسكري، بل من الواضح أنَّه أتى باتفاق بين أفراد القبيلة، إذ لم يرِد ذكرٌ لملحمة في مرويات قبيلة شمَّر تصف اعتلاء هذه الأسرة الحكم، فلو كان ثمَّة صراع دموي على السلطة؛ فلن تهمله ملاحم القبيلة، ما يعني أنَّ الوصول للسلطة كان سلمياً وباتفاق بين فئات شمَّر. إضافةً إلى أنَّ وهج هذه الأسرة أتى من مكان استقرارها، حيث بدأت مكانة بلدة حائل تزداد بين بلدان الجبل، ومعها ازدادت مكانة السلطة فيها، ما يؤيد ذلك هو عدم دخول هذه الأسرة في صراعات

=السابق، ج١، ص ٥٥؛ رواية مستقاة من إبراهيم بن سعيد الهمزاني القاطن بمحافظة الخرج عن طريق الهاتف، يوم الأربعاء ١٤٣١/١/٦هـ).

(١) رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الجمعة ١٤٣١/١/٨هـ؛ كذلك رواية إبراهيم بن سعيد الهمزاني يوم الأربعاء ١٤٣١/١/٦هـ.

عسكرية أو نزاعات سياسية كبيرة، أيضاً جنوحها إلى السِلم، وما حدث من ابتداء الصراع بين حكام آل علي وأبناء عمومتهم من آل رشيد، كان على خلفية النزاع في تأديب الغزاة من قبيلة عنزة، الذين لم يرو غضاضةً في الهجوم على بلدة حائل، لعلمهم عدم رغبتها في الدخول في أي صراعات سياسية، ما أحدث شرخاً بين أبناء العمومة.

ربما أنَّ الزعامات في الجبل رضت اقتسام السلطة على أساس إداري، لكن تبقى السلطة العليا لقبيلة شمَّر، فحين كانت قوة ابن علي في بلدة حائل؛ كانت زعامة الجربا[1] للقبيلة كافة، غير أنَّ الزعامات المحلية لا تخضع على أيِّ حال لهذه الزعامة الكبرى، في حين أنهَّا تحترمها، احتراماً للقبيلة.

ولم تهتم المصادر التاريخية المكتوبة بتاريخ الجبل؛ إلاَّ بعد وصول نشاط الدولة السعودية الأولى إليه، حيث اختلط الذكر بين قبيلة شمَّر ومنطقة الجبل وأسرة آل علي، وكأنَّ المصادر التاريخية فرقت بينها، في حين أن بينها من العلاقة ما يجعلها تشترك في التاريخ المدوَّن. فأول ذكر لعلاقة الجبل بالدولة السعودية الأولى سنة ١١٩٦هـ/١٧٨٢م، حين هبَّ سعدون بن عريعر[2] لنجدة أهل القصيم ضد الدولة السعودية، وكان من ضمن جيشه عدد

(١) الجربا أحد أهم فروع قبيلة شمَّر، وفيهم زعامة شمل القبيلة إلى الآن، حيث إنهم يمثلون الفرع الأكثر تمسكاً بالزعامة، وباتفاق العُرف بين أفراد القبيلة، ولا بد من التفريق بين الزعيم الأكبر للقبيلة، والزعامات التي تفرعت منها، فزعامة آل علي أو آل رشيد كانت في حدود سياسية، لها شخصيتها التي تختلف فيها عن الزعامة العشائرية، ليس كما يورد البعض من أن الزعامة المطلقة للقبيلة تكمن في حدود معينة. لذا ثمَّة عُرف احترمته القبيلة في زعامة الجربا العشائرية، وزعامتهم في بيت آل محمد؛ (العزاوي: عباس، **عشائر العراق**، ج١، مكتبة الصفا والمروى، لندن، ط١، ١٩٤٧م، ص ص ١٣٠-١٣١).

(٢) سعدون بن عريعر بن دجين، أحد زعماء بني خالد في شرق شبه الجزيرة العربية، الذين ناصبوا الدولة السعودية الأولى العداء منذ تأسيسها؛ (نخلة: محمد عرابي، **تاريخ الأحساء السياسي (١٨١٨-١٩١٣)**، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٢٦؛ العثيمين: عبدالله بن صالح، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج١، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٢٧).

من أفراد قبيلة شمَّر[1]، على إثرِ ذلك غزا الإمام سعود بن عبدالعزيز[2] المستجدَّة[3] في جبل شمَّر سنة ١١٩٧هـ/١٧٨٣م، وانتصر عليها، ومن أهمِّ الدوافع التي جعلت الإمام سعود يغزو هذه القرية، لجوء قبيلة مطير إليها، إضافة للسبب الأول وهو مساعدة شمَّر لسعدون بن عريعر.[4]

بعد هذه الغزوة الأولى للإمام سعود بن عبدالعزيز، التي كانت بمثابة ردَّة الفعل على مساعدة شمَّر لابن عريعر، ولجؤ مطير في تلك السنة؛ تغيرت استراتيجية الدولة السعودية الأولى، حيث بدأت تنظر إلى الجبل على أنَّه أحد الأقاليم المهمة التي يجب أن تنضوي تحت لوائها، لذا بدأ أمير القصيم حجيلان بن حمد[5] يفكر في مدِّ نفوذ الدولة شمالاً، وأقرب المناطق إليه جبل شمَّر، ما جعله يتحين الفرص في الهجوم عليها. وانتهى الأمر إلى أن دخلت

---

(١) إبراهيم: عبدالعزيز عبدالغني، **أمراء وغزاة**، دار الساقي، بيروت، ط٢، ١٩٩١، ص ١٤٥.

(٢) سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ترتيبه الثالث بين أئمة الدولة السعودية الأولى الأربعة، ولد عام ١١٦١هـ (١٧٤٨)، وبويع بولاية العهد عام ١٢٠٢هـ (١٧٨٧) وعمره ٤١ عاماً، وبويع بالإمامة عام ١٢١٧هـ (١٨٠٣)، وتوفي عام ١٢٢٩هـ (١٨١٤)، حيث تولى الإمامة قرابة ١١عاماً، وكان الإمام سعود رجلاً عسكرياً من طرازٍ فريد، إذ ساند والده في قيادة الجيوش وتولاها، واستطاع ضم الحجاز وكثير من المناطق إلى حوزة الدولة السعودية الأولى، ولربما أن وفاته خلال الحملات المصرية على الدولة كانت سبباً في السقوط، ذلك لأنَّه كان قد انتصر على الغزاة في بداية وصولهم، ولكن مشيئة الله قدَّرت ما كان؛ (العجلاني: منير، **تاريخ البلاد العربية السعودية – الدولة السعودية الأولى (عهد الإمام سعود الكبير)**، ج٣، دار الشبل، الرياض، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ص ٥–٧).

(٣) إحدى قرى الجبل التي تقع جنوب مدينة حائل، تبعد عنها حوالي ٨٠ ميلاً (١٣٠كيلاً)؛ (الضبعان: المرجع السابق، ص ٢٣١).

(٤) ابن بشر: عثمان بن عبدالله، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج١، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط٤، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٥٢.

(٥) عينته الدولة السعودية الأولى أميراً من قِبلها على القصيم عام ١١٩٠هـ (١٧٧٦)، كان له دورٌ بارز في مدِّ نفوذ الدولة في الجهات الشمالية، وظلَّ حجيلان أميراً على القصيم حتى سقوط الدولة السعودية الأولى، وسقوط القصيم في يدِ قوات إبراهيم باشا، إذ أُسر واقتيد إلى المدينة المنورة، وفيها توفي سنة ١٢٣٤هـ (١٨١٨)؛ (العثيمين: **تاريخ المملكة**... المرجع السابق، ج١، ص ٢٠١).

إمارة آل علي في طاعة الدولة السعودية الأولى قبل العام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م.[١] بذلك يكون الجبل قد دخل في طاعة الدولة السعودية الأولى، مبتدئاً بذلك التاريخ السعودي في المنطقة، حيث ورد اسم محمد بن عبدالمحسن بن علي أميراً من قبل الإمام عبدالعزيز بن محمد على جبل شمَّر[٢]، أيضاً محمد بن عبدالمحسن من أمراء الإمام سعود بن عبدالعزيز، وعبدالله بن سليمان بن عبيد قاضياً من قبله على الجبل[٣]، كذلك الأشخاص أنفسهم من قِبل الإمام عبدالله بن سعود.[٤]

الحياة السياسية في منطقة جبل شمَّر في عصر الدولة السعودية في دورها الثاني:

خلال العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري (العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي)؛ كان الجبل يعاني من اضطراب سياسي داخلي، ويتركز ذلك في السلطة السياسية في بلدة حائل؛ حيث بدأ يبزغ نجم أبناء علي بن رشيد[٥]؛ عبدالله وعُبيد، على الرغم من أن والدهما لم يكن لديه أي طموح سياسي، لذا كان على توافقٍ مع أبناء عمومته آل علي.[٦]

أمَّا عبدالله وشقيقه عبيد، فكان لهما نشاطًا واضحًا في الحراك السياسي الداخلي للجبل، ذلك منذ فترة مبكرة من عمر الاثنين، حيث إن أول بروز لهما كان في عهد صالح

---

(١) ابن بشر: المصدر السابق، ج١، ص ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) نفسه، ص ٢٧٨.

(٣) نفسه، ص ٣٦٤.

(٤) نفسه، ص ٣٧٦.

(٥) علي بن رشيد بن خليل بن عطيَّة بن الربع بن خليل، من آل جعفر من عبدة من شمَّر، يلتقي مع آل علي حكام حائل في آل جعفر، حيث إن خليل الأخير هو أخو علي جد الأسرة الحاكمة؛ (الدخيل: سليمان بن صالح، **القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد**، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٨٦هـ، ص ١٦٣).

(6) Baran, Michael: The Rashidi Amirate of Hayl, adissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor of philosophy History, The university of Michigan, Associate professor Richard P. Mitchell, 1992, pp 39-40.

ابن عبدالمحسن بن علي، إذ إن عبدالله وعُبيد تذمرا من مضايقات البادية لأهالي بلدة حائل، كذلك ساءهما ما كان يتعرض له أبناء عمومتهم من قبيلة شمَّر من اعتداء قبيلة عنزة على أراضيهم، وكانا يبديان هذا الاستياء بشكل علني أمام العوام الذين بدأوا يلتفون حول الأخوين الناشطين ضد هذا الاعتداء، ويتذمرون من عدم تفاعل الحاكم ابن علي تجاه هذه الاعتداءات التي تتعرض لها بلدته وقبيلته بشكل عام، حيث كان يسعى إلى تهدئة الأمور، ومحاولة حل المسألة بشكل سلمي، حتى لا تدخل إمارته وسلطته في رهانٍ قد يكون خاسراً.

في المقابل؛ كان الطموح السياسي يؤجج حماسة عبدالله وشقيقه للتأكيد على أنهما قادرين على البروز السياسي، وقيادة الانشقاق الذي كانا يسعيان إليه، في تصعيد مسألة الاستياء من سياسة ابن عليأيضاً كان صالح بن عبدالمحسن متنبهاً لما كان يرمي إليه عبدالله وعُبيد، لكنه لم يستطع التصريح علنياً بذلك، حتى لا يرفع من شأنهما بشكل أكبر، فتتكون الصورة الذهنية لأولئك المتعاطفين معهما؛ على أن عبدالله قادر على قيادة لانشقاق، وردّ اعتبار حائل، الذي بدأ يتأثر من تكرار الهجمات من قبيلة عنزة، في ظلِّ عدم وجود تكتل يوقف هذا الهدر.

استغل عبدالله تصعيد أحد الحوادث التي تعرضت إليها بلدة حائل، حيث سرقت عنزة ماشيةً لبادية شمَّر، وأرادت حاضرة حائل ردع السارقين، لكن ابن علي رفض التحرك من دون أمره، في حين أن عبدالله وعُبيد صعدا الموقف، وخرجا بمجموعة من رجال البلدة المتحمسين، وعددهم ١٥٠رجلاً خفيةً من دون علم الحاكم، واستطاع المنشقون هزيمة الفرقة السارقة، واستعادة ما تمت سرقته.[(١)]

ومن هذه الحادثة نستنتج ما يلي:

---

(١) ابن رشيد: ضاري بن فهيد، **نبذة تاريخية عن نجد،** تحقيق: عبدالله بن صالح العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس الرياض، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، ص ص ١٢١-١٢٣.

١. ضعف سياسية صالح بن عبدالمحسن بن علي في مواجهة المشكلات الداخلية في الجبل، ومحاولة تسيير أمور الإمارة من دون أي احتكاك، في حين أنَّ الأمر كان يتطلب موقفاً حاسماً، لا سيَّما وأن هنالك تذمر شعبي واضح في حائل مما كانوا يتعرضون إليه من غزو خارجي.

٢.استغلَّ عبداللهوعُبيد هذه القضية في صالح طموحهما السياسي، حيث عملا على تصعيد الموقف في نفس المتحمسين من أهالي بلدة حائل، الذين التفوا حولهما، وشكلوا انشقاقاً سياسياً على أساس معارضة سياسة ابن علي التي تجنح إلى السِلم، حتى الذين لم يلتفوا حول عبدالله وشقيقه بشكل مباشر؛ من المؤكد أنهم كانوا يتعاطفون معهم وأتباعهم.

٣أعطت هذه الحادثة ملامحاً للانشقاق السياسي الداخلي، إذ إن عبدالله وعُبيد كانا يقودان جبهة جديدة أثبتت قوتها، وقدرتها السياسية.

٤. كسب عبدالله وشقيقه دعاية سياسية في جبل شمَّر بعد هذه الحادثة، وبدأت تتسرب قناعة جديدة لدى الناس بأن عبدلله بن رشيد قادر على قيادة الجبل بشكل أفضل من ابن علي.

خرج عبدالله وعبيد من حائل، بعد أن طلب منهما صالح بن عبدالمحسن إمَّا البقاء من دون معارضة سياسته وعصيانه أو الرحيل عن حائل، وعلى إثرِ ذلك بقي الأخوين في البلدة وهما يعلمان أن ابن علي لن يهدأ إن لم يحققا طلبه، لذا كانا يحرضان الناس بشكل سري، وقد كان علي بن رشيد يحاول ثني ابنه عبدالله عن صراع الحاكم، لكن عبدالله لم يكن يأبه لرأي والده، ما يعني أن عبدالله كان يسعى حثيثاً إلى اعتلاء السلطة، لكن ابن علي علم

بما يقوم به عبدالله، ونتيجة لتعرض عبدالله لمحاولة اغتيال فاشلة، خرج وشقيقه عبيد من حائل هرباً من بطش ابن علي.[١]

وبعد أن خرج عبدالله من حائل بدأ يهيم على وجهه؛ باحثاً عن أي وسيلة تساعده على العودة إلى حائل بقوة عسكرية تساعده على إقصاء ابن علي وتولي السلطة، خصوصاً وأنه قد حقق الهدف الأهم؛ وهو كسب عاطفة الناس، لكنه لم يجد القوة التي قد تساعده على تحقيق طموحاته، الأمر الذي حدا به إلى الخروج من حدود الجبل، حيث اتجه صوب الشمال، إلى الجوف والعراق، وكانت له قصصاً وأحداثاً يتناقلها أهالي الجبل في مروياتهم، والمهم في ذلك أن عبدالله لم يصل إلى النتيجة التي كان يطمح إليها في ذهابه إلى الجوف والعراق، على الرغم من أنه كانت له أحداث ومعارك خلال رحلته، حيث اشترك في حرب أهالي العراق مع الفرس، وقد ذاع صيته بين الناس، الذين بدأوا يتناقلون أخباره بينهم، ومن ذلك أنه شارك في حرب الجربا ضد الفرس سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م، التي انتصر فيها الجربا انتصاراً ساحقاً.[٢]

كانت أخبار عبدالله بن رشيد في العراق تصل إلى حائل، خصوصاً انتصاراته، الأمر الذي كان يزيد من رصيده في قلوب الناس، وبالتالي كانت تنتقل هذه الأخبار من حائل إلى بقية البلدان النجدية. وبعد أن توصل عبدالله إلى قناعة في أنه لن يحقق طموحه من العراق؛ فكر في الانضمام إلى الإمام تركي بن عبدالله، وبالفعل قبله الإمام، وجعله بجانب ابنه الإمام فيصل بن تركي، حيث رأى الإمام تركي في عبدالله الشجاعة والقدرة على رؤية الأمور بشكل محنك، وظلّ عبدالله في خدمة الدولة، حتى اغتيل الإمام تركي بن عبدالله على يد ابن أخته

---

(١) الرشيد: المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٢) البصري: عثمان بن محمد، **مطالع السعود بأخبار الوالي داود**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد السادس، (د.م)، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٣٢٢.

مشاري بن عبدالرحمن[1]، وكان ابن رشيد برفقة الإمام فيصل وهم في طريقهم إلى الأحساء لتحقيق هدف عسكري سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م، وحين وصل الخبر إلى الإمام فيصل؛ فاستشار قادته ومن ضمنهم عبدالله بن رشيد، الذي كان ممن أشاروا بالعودة لاسترداد الحكم من مشاري، وبالفعل كان لابن رشيد دور بارز في قتل مشاري بن عبدالرحمن واستعادة الإمام فيصل لحكمه.[2]

بعد موقف عبدالله بن رشيد مع الإمام فيصل؛ أراد مكافأته على إثرِ صنيعهِ معه، وأبلغ شيءٍ كان في نفس عبدالله أن يكافؤه الإمام بإمارة الجبل، لكن الأمر لم يكن بتلك السهولة التي كان يتوقعها ابن رشيد؛ حيث إن صالح بن عبدالمحسن الحاكم في الجبل، كان تابعاً للدولة السعودية، ومن الصعوبة عزله من دون سبب واضح، لذا كان الأمر صعباً على الإمام فيصل. وقد وردت عدّة روايات في المصادر والمراجع التاريخية عن كيفية تعيين عبدالله بن رشيد وعزل ابن علي، كذلك تاريخ التعيين والعزل، وهي كالتالي:

أولاً: رواية ابن بشر:

ابن بشر لم يورد تفاصيل دقيق في ولاية ابن رشيد على الجبل، بل اكتفى في ذكرِ أخبار العام ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م؛ أنَّ الإمام فيصل بن تركي عزل صالح بن عبدالمحسن بن علي علإمارة الجبل وعينَّ بدلاً عنه عبدالله بن رشيد.[3] ومن المؤكد أن الأمر لم يكن سهلاً

(١) مشاري بن عبدالرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود، كان ممن تم أسرهم على يد إبراهيم باشا بعد سقوط الدرعية، وعاد إلى الرياض بعد عام ١٢٤٢هـ (١٨٢٧) واحتواه الإمام تركي، لكنه أبدى معارضةً للإمام، وحدث بعض الخلاف، انتهى إلى أن عفا عنه الإمام، وبعد أن خرج الإمام فيصل من الرياض؛ أمر مشاري مملوكه إبراهيم بن حمزة باغتيال الإمام تركي، واسترد الإمام فيصل منه الحكم وقتل عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤)؛ (الزركلي: خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج٧، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ص ص ٢٢٦-٢٢٧).

(٢) الدخيل: **القول السديد**... المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٣) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٤.

بالنسبة للإمام فيصل، حيث إن أسرة آل علي مكثت منذ عصر الدولة السعودية الأولى، وهي تدين بولائها للدولة، كذلك في عهد الإمام تركي بن عبدالله، لذا حتماً أن ثمَة أبعاد للقضية لم يو ردها ابن بشر في روايته، حيث اختصر المسألة في خبر العزل والولاية الجديدة. ولعل ابن بشر كان منطقياً في عدم الاهتمام في تفاصيل هذه القضية؛ لأنَّ الإمام فيصل من حقه، بما أنه يمثل رأس الهرم السياسي في الدولة؛ أن يتخذ ما يراه من دون أن يكون لذلك مبررات.

ثانياً : رواية ضاري بن رشيد:

ركزَّ ضاري في مسألة تعيين عبدالله على الفتنة الداخلية في الجبل، حيث دخل من مسألة تذمر أهالي الجبل، خاصة بلدة حائل من سياسة ابن علي، ومختصر روايته؛ أنَّ الإمام فيصل علم بما يدور من مشكلات داخلية في الجبل، فاستدعى ابن علي، وورد إليه عُبيد ابن رشيد، الذي ترك عبدالله بعيداً، حيث لم يرد معه للإمام، وشكى عُبيد مما كان يقوم به صالح من تعسف ضده وأخيه، وبالتالي على أهالي حائل عامة، وحين ورد ابن علي على الإمام تبين الأمر وأمر صالح وعُبيد أن يذهبا إلى حائل ومعهما كتاباً من الإمام يخير أهالي حائل بين الاثنين، ويبين فيه ميله لابن رشيد، لكن ابن علي مزَّق الكتاب وهرب عبدالله وعُبيد مرَّةً أخرى ولجأوا إلى الحامية المصرية في المدينة، وهكذا حتى استقام الأمر لعبدالله بعد أحداثٍ ذكرها ضاري في روايته، كما أنه لم يتحدث عن التاريخ.(١)

هذه الرواية لا تتواءم و التسلسل التاريخي للحدث، ففيها من الخلط بين الأحداث، ما يجعلنا على يقين من أن معلوماته غير دقيقة، حيث إن عبدالله في الأساس كان موجوداً لدى الإمام فيصل، وضاري يقول أن عُبيد وفد على الإمام قبل ابن علي، وأن عبدالله لم يكن موجوداً لدى الإمام. كذلك يأتي بخبر غريب في المصادر التاريخية؛ أن عبدالله لجأ إلى الحامية

(١) ابن رشيد: المصدر السابق، ص ص ١٢٦-١٣٩.

المصرية في المدينة المنورة، في حين أن لجوء عبدالله هذا كان في وقت لاحق لهذه الفترة. لذا تضعف رواية ضاري حول تعيين عبدالله على الجبل. وقد تَبِعَ ضاري في روايته منير العجلاني في كتابه.[1]

ثالثاً : رواية ابن بسام:

يقول عبدالله بن بسام في روايته عن سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م: "وفيها عزل فيصل بن تركي صالح بن عبدالمحسن بن علي عن إمارة جبل شمر، وجعل مكانه عبدالله بن علي بن رشيد وأتباعه محاولة في المسجد يوم الجمعة، فقام الناس بينهم فحجزوهم، فخرج صالح وأتباعه وقصدوا قصرهم فدخلوه فحشد عليهم عبدالله بن علي بن رشيد وأتباعه وحصروهم في قصرهم، ثم أخرجوهم منه بالأمان وهدموا قصرهم وأخرجوهم من بلد الجبل فقصدوا بلدة بريدة، ثم إن عبدالله بن رشيد أدركهم بعد ذلك في القصيم وقتلهم في آخر هذه السنة".[2]

هذه الرواية قد يكون لجُلِّها بعداً وقعياً، ذلك لأنها تتسلسل بمنطق تاريخي، لكن قد تغيب الدقة في بعض تفاصيلها. وربما أنها أوردت الحادثة ضمن سنة ١٢٥١هـ /١٨٣٥م، ما يعني أن التاريخ قد تغير. إضافة إلى أن أكثر الأمور التي تؤيد منطقية الرواية؛ العداء الذي أطلَّ برأسه بين الجبل والقصيم بعد تولي عبدالله بن رشيد، حيث إن قتل ابن رشيد لآل علي في القصيم؛ كان كفيلاً في أن يبدأ العداء بين الطرفين.

رابعاً :رواية سليمان الدّخيل:

(١) **تاريخ البلاد العربية السعودية (الدولة السعودية الثانية)**، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ص ١١٨-١١٩.

(٢) البسام: عبدالله بن محمد، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، دراسة وتحقيق: إبراهيم الخالدي، المختلف للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ٢٠٠٠م، ص ص ٣٠٩-٣١٠.

يقول في كتابه القول السديد، وهو يتحدث عن عبدالله بن رشيد وعلاقته بالإمام فيصل: "وهو في جملة وزرائه الذين يعتمد على آرائهم، ومن بعد ذلك توسط له ابن سعود عند بني عمه على أن يتنازلوا له عن شيء فكان ذلك إمارة الحاج وكان وقتئذ يذهب حاج عظيم من العراق على طريق جبلي طيء، فيمر بحائل فيستفيد منه العرب فائدة عظمى وكان دخل هذا الحاج له ثم بعد ذلك تولى الإمارة بعد نزاع وقتال بينه وبين بني عمه فتم له الأمر سنة ١٢٥١ واستقام له الأمر إلى أن توفي سنة ١٢٦٣ فخلفه ابنه طلال بن عبدالله الرشيد".[1]

وقد علّق العثيمين في كتابه نشأة إمارة آل رشيد على هذا الرأي بقوله: "لكن ما أشار إليه في آخر كلامه من إعطاء الإمام فيصل لعبدالله بن رشيد سلطة مساوية لسلطة الأمير صالح بن عبدالمحسن في الجبل أمر بعيد الاحتمال. ذلك أنه من المؤكَّد أن الإمام فيصلاً كان يدرك تمام الإدراك أن وضعاً كهذا الوضع سيؤدِّي حتماً إلى صراع بين صالح وعبدالله"[2] وفي رأي العثيمين بُعدٌ واقعي، لا سيِّما في مسألة إدراك الإمام فيصل لحساسية العلاقة بين عبدالله وصالح. لكن في الوقت نفسه؛ قد يكون هذا الأمر حدث كي يتخلص الإمام من حرج الموقف، لأنَّه لا يودّ أن يعزل ابن علي من دون سببٍ واضح يستوجب ذلك، في المقابل يريد أن يكافئ ابن رشيد، الذي يعد أحد أهم رجاله، مع إدراكه التَّام أن مؤهلات ابن رشيد الشخصية ستمكنه من الوصول للسلطة المطلقة في الجبل، خصوصاً أن المؤيدين له في الجبل كُثر. ولعلَّ الإمام كان يرى أن عبدالله أكفأ وأقدر على أن يتولى الإمارة، لذا كانت عواطفه ورغبته في توليته.

أمَّا بقية المصادر والمراجع، فقد كانت بين هذه الآراء، لو أنها اختلفت في تاريخ التعيين، الذي يترجح فيه أنَّه حسب ما روى ابن بشر سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، لأن ابن بشر

(١) **القول السديد**... المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٢) **نشأة إمارة آل رشيد**، مطابع الشريف، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ١٢١.

معاصر للحدث، وقد يكون تجاوز بعض المصادر والمراجع لهذا التاريخ بعام أو عامين[١]؛ إلى أنهم حاروا في مسألة اقتسام السلطة، وتضارب الآراء حول طريقة التعيين، خصوصاً أن التعيين سيكون في نهاية العام الذي أورده ابن بشر، وذلك حسب منطقية تسلسل الأحداث.

وبالعودة لمناقشة الآراء التي تناولت طريقة تعيين ابن رشيد على الجبل؛ نجد أنَّ رواية ضاري كانت أغربها، وأبعدها عن الدقة، في حين أن رواية ابن بشر وابن بسام والدخيل، قد يتم التوفيقبينها، حيث إن كل واحدٍ منهم أخذ جانباً من الحدث، يختلف فيه عن الآخر، إذ إن ابن بشر ذكر التعيين من دون تفاصيل في بداية السنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، وأول حدث يتناوله ابن بشر من أحداث السنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م يقول فيه: "وفيها قتل صالح بن علي ومن معه من آل علي، وذلك أنه لما وصل عبدالله بن رشيد إلى جبل شمَّر أميراً، وأقام فيه نحو شهر، كثر القال والقيل بينه وبين صالح بن علي وأعوانه، فحصل بينهم محاولة في المسجد يوم الجمعة، وشهرت السيوف، وأرادوا الفتك بهم، وتصادموا بينهم، فقام الناس وهم في المسجد، فخرج صالح وأتباعه، وقصدوا قصرهم ودخلوه، فحشد عليهم عبدالله بأعوانه، وأهل بلدانه فحصرهم فيه، ثم أخرجهم بالأمان عن القصر وأخرجهم من بلدان الجبل، وقصدوا بلد بريدة، وكتب عبدالله إلى الإمام فيصل يخبره بالأمر، وذكر له أنهم الذين بدوا بالشر، وأرادوا القتل فينا، والخيانة فصدقه الإمام، ثم بعد ذلك أدركهم في بلدان القصيم وقتلهم"[٢]، وهنا شبه تطابق في الرواية مع ابن بسام، الذي جعل الحدث في نهاية السنة

---

(١) العزاوي في مخطوطته تاريخ نجد؛ ذكر أن تولي ابن رشيد على حائل كان عام ١٢٥٢هـ /١٨٣٦م؛ (العزاوي: **تاريخ نجد،** دار صدام للمخطوطات، بغداد، مخطوط محفوظ على مايكروفيلم رقم ١٢٦، ص ٣٣؛ حسني: حسين، **الأوضاع العامة في منطقة نجد،** ترجمة : سهيل صابان، نسخة محفوظة لدى المترجم، الرياض، عام ١٤١٤هـ، ص ١٣٤).

(٢) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ص ١٣٥-١٣٦.

١٢٥١هـ/١٨٣٥م، في حين أن ابن بشر جعله في بدايته، وهنا يحدث التواؤم بين الروايات، غير أن السنة تتغير.

أمَّا التوفيق بين ابن بشر وابن بسام مع الدخيل؛ تكون في أن ثمَّة حلقة مفقودة في مسألة وجود عبدالله بن رشيد وصالح بن عبدالمحسن في الجبل في وقت واحد، فمن غير المنطقي أن يرضى ابن علي بتولي ابن رشيد مكانه من دون أن يحدث بينهما صراع واشتباك، ولو لمدة شهر واحد، ما يعني أن بداية الأمر بينهما كانت في تقسيم السلطة، لذا تعايشا مع بعضهما ما يقارب الشهر، أو أكثر بقليل، ومن ثم نضح التنافر وحدث ما حدث من مشكلات وردت في الروايات التاريخية، أدت إلى رحيل ابن علي وأتباعه إلى القصيم، وقتلهم هناك. أما مسألة القول أن ابن رشيد راسل الإمام وذكر له أنهم بدأوا بالشر؛ فإن الإمام سيقف في صف ابن رشيد؛ لأن ابن علي لم يرتضِ التقسيم في السلطة، ذلك إذا ما سلمنا بالتوفيق بين الروايات، وافتراض أنها كلها صحيحة.

ابتداء إمارة آل رشيد ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م:

بدأت الإمارة على الأرجح – حسب الآراء التي تم تناولها – سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، تحديداً في نهايته، وقد أثبت مؤسس الإمارة عبدالله بن رشيد قدرته على تحقيق طموحاته السياسية في الجبل، في ظلِّ الظروف التي تعرضت لها الدولة السعودية الثانية، التي يدين لها بالفضل بعد الله عزوجل في تعيينه على الجبل. وقد أثبت إخلاصه للإمام فيصل ابن تركي، لو أنَّه سعى حثيثاً إلى تثبيت أقدامه في إمارة الجبل، من خلال سياسة ملاطفة القوات المصرية التي بدأت بعد توليه بالزحف للقضاء على حكم الإمام فيصل. أيضاً سعى

إلى توسيع دائرة قاعدة حكمه الجغرافية، من خلال التوسع في البلدان التابعة للجبل، إضافة إلى المعارك التي خاضها مع القصيم.(١)

وقبل أن تستتب الأمور بشكل كامل لعبدالله بن رشيد في الإمارة؛ واجه مشكلات عدَّة، لعل أبرزها وصول قوات إسماعيل بك بقرب الجبل، ومعهم عيسى بن عبيدالله بن علي(٢)، وحين علم عبدالله بقربهم هرب من الجبل، وتم تنصيب عيسى حاكماً بدلاً عنه، لكن عبدالله لم ينتظر طويلاً، حيث اتجه إلى المدينة وحاول كسب القوات المصرية لجانبه، وبالفعل استطاع أن يحصل على تأييدهم، وبالتالي استعاد الحكم من ابن علي.(٣)

وكان ابن رشيد يوائم بين ولائه للإمام فيصل، ومحاولة مهادنة القوات المصرية، إذ لم يود أن يخسر الإمام، وبالتالي لا يود خسارة إمارته بعداء القوات المصرية، حيث نصح خورشيد باشا محمد علي في مصر باحتواء ابن رشيد، حتى يتم تأمين جهته، وضمان عدم مساعدته للإمام فيصل.(٤) وقد كان عبدالله متيقناً من أن القوات الغازية لن تستمر طويلاً، لذا كان يتعامل معهم بحذر، ويلزم الهدوء في حال اقترابهم من حدود إمارته، حتى تم رحيلهم.(٥)

وظلت الأمور لعبدالله، وبقي على ولائه للإمام فيصل حتى بعد أن تم أسره على يد القوات المصرية، فبعد أن خرج من سجن القلعة في مصر سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م اتجه

---

(١) بلغريف: وليام جيفورد، **وسط الجزيرة العربية وشرقها**، ج١، ترجمة: صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠١م، ص ١٥٧.

(٢) أحد أفراد أسرة آل علي الحكام السابقين، وهو ابن أخ صالح الحاكم الأخير.

(٣) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ص ١٢٤ -١٣٨.

(٤) **دار الوثائق القومية في القاهرة**: شريط رقم (٤)، وثيقة رقم (١٨٩)، رسالة من خورشيد باشا إلى الوالي محمد علي باشا، بتاريخ ١٧ رجب ١٢٥٣هـ، الموافق ١٨ اكتوبر ١٨٣٧م.

(٥) **دار الوثائق القومية في القاهرة**: محفظة عابدين رقم (٢٧٠)، مجموعة رقم (٧)، وثيقة رقم (١٤٩) حمراء (تركية)، رسالة من محورشيد باشا إلى باشمعاون الجناب العالي، بتاريخ ٣ شعبان ١٢٥٦هـ، الموافق ٣٠ سبتمبر ١٨٤٠م.

مباشرة إلى الجبل، حيث سانده عبدالله بن رشيد في استعادة حكمه[1]؛ وظلّ ابن رشيد على ولائه للإمام حتى توفي السنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م، كذلك ابنه طلال بن عبدالله[2] انتهج السياسة نفسها في ولائه للدولة حتى توفي السنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م، أيضاً شقيقه متعب بن عبدالله[3] حكم بعد طلال حتى السنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م بعد أن قتله بندر بن طلال بن عبدالله[4]، ثم محمد بن عبدالله بن رشيد[5] ثأر لأخيه متعب من ابن أخيه بندر سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م، وهؤلاء الحكام ساروا على ولائهم للدولة السعودية الثانية، عدا محمد بن عبدالله بن رشيد الذي بدأ يغير في سياسة الإمارة تجاه الدولة السعودية، حيث استغل الصرا ع القائم بين أبناء الإمام فيصل على الحكم، كذلك حاول تسيير الأمور لصالحه، إذ كانت مناطق نفوذه تنعم باستقرار أكثر من غيرها، وتمدد جنوباً باتجاه حدود الدولة، حيث ضم

---

(١) الذكير: مقبل بن عبدالعزيز، **مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد السابع، (د.م)، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ص ٢٢٣-٢٢٥.

(٢) طلال بن عبدالله بن رشيد، حكم إمارة الجبل العام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م بعد وفاة والده، حتى العام ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م)حيث مات منتحراً إثر مرض أصابه برأسه، قيل أنه إن شُفي منه سيصاب بالجنون؛ (الحماد: حمد بن عبدالله، **حكم محمد العبدالله بن رشيد لنجد ١٢٨٩-١٣١٥هـ/١٨٧٣-١٨٩٧م**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، إشراف الدكتور: علي بن إبراهيم الخليف، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٢٢).

(٣)لم يكن متعباً كسياسة والده وأخيه طلال، بل كان أقل حنكةً، إذ بدأ التنافر بينه وعمه عُبيد، كذلك تاريخه لم يشفع له بكسب الأتباع في الجبل، على خلفية مشكلة حدثت في عهد والده نفاه على خليفتها، لذا سعى أبناء طلال لقتله وتولي الأمور بعده؛ (كمال: محمد سعيد حسن، **الأزهار النادية من أشعار البادية**، ج٣، مكتبة المعارف، الطائف، ط٧، ١٤٢٦هـ، ص ٣٥).

(٤) أحدث بندر شرخاً في بيت الأسرة الحاكمة بقتله عمه، حيث كان أول حاكم يتولى الأمور بعد أن يسفك الدماء، متناسياً عمه الآخر محمد الذي هرب فور قتل متعب، خوفاً على نفسه من أن يطاله بطش بندر؛ (الدخيل: **القول السديد**... المصدر السابق، ص ١٤٩).

(٥) لجأ محمد إلى الرياض على خلفية قتل أخيه متعب، ويبدو أن خوف محمد لم يكن من بندر، بقدر ما كان من عمه عُبيد، الذي كان يوحي تصرف محمد هذا أنه من أوعز لبندر قتل متعب، إذ بقي محمد في الرياض حتى توسط له الإمام عبدالله بن فيصل بينه وبندر، إذ تولى محمد إمارة الحاج العراقي، حتى تمكن من قتل بندر وتولي الأمور عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م؛ (الحماد: المرجع السابق، ص ص ٢٣-٢٤).

القصيم حتى أسقط الرياض سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، وظل يحكم المنطقة حتى توفي السنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م. [(١)]

وقد وصل محمد بن عبدالله إلى مرحلة من القوة والسطوة في نجد، إلى الدرجة التي اعتقدت فيها التقارير الروسية التي كتبت العام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، أن أسرة آل رشيد تحكم المنطقة منذ فترة طلال بن عبدالله، إذ نقلت أخباراً ومعلومات مغلوطة تماماً، خصوصاً فيما يتعلق بتأسيس الإمارة.[(٢)]

ومن هذا التمهيد تتضح لمحة موجزة عن تاريخ الجبل، ومن الصعوبة الاختصار أكثر من ذلك، لأن ثمة موضوعات كانت تستحق ولو القليل من الدراسة والتحليل، لا سيَّما وأن جبل شمَّر كان ذا أثرٍ واضح في سير الأحداث في عصر الدولة السعودية الثانية، وامتدَّ أثره إلى ما بعدها. وعلى الرغم من أن الجبل كانت له شخصيته السياسية والإدارية شبه المنفصلة، إلاَّ أن حُكَامه من آل علي وآل رشيد من بعدهم؛ كانوا يحرصون بشكل واضح على التواؤم وسياسة الدولة السعودية، وعدم الانعزال أو الاستقلال، إذ لم يحدث الاستقلال إلاَّ في فترة متأخرة من تاريخ الدولة، بعد أن دبَّ الصراع واتضح ضعفها.

---

(١) فاسيلييف: **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة: خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو، ط١، ١٩٨٦م، ص ص ٢٣٢-٢٤٢؛ خزعل: حسين خلف، **تاريخ الكويت السياسي**، ج١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٦٢م، ص ص ١٤١-١٤٢؛ ابن صالح: مطلق، **شذى الند في تاريخ نجد**، قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مخطوطة رقم ٤٨٠، ص ٩.

(٢) **السفارة الروسية في استانبول**: رسالة من بونافيدين إلى خارجية الإمبراطورية الروسية في موسكو، محفوظة في القائمة ٥١٧/٢، إضبارة ١٢٣٤، بتاريخ ٢٨ مايو ١٨٩٠م/١٣٠٨هـ، ص ص ٦٦-٦٧.

الفصل الأول

التنظيمات الإدارية

- الهيكل الإداري لإمارة منطقة جبل شمَّر:

  (الأمير، نواب الأمير، الولاة)

- القضاء.

- الشرطة.

- التنظيمات العسكرية.

لم يكن للجبل هيكلاً إدارياً منتظماً كما هو متعارف عليه في الكيانات السياسية الأخرى، شأنه في ذلك شأن بقية بلدان وأقاليم شبه الجزيرة العربية، التي لم تعتد على التنظيمات والإصلاحات؛ إذ كانت التنظيمات متغيرة، حسب ما يقرّه الحاكم ويراه، حيث إن نظام الحكم في شبه الجزيرة العربية، ونجد خصوصاً؛ مرهوناً بمن يصل إلى السلطة، وقناعاته التي تملي على التنظيم ما تراه مناسباً . ولعل ذلك الأمر؛ جعل من غالب الكيانات السياسية التي مرّت على إقليم نجد؛ إمارات اجتهادية في أسلوب حكمها، تتشكل حسب الظروف والشخوص.

ويعد جبل شمَّر من أكثر البلدان النجديَّة تغيراً في نظام حكمه وإدارته، فلكل حاكم مرَّ على كرسي الإمارة في الجبل أسلوبه المختلف عن سابقه، على الرغم من أن هنالك بعض الأسس العامة التي اتفق عليها بعض الحكَّام. وإن كان الحديث عن إمارة الجبل خلال الفترة من ١٢٤٠-١٣٠٩هـ/١٨٢٤-١٨٩١م، التي تغطي عصر الدولة السعودية الثانية؛ فإنه سيتناول حكمين مختلفين، الأول حكم إمارة آل علي في الجبل، الذي انتهى سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، ومن ثم حكم إمارة آل رشيد، الذي يغطي ما بقي من فترة الدراسة، وبذلك سيكون الحديث عن الإمارة الثانية أوسع، ذلك لأن فترة آل علي كانت في نهايتها، أو أنها كانت تحتضر خلال فترة الدراسة. كما أن إمارة آل علي لم تأخذ الشكل الإداري الواضح، بل إن كثيراً من نظمها كانت تعتمد على العُرف، ورغبة الحاكم الذي يتولى السلطة، كما أن أمراء آل علي كانوا منشغلين في مسألة نزاعهم مع آل رشيد في الفترة التي سنتحدث عنها.

الهيكل الإداري لإمارة منطقة جبل شمَّر:

الأمير

- **الأمير وسياسته تجاه الدولتين السعودية والعثمانية:**

يمثل الأمير في جبل شمَّر السلطة العليا، وإن كان ذلك في حدود سلطته في المناطق التابعة له، فقبل أن تنضم الجبل إلى الدولةالسعودية الأولى، لم يكن الأمير تابعاً لأيٍّ قوة سياسية، أيضاً لم يكن يطمح إلى توسيع نفوذه، إذ كان راضياً بحدود سلطته، ويخشى التدخل في الشؤون الخارجية، حتى تبقى المياه راكدة، ويستمر الولاء، ويتضح ذلك من عدم الحراك السياسي للجبل قبل انضمامه للدولة السعودية الأولى. حتى تحركات الدولة السعودية الأولى تجاه الجبل في بداية الأمر، لم تكن موجهة لإمارة آل علي تحديداً، بل كانت تجاه قبيلة شمَّر، التي تقع ضمن حدود الإمارة[1]، ومع وصول الدولة إلى تلك الحدود، رأت مناسبة انضمامها لحدودها، وحين تحركت تجاه الجبل، لم تجد الدولة أي مقاومة تذكر، حيث إن كمين أمير القصيم حجيلان بن حمد سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م لقافلة الجبل التجارية الآتية من العراق[2]، لم ينل من ذلك الهدوء الذي يكتنف الحاكم في الجبل، حتى الهجوم المباشر على الجبل في العام الذي يليه ١٢٠١هـ/١٧٨٦م من قبل حجيلان مرةً أخرى[3]، لم يغير في موقف الأمير.

---

(٣) إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٤) ابن غنام: حسين، **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، ج٢، مطبعة مصطفى البابلي، مصر، ط١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص ١٢٦.

(٥) ابن لعبون: حمد بن محمد، **تاريخ ابن لعبون**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد الأول، (د.م)، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١٩٧.

ويتضح مما فات؛ أنَّ الأمير في تلك الفترة كان يتحاشى الاصطدام بأي قوة سياسية خارجية، ويأمل في أن يَسلم من التحركات السعودية في حدوده، لكن يبدو أنه رأى من الأنسب أن يتواءم والقوة الجديدة، خصوصاً بعد اقتناعه بإصرار الدولة السعودية على ضم إمارته[1]، فكانت أفضل خياراته أن يظل على ما يتمتع به من نفوذ وسلطة داخلية، ويترك السياسة الخارجية للدولة السعودية الأولى، التي كانت تطمح إلى ضم منطقته.

وظلَّ حاكم الجبل مخلصاً للدولة السعودية الأولى، وقد ورد -كما مرَّ في التمهيد-، أن محمد بن عبدالمحسن بن علي كان أحد أمراء الإمام عبدالعزيز بن محمد، والإمامين سعود وعبدالله، وكان محمد بن عبدالمحسن أحد الأمراء الذين تمت تصفيتهم من قبل جيش محمد علي باشا بعد إسقاطه للدولة السعودية الأولى، حين قُطع رأسه على يد القوات المصرية سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٨م.[2] وبعد سقوط الدولة السعودية الأولى، عانت الجبل ما عانته البلدان النجدية الأخرى، من الاضطراب السياسي، وقد وصل إلى السلطة صالح بن عبدالمحسن بن علي، بعد أن مقتل محمد بن عبدالمحسن على يد القوات المصرية، كما أنه انضم للدولة السعودية الثانية في عهد الإمام تركي بن عبدالله، حيث استمر الأمير يتعامل وفق السياسة السابقة نفسها مع الدولة السعودية.

وهكذا استمر الأمير على سياسته في عهد آل علي، وهي التبعية الكاملة للدولة السعودية، مقابل منحه السلطة الداخلية، لكن بعد ظهور عبدالله بن رشيد على الساحة السياسية في الجبل، وحدوث الثورة ضد حكمآل علي؛ نجد أن الأمير يؤثِر سلطته على طاعة الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام فيصل بعد عزله وتعيين خصمه ابن رشيد[3]،

(١) ابن بشر: المصدر السابق، ج١، ص ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ٦٢.

(٣) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٤.

ويعارض هذا التعيين، لكن على رغم هذه المعارضة، لم يكن يملك إلا الامتثال لأوامر الإمام، خصوصاً وأنه كان مقتنعاً بعدم جدوى الصراع والمعارضة المباشرة والمعلنة.

بعد أن عينّ الإمام فيصل عبدالله بن رشيد أميراً على الجبل؛ كان بديهياً أن يرتبط الأمير بشكل أكبر مع الإمام، خصوصاً وأن من سياسة الإمام فيصل اختيار ذوي النفوذ الأعلى في البلدة التابعة له، كي يساعد ذلك في خضوع أهل البلدة للسلطة المركزية[1]، يضاف إلى ذلك العلاقة السابقة التي تربط بين الإمام فيصل وابن رشيد، كل ذلك جعل من منصب الأمير في الجبل أكثر أهمية من قبل. وهذا ما دعا عبدالله بن رشيد إلى تطبيق مهامه على أكمل وجه تجاه الدولة السعودية الثانية؛ من حفظٍ للبلاد، وصيانةٍ لحقوق الإمارة على الجانب السياسي والإداري، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وجباية الزكاة، والتجييش في حال دعت الدولة للنفير العام، كذلك الحفاظ على الأمن العام.[2]

وما فات يتعارض وما روته آن بلنت[3] في رحلتها، حين ذكرت أن عبدالله بن رشيد في بداية الأمر أعلن ولاءه للدولة السعودية ثم استقل[4]، إذ لم يحدث خلال حكم عبدالله أن أعلن استقلاله، أو حتى التصرف بما يتعارض ورغبات الإمام فيصل، وربما أن ما ذكرته

---

(١) السلمان: محمد بن عبدالله، **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية**، المطابع الوطنية، (د.م)، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٢٩٤.

(٢) الدخيل: سليمان، **أقسام إمارة السعود**، مجلة لغة العرب، ج٧، السنة الثالثة، بغداد، صفر ١٣٣٢هـ/ كانون الثاني ١٩١٤م، ص ٣٥٥.

(٣) آنابيلا كينك نويل (١٢٥٢-١٣٣٥هـ/١٨٣٧-١٩١٧م)، رحالة إنجليزية زارت جبل شمَّر خلال العام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م بهدف الحصول على الخيول الأصيلة من الجبل، وهذا هو الهدف المُعلن، غير أنها رافقت زوجها ويلفرد بلنت، الذي كان يشغل منصباً سياسياً في الحكومة البريطانية، وقد سمُيَّت بآن بعد زواجها، وألَّفت كتاباً عن رحلتها إلى الجبل باسم الحج إلى نجد؛ (بلنت: الليدي آن، **رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية**، ترجمة: أحمد أيبش، دار المدى، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م، ص ص ٧-١٥).

(٤) نفسه، ص ٢٨٠.

بلنت مبني ٌ على ما رأته من سياسة الإمارة خلال زيارتها تجاه الدولة السعودية، التي باتت في ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م تتصرف بشكل مستقل في عهد محمد بن رشيد.

وظلّ الأمير في الجبل يعلن طاعته للدولة السعودية الثانية، من دون أي موقف يستثيرها طوال عهد الإمام فيصل، حتى سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م، حتى بعد التنازع بين أبناء الإمام لم تقم الإمارة بما يوحي باستقلالها[١]، إذ لم يحدث ذلك سوى في عهد محمد ابن رشيد، الذي استغل ظروف النزاع بين أبناء الإمام[٢]، لتوسيع نفوذه، ومحاولة السيطرة على حدود الدولة السعودية داخل نجد، والتدخل المباشر في شؤون الحكم في البيت السعودي.

وخلال فترة النزاع بين أبناء الإمام فيصل؛ كان أمير الجبل طلال الرشيد يقف إلى جانب عبدالله بن فيصل[٣]، الوريث الشرعي للإمامة، باعتبار أن ذلك هو الموقف الطبيعي الذي يجب أن تقفه الإمارة، حيث إن الإمام فيصل أخذ البيعة لعبدالله بولاية العهد.

وحين نقيِّم وضع الإمارة خلال فترة ولاءها للدولة السعودية الثانية؛ فإنها لم تتصرف بما يتعارض مع رغباتها، لولا أنه يثار أن الأمير في الجبل منذ عهد المؤسس عبدالله؛ كان يتمتع بما يشبه الحكم الذاتي، وكان ذلك بمباركة الإمام فيصل بن تركي، بعد عودته من مصر في فترة حكمه الثانية ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م، إذ كافأ ابن رشيد على مساعدته له في استعادة حكمه بذلك.[٤] لكن في حقيقة الأمر أن رواية مثل هذه؛ تعد غريبة، إذا ما قارناها بما ورد

---

(١) كشك: محمد جلال، **السعوديون والحل الإسلامي**، مودي جرافيك، لندن، ط٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٢٣٣.

(٢) بعد وفاة الإمام فيصل عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م؛ حدث نزاع بين ابنه عبدالله الأكبر وأخوه سعود على الحكم، وقد كان عبدالله الوريث الشرعي لوالده في الحكم، كما كان هذا رأي عامة الناس والعلماء في الدولة السعودية الثانية؛ (أبوعلية: عبدالفتاح حسن، **تاريخ الدولة السعودية الثانية**، دار المريخ، الرياض، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٩٥).

(٣) دحلان: أحمد زيني، **تاريخ أشراف الحجاز**، تحقيق وتحليل: محمد أمين توفيق، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص ٧٤.

(٤) السلمان: المرجع السابق، ص ١٤٩.

في المصادر التاريخية، فلم يرد أمراً كهذا بشكل صريح، وقد ذكر مؤلف كتاب الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية أن الإمام لم يقصر هذا الاستقلال الذاتي في الحكم على عبدالله وحسب، بل منحه له وورثته من بعده.(١) ولو أن أمراً كهذا حدث، لوجدنا الإمارة تفكر في الاستقلال التام عن الدولة السعودية قبل أن يدب الضعف فيها، وقبل أن يصل إلى الحكم الطامح في مد نفوذه محمد ابن رشيد.

وبالنسبة للنظرة الشعبية في إمارة الجبل لمنصب الأمير؛ فمن البديهي أن يمثل الأمير رأس الهرم السياسي، على اعتبار أنه الحاكم والمتصرف بشؤون الإمارة، لكن في المقابل؛ نجد أن النظرة الشعبية لا تلغي سلطة الإمام في الدولة السعودية الثانية، إذ يعد الأمير ممثلاً لسلطة الإمام السياسية والإدارية والعسكرية، وحتماً أن ذلك بإشرافه.(٢) ومما يدل على ذلك أن إمارة الجبل حرصت على تطبيق منهج دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حرصاً على اتباع سياسة الدولة السعودية الثانية.(٣) ويفسر ذلك ما كان يوصي به عبدالله بن رشيد من يدينون له بالولاء، حيث كان يحرص على توصيتهم بتطبيق الشريعة الإسلامية وتقوى الله، والتمسك بمبادئ الدولة السعودية.(٤)

كما كان الأمير في الجبل خلال فترة الولاء للدولة السعودية الثانية؛ يقوم بمهامه كأمير أيِّ إمارة نجدية أخرى تابعة للدولة، حيث إن الناس كانوا يتعاملون معه على أنه المسؤول العام عن إقليمهم، وينظرون إليه على أنه نائباً للإمام أمامهم، إضافة إلى أنه لم يتوانَ في تجهيز ما تحتاجه الدولة من جيش إذا ما جاءه الأمر من الإمام(٥)، وعلى الرغم من أن جورج

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه، ص ٢٩٥.

(٣) كشك: المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٤) **مكتبة فهد العريفي الخاصة**: رسالة من عبدالله بن رشيد إلى سلامة وسالم وبدر، من دون تاريخ.

(٥) أبوعلية: المرجع السابق، ص ٢٨٠.

أوغست فالين[1] يقول في كتابه: "وخلف عبدالله في الحكم ولداه طلال ومتعب. وهما اليوم الحاكمان معاً، ويعترفان وإن اسمياً، بزعامة آل سعود المقيمين في الرياض، ويقولان أنهما يواليانهم، ولكنهما لا يقيمان أي دليل على ذلك إلا بإرسالهما أحياناً متطوعين لمساعدتهم في حروبهم، وبعض الجزية التي يجزيها شمَّر من الحجاج الفرس البائسين الطارقين ديارهم وهم في سبيلهم لمكة المكرمة، وفي أوقات أخرى يرسل شمَّر إلى آل سعود جزءاً من غنائم غزواتهم المتتابعة للقبائل والقرى التي لم تدخل اتحادهم"[2]، وفي ما قاله أثبت الولاء الذي تدين به إمارة الجبل للدولة السعودية، ذلك من خلال التبعية الاسمية والتبعية في التعاطي مع الدولة من خلال المشاركة معها في الحروب، كذلك دفع الزكاة الواجبة، وكأن فالين يبحث عن شكل آخر من أشكال التبعية لم يوضحه، حتى يُبرر له هذا التقليل من شكل التبعية الذي أورده. ويعد هذا الشكل من التبعية هو السائد في المناطق التابعة للدولة السعودية الثانية كافة، لو أن هنالك بعض الخصوصية التي منحتها الدولة السعودية الثانية لإمارة الجبل برضاها، من توسعٍ باسمها[3]، وعدم التدخل في بعض الشؤون الداخلية. لكن هذا لا يعني عدم الارتباط بين الكيانين، إذ إن حكم آل رشيد في الجبل؛ كان مربوطاً حتى في أذهان الناس تبعيته التامة للدولة السعودية، ومما يدل على ذلك؛ أن خصوم عبدالله بن رشيد حين أُسر الإمام فيصل سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م رأوا أن الفرصة سانحة لهم في القضاء عليه، كما كانت القوات المصرية التي أسقطت الإمام فيصل في فترة حكمه الأولى ترى أن عبدالله بن

(١) جورج أوغست فالين: فنلندي الأصل، ولد عام ١٢٢٥هـ/١٨١١م، يعد من أشهر الرحالة الأوربيين الذين زاروا شمال الجزيرة العربية، ومن أهم البلدان التي زارها خلال رحلته جبل شمَّر، وكانت زيارته إليها عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م، قبل وفاة عبدالله بن رشيد بعامٍ واحد؛ (البادي: عوض، **الرحالة الأوربيون في شمال وسط الجزيرة العربية – منطقة حائل (١٨٤٥-١٩٢١م)**، دار برزان للنشر، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ص ٢١-٣١).

(٢) فالين: المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٣) الرشيد: المرجع السابق، ص ٧١.

رشيد امتداداً لحكم الإمام فيصل، لذلك حين غزا خالد بن سعود[1] الدولة على رأس القوات المصرية؛ بادر بمساعدة آل علي في استعادة حكمهم، وعزل عبدالله بن رشيد على يد البكباشي إبراهيم أغا الألفي.[2] إلاّ أن ابن رشيد سارع إلى خورشيد باشا حين وصل بحملته التعزيزية إلى المدينة، وأعلن خضوعه للدولة العثمانية كي يعود لمنصبه في إمارته[3]، وقد أقر على إمارة الجبل بعد أن راسل خورشيد باشا الوالي محمد علي واستأذنه في الأمر، متعذراً بأن ابن رشيد سينفع القوات المصرية في تأمين الجمال اللازمة للجيش وما يتطلبونه، كذلك إعادته إلى الحكم يخمد نار الفتنة ويسهل مهمة الجيش، وأقره محمد علي على ما رآه.[4]

وبعد حادثة مقابلة عبدالله بن رشيد لخورشيد؛ دخلت الإمارة في تبعية أكبر للدولة العثمانية، وفي حقيقة الأمر كانت هذه التبعية اسميَّة في بدايتها كأي كيان سياسي يخشى البطش المصري، كما أن القوات المصرية التي كانت تعمد إلى غزو الجزيرة العربية تطمح إلى أن تجعل من الكيانات السياسية الصغيرة تابعة لها من دون مواجهات عسكرية، حتى لا تبدد مجهوداتها في أكثر من مكانوابن رشيد في هذه المرحلة حينما عُزل؛ لم يكن له بدٌ إلا أن يقوم بالتواؤم وقوات خورشيد باشا، لكنه في الوقت نفسه لم يقم بأيِّ تحرك عسكري لجانب المصريين ضد الإمام فيصل، واكتفى بمساعدة القوات المصرية بالمؤن.وبعد أن أقرَّ خورشيد

---

(١) خالد بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود: توفي سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م، وسنة ولادته غير معروفة، وهو أخٌ لآخر أئمة الدولة السعودية الأولى، وقد نشأ في قصر محمد علي باشا في مصر، وجعله على رأس الحملة التي أطاحت بالإمام فيصل بن تركي في فترة حكمه الأولى، (الزركلي: المرجع السابق، ج٢، ص٢٩٦).

(٢) **دار الوثائق القومية في القاهرة**: شريط رقم (٤)، وثيقة رقم حمراء ٣٧ (٣١٣)، رسالة من المير لواء محمد إسماعيل إلى الوالي أحمد شكري، بتاريخ ٤ ربيع الآخر ١٢٥٣هـ/٧ يوليو ١٨٣٧م؛ المارك: فهد، **من شيم العرب**، ج٤، مكتبة الشقري، الرياض، ط٤، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ص ١٢٠٤-١٢٠٦.

(٣) الزعارير: محمد بن عبدالله، **إمارة آل رشيد في حائل**، بيسان للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٧م، ص ص ٥٨-٥٩.

(٤) **دار الوثائق القومية في القاهرة**: شريط رقم (٤)، وثيقة رقم (١٨٩)، رسالة من خورشيد باشا إلى الوالي محمد علي باشا، بتاريخ ١٧ رجب ١٢٥٣هـ، الموافق ١٨ اكتوبر ١٨٣٧م.

عبدالله أميراً على الجبل[١] أرسل معه ١٥٠خيالاً مصرياً، ذُكر أنهم عادوا إلى خورشيد بعد أن وصل ابن رشيد إلى الجبل واستعاد حكمه[٢]، لكن من الواضح من خلال المصادر المتوافرة أن القوات المصرية التي رافقت ابن رشيد ظلّت تحت خدمته، وإن لم يكن جميعهم، فإنه من المؤكد أن مجموعة بقيت في خدمة عبدالله في الجبل، إضافة إلى بعض الآلات العسكرية التي كانت معهم في الجبل، والتي بقيت حتى فترة متأخرة موجودة في الإمارة، والدليل على أن هؤلاء الجند كانوا في الجبل؛ أن خورشيد باشا حينما أراد الرحيل إلى مصر كتب رسالة إلى محمد علي، يذكر فيها أنه يوّد أن يأخذ من الجند الموجودين في الجبل لنقل المؤن والحصول على الجمال.[٣] كما أن التركيبة الديموغرافية تغيرت بعد هذه الفترة، حيث بدأ دخول العنصر المصري فيها.

وعلى الرغم من نشوء هذه العلاقة بين مصر والجبل، وإعلان ابن رشيد تبعيته للدولة العثمانية؛ إلا أن أيّاً من مظاهر التبعية في عهد عبدالله لم تكن موجودة، بل تطورت التبعية شيئاً فشيئاً فطلال بن عبدالله بن رشيد بعد أن خلف أباه في حكم الإمارة، نجد أنه يبدي مزيداً من مظاهر التبعية للخليفة العثماني، وكان يحاول مسك العصا من منتصفها، بين الدولتين السعودية والعثمانية، حيث إن الدولة السعودية تحد إمارته من الجنوب والشرق، بينما الدولة العثمانية تحدها شمالاً وغرباً عن طريق ولاياتها في بغداد والشام والحجاز. وربما أن طلال أظهر اهتماماً بالدولة العثمانية أكثر من والده، بسبب أن طلال نفسه كان يطمح إلى أن يجعل من إمارته مركزاً تجارياً، ويستفيد بشكل أكبر من طريق الحج العراقي، لا سيّما وأن

---

(١) طلب خورشيد باشا تعيين راتب شهري لعبدالله بن رشيد من محمد علي، ومكافأة قدرها ٥٠٠ قرش؛ (**دار الوثائق القومية في القاهرة**: شريط رقم (٥٤)، محفظة عابدين (٢٦٤)، وثيقة رقم (٢٦٤)، رسالة من خورشيد باشا إلى الوالي محمد علي باشا، بتاريخ ٢٢ ربيع أول ١٢٥٤هـ).

(٢) العجلاني: **الدولة السعودية الثانية**... المرجع السابق، ص ١١٩.

(٣) **دار الوثائق القومية في القاهرة**: مجموعة رقم (٧)، محفظة (٢٧٠) عابدين، وثيقة رقم (١٤٩) حمراء تركية، رسالة من خورشيد باشا إلى الوالي محمد علي باشا، بتاريخ ٣ شعبان ١٢٥٦هـ/٣٠ سبتمبر ١٨٤٠م.

تجارة الإمارة كانت ترتكز على العراق وبلاد الشام والحجاز، وكل هذه الأقاليم تحت حكم الدولة العثمانية، لذا يجب أن يحُسِّن صورة إمارته أمامها، ويبدي التبعية الشكلية، ما جعله يأمر بأن يذكر اسم السلطان على منبر الجمعة بكل ألقابه، وينادى به خليفة للمسلمين، ومن ثم يذكر اسم طلال نائباً له على الجبل.[1]

لكن في حقيقة الإمارة؛ فإن تبعيتها الفعلية كانت للدولة السعودية الثانية خلال فترة طلال، حتى لو أن طلال أعطى الدولة العثمانية مكانتها في حدوده، تظل تبعية اسميَّة، حيث لم يقدم لخزينة الدولة العثمانية أيّ مبالغ أو عطايا سنوية تثبت التبعية الرسمية، كما لم يساهم بإرسال الجند لتشارك في الكتائب العثمانية[2]، في مقابل أن جميع هذه الالتزامات تؤديها الإمارة للدولة السعودية الثانية، ما يعني أن الإمارة استشفت رضا الدولة العثمانية عما تقدمه لها من مظاهر شكلية، بينما أنها تعلم في الوقت نفسه؛ أن الدولة السعودية ربما تتحسس من أي مظاهر أكبر تؤدى للدولة العثمانية.

وظلت الأمور في عهدي متعب بن عبدالله وبندر بن طلال على ما كانت عليه في عهد طلال، من تبعية اسميَّة للدولة العثمانية[3]، وتبعية حقيقية للدولة السعودية الثانية، لم تتغير هذه التبعية الاسمية والحقيقية إلا في عهد محمد بن عبدالله بن رشيد، الذي كان يطمح إلى تغيير استراتيجية الإمارة، حيث كان يعي أن الدولة العثمانية لن تحرك ساكناً تجاهه إذا ما التزم عدم المساس بحدودها وسلطتها، وإعطائها الصبغة العليا، لذا أراد محمد أن يقلب موازين القوى وسط شبه الجزيرة العربية، حينما أحس بقوته، ذلك من خلال الاستقلال عن الدولة السعودية الثانية، ومن ثم الزحف على حدودها، خصوصاً وأنها كانت تعاني من

---

(١) بلغريف: المصدر السابق، ص ١٦٣؛ كشك: المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٢) بلغريف: المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٣) موزل: ألويس، **عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية**، ترجمة: شركة الوراق، دار الوراق، لندن، ط١، ٢٠٠٧، ص ٥٠.

مشكلة الحرب الأهلية بين أبناء الإمام فيصل، ما يعني أن الفرصة أصبحت سانحة لمحمد حتى يحقق طموحاته التي كان يسعى إليها.[1]

أراد محمد بن رشيد أن يعمل على لفت نظر الدولة العثمانية إلى قوته، الأمر الذي جعله يسعى إلى جمع الزكاة من القبائل الحجازية بدلاً من أن تؤديها للدولة العثمانية، كذلك من القصيم وخيبر، إضافة إلى هجومه العسكري على بلاد الشام ومدينة الوجه.[2] كل ذلك وقد كان محمد يعلم يقيناً أن الدولة العثمانية لن تقف موقف المتفرج، إذ ستتحرك ضده، وربما تكون هنالك مواجهة عسكرية بين الطرفين، كما حدث في بداية عهده، حينما حاولت مدينة الجوف الاستقلال عن إمارة الجبل، وحصلت مواجهة عسكرية متكافئة بين محمد وقوات الدولة العثمانية، انتهت بإعادة الجوف لسلطة محمد.[3] ويبدو أن أمير الجبل الطامح حين بدأت إمارته تزداد قوةً، وصار يحتل مركز الصدارة في نجد، أصبح يصف نفسه أميراً لنجد، خصوصاً بعد موقعة المليداء[4] سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، وبعد ذلك قدم للدولة العثمانية عشرين فرساً عربياً أصيلاً[5]، كي يظهر ولاءه لها، وليحصل على مباركة الدولة على هذا اللقب الجديد، ومن ثم يمارس سلطته بصفة تشريعية من الدولة العثمانية.

---

(١) نولده: إدوارد، **الأوضاع السياسية وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٩٣م/١٣١٠هـ**، ترجمة: عوض البادي، دار بلاد العرب، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٨٨.

(٢) الحماد: المرجع السابق، ص ص ١٥١-١٥٧.

(٣) نفسه.

(٤) من أشهر المواقع العسكرية التي حصلت في نجد، بين محمد بن رشيد والقصيم تتزعمها بريدة وعنيزة، انتهت بانتصار ابن رشيد، وتعد هذه الموقعة فاصلة في موازين القوى داخل المنطقة، إذ كانت بداية النهاية للدولة السعودية الثانية، إذ بعدها بعام سقطت؛ (آل رواف: سليمان بن عبدالله، **خروج آل أبا الخيل من سجن ابن رشيد**، جمع وترتيب وتصحيح: عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، ج٤، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، (د.م)، ص ١٠٦).

(٥) حسني: المصدر السابق، ص ١٤١.

ويبدو أن محمد بن رشيد كان يتعامل مع الدولة العثمانية بمدٍ وجزر، فمن خلال المراسلات مع الباب العالي ومن خلال المراسلات مع ولاة الدولة في العراق والشام والحجاز؛ يحاول أن يثبت ولاءه وتبعيته للدولة العثمانية[1]، في حين أنه يتصرف بطريقة استفزازية في بعض الأحيان ضدها، ولكن كما أشرنا سابقاً أنه كان يهدف إلى أن تضرب الدولة العثمانية له حساب في وسط شبه الجزيرة العربية، كي ترضخ لسلطته التي بدأت تتنامى وتطغى على سلطة الدولة السعودية الثانية، إضافة إلى أنه سبق وأن حصل على مخصصات مالية من الدولة العثمانية، وأصبح له ممثل في استانبول.

وفي محصلة الحديث عن علاقة الأمير في الجبل مع الدولتين السعودية الثانية والدولة العثمانية؛ نجد أنه لم يكن هنالك سياسة ثابتة من الممكن أن نقول أنها سياسة تطورت بها الإمارة، بل كانت طموحات ووجهة نظر الأمير هي التي تحكم علاقته مع هاتين القوتين، وعلى الرغم من أنه كان يستمد قوته وسلطته منهما، إلا أنه في الوقت نفسه يعمل على الترجيح بينهما في مظاهر الولاء، وقد امتدت العلاقة بين الدولة العثمانية والإمارة بعد سقوط الدولة السعودية الثانية.

(١) قورشون: زكريا، **العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني ١٧٤٥-١٩١٤م**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص ٢٤٢.

• علاقة الأمير مع العامة في حدود إمارته:

تعد علاقة الأمير بالعامة في الجبل علاقة تعتمد على العصبية القبلية والأسرية، لا سيَّما مع بداية حكم آل رشيد في الجبل، على الرغم من أن هنالك بعض العناصر التي كانت معارضة لحكم هذه الأسرة في الجبل، ولعل أكثر أؤلئك المعارضين؛ هم من أنصار الأسرة السابقة. لذلك حين أسس عبدالله بن رشيد إمارته حرص على الرابط القبلي بينه وقبيلته شمَّر، خصوصاً المتنفذين في عشيرة الجعفر من عبدة ، التي ينتمي إليها ابن رشيد وأسرة آل علي –الحكام السابقين- ذلك لأنها تعد داعماً قوياً لكل من أراد السيطرة على الجبل، لما لها من نفوذ واسع وسيادة من بين عشائر شمَّر الأخرى، وما وصلت إلى هذه السيادة إلا بعد ملاحم عدة، خاضتها هذه العشيرة للوصول إلى هذه المكانة بين العشائر الأخرى. ولكي يحقق عبدالله بن رشيد هذه النتيجة في كسب ود ورضا الجعفر، ويجعلهم ركيزة لحكمه؛ عَمَدَ إلى مصاهرة الأسر المهمة من هذه العشيرة، سواءً من حاضرتها أو باديتها، لأن هؤلاء سيكون لهم الأثر الكبير في استتباب الأمن والهدوء والطاعة في المناطق التي لم ترض بحكم الأسرة الجديدة.(1)

ومن أكثر العوامل التي ساعدت عبدالله بن رشيد على تحقيق نتيجة كسب ولاء قبيلته؛ أن قبيلة شمَّر والجعفر تحديداً يتصفون بالعصبية والتماسك فيما بينهم، أيضاً التفاني من أجل قيادتهم، وقد وصف عددٌ من المؤرخين هذا التماسك فيما بينهم؛ أنه سبب من أسباب استقامة حكم الإمارة فترة طويلة من الزمن(2)، وربما أن موقف بعض زعماء قبيلة شمَّر بعد موقعة بقعاء(3) سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، يعطي دلالة على قوة هذا التماسك والتلاحم

---

(1) Baran: op cit, p 47.

(٢) الزعارير: المرجع السابق، ص ص ٩٣-٩٤.

(٣) حدثت هذه الموقعة في فترة انقطاع حكم الإمام فيصل بن تركي، وبعد أن غابت السيطرة السعودية، حيث هجمت القصيم على الجبل، ودارت الموقعة في بقعاء قرب الجبل؛ (ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٨).

بين أفراد القبيلة، حتى وإن كان هنالك صراع داخلي بينهم، إذ إن اثنين من أشهر زعماء قبيلة شمَّر، وهما نعيس بن طوالة[1] وصحن بن علي[2]؛ اللذان كانا على عداء وصراع مع عبدالله بن رشيد، لكن حين علما باقتراب قوات القصيم إلى الجبل؛ تناسيا صراعهما مع عبدالله، وكان انضمام الزعيمين إليه ضد قوات القصيم، وحسب ما ذكر كل منهما؛ أن مصلحة القبيلة فوق أي صراعات[3]، ما عزز موقف ابن رشيد في هذه الموقعة، وكان ذلك سبباً من أسباب انتصاره على أهالي القصيم، حيث ارتفعت الروح المعنوية بشكل واضح بعد اتحاد المتصارعين من أبناء القبيلة.

واستغل هنا مؤسس إمارة آل رشيد هذه العصبية بما يثبت دعائم حكمه، حيث إنه كان يكرِّس اللحمة القبلية في حدود سلطته، لذلك كان حريصاً على أن يوحي للعامة في بداية أمر إمارته؛ أنه ليس إلا امتداداً لحكم أسرة آل علي، على اعتبار أن آل رشيد وآل علي ينتميان للفرع ذاته من الجعفر من عبدة شمَّر، لذلك كان يراسل الناس في بداية حكمه باسم عبدالله آل علي.[4] ومن هذا تتضح سياسة عبدالله في تسييس العواطف العامة في سبيل قبول حكمه في الجبل بداية التأسيس.

سار أمراء الجبل بعد عبدالله على هذه الركيزة التي ثبتها لهم، لوعيهم بأهميتها، لذلك يمكن أن يقال عن إمارة آل رشيد في الجبل أنها إمارة قومية وعصبية على الرغم من تمسكها بالدين، ولعل وصف المؤرخ سليمان الدخيل وافٍ حول هذه القضية، حين قال: "أما إمارة الرشيد فمع كونها متمسكة بأهداب الدين المكين، إلا أن حفظ حياتها متوقف على عصبية

---

(١) نعيس بن طوالة زعيم عشيرة الأسلم من شمَّر، وكان له مواجهات عدَّة مع ابن رشيد، أصيب في أحدها إصابة خطيرة، أدت إلى بتر ساقه؛ (المارك: المرجع السابق، ج٤، ص ١٢٠٤).

(٢) صحن بن علي زعيم عشيرة عبدة من شمَّر، التي ينتمي إليها آل رشيد، وهو زعيم الأسرة الحاكمة من آل علي بعد أن قتل كثير منهم في مواجهات مع ابن رشيد؛ (نفسه).

(٣) نفسه، ص ص ١٢٠٥-١٢٠٦.

(٤) **مكتبة فهد العريفي الخاصة**: رسالة من عبدالله بن رشيد إلى سلامة وسالم وبدر، من دون تاريخ.

أهلها، فهي إمارة ذات عشائر كثيرة كبيرة وافرة العدد، وتعصبهم بعضهم لبعض أمر لا يصفه واصف وإن أطنب فيه. وإذا توقفت إلى أن تدخل بين ظهرانيهم يتضح كبيرهم يرى نفسه الأبيَّة في داخل نفس أصغرهم وأحقرهم، فهو يكرم أذل من معه كأنه أكبر القوم وأجلَّه، لذا تراهم ، قضهم وقضيضهم، كأنهم نفس واحدة، تعمل بعامل واحد، لغاية واحدة، وهمة رجل واحد، هي همة أميرهم إذ تراهم ملتفين حوله متسابقين إلى التفاني في حب خدمته بدون مصانعة أو رياء. ويكفيك دليلاً على ما نقول أنه إذا أراد أن يغزو لا يحتاج إلى أن يبلغهم الخبر، كما يفعل سائر الأمراء في ديار جزيرة العرب، بل يكتفي بأن يظهر رايته إلى ظاهر البلد، فيراهم في ذلك اليوم حوله بدون انتظار. وأما سائر الأمراء فإنهم يرسلون إلى القبائل رسلاً ويضربون لهم موعداً فيجتمعون فيه. والخلاصة أن سكان هذه الإمارة من عجب السكان وأن الإمارة إمارة قومية وعصبية"[1]، وهنا يلخص الدخيل مدى حرص أمراء الجبل على هذه العصبية، التي كانت داعماً أساساً لإمارتهم وسلطتهم في الجبل. وإذا حرص أمراء الجبل على رضا قبيلتهم شمَّر؛ فإنهم في الوقت نفسه عملوا على انتهاج سياسة تضمن لهم ولاء القبائل الأخرى؛ إذ يعمدون إلى البطش بأيِّ قبيلةٍ تعاديهم وتقع ضمن حدودهم، حتى تعلن ولاءها لهم، وإذا ما حققوا هذه النتيجة؛ نجد أنهم يقربون زعماء هذه القبائل، ويعدون ضمن حلفائهم، كما يقومون بتخليص تلك القبائل من أعدائها، كما يكرمونهم بالغنائم التي يحصلون عليها بعد حروبهم التي يشاركونهم بها.[2] وقد أضفت هذه السياسة شعبية للسلطة في الجبل، التي اعتمدت مع الفئات الأخرى سياسة القوة والتسامح في آنٍ واحد.[3]

ومن هذه السياسة التي سار عليها أمراء الجبل؛ نجد أنهم يشتقون عصبية أخرى بين أعيان بلدة حائل، وهؤلاء لا ينتسب جزء كبير منهم إلى قبيلة شمَّر، أو أن التقسيم الداخلي

(١) الدخيل: **إمارة آل رشيد**... المصدر السابق، ص ٥٨٢.

(٢) داوتي: تشارلز، **ترحال في صحراء الجزيرة العربية**، ترجمة: صبري محمد حسن، مراجعة وتقديم: جمال زكريا قاسم، ج٢، مج١، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٣٦.

(٣) بلنت: المصدر السابق، ص ٢٨٢.

للبلدة يعتمد على أعيان من الحاضرة، حتى لو لم يكونوا ضمن القبيلة، فهم في ولائهم يعدون ضمنها، كما كانوا يحضون بثقة أمراء آل رشيد كافة، ويعدون من أوائل الذين يعتمدون عليهم في تسيير حكمهم، وغالبية هذه الفئة التي لا تنتسب لشمَّر هم من فئة اجتماعية تمتهن الحِرف[1]، ونجد أن التقسيم السلطوي في بلدة حائل يعتمد على نفوذ الأحياء والتجمعات السكانية، التي تأتي برزان ولبدة ومغيضة في مقدمتها؛ حيث كانت برزان مقر أمراء آل رشيد وحاشيتهم ومماليكهم، ولبدة منها الكُتَّاب وأكثر قوَّاد الجيش، ويعوَّل عليهم في كثير من شؤون الإمارة، ومن قوة نفوذ أهالي لبدة؛ أنهم إذا ما أرادوا لأمرٍ أن ينفذ فإن الحكام يأتون على هواهم، كما الأمراء كلَّما اشتد بهم أمرٌ من أمور السياسة راجعوا كبار لبدة، أيضاً مغيضة لا تقل نفوذاً عن لبدة، إذ إن سكانها يتصِّفون بالشجاعة والإقدام والبسالة، وتعتمد عليهم السلطة وقت الشدائد كما اعتمادها على لبدة.[2] وهذا التعصب من الإمارة لهذه الفئات الداخلية؛ يخلق داخلها ولاءً منقطع النظير للسلطة العليا في الجبل، قد يفوق الولاء للقبيلة.

---

(١) أفراد هذه الفئة من سكان الجبل لا ينتسبون إلى قبيلة في غالبيتهم، ومجموعة منهم اضطروا لاحتراف الصناعة فنبذتهم القبيلة الأم، وأخرجتهم من ستارها، على اعتبار أنه هذا هو حال من يمتهن صنعة يدوية في عرف قبائل شبه الجزيرة العربية، وفي الجبل نجد أنهم لا يعانون من النظرة الدونية التي قد تلحق بمثل هذه الفئة، إذ كانت لهم مكانة لدى السلطة الحاكمة؛ للتفصيل في هذا انظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٢) عبيد: المرجع السابق، ص ٢٥.

• الشورى[1]:

لم يكن مفهوم الشورى مطبقاً بشكله الفعلي في إمارة الجبل، لكن هنالك بعض الأشكال في طريقة حكم الأمير في الجبل تعطي صورة من صور الشورى، ولعل أكثر شيء نلمحه من خلال المصادر التاريخية؛ مسألة الشعور الشعبي في الجبل، ومدى احترام الأمراء لهذا الشعور، إذ يعد هذا الاحترام بشكل أو آخر تطبيقاً نسبياً للشورى.

وعلى الرغم من أن العائلة الحاكمة في الجبل هي صاحبة السيادة العليا، إلا أنها في الوقت نفسه كانت تراعي العرف والشعور الشعبي تجاه أي تصرف من الممكن أن تقوم به على المستوى السياسي أو الاجتماعي والاقتصادي والفكري؛ ذلك تحسباً من قبل السلطة الحاكمة لأي مخاطر تعمل على استثارة الشعور الشعبي ضدها.[2]ولعل أبرز المخاطر التي كان يخشاها أمراء الجبل؛ هي تلك الوسيلة المهمة التي كان يمارسها سكان الجبل في إهمال الحاكم والتحول والالتفاف حول شخص آخر[3]، كما حدث في عهد آل علي حينما التف المتنفذون من المجتمع حول عبدالله بن رشيد[4]، وبعد ذلك في عهد آل رشيد؛ كان الأمير يخشى من الالتفاف حول شخص آخر من الأسرة نفسها، بحيث يتم عزله بعد ذلك.

ومما فات يتضح أن السلطة كانت حريصة بشكل واضح على أن تكون محبوبة على المستوى الشعبي، حتى تأمن أي احتقان قد يقلب الأمور على غير صالحها، لذلك ارتضت

---

(١) يُعد نظام الشورى في الإسلام قاعدة أساس؛ تقوم عليها تنظيمات المسلمين لأمورهم الإدارية والسياسية، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ سورة الشورى الآية ٣٨؛ (الميداني: عبدالرحمن حسن، **الحضارة الإسلامية**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٦٢٨؛ الرفاعي: أنور: **النظم الإسلامية**، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م، ص ٢٣).

(٢) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٢.

(٣) نفسه.

(٤) ابن رشيد: المصدر السابق، ص ص ١٢١-١٢٣.

أن تكون متأثرة بالرأي العام، وتحرص غالباً على أن تسير وفق الرغبة الشعبية، ولعل ذلك من أشكال الشورى غير المنظمة.[1]

ويبدو أنه من خلال الحرص على الرأي العام والشعور الشعبي؛ بدأ الأمر في فترة مبكرة من حكم أسرة آل رشيد الحرص على عقد مجلس يومي من قبل الأمير، لاستعراض وجهة النظر الشعبية حول تصرفات النظام الحاكم، حيث يتم الاستماع في هذا المجلس إلى المظالم، كذلك اتخاذ القرارات المهمة فيه.[2]

أشارت آن بلنت كثيراً إلى قضية الرأي العام، ووصفته بقولها: "في المدينة، مهما كان الأمير البدوي استبدادياً، يبقى في تحفظ من الرأي العام. ليس للمواطنين في جبل شمَّر ما يسمى بالحقوق الدستورية، وليست لديهم وسائل لفرض قوتهم، ومع ذلك فليس هناك في العالم كله مجتمع يمارس فيه الشعب تأثيراً قوياً على الحكومة كما يحدث في حائل"[3]، وفي حديث بلنت تأكيد لتأثير الرأي العام على السلطة، إلا أنها أشارت أيضاً إلى أن هذا التأثير لم يكن منظماً، ما يؤكد أن فكرة الشورى لم تكن مكتملة أو منظمة بالشكل الذي يجعل لها نوع من السيادة كسلطة تشريعية في الإمارة، إنما سيادتها سيادة غير معلنة من طرف الإمارة والمجتمع.

لذلك كان طلال بن عبدالله الرشيد يعتمد كثيراً على تطبيق مبدأ الشورى بشكل أكثر فاعلية من غيره من الأمراء الآخرين في الإمارة، كما كان حريصاً على مراعاة الرأي العام أكثر من غيره أيضاً، حيث كان دائم الاجتماع بأعيان الجبل والقرى التابعة له، كي يطرح عليهم بعض الأمور المهمة التي تخص الإمارة، كي يأخذ برأيهم، ومن ذلك ما حدث سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م، حين منح أحد الأعيان صوته ورأيه لشخص من أهالي قرية فقار، ذلك

---

(١) لوريمر: المصدر السابق، ص ٢٢٤٧.

(2) Baran: op cit, p 60.

(٣) بلنت: المصدر السابق، ص ٢٨٥.

لعدم سماعه القضية التي طرحها الأمير طالباً رأيهم، وفي ذلك تطبيق صريح لمبدأ الشورى في الجبل، خصوصاً في عهد طلال العبدالله.[(١)] وربما أن طلال كان الأكثر مراعاةً للرأي العام، وتطبيقاً للشورى، ويتضح ذلك من خلال نظرة الناس لحكم طلال، فهم يكبرون به تحريه للعدل بينهم، إضافةً إلى تقربه منهم، فهو يفتح بابه مرة أو مرتين في اليوم كي يستمع لشكاوى الناس، وقضاء حاجاتهم، وعلى الرغم من ذلك إلا أن هنالك تذمراً من رجال البادية، لتقييده لحرياتهم التي تتعدى على حريات الآخرين، ومع ذلك فإنه كان يكسب هؤلاء بإغداقه للمال عليهم، وكسبهم بكرمه المفرط عليهم.[(٢)]

نقل أحد الرحالة حديثاً لطلال وهو يتحدث عن الأرامل والضعفاء من رعيته، حيث قال: "قال لي مراراً أن الأرامل والأيتام أعز على قلبه من أهل بيته. وكانت أحكامه تفيض بالإنصاف وكرمه لا يحد"[(٣)]، ما يعني أن طلال لم يكن يهتم فقط بشريحة واحدة من المجتمع وحسب المتمثلة بالشريحة الأكثر نفوذاً، بل كان حريصاً أيضاً على المحتاجين والأرامل والأيتام، وفي قضائه لحاجاتهم وسماعهم، خير دليل على قربه من المجتمع، وبالتالي فإن الرأي العام مجبر على احترامه.

---

(١) المارك: المرجع السابق، ج٢، ص ص ٥٢٣-٥٢٨.

(٢) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٦٥.

(٣) غوارماني: كارلو كلاوديو، **نجد الشمالي رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم**، ترجمة وتعليق: أحمد أيبش، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٨١.

• ألقاب أمراء الجبل:

تعارف النجديون منذ فترة مبكرة من التاريخ الحديث والمعاصر في شبه الجزيرة العربية على لقب أمير، ذلك أن أي شخص يمثل السلطة العليا في أي بلدة أو مدينة يطلق عليه أمير، يقابلها في التنظيم القبلي لقب شيخ، وفي أحيان كثيرة يتم الخلط بين هذين اللقبين، خصوصاً إذا ما كان الأمير يمثل سلطة قبلية إضافة لحكمه لبلدة أو مدينة.(١)

وفي الجبل لم يختلف الأمر كثيراً عما هو متعارف عليه في نجد، إلا أن الأمير كان يطلق عليه في بعض الأحيان لقب شيخ؛ ذلك لأنه يمثل في الوقت نفسه سلطة عليا لقبيلة شمَّر، لكن كان استخدام لقب أمير هو الشائع، سواء في فترة حكم آل علي أو بداية حكم آل رشيد من بعدهم. ومع التطور والنضج السياسي الذي بدا يظهر في الجبل؛ نجد أن الأمراء بدأوا يتخذون لقباً آخر، قد يكون له مفهوم أوسع؛ وهو لقب حاكم(٢)، على اعتبار أن هذا اللقب يخرجهم من إطار المقارنة بأمراء البلدان التابعة لهم سواء في المدن والقرى أو تلك التي تتبع لهم في شمال شبه الجزيرة العربية، بحيث يكون هذا اللقب أكثر اتساعاً، فالحاكم يتبع له أكثر من أميروعلى الرغم من ذلك؛ فإن ذلك لم ينفِ استخدام الألقاب الأخرى، كأمير وشيخ، بل ظلَّت هذه الألقاب مستخدمة جميعها للإشارة لأمراء الجبل، وتقول بلنت حول هذا: "لاحظت أنه على الرغم من أن أفراد البلاط والحاشية ينادون محمد بلقب الأمير، فإن الراعايا الفقراء، والأرجح أنهم من البدو، كانوا ينادونه قائلين: يا شيخ، وفي بعض الأحيان كانوا ينادونه قائلين: محمد"(٣)، والملاحظ من حديث بلنت أن الأمراء كانوا

(١) أبو علية: عبدالفتاح حسن، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر**، دار المريخ، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ١٦.

(٢) نفسه.

(٣) بلنت: آن، **الحج إلى نجد**، ج١، ترجمة: صبري محمد حسن، تقديم ومراجعة: رءوف عباس حامد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٢٢٥. ترجمة مختلفة لرحلة بلنت.

قد ارتضوا تعدد الألقاب التي يناديهم بها الناس، سواء على المستوى الرسمي، أو المستوى الشعبي.

وظلت هذه الألقاب مستخدمة كافة في الجبل، حتى الحادثة المفصلية في تاريخ نجد، بعد موقعة المليداء ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م بعد أن تغيرت موازين القوى بشكل واضح، وأصبح محمد بن رشيد يطمح إلى توسيع نفوذه على حساب الدولة السعودية الثانية، حتى قام بإسقاطها سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، وبدأ يستخدم لقباً جديداً يتواءم والمفهوم الجغرافي الجديد للسلطة في الجبل، وهو لقب حاكم نجد أو أمير نجد[١]، وعلى الرغم من إسقاط محمد للدولة السعودية؛ إلا أنه لم يتجرأ أن يرث اللقب الرئيس لحكام الدولة السعودية، وهو لقب الإمام، لا سيَّما أن هذا اللقب يجمع بين المفهومين السياسي والديني، ولعله أراد أن يكتفي بالمفهوم السياسي، من دون أن يمس المفهوم الديني بالإمامة.[٢]

وإضافة إلى أن ابن رشيد لم يتخذ لقب إمام تخوفاً من مفهومه الديني الذي التصق بأئمة آل سعود؛ تخوفه من استثارة الدولة العثمانية إذا ما صعَّدت مسألة اللقب، ورأت أن في ذلك خروج من محمد على الدولة العثمانية، خصوصاً وأن الدولة العثمانية كانت حساسةً من مسألة الألقاب، لا سيَّما وأن الشُبه كانت تثار باستمرار على محمد لدى الباب العالي، من قبل الولاة القريبين من حدود ابن رشيد. ويعطي دلالة على ذلك ما كان يثيره والي سوريا من أن ابن رشيد كان يتلقب بأمير المؤمنين بين قبائله، وأنه يأمر بقراءة اسمه بهذه الصفة على منابر الجُمع[٣]، وبطبيعة الحال أن أمراً من هذا لم يحدث، إذ لم يرد في مصادر تاريخ شبه الجزيرة العربية كافة، إضافة إلى أن ابن رشيد لم يجرؤ على لقب الإمامة، الخاص بأئمة آل سعود، فمن باب أولى ألا يتجرأ على لقب الخليفة العثماني، الذي كان من ألقابه أمير

(١) حسني: المصدر السابق، ص ١٤١.

(٢) كشك: المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٣) قورشون: المرجع السابق، ص ٢٤٢.

المؤمنين. إلا أن ما أورده والي سوريا؛ هو نتاج المشكلات السياسية والحدودية بينه ومحمد بن رشيد، والصراعات السياسية، لذا كان يحاول أن يشوه حكم ابن رشيد أمام الدولة العثمانية.

ومع ذلك لم تتخذ الدولة العثمانية أي إجراء تجاه هذه الوشاية من والي سوريا، ذلك لأنها كانت تعي تماماً الصراع الدائر بينه وابن رشيد، لذلك كانت تلجأ إلى أخذ رأي والي بغداد حول هذه القضية، الذي أكد أن ابن رشيد لم يتخذ هذا اللقب، خصوصاً وأن رعاياه يزورون العراق باستمرار، فلم يسمع أحدهم وهو يطلق عليه لقب أمير المؤمنين، إضافة لزيارة كثير من العراقيين للجبل، لم يسمعوا بهذا، إضافة إلى ذلك أن ابن رشيد كان دائماً ما يظهر ولاءه وخضوعه للدولة العثمانية.[1]

(١) نفسه.

• انتقال الحكم وولاية العهد:

لم يكن انتقال الحكم دقيقَا في الجبل(١)، أو أنه بمعنى أصح لم يكن يسير وفق تنظيم واضح، سوى أنه وراثيًا في نسل عبدالله بن رشيد، ذلك لأن المتتبع لتاريخ الجبل في عهد إمارة آل رشيد يجد أن ثمة أزمة متأصلة في مسألة انتقال الحكم، مع أن هنالك بعض الإشارات التي وردت في المصادر التاريخية تفيد إلى أن مؤسس الإمارة وضع قاعدة لانتقال الحكم، غير أن هذه القاعدة لم يتم العمل بها بشكل دقيق.

والقاعدة التي كان يفترض أن يُعمل بها في انتقال الحكم في الجبل، أن يكون الحكم وراثياً في أبناء أسرة آل رشيد، وتحديداً في نسل عبدالله ابن رشيد، إذ إن هذه هي القاعدة التي وصى بها عبدالله شقيقه عبيد، وأخذ منه المواثيق والعهود عليها، وأشار في وصيته ألا يتسلم الحكم أحد من آل رشيد لو لم يبقَ من ذريته سوى طفل واعد(٢)، وبالتالي فإنه من البديهي أن يضمن عبدالله في ذلك انتقال الحكم لابنه الأكبر طلال، ويأمن طمع أخيه عبيد في الحكم. وفي الوقت نفسه لم يضع مؤسس الإمارة ما يضمن انتقال السلطة بعد ابنه من دون مشكلات، غير أنه حدد الأمر في ذريته. لذلك يصف أحد المؤرخين نظام الحكم في إمارة الجبل بقوله: "بالنسبة لنظام الحكم فهو وراثي داخل أسرة آل رشيد، لكن الجلوس على العرش يكون فقط بالقدرة على القيام بالمسؤولية خير قيام لصالح الإمارة. ذلك يعني أن الحاكم يجب أن يكون عادلاً، حكيماً، محظوظاً، مراعياً مصالح بلده، وبالتالي مصالح أسرته يجب أن تعطى الأولوية القصوى، وإذا قصر الأمير في واجباته فسيتم استبداله بواحد من آل

---

(١)يعزو محمد الزعارير مؤلف كتاب إمارة آل رشيد في حائل عدم الوضوح إلى أمرين؛ أولهما: قلة المعلومات في مسألة نظام الحكم، والآخر: غموض المعلومات الواردة في المصادر التاريخية. وفي حقيقة الأمر أن هذا التعليل لم يكن دقيقاً، لأن المشكلة التي تطرأ في نظام الحكم تعود إلى المشكلات بين أفراد آل رشيد والصراعات الدائمة على كرسي الإمارة ما يجعل نظام الحكم ليس واضحاً؛ (الزعارير: المرجع السابق، ص ٩١).

(٢) العبيد: محمد العلي، **النجم اللامع للنوادر جامع**، مخطوطة محفوظة نسخة مصورة منها في مكتبة الأستاذ راشد بن عساكر، ص ١٩.

رشيد.وكلما نال الحاكم شعبية كبيرة وتأييداً من أفراد الأسرة الحاكمة كان موقفه مؤمناً، فإذا حدث له تدهور في شؤون الحكم حلَّ محله أحد أمراء آل رشيد"[1]، ومن خلال هذا القول؛ يتضح أن مسألة كون الحاكم من نسل عبدالله فإنه لا يضمن له البقاء في السلطة، إذ إن حكمه مرهون بالرضا الشعبي، وقبول كبار عائلة آل ر شيد عنه.

تؤكد كثير من المصادر والمراجع التاريخية أنه كان للمجلس العائلي في أسرة آل رشيد سلطة يخشاها الحاكم، فباستطاعة هذا المجلس أن يخلع الحاكم ويعين بدلاً عنه آخر، لكن حفاظاً على القاعدة الأساس التي وضعها مؤسس الإمارة؛ فإنهم يختارون واحداً من أبنائه كما في وصيته.[2]وحقيقةً أنه على الرغم من تكرار الحديث حول هذا المجلس العائلي؛ إلا أننا لم نقف على تنظيم يذكر هذا المجلس صراحةً، إلا ما يتعلق بالشعور الشعبي، والمتنفذين من الأسرة الذين كانوا يؤثرون بشكل مباشر في انتقال الحكم؛ مثل عبيد بن رشيد بعد وفاة عبدالله إذ كان له تدخل في سياسة الإمارة، ويؤثر في شؤونها، فحين قُتِل ابن أخيه متعب، على يد بندر الطلال، أقرَّ عبيد فعل بندر بالتزامه الطاعة، من دون أن يكون له موقف مما حدث، بل على العكس، حين قُتل متعب أجهز عبيد على وزيره علي القريشي، ما يعطي دلالة على أنه كان مؤيداً لما دبره بندر، كما كان له موقفٌ ضد وزير متعب، الذي مُكِّن على يد الحاكم من سياسة الإمارة وتحييد عبيد.[3] ويتضح من هذا الحدث أن عبيد لم يكن راغباً في حكم متعب، وربما أنه من شجَّع بندر على قتل عمه، وزيَّن له فعلته؛ الأمر الذي يعني أن عبيداً كان يمارس سلطته بشكل غير مباشر.

---

(1) Baran: op cit, p 60.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ج١، ترجمة: صبري محمد حسن، ص ص ٢٦٩-٢٧٠؛ الزعارير: المرجع السابق، ص ص ٩١-٩٢.

(٣) السكران: علي بن فهيد، **نبذة عن آل رشيد**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد الرابع، (د.م)، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ص ١٣٠-١٣١.

إذاً يتأثر الحاكم بالمتنفذين من أسرة آل رشيد، سواءً عبيد أو ابنه حمود من بعده، لأنهم كانوا يمارسون سلطتهم في الضغط غير المباشر، فإذا ما أراد الحاكم ضمان الهدوء الداخلي، خصوصاً في صفوف الأسرة الحاكمة؛ فإنه لا بد أن يضمن وقوف آل عبيد إلى جانبه. وهذا الأمر يجعل ملامح الحكم متأثرة بالأمراء الذين يتولون الإمارة، والمرحلة التاريخية، التي لا يحكمها ضابطٌ معين، خصوصاً وأن القاعدة الأساس في الحكم كُسرت فيما بعد، حين تولى آل عبيد الحكم بدلاً عن آل عبدالله، ذلك في فترة لاحقة لفترة الدراسة.

تُلمح بعض المصادر التاريخية إلى أن انتقال الحكم بعد عبدالله إلى طلال؛ كان على مضضٍ من عمه عبيد، حيث إن طلال كان يتمتع بشعبية واسعة في مجتمع الجبل، أكبر بكثير من عمه، ما جعل مسألة تولي طلال بشكل مباشر يسيرة.(1) ومن الواضح أن هذه الفكرة لم تكن دقيقة، إذ إن عبيد لم يكن طامعاً في الحكم، وإلا لما التزم بوصية أخيه، لكن في المقابل هذا لا ينفي رغبة عبيد في ممارسة سلطته التي كان يتمتع بها في عهد المؤسس، فقد كان ساعده الأيمن، لذا عمل طلال على الأمر نفسه، وجعل من عمه عماداً لحكمه، خصوصاً في مسألة قيادة الجيوش، حتى أن عبيداً لم يهدأ كثيراً في فترة حكم طلال، وربما أن هذا الإشغال جزء من سياسة طلال في إبعاد عبيد عن السياسة الداخلية للجبل. لكن حين تم تحييده في عهد متعب؛ نجد أنه يبارك قتله، ويتواءم وإيَّاه. ولعل تخوف محمد العبدالله من البقاء في الجبل بعد مقتل أخيه متعب(2)؛ يعطي دلالة على أنه كان يخشى أن يكون الدور عليه في التصفية، لتبقى الأمور لأبناء طلال من دون وريثٍ شرعي للحكم، وما كان محمد ليخشى بندر، بل في ما يبدو أن خشيته الأساس كانت من عمه عبيد، الذي بارك انقلاب بندر، وإذا ما كان محمد سيعمل على زعزعة الأمور فإن عبيداً قد يقف في وجهه، وقد يكون ذلك ما كان يفكر فيه محمد بعد هربه، خصوصاً أنه لم يعد إلى الجبل إلا بعد وفاة عمه

(1) بلغريف: المصدر السابق، ج1، ص 158.

(2) الحماد: المرجع السابق، ص ص 23-24.

عبيد، حيث كان بندر صيداً سهلاً له من دون عبيد، وقد وَرِثَ عبيد في سطوته ابنه حمود، الذي كان ساعداً لمحمد في ما بعد.

ولكي تتضح مسألة انتقال الحكم، وولاية العهد؛ نحتاج إلى عمل إحصائية بسيطة من خلال الجدول التالي:

الحاكم	فترة حكمه	ولي العهد	من خلفه فعلياً	طريقة انتقال الحكم
عبدالله بن علي (المؤسس)	١٢٥٠-١٢٦٣هـ	طلال بن عبدالله	نفسه	بمبايعة أهالي الجبل
طلال بن عبدالله	١٢٦٣-١٢٨٣هـ	متعب بن عبدالله	نفسه	بمبايعة أهالي الجبل
متعب بن عبدالله	١٢٨٣-١٢٨٥هـ	محمد بن عبدالله	بندر بن طلال	بقتل عمه الحاكم
بندر بن طلال	١٢٨٥-١٢٨٩هـ	لم يسمه	محمد بن عبدالله	بقتل ابن أخيه بندر
محمد بن عبدالله	١٢٨٩-١٣١٥هـ	عبدالعزيز بن متعب	نفسه	بمبايعة أهالي الجبل

من خلال الجدول؛ نلحظ أن الأزمةالسلالية في انتقال الحكم بدأت بعد طلال، كما يقول مايكل باران(١)، وأعطى تحليلاً قد يكون للوهلة الأولى منطقياً؛ حيث أشار إلى أن الأزمة نشأت نتيجة صراع تيارين؛ الأول يتزعمه كبار السن من آل رشيد ويرى تولي متعب الحكم خلفاً لطلال، والثاني يتزعمه الشبان وصغار السن من آل رشيد ويرى بندر بن طلال حاكماً خلفاً لوالده.(٢) لكن عطفاً على تتبع الأحداث؛ نجد أن متعب قد انتقل إليه الحكم بشكل منطقي، على اعتبار أنه الوريث لحكم والده من أخيه، إذا كان ولي عهد له،

(١) قدَّم رسالة دكتوراه بعنوان "إمارة آل رشيد في حائل" بجامعة متشقن عام ١٩٩٢م.

(2) Baran: op cit, p 79.

كما أن طلال لم يمُكّن ابنه بولاية العهد، وإلا لكان باستطاعته تغيير الأمور حسب إرادته، أما قضية الصراع بين كبار السن وصغار السن، فمن غير المعقول أن يؤيد عبيد قتل متعب أو يقف محايداً منه وهو الأكبر من بين آل رشيد في زمنه الذين كانوا يؤيدون تولي متعب، الأمر الذي يعني أن تعيين متعب لم يكن بهوى أي طرف، بل كان انتقالاً طبيعياً، ولو أن الأمر عاد إلى قرار عبيد لرفض انتقال الحكم لمتعب، وربما أن هذا ما شجَّع بندر على اغتيال عمه متعب. كما أن بندر كان يعمل على جذب عدد من الأتباع قبل القيام بفعلته.(1)

يبدو أن ما حدث من بندر تجاه عمه متعب؛ كان أول تبدُّل لانتقال الحكم سلمياً، حيث سنَّ حركة الانقلابات في تاريخ الإمارة، والوصول إلى كرسي الإمارة بسفك الدماء(2)، لذا كانت ردَّة الفعل عنيفة من الوريث الشرعي محمد حين أراد استرداد الحكم من بندر، والنتيجة أنه عمل على تصفية أبناء أخيه طلال كافة، عدا نايف الذي كان صغيراً في السن، ما يعني أنه كان يخشى أن تستمر مسألة سفك الدماء في الإمارة إذا ما بقي أحدهم على قيد الحياة، وبالتالي يعملون على التخطيط آجلاً أم عاجلاً إلى الثأر منه، أما نايف فقد عمل محمد على تقريبه وتربيته حتى لا ينشأ على الضغائن والأحقاد والثأر، وهكذا لم يبق عقبٌ لطلال إلا من نايف ابنه الوحيد الذي نجا من التصفية.(3) وكل ذلك حدث، وحمود بن عبيد الرشيد كان يسند محمد بكل قوته وسطوته التي ورثها من والده، ويبدو أنه كان مهندساً لما حدث من تصفية لآل طلال مع ابن عمه محمد؛ لذا كان يثق به محمد ثقة لا يمكن وصفها، ويسند له ما لا يسنده لغيره من مهام.(4)

---

(1) موزل: ألويس، **تاريخ بيت ابن رشيد**، مجلة العرب، الجزء السابع والثامن، السنة (10)، الرياض، محرم وصفر 1396هـ/ كانون2 وشباط 1976م، ص 566.

(2) نولده: المصدر السابق، ص 80.

(3) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ص 233-235.

(4) داوتي: المصدر السابق، المجلد الثاني، ج1، ص ص 27-28.

وعلى الرغم من البداية الدموية التي استهل بها محمد حكمه للإمارة؛ إلا أنه عمل على العودة بالحكم إلى ما بدأه من هدوء وتناغم بين أبناء آل رشيد[1]، ولعل حرصه على القضاء على أي تيار داخلي معارض، يعطي دلالة على ذلك، وبما أنه كان عقيماً لم يرزقه الله بمولود؛ فإنه اعتنى بابن أخيه عبدالعزيز بن متعب، الذي سلمه الإمارة من بعده.[2] لكن في ما يبدو أن محاولات محمد لإنهاء أزمة انتقال الحكم لولي العهد بشكل سلمي لم تدم طويلاً، حيث حكم طوال فترة إمارة آل رشيد ١٤ حاكماً، ٧ منهم قتلوا بمؤامرات الحكم[3]، وإثنان فقط ماتوا بشكل طبيعي؛ ما يعني أن الدموية كانت سمة لانتقال الحكم طوال تاريخ الإمارة.

(1) Baran: op cit, p 118.

(٢) نولده: المصدر السابق، ص ٩٢.

(٣) كشك: المرجع السابق، ص ٢٣٧.

• سياسة السلطة تجاه القرى والبلدان التابعة للجبل:

يتبع لجبل شمَّر عدد من القرى والبلدان، وعادة ورث الحكام هذه التبعية عطفاً على ما جرت العادة عليه منذ زمن طويل، باعتبار أن غالبية البلدان والقرى تنضوي تحت مظلة حائل، البلدة الأم، وعاصمة المنطقة، كما أن السواد الأعظم من هذه البلدان والقرى يغلب عليها أبناء قبيلة شمَّر، التي تحتل الزعامة السياسية في المنطقة، والتي تدين بالولاء لحكام حائل.أيضاً يتبع الجبل بلدان ومناطق بعيدة عن حدودها الإدار ية، منها تلك البلدان التي توسع على حسابها حكام الجبل باسم أئمة الدولة السعودية، سواءً الأولى أم الثانية. وفي الفترة التاريخية التي تناولناها؛ نجد أن الجبل توسع شمالاً وغرباً وجنوباً، وضم نجداً اكاملة تحت سيطرته، خصوصاً في فترة محمد بن عبدالله الرشيد.

لكن في الوقت نفسه لا يمكن حصر البلدان والقرى الخارجية، لأن التوسع مرهونٌ بقوة الجبل، متى ما كان مستقراً وقادراً على السيطرة، تبقى حدوده في حال اتساع، وإذا ما انتابه الضعف تحاول البلدان الأخرى التفلت من هذه السيطرة السياسية، كما كان يحدث مع الجوف وبلدان الشمال،كذلك خيبر غرباً وحتى حدود القصيم والرياض جنوباً . وعلى الرغم من ذلك كان حكام الجبل يصرون بشكل واضح على التوسع على حساب القوى السياسية الأخرى، حتى القبائل ومناطق وجودها اهتمت السلطة السياسية بانضوائها تحت مظلتها.(١) وفي وصف عام لسياسة الجبل وإدارته تجاه البلدان التابعة له؛ نجد أن السياسة الإدارية كانت جيدة إلى حدٍ كبير، كما ذكر لوريمر في دليله، حين تحدث عن إدارة الجبل إلى سنة ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م، وقد اعتبر هذه الفترة التي حددها فترة ازدهار للمنطقة، وهي ضمن فترة محمد الرشيد.(٢)

---

(١) فالين: المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٢) **دليل الخليج**، ج٦، ص ٢٢٤٦.

ومنذ تأسيس الإمارة وعبدالله بن رشيد يسعى إلى أن يكون حكمه محبوباً، خصوصاً في المناطق التي كان يضمها شمالاً [١]، وعمل على إيجاد نوع من الاتحاد بين القوى السياسية في البلدان والقوى القبلية غير المنتظمة، كي يوجد نوع من الشعور الوحدوي، الذي حرص على أن يكون راسخاً في الصورة الذهنية لدى التابعين له، بحيث يكون الحاكم في الجبل الرمز بالنسبة لهذه الحركة الوحدوية. كما انتهج حكام الجبل سياسة إدارية تجاه البلدان التابعة لهم شمالاً، تمثلت في شكلين؛ إما إعلان التبعية المطلقة للإمارة، أو دفع الزكاة عن طريق أشخاص يتم تعيينهم لجبايتها[٢]، وعادة ما يكونون من الجبل. وكثيراً ما استخدم حكام الجبل أسلوب السياسة اللامركزية في إدارتهم للمناطق البعيدة؛ حتى لا يتم التمرد السريع، أو أن يتم التعامل معهم على أنهم محتلون؛ وقد قام بذلك عبدالله بن رشيد حين تم ضم الجوف سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٨م، إذ لم يعين حاكماً من قبله عليها، أيضاً في فترة متأخرة من تاريخ الإمارة نجد أن تيماء كانت تدار من قبل أهلها.[٣]

لكن في ما يبدو أن هذه السياسة اللامركزية لم يكن يتعامل بها حكام الجبل باستمرار، لا سيَّما إذا ما أحسوا بعدم ارتياح للمناطق التابعة لهم، وأنها من المحتمل أن تتمرد، لذا كانوا يعمدون إلى تعيين أمراء من قبلهم، هذا كما حدث في عهد محمد العبدالله حين استدعى أمراء الوشم وسدير وغيرها من البلدان النجدية الأخرى في نهاية حكم الدولة السعودية الثانية، وعزلهم وعين بدلاً عنهم حكاماً من قبله، تكون تبعيتهم مطلقة بالنسبة له.[٤]

---

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٢.

(٢) ذكر الزعارير في كتابة مصطلح الجزية، في حين أن المتعارف عليه هو الزكاة، ولم يكن حكام الجبل يستخدموا هذا المصطلح، إذ دائماً ما كانوا يؤكدون على مسألة الزكاة؛ (نفسه، ص ٩٤).

(٣) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٣.

(٤) الذكير: المصدر السابق، ص ٢٧٣.

وكان من دور الحكام الذين يتم تعيينهم من قبل الجبل على البلدان؛ تمثيل قوة ابن رشيد رسمياً، خصوصاً أمام السكان والقبائل المجاورة، أيضاً يحق له إعلان الحرب متى رأى الضرورة لها، إضافةً إلى النظر في قضايا الناس، وإذا كانت البلدة التي يحكمها ذات حدود واسعة، واضطر إلى تعيين حكام تابعين له، فإنه يفعل.(١)

وكلما اتسعت حدود الإمارة؛ حاول الحكام ربط أنفسهم بعلاقات واسعة مع الكيانات السياسية المجاورة لها، أو التي تليها، حتى وصل الأمر إلى أن أصبح للجبل حدوداً مباشرة مع والي العراق العثماني، ووالي الشام، وولاة الحجاز، لذا تم الحرص على تعيين وكلاء يمثلون الإمارة في بعض هذه الولايات.(٢) وكانوا يحرصون أيضاً على تتبع أخبار الولايات القريبة، لأنهم يؤمنون بأن حدود الجبل حتماً ستتأثر بما تتأثر به المناطق القريبة منهم.(٣)

---

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٢.

(٢) نفسه، ص ٩٣.

(٣) نسخ لرسالة من حسن الدخيل إلى طلال الرشيد، مؤرخة في ١٢٧٨هـ/١٨٦٢م؛ يصف فيها أحوال الحجاز عامة، ومكة على وجه الخصوص بعد أن حلّ بها السيل وغرق الناس، وهدمت البيوت، والرسالة المنسوخة محفوظ صورة منها لدى الباحث حسن الرديعان بحائل.

- **النظرة الشعبية لحكام إمارة الجبل:**

كان مؤسس الإمارة وشقيقه عبيد يتمتعان بشعبية واسعة بين أهالي الجبل، حتى قبل بدء إمارتهم، ومن أكثر الأمور التي استثارت آخر حكام آل علي صالح بن عبدالمحسن؛ اتساع شعبية أبناء علي بن رشيد، ويذهب بعض المؤرخين إلى القول أن أهالي الجبل في ذلك الوقت انقسموا بين ابن علي وعبدالله وشقيقه في ولائهم، ولشدة ولاء مريدي آل رشيد لهم؛ كانوا يتابعون أخبار عبدالله بعد خروجه من حائل، ويتحينون فرصة عودته.[١]

وبعد أن أسس عبدالله إمارته في الجبل؛ حاول أن ينتهج سياسة مصادقة أعدائه، وعلى رأسهم أسرة الحكام السابقين من آل علي[٢]، ذلك كي يكسب ما تبقى من الموالين لهم من أهالي الجبل، فسعى إلى قضاء حاجات الناس والتقرب منهم بشكل كبير[٣]، وفي الوقت نفسه سعى إلى البطش بكل قوة على من كان يكتشف تآمره عليه.[٤] وبذلك قام عبدالله بتكوين نظرة شعبية عامة؛ جعلت من الكثيرين يفضلون التصالح معه ومع إمارته الجديدة، ومع الوقت أصبح لآل رشيد في الجبل شعبية عامة، ازدادت مع الوقت، خصوصاً بعد أن تصالح عبدالله مع معارضيه من شيوخ قبيلة شمَّر.

كما انتهج عبدالله سياسة جديدة على الأهالي؛ وهي حرصه على عقد مجلس للعامة أمام المسجد بشكل يومي، للنظر في شكاواهم ومظالمهم، والقضاء بينهم، وقد سار على هذه السياسة أمراء الجبل بعده[٥]، ومما زاد من شعبية عبدالله وأبنائه من بعده؛ أنهم كانوا

(1) Musil: Alois, Northern Negd, New York, Strauss Offsetdruck, first edition, 1928, p 237.
(2) Baran: op cit, p 47.
(٣) فالين: جورج أوغست، **رحلات فالين إلى جزيرة العرب**، ترجمة: سمير سليم شلبي، مراجعة: يوسف إبراهيم يزبك، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٤٠.
(٤) نفسه، ص ١٤١.
(٥) غوارماني: المصدر السابق، ص ص ٧٨-٧٩.

شديدي الحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية إلى حد ٍ كبير، ذلك باعتبار أن الإمارة تابعة للدولة السعودية الثانية، التي تشدد بشكل مستمر على تطبيق الشريعة في سياستها وسياسة الإمارات التابعة لها.(١) كل ذلك جعل من هيبة الإمارة ترتفع، لكن هذه الهيبة لم تسر بشكل مثالي في تاريخ الإمارة كافة، إذ إن هذه المسألة تتفاوت حسب من يتولى الإمارة، أما المؤسس فقد هابه الناس لما يتمتع به من صفات شخصية قيادية، قريباً ممن يتبعه، قاسياً على من يعاديه.(٢) وربما أن القسوة هي ما جعل هيبة عبدالله تستقر في نفوس الناس، لكن بعد أن حكم بعده ابنيه طلال ومتعب؛ فإن حالاً من الغليان كانت ثائرة ضدهما، على الرغم من أنهما أكثر ليناً من والدهما، لكن ما كان يذكر الناس بهيبة عبدالله؛ وجود شقيقه عبيد في عهد طلال ومتعب، الذي كان يتمتع بسطوة حتى في قلوب العامة.(٣)

ومن سياسة الإمارة في كسب الناس بالترغيب والترهيب؛ أن نظامها في الحكم يتراوح حسب الموقف؛ حيث إذا لزم الأمر أصبح الحكم مركزيّاً ، وإن رأت الإمارة اللامركزية فهي تعمل بها، وربما أن تعيين الولاة على البلدان التابعة للجبل؛ تعطي خير مثال على ذلك، فمثلاً حين ضم طلال بن عبدالله خيبر سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م عين ّ لها حاكماً من أهالي حائل، لعدم ثقة طلال بولاء أهالي خيبر، أيضاً فعل الأمر نفسه حين أكمل ضم الجوف، بعد أن عين ّ حاكماً من أهالي حائل يساعده ثلاثة من أهالي الجوف، وفي عهد محمد بن عبدالله حين ضخم عين ّ كثيراً من حكام البلدان من أهاليها.(٤)

نجد في المحصلة أن آل رشيد كانوا يتمتعون بشعبية واسعة وكبيرة بين أهالي الجبل، بينما أن الأمر يختلف في البلدان التي كانت تتوسع على حسابها الإمارة، إذ إن كثيراً من البلدان كانت تنظر لتبعيتها لإمارة الجبل تعالياً خصوصاً إذا ما كان الأمر يتعلق بدفع الزكاة، التي

---

(1) Baran: op cit, p 60.

(٢) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٣) نفسه، ص ١٠٤.

(٤) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٣.

كان يحرص عليها حكام الجبل، على اعتبار أنها الاعتراف الرسمي بالتبعية. لذلك كانت سيطرة الجبل على الجوف وخيبر وبعض البلدان الأخرى يعتريها بعض القلاقل، فالنظرة الشعبية في هذه البلدان كانت ضد السيطرة من الجبل، لكنها كانت ترضخ لقوة الإمارة وسطوتها.

• أهم الوظائف الإدارية في الجبل:

لم يكن التنظيم الإداري في جبل شمَّر كبقية البلدان والكيانات السياسية الأخرى، خصوصاً وأن الحكومة تلتف حول الحاكم على اعتبار أنه الرجل الوحيد الذي يمثل السلطة العليا القضائية والتشريعية والتنفيذية، كما أن القرارات العليا كافة في يده.[١] وربما أن هذا ما يؤكد أوتوقراطية الحكم في الجبل ومركزيته، ويؤكد أن البيئة العامة كانت تتوافق وهذا التنظيم، لا سيَّما وإن كانت قوة ناشئة؛ يحتاج فيها الحكام تثبيت أركانهم وقوتهم، وفرض وجودهم بين العامة.

وفي بداية حكم الإمارة أيضاً؛ لم يستطع عبدالله بن رشيد الاعتماد على أحدٍ كشقيقه عبيد، الذي كان يعد وزيره الأول، ونائبه، ذلك للحذر الشديد الذي كان يتعامل به عبدالله مع أهالي الجبل في بداية حكمه، تخوفاً من أي حالةِ غدرٍ قد تتم بشكل مفاجئ، لذلك عمد إلى تقريب حوالي ٢٠ جندياً مصرياً إليه، من أولئك الذي فروا بأسلحتهم من قوات محمد علي باشا الغازية للدولة السعودية الثانية.[٢] ولعله من المنطقي أن يعمد عبدالله في البداية إلى الحذر، ومحاولة الاعتماد على عناصر أجنبية من خارج الجبل، تدين بولائها إلى المقابل المادي كمرتزقة، حتى يضمن عبدالله الولاء بشكل كامل. ومن باب أولى أن يتعامل أيضاً مع الوظائف الإدارية بالأمر نفسه، بحيث لا يثق في إعطاء الوظائف ولا المناصب بشكل سريع، لكن لم يطل ذلك الأمر، إذ إنه شيئاً فشيئاً بعد أن ازدادت الثقة لدى عبدالله بأهالي الجبل وولائهم، بدأ يوزع المهام، ويعتمد على العنصر المحلي في العمليات العسكرية، إضافة إلى العنصر الأجنبي المتمثل بالجنود المصريين، كذلك الأمر نفسه في ما يتعلق بمسألة الوظائف الإدارية.

---

(1) Baran: op cit, p 59.
(2) Musil: op cit, p 238.

يأتى أيضاً الموالي كعنصر مهم جداً اعتمد عليه عبدالله في بداية حكمه، إذ إن مجموعات الزنوج من المولي الذين يملكهم كانوا يتمتعون بثقة عالية من قبل الحاكم، باعتبار أن كثيراً منهم تربى وولد في بيوت آل رشيد، كما أنهم كانوا يعتبرون إخوة للإمراء، إضافة إلى ما يتمتع به هؤلاء الزنوج من قوة بدنية وإخلاص متناهي لسيدهم، يصل إلى الطاعة العمياء، لذلك كانوا يُكلفون بعدد من المناصب الإدارية المهمة في الإمارة.(١)

وبعد الانتهاء من مرحلة التأسيس والحذر التي بدأت بها إمارة الجبل؛ ظهر نوعان من الموظفين في الإمارة:

١. الموظفون غير الرسميين:

وكان هؤلاء من أبناء أسرة آل رشيد، الذين يعدون أبرز أدوات الأمير في حربه وسلمه، ويتسلمون النيابة عنه إذا ما اضطر للإنابة بدلاً عنه، ويأتي في مقدمتهم آل عبيد، حيث كان عبيد ساعد أخيه عبدالله، وابن أخيه طلال.(٢) ومن ثم انقطع أثر آل عبيد في عهدي متعب وبندر، فأعاده محمد حين قرَّب ابن عمه حمود العبيد، الذي قام بدور والده في التأسيس، خصوصاً في مسألة النيابة على الإمارةأيضاً كان الاعتماد على آل جبر من آل رشيد وآل سبهان(٣)، وجزء كبير من أهالي لبدة.(٤)

وعند الحديث عن أثر آل عبيد في تاريخ الإمارة؛ نجد أنهم في البداية ارتضوا ما كانوا يقومون به في مسألة النيابة، وتولي المهام الكبيرة من دون توليالحكم، لكن في الوقت نفسه

---

(١) فالين: **رحلات**... المصدر السابق، ص ص ١٤٠-١٤١.

(2) Baran: op cit, p 61.

(٣) آل سبهان: يعود نسب آل سبهان إلى الراشد من القوعة من عبدة من شمر، وهم من الفرع الذي ينتمي إليه آل رشيد، وقد كان لهم أثر بارز في فترة حكم آل رشيد في حائل؛ (القويعي: **أقوال ومسائل**... المرجع السابق، ص ١٤٦).

(٤) الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٣.

كان عبيد وابنه حمود من بعده يمارسون سلطة توازي سلطة الحاكم نفسه، وقد تفوقه في بعض الأحيان، خصوصاً في تلك الأمور التي تتعلق بمسألة الحرب والقتال والمعارك التي كان عبيد يتولاها، سواء في عهد عبدالله أو طلال من بعده، أيضاً حمود الذي اعتقد تشارلز داوتي[1] أنه ولياً لعهد محمد، على الرغم من أن آل عبيد لم يسمح لهم لا بالحكم ولا ولاية العهد، لكن للسطوة التي كان يتمتع بها حمود، وللأبهة التي كان يعيشها، وقد توازي أبهة الحاكم أو تفوق؛ نجد أن الأمور اختلطت على داوتي في البداية، خصوصاً وأنه كان يسمى بالشيخ الكبير كما ذكر داوتي بقوله: "استدعاني خدم الأمير لمقابلة شخص يطلقون عليه اسم الشيخ الكبير، سألتهم من هو ذلك الشيخ الكبير، وأجابوني إنه الأمير، وعليه أوصلوني إلى دار كانت قريبة من بيتي، وكانوا يطلقون عليها اسم قهوة عبيد"[2]، وقد أقر أيضاً ولاية عهد حمود لمحمد من دون أن يعلم أن ولي العهد هو عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله، وذلك بقوله: "كان حمود قد أقسم لابن عمه الأمير يميناً، بأن يعيش معه ويموت معه أيضاً، كان والديهما شقيقين، ونظراً لعدم وجود أي أحد من بيت آل رشيد لتولي ولاية العهد، فإن حموداً سيصبح هو الأمير من بعد الأمير محمد بن رشيد وحمود هو رفيق الأمير اليومي في كل ما يتعلق بالأعمال الاستشارية اليومية"[3]، ولم يكن قول داوتي هذا إلا نتيجة لما كان يراه، ومن غير المنطقي أن يكون قد استقى استنتاجاته هذه من معلومات حصل عليها، بل مما شاهده من سطوة ونفوذ لحمود، ما يعني أن حموداً ومن قبله والده؛ كانا يتمتعان بقوة وسيطرة توحي بأهليتهم للحكم، في حين أن نظام الحكم لا يجيز لآل عبيد تولي الإمارة.

---

(١) تشارلز مونتيجيو داوتي: يعد من أحد أهم الرحالة الذين زاروا شبه الجزيرة العربية، وقد أعطى معلومات تاريخية مهمة للغاية للفترة التي زار الجزيرة العربية فيها، ولتلك المناطق التي زارها، ومن ضمنها حائل والحجاز والقصيم وشمال الجزيرة العربية، وانتهت رحلاته في شبه الجزيرة العربية عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م؛ (البادي: المرجع السابق، ص ص ٢٣٩-٢٤٠).

(٢) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٤٢.

(٣) نفسه.

أيضاً بقية أمراء آل رشيد كانوا يتمتعون بسطوة وأبهة ونفوذ، لكن لا تصل لمن هم أكبر منهم سناً، لكنهم في الوقت نفسه يكلفون بمهام لا يكلف بها إلا أبناء آل رشيد، وغالباً ما تكون هذه المهام داخلية، بمعنى أنهم لم يكونوا يعطون مهاماً خارجية، كالولاية على البلدان التابعة للجبل، عدا أفراد بعض الأسر المهمة التي اعتمد عليها آل رشيد في إدارة الحكم مثل آل سبهان وبعض الأسر في لبدة.[١]

٢. الموظفون الرسميون:

اعتمد أمراء آل رشيد على مجموعة من الأسر في الجبل، خصوصاً تلك التي لها مكانة لدى الأسرة الحاكمة، وعلى رأسهم -كما مر معنا – أسرة آل سبهان، كذلك عدد من الأسر في الجبل، خصوصاً الأسر المتحضرة، ولم تكن الوظائف الرسمية كثيرة في التنظيم الإداري في الجبل، إضافة إلى أنها لم تأخذ أسماءً واضحة، وأبرز تلك الوظائف:

أ. أمير الحاج:

كانت وظيفة أمير الحاج مهمة إلى درجة كبيرة، ذلك لما يمثله موقع الجبل من أهمية على طريق الحاج العراقي والفارسي، ولما يمنحه هذا الطريق من بعد سياسي واقتصادي وديني للمنطقة، لذلك كانت الإمارة تولي إمارة الحاج لمن تثق بهم، وغالباً ما يكون أمير الحاج من أمراء آل رشيد. وفي أواخر عهد آل علي في الجبل، كان عبدالله بن رشيد وشقيقه عبيد يرافقان حملات الحج والقوافل التجارية القادمة من العراق، ذلك لما يتمتعان به من نفوذ وسطوة قبل توليهما الحكم[٢]، وبعد تولي آل رشيد الحكم في الجبل استمر اهتمامهم في طريق الحاج، وتولية أهل الثقة، وقد تولى هذا المنصب في عهد طلال بن عبدالله شقيقه متعب، وفي عهد بندر الطلال تولاه محمد بن عبدالله بن رشيد، وفي عهد محمد تولى أمير الحاج أحد الثقاة من أهالي

---

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٣.

(2) Musil: op cit, p 237.

مغيضة عبدالرحمن السعيد.[1] وكان دور أمير الحاج يتركز في مسألة قيادة وتأمين قوافل الحج.

ب. الوزير:

عرف الجبل اسم وزير أول مرة في عهد متعب العبدالله، ذلك بعد أن عينّ علي القريشي[2]وزيراً له، وحين تولى القريشي حدَّ من نفوذ عبيد بن رشيد.كما عُرفت أسرة آل عتيق في الجبل بتسلم الوزارة، حيث يطلق عليهم اسم الوزراء، وقد تولوا منصب الوزارة في عهد طلال العبدالله ومحمد العبدالله وعبدالعزيز المتعب[3]، وقد اشتهر منهم ناصر بن محمد بن عتيق في عهد محمد العبدالله، الذي ذكر المارك في كتابه أنه كان رئيس ديوان الأمير وأمين سره.[4] كانت الوزارة تختلف بين ما كان معروفاً في الجبل بين العوام، وما كان يذكره الرحالة من وصف للوزارة حسب ما كانوا يشاهدونه ويدونونه، حيث يذكر أن هناك رئيس الوزراء وهو الوزير الأوحد في الإمارة وأمين الخزانة.[5]وليس من المنطقي أن يكون هنالك منصب باسم رئيس الوزراء، كما وصف باران أو غيره من الرحالة، غير أنهم ذكروا ذلك تجاوزاً لأهميته، وسلطته الواسعة، وحسب ما كان سارياً في بلدانهم. كما أشير إلى الوزير الأوحد الذي يمثل رئيس الوزراء ووزير المالية في الوقت نفسه في أكثر من مصدر تاريخي، خصوصاً من الرحالة الذي زاروا الجبل، ومن هؤلاء وليام بلغريف[6]، الذي تحدث عن دور رئيس

---

(١) رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الاثنين ١٤٣١/٩/٢٠هـ.

(٢) يعرف علي القريشي باسم عليوي أبو كريشان، وهو الذي قتله عبيد بن رشيد بعد أن تم اغتيال متعب العبدالله على يد ابن أخيه بندر؛ (ابن رشيد: المصدر السابق، ص ١٨٢).

(٣) رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الاثنين ١٤٣١/٩/٢٠هـ.

(٤) المارك: المرجع السابق، ج٣، ص ١٩٤.

(5) Baran: op cit, p 61.

(٦)يعد وليام جيفورد بلغريف من الرحالة البارزين الذين زاروا شبه الجزيرة العربية، وهو بريطاني جاء إلى الجزيرة العربية خدمة لنابليون الثالث في فرنسا، وقد كان هدف رحلته سياسي، للتعرف على الوضع السياسي العام في عصر=

الوزراء والوزير الأوحد ووزير الخزانة، الذي يمثله رجل واحد، وهو زامل بن سبهان[1]، حيث يقول بلغريف عنه: "زامل، وزير الخزانة ورئيس الوزراء، بل الوزير الأوحد، لهذا الحاكم المطلق"[2] وقد وصل زامل إلى مرتبة تلي طلال إدارياً، حيث قربه الحاكم إليه عطفاً على ما كان يتمتع به هذا الوزير من ثقة عالية من قبله.[3] في ما يبدو أن القريشي كان يشغل منصب الوزير حقيقة في عهد متعب، لكن أسرة آل عتيق ربما أخذت اسم الوزارة محلياً، لكن إذا ما قورن الأمر بممارسة مهام الوزارة؛ فإنه من غير الطبيعي أن يتداخل زامل بن سبهان وأحد أفراد أسرة آل عتيق في المنصب نفسه في عهد طلال العبدالله، كما ذكرت رواية أحمد العريفي. وربما أن أسرة آل عتيق أخذت وصف الوزارة في فترة متأخرة، بعد أن تولاها ناصر العتيق بشكل واضح في عهد محمد العبدالله، وحسب الناس أن ناصر تولى الخدمة امتداداً لمن سبقه من أسرته، فوصفوا بالوزارة. وبذلك يكون الوزراء في فترة دراستنا كالتالي:

الحاكم	الوزير
عبدالله بن رشيد	زامل بن سبهان
طلال بن عبدالله بن رشيد	زامل بن سبهان
متعب بن عبدالله بن رشيد	علي القريشي
بندر بن طلال	لم نقف على اسمه في ما بين أيدينا من مصادر
محمد بن عبدالله بن رشيد	ناصر المحمد العتيق

=الدولة السعودية الثانية، وقد زار الجبل والرياض عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م؛ (البادي: المرجع السابق، ص ص ١١١-١١٤).

(١) زامل بن سبهان بن حمد، أحد أشهر أفراد أسرة آل سبهان، وقد شارك في تأسيس إمارة آل رشيد، وشغل منصب الوزير الأوحد في عهدي عبدالله وطلال.

(٢) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٣٩.

(٣) نفسه.

ت.رجل المضيَّف:

يسمى في الجبل باللهجة المحلية المضايفي، وهو المسؤول عن شؤون المضيف الخاص بالأمير، وأبرز من اشتهر بهذه الوظيفة كان في عهد محمد العبدالله واسمه مفرِّج، وقد قال عنه داوتي: "المسؤول عن صالة الضيافة عند الأمير، وهو من خارج حائل مثل سائر أؤلئك الذين يقدمون على خدمة الأمير في حائل. كان ذلك الرجل من بلدة عنيزة في القصيم، التي هجرها على أثر مغامرة مريعة فاشلة"[(١)]، أيضاً هو من يشغل منصب السكرتير للأمير، وهو المسؤول عن زياراته واستقبال طلبات المقابلة، وتنظيم خروجه ودخوله، لكن يجري عليه ما يجري على غيره من المناصب التي لم تأخذ الاسم صراحة، وقد ذكر داوتي أنه قبل أن يلتقي محمد بن رشيد التقى السكرتير: "عندما ظهر مفرج عدنا إلى القهوة، قد أصبحت جاهزة. ودخل علينا شاب يلبس ملابسملة مصنوعة من الحرير، وراح ذلك الشاب يطرح عليّ بعض الأسئلة. كان ذلك الشاب سكرتيراً للأمير".[(٢)]كما تولى وظيفة رجل المضيف بعد مفرِّج سليمان الغضبان من أهل لبدة[(٣)]، وقد تطور منصب رجل المضيف حتى أصبح أحد أكثر المتنفذين في الإمارة.[(٤)]

ث. رجال الأمير:

هم الرجال الذين يعتمد عليهم الحاكم، ويكونون حوله بشكل مستمر، وقد أطلق على فئة خاصة منهم رجاجيل الشيوخ[(٥)]، ويعد رجال الأمير هم كبار المقربين إلى

---

(١) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٣١.

(٢) نفسه، ص ٤٣٢.

(٣) رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الاثنين ١٤٣١/٩/٢٠هـ.

(٤) الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٥) رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الاثنين ١٤٣١/٩/٢٠هـ.

الحاكم، ويتمتعون بثقته، لذا كانوا كبار الموظفين والقادة، والقائمين على أمور القصر، ويكلف غالبيتهم بترأس مختلف أجهزة الإمارة الإدارية، كما كان الأمير يختار منهم الولاة على البلدان التابعة لإمارته.(١) وقد أوردهم أحمد العريفي برواية شفوية مرتبين حسب أحرف المعجم كالتالي(٢):

- رجال الأمير في عهد عبدالله بن رشيد:

١. إبراهيم العبيد النزهة.

٢. إبراهيم الموسى المجراد.

٣. جراد الجراد.

٤. حسن العبيد النزهة.

٥. حمود بن عقلا العقلا.

٦. زامل السبهان.

٧. زيد بن سلامة الخشيم.

٨. الشويعر (حمد أو ناصر).

٩. عقيل بن محمد القبالي.

١٠. عبدالله بن حسن العريفي، الملقب بعَ نُّوف.

١١. عيادة بن رخيص، وهو أكبر رجال الأمير.

١٢. محمد البراهيم العتيق.

١٣. فهيد النَّعام.

- رجال طلال بن عبدالله، ومن أدرك من السابقين في عهد والده أبقاهم في مكانهم، وزاد فيهم:

١٤. حمود الصالح الزيد.

---

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الاثنين ١٤٣١/٩/٢٠هـ، وقد ذكر أنهم برواية الشيخ متعب السبهان عن والده الشيخ فهد العريفي رحمهما الله، كما أورد الشيخ محمد السلمان أحد أسماء رجال الأمير.

١٥. سليمان المبارك القريشي.

١٦. صالح العيادة بن رخيص.

١٧. علي البراهيم المجراد.

١٨. فهّاد العيادة بن رخيص.

١٩. يوسف المحمد العتيق.

٢٠. عنيبر، وهو أحد موالي الرشيد، وكان له شأنٌ ومكانه.

- أبقى متعب بن عبدالله جميع الرجال السابقين في عهد أخيه طلال، وزاد عليهم:

٢١. علي القريشي، المسمى عليوي أبو كريشان.

- أيضاً بندر بن طلال، لم نتحصل في عهده سوى على اسم واحد، وهو:

٢٢. صالح البراهيم الموسى المجراد، الذي كان له قصة معروفة خلال حصار أبناء طلال من قبل عمهم محمد، الذي أثبت فيها ولاءه لأبناء طلال، حتى بعد أن تولى الحكم محمد العبدالله.[1]

- ومن رجال محمد العبدالله:

٢٣. حمود البراهيم المجراد.

٢٤. حمود الصالح الزيد، متقدم ذكره في عهد طلال.

٢٥. سالم العلي السبهان.

٢٦. سعد الحازمي.

٢٧. سليمان المبارك القريشي، وكان خالاً لمحمد العبدالله، أخاً لأمه من الأم.

٢٨. صالح العيادة بن رخيص، متقدم ذكره في عهد طلال.

٢٩. عبدالرحمن الضبعان.

٣٠. علي البراهيم المجراد، متقدم ذكره في عهد طلال.

---

(١) المارك: المرجع السابق، ج١، ص ص ١٢١-١٢٣.

٣١. علي الصميع.

٣٢. عبدالله بن حسن العريفي، عنُّوف، متقدم ذكره في عهد عبدالله بن رشيد.

٣٣. يوسف المحمد العتيق، متقدم ذكره في عهد طلال.

ج. الكاتب الخاص:

وكان منصب الكاتب من أهم المناصب في إمارة الجبل، حتى أن الكاتب يعد من أكثر المتنفذين في الإمارة[(١)] وهو من يتولى كتابة رسائل الأمير، وقد عُرف في الجبل وبقية مناطق نجد باسم الكيتب، وممن تولوا منصب الكاتب الخاص ناصر المحمد العتيق في عهد محمد العبدالله.[(٢)]

كانت هنالك بعض الوظائف الرسمية الأخرى، مثل الوكيل، وهو وكيل الأمير في الولايات البعيدة عن الإمارة، مثل الوكيل في المدينة المنورة وفي البصرة واستانبول، أيضاً ما يسمى بالمنصوب، وهو من ينصب أميراً على بلدة تابعة للإمارة، وهذا ما يدخل في الولاة، كذلك العمّال، وهم جباة الزكاة، وقد ذُكر منهم: عثمان بن عبدالله الكعيك من أهل مغيضة، ومحمد بن ليلى من أهل مغيضة أيضاً، وجراد الجراد.

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الاثنين ١٤٣١/٩/٢٠هـ.

• نواب الأمير:

أخذت إنابة الأمير في الجبل أشكالاً عدة، حيث ينيب الأمير من يقوم عنه بقيادة الجيش في المعارك التي تخوضها الإمارة، كذلك في المهام الخارجية، مثل الإنابة في تقديم فروض الطاعة والولاء للدولة السعودية الثانية، أيضاً النيابة في تولي أمور الإمارة في حال غيابه وخروجه في معركة أو مهمة معينة تستوجب ذلك.

لم يكن هنالك ضابط في اختيار الأمير لمن ينيب عنه في المهام التي يكلفه بها، حيث يعود ذلك إلى ما يراه الأمير، ففي عهد مؤسس الإمارة عبدالله مثلاً؛ كان ينيب في غالب الأحيان شقيقه عبيد، إذ أنابه في بداية تأسيسه الإمارة، حيث خرج عبدالله من الجبل إلى الرياض، وفي مثل هذه الحال لا بد أن يترك من يسير أمور الإمارة، خصوصاً أنها كانت في بدايتها، لذا كان عبيد الرجل الأكثر ولاءاً وثقةً، وقد حدث ما كان يتخوف منه عبدالله عند خروجه، إذ كشف عبيد تنظيماً داخلياً يخطط للإطاحة بعبدالله من قبل مجموعة من الموالين للحكام السابقين من آل علي، وقد قضى على حركتهم عبيد قبل أن يحرزوا أيَّ نتيجة.[1] كما كان عبدالله ينيب عبيد في جميع الأعمال التي من المفترض أن يقوم بها هو؛ منها المعارك التي تشارك فيها الإمارة، وقد قاد عبيد أغلب معارك الإمارة خلال فترة حكم عبدالله[2]، وكان ينوب عنه في اتخاذ القرارات الحاسمة الخاصة بالتوسع العسكري.[3]

أيضاً لم تقتصر أعمال عبيد في الإنابة فقط بما كان يكلف به من مهام رسمية من قبل الحاكم، بل إنه كان ينوب عن الأمير والحاكم في توجيه النصح للرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خصوصاً لتلك البلدان والقرى القريبة من الجبل، ومن ذلك رسالة عبيد

---

(١) رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الجمعة ١٤٣١/١/٨هـ.

(٢) الذكير: المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٣) الرشيد: المرجع السابق، ص ٦٩.

إلى أهل المستجدَّة التي يأمرهم فيها بتقوى الله، ومراعاته في التعامل فيما بينهم، لا سيَّما بعد ما بلغه من شُحٍّ في مياه البلدة.(١)

وفي ما يبدو أن عبيد بن رشيد كان يقوم بأعمال عدَّة من المفترض أن تكون من مهام الحاكم، لكن الواضح أن عبدالله أعطى عبيد هذا الحق، وفي الوقت نفسه نجد أن هذا الأمر يتم الحد منه في عهد طلال بن عبدالله، وليس بالشكل الواضح أو المباشر، بل كان بطريقة تحفظ لعبيد وقاره ومكانته، كما فعل طلال في الجيش الذي أرسله بقيادة عمه عبيد إلى خيبر، حيث أرسل معه أخاه متعب، كي يحد من البطش المتوقع الذي من الممكن أن يحدثه عبيد، وبذلك تكون هذه الحادثة كنوع من الإشارة إلى عبيد، أن الحاكم لا يوافق تصرفاته كافة.(٢)

في عهد طلال لم تكن الأمور تسير كما كانت في عهد والده، خصوصاً ما يتعلق بسطوة عمه عبيد، لأن طلال انتهج سياسة تقريب الأعيان وكبار السن، بحيث يكسب الرأي العام لصالحه، ويسحب البساط من تحت عمه، لذلك عمد إلى إشغاله بالحروب وقيادة الجيوش، حتى يتفرغ هو للسياسة الداخلية، وتقوية موقفه وأخيه متعب داخلياً .(٣)

وربما أن هذا يتناقض مع ما أوردته آن بلنت في رحلتها، حيث ذكرت أن عبيداً لم يكن يوماً أميراً للجبل بشكل رسمي، غير أنه عقب وفاة أخيه تولى عملياً إدارة دفة الحكم في البلاد.(٤) وبلنت هنا قالت ما قالته عطفاً على ما كانت تتصوره عن عبيد من جبروت وقوة، وما كانت تسمعه من أعمال قام بها، لكنه في الوقت نفسه لم يكن يتمتع بما كان يتمتع به

---

(١) **مكتبة آل بنيان بحائل**: رسالة من عبيد بن رشيد إلى سالم العمر وعلي بن ربيعان وأهل المستجدَّة، غير مؤرخة، نقلها من أصلها الشيخ علي الصالح السالم بتاريخ ١٣٧٨/١١/١٤هـ.

(٢) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٥٩.

(٣) نفسه، ص ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٤) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٣١.

في عهد شقيقه، لأن طلال كان يعي أن هنالك رجل آخر لا بد أن يهيأ لمسألة ولاية العهد، لذلك يجب أن يكلف بمهام الإنابة والقيادة السياسية بدلاً من عبيد، كذلك كان يقوم مع أخيه الآخر محمد، حيث اعتاد طلال ومن بعده متعب إنابة محمد في تقديم الهدايا وتجديد الولاء للدولة السعودية الثانية.[1] لكن بقي دور عبيد في القيام بمهام الأمير في المعارك، لكن أيضاً في عهد متعب قلّ نفوذه أكثر مما كان في عهدي عبدالله وطلال، وقد لحظ عبيد تغير سياسة ابن أخيه تجاهه، وربما أن متعب قام بذلك لتقدم عبيد في السن في عهده.

في عهد محمد العبدالله عادت سطوة آل عبيد مرة أخرى؛ بابن عمه حمود العبيد، ويجعله يقوم بما كان يكلف به عبيد في عهد عبدالله وطلال، ذلك لأن حمود كان الساعد الأيمن لمحمد في توليه الحكم، ويعد المستشار الأول له، كما أن محمد لم يكن لديه من آل عبدالله من كان في سنٍ تجعله يعتمد عليه، لذلك لم يكن أمامه سوى حمود، الذي أثبت حسن نيته وقوة ولائه للحاكم. هذا ما جعل أثر آل عبيد ينهض مرة أخرى، ويعود لما كان عليه من نفوذ في السابق، خصوصاً في مسألة نيابة الأمير، ولم يكن حمود وحده من يقوم بالنيابة، ففي حال خرج محمد وحمود سوياً من الجبل، ينيبون فهيد بن عبيد[2] لحضور المجلس اليومي الذي يحضره الحاكم.[3]

يبدو أن محمد العبدالله كان يعاني أزمة حقيقية في مسألة من ينوب عنه في المهام التي لا يستطيع القيام بها بنفسه، لأنه تسلم النيابة عنه أكثر من شخص خلال فترة حكمه، كما

(١) الحماد: المرجع السابق، ص ٦٣.

(٢) التقاه داوتي في زيارته للجبل، وقد ذكر أنه كان معتوهاً، ما يعني أنه كان يعاني من مشكلة عقلية، لذلك لم يكن يأخذهالحاكم معه في المعارك، ولا في رحلات الصيد، يبدو أن حضوره للمجلس اليومي كان شكليّاً، حتى يشعر الناس بأهمية هذا المجلس، وهيبته بوجود أحد أبناء آل رشيد، كما يصور ذلك عدم وجود أقرب من ابن عم الحاكم إليه حتى ينيبه بهذه المهمة؛ (داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٤٧).

(٣) نفسه.

أنه لجأ إلى الموالي القريبين منه، حيث أناب مولاه عنيبر[1] بتسيير أمور الإمارة في فترة خروجه لمعركة بعيدة جنوباً، وقد وصف داوتي خروج عنيبر من القصر إلى البلدة في حائل، ووصف البلدة وهي شبه خاوية، لخروج أكثر أهاليها في غزو الأمير، وتحدث عن لقائه عنيبر، وقراءته لرسالة والي المدينة لابن رشيد.[2]

مأزق محمد العبدالله في ولاية عهده انتهى حين شبّ ابن أخيه عبدالعزيز المتعب، الذي كان عمره ١٦ عاماً، لكنه أيضاً لم يكن ينيبه في مهامه، بل كان يدربه شيئاً فشيئاً على قيادة الأمور، واستقبال الزوار باعتباره ولياً للعهد، خصوصاً وأن قصره سيكون محطة مهمة للزوار البارزين للجبل.[3] وعلى الرغم من ذلك استمر محمد العبدالله في إنابة حمود العبيد، وهو يعلم تعاظم خطر آل عبيد في كثرتهم، وقلة آل عبدالله وعدم وجود من كان مؤهلاً لقيادة الإمارة من بعده، إلا حين شبّ عبدالعزيز المتعب.[4]وحمود أيضاً تولى مكان محمد في غيابه عن الإمارة، حيث تولى مهام الأمير كاملة في الجبل في إحدى معارك محمد خارج الجبل.[5]

---

(١) عنيبر أحد موالي محمد العبدالله الرشيد، الذين يثق بهم إلى درجة كبيرة، وقد زار داوتي الجبل للمرة الثانية في فترة خروج الحاكم في أحد غزواته، ووجد عنيبر مكانه؛ (نفسه، ص ٣٥٦).

(٢) نفسه، ص ٣٥٧.

(٣) أوتينج: يوليوس، **رحلة داخل الجزيرة العربية ١٨٨٣م**، ترجمة: سعيد فايز السعيد، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٩٨.

(٤) الرشيد: المرجع السابق، ص ٧٢.

(٥) نولده: المصدر السابق، ص ص ٤٣-٤٥.

- **الولاة:**

لم تكن حدود جبل شمَّر ثابتة، إذ كانت تتغير حسب القوة ومدى التمكن من السيطرة وقد مدَّ الجبل نفوذه إلى مناطق بعيدة عن حدوده الطبيعية، حيث وصلت حدوده إلى الجوف وسكاكا وتيماء والعلا شمالاً، وخيبر غرباً، وجنوباً إلى القصيم والرياض. وهذا التمدد لم يكن مدروساً على الأغلب، يؤكد ذلك عدم استقرار السلطة في كثير من البلدان التي وصلت إليها السيطرة.

منذ أن تمكن عبدالله بن رشيد من تثبيت أركان حكمه وإمارته في الجبل؛ بدأ التفكير في مد نفوذه السياسي شمالاً، وقد كان الشمال هو الجهة الأكثر منطقية لهذا التوسع الذي يطمح إليه، لا سيَّما وأن هذا الأمر كان مطبقاً في عصر الدولة السعودية الأولى، حين عُهد لآل علي بالتوسع باسم الدولة السعودية شمالاً. فكانت البلدان الشمالية هي التجربة الأولى لتمدد آل رشيد وتوسعهم، لكنهم في الوقت نفسه لم يسيروا بسياسة واضحة في إدارة هذه البلدان، وقد يعود ذلك إلى عدم الاستقرار الكامل لنفوذهم فيها.

- **تيماء والجوف وخيبر:**

سعت إمارة الجبل إلى ضم البلدان بأقصر الطرق، ذلك من خلال ضمانالتبعية، لذا كانت لا ترى ضرورة تعيين سلطة سياسية تمثلها بشكل مباشر وبتعيين منها، إلا إذا ما أحست بإمكانية تمرد أهالي البلدة، ومن الطبيعي أن هذا الشعور يعمل على تكبد الإمارة كثيراً من الخسائر، وشن الحملات المتوالية لتثبيت أركانها في حدودها الجديدة.

اختلفت سياسة جبل شمَّر حسب البلدان التابعة لها؛ فتيماء كانت تتسم بالهدوء النسبي في ظل حكم آل رشيد لها، مقارنة بغيرها من البلدان الأخرى، والسبب في ذلك أنه منذ أن شعر عبدالله بن رشيد بنوع من الاستقرار الداخلي لحكمه في حدود الجبل الطبيعية؛

فكَّر في مد نفوذه إلى تيماء، التي لم تكبده كثيراً من الخسائر، بل خضعت لحكمه ولسلطته، كما خضعت لآل علي من قبله في عصر الدولة السعودية الأولى[١]، ما جعل عبدالله يعمل على تعميق وجوده فيها، وكان حريصاً على متابعة أدق الأحداث في تيماء، سواء الإدارية أو الدينية والاجتماعية، ويتضح ذلك من خلال رسالة وردت إلى عبدالله من تيماء سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، حول قضية خلافية في مسألة طلاق، ما يعني أن عبدالله كان متابعاً لحدود إمارته في تيماء.[٢]

منح ابن رشيد أهالي تيماء حكماً أشبه ما يكون بالذاتي، حين عينّ أحد أهالي تيماء أميراً عليها يمثله، وأسند الإمارة إلى أسرة آل رمان[٣]، حيث كان أول أمير من قبل ابن رشيد على تيماء رمان بن هتيمي الفدَّاغي، وتسلم من بعده ابنه عبدالعزيز بن رمان.[٤] ولم يكن أمراء تيماء يستثيرون السلطة في الجبل، بل كانوا متصالحين معها، فلآل رمان الحكم المحلي، في حين عينّ آل رشيد من قبله حاكماً للواحات القريبة من تيماء، ويبدو أنه لم يكن حاكماً بالمعنى الحقيقي، غير أنه كان يعمل على جمع الزكاة التي يدفعها أهالي هذه الواحات.[٥]ويبدو أن هذا الأمر ظلّ مستمراً حتى عهد محمد العبدالله؛ حيث عمل على جعل السلطة في تيماء تحت إدارته بالكامل، وأقام موظفيه فيها لتحصيل الزكاة، وإدارتها بوجود آل رمان حكاماً من قبله عليها.[٦] لكن حسب رواية شفوية لأحمد العريفي؛ ففي

---

(١) التيمائي: محمد حمد، **تيماء**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ١٠٣.

(٢) **مكتبة فهد العريفي الخاصة بحائل**: رسالة من عبدالله بن حزام إلى عبدالله بن رشيد، حول خلاف في تيماء في مسألة طلاق، عام ١٢٥٧هـ/١٨٤١م.

(٣)أسرة آل رمان تعود إلى قبيلة شمَّر، تحديداً من فرع الفدَّاغة؛ (غوارماني: كارلو، **شمال نجد**، ترجمة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، تقديم: دوغلاس كارترز، كتاب غير منشور، (د.ت)، ص ٦٤).

(٤) التيمائي: المرجع السابق، ص ١٠٣.

(5) Baran: op cit, p 63.

(٦) كمالي: سليمان شفيق، **حجاز سياحتنامه سي**، نسخة محفوظة في مكتبة جامعة استانبول، برقم (٤١٩٩ت)، ص ٧.

بداية حكم آل رشيد تيماء عينوا عليها ولاة من قبلهم، على عكس ما ذكر التيمائي في كتابه، وذكر منهم عبدالمحسن العتيق وناصر العتيق، لكن الواضح أن الصورة غير واضحة في ما جاء في كتاب التيمائي، ولا يوجد هناك برهان يثبت أول أمير من قبل عبدالله بن رشيد على تيماء، خصوصاً وأن العريفي يحتج بمسألة أن آل رمان حكموا في فترة متأخرة من حكم الرشيد.[1]

في الجوف كان الأمر يختلف تماماً عمّا كان في تيماء؛ حيث إن عبدالله وصل بنفوذه إلى الجوف بعد تيماء مباشرةً، خلال السنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م، حين استدعى الإمام فيصل بن تركي واليه على الجوف، وكان ذلك إذناً غير مباشر من الإمام لعبدالله ابن رشيد بمد نفوذه إليها، وكان يعتقد بأن الجوف ستكون كتيماء؛ فأرسل شقيقه عبيد إليها، واستقبله أهلها بحفاوة وتكريم[2]، واتفق معهم على دفع الزكاة وإعلان التبعية لإمارته، من دون أن يعين سلطة سياسية من قبله تمثله بشكل مباشر فيها.[3] ويبدو أن الجوف لم ترغب في الهدوء تحت سلطة عبدالله، لذا وصلت الأخبار إلى الجبل أن أحد أهالي الجوف يطمح للزعامة والاستقلال، وهو حطّاب السراح، ما جعل عبدالله يرسل تهديداً إليه، يشعره فيه أنه على علم بنواياه، ولم يستمر الأمر طويلاً، حتى حدثت الفتنة بين أهالي الجوف، حين انقسموا بين فريقين، الأول يطمح في استقلال الجوف، والآخر يرى موالاة ابن رشيد، الأمر الذي أحدث حرباً أهلية، أرسل على إثرها ابن رشيد شقيقه عبيد، الذي أعاد الأمور إلى سلطة الجبل، وأسر حطّاب وابنه غالب إلى حائل مع عدد من الرهائن من أبناء الجوف، حيث سجنوا

---

(١) رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث ٢٤/١٠/١٤٣١هـ.

(٢) أورد ألويس موزل أن إرسال عبدالله شقيقه عبيد؛ كان بسبب انشقاق أهالي الجوف، والحقيقة أن الجوف لم تكن تحت سلطة ابن رشيد خلال هذه الفترة، إنما كان ذهاب عبيد بقوة عسكرية فقط لاستعراض هيبة الإمارة، كذلك كسب الولاء من الجوف، وفي حال استعصت من الممكن أن يستخدم ضدها القوة، التي كان قوامها ثلاثة ألاف مقاتل؛ (موزل: **تاريخ**... المرجع السابق، ص ٥٦١).

(٣) عبيد: المرجع السابق، ص ٥٦.

فيها، وترك حامية من أربعين فارساً تحت قيادة أحد أهالي حائل، ويقال أنه حمود بن سبهان.(1)

وعطفاً على الأحداث التي تلت هذه الحملة التأديبية للجوف، أن الحامية لم تبق طويلاً في الجوف، إذ اكتفت بتثبيت سيطرة الجبل، ومن ثم عادت، وتركت الحكم لأهالي الجوف مرة أخرى، وهدأت الأمور فيها، وبعد أن توفي عبدالله بن رشيد، أرسل أهالي الجوف وفداً إلى الجبل، كي يعزي في وفاته، ويلتقي الأمير الجديد طلال بن عبدالله، الذي أطلق السجناء الذين كانوا لديه من أهالي الجوف بعد وصول الوفد، ذلك كي يضمن ولاءهم، خصوصاً بعد ما أظهروا حسن النوايا في زيارتهم، لكن ما أن عادوا إلى الجوف؛ حتى أعلنوا التمرد على ابن رشيد، ما دعا طلال إلى تجريد حملة بقيادة أخيه متعب، يساعده عمه عبيد، وقد حاصرهم أكثر من شهرين، لكنه عاد من دون أن يحرز أي انتصار على أهالي الجوف، الذين انضم إليهم أهالي سكاكا.(2)

أهالي الجوف هذه المرة كانوا عازمين على الوقوف بقوة ضد ابن رشيد، خصوصاً وأنهم حصلوا على محفزات نفسية، تلخصت في أمورٍ ثلاثة، وهي:

١. وفاة عبدالله بن رشيد، وبالتالي كانوا يعتقدون أن أي تمرد في وجه الحاكم الجديد، سيفت في عضده، وقد يتخلى عن مد نفوذه إلى الجوف التي قد تزعزع حكمه.
٢. عودة الأسرى، الذي كان لهم أثر في استثارة أهالي الجوف ضد ابن رشيد.
٣. الهزيمة التي مني بها متعب بن رشيد، وحصاره الجوف شهرين من دون جدوى، ما جعل معنويات الثوار ترتفع، ويكونوا أكثر إصرار على الانشقاق.

---

(١) العطية: معاشي بن ذوقان، **أوراق جوفية**، (د.ن)، (د.م)، ط١، ١٤٢٣هـ، ص ص ١١٢-١٢١.

(٢) نفسه، ص ص ١٣٣-١٣٧.

حين رأى طلال أن الأمور في الجوف بدأت تأخذ منعطفاً خطيراً، خصوصاً بعد أن أصبحت الأمور تسير في صالح الثوار؛ قام بحملة قادها بنفسه ومعه عمه عبيد، وقوة يقال أنها وصلت إلى ١٠ آلاف مقاتل من أهالي الجبل سنة ١٢٦٤هـ/١٨٥٣م، وقصف الجوف بالمدفعية حتى استسلمت أمام قوة طلال، وجعل فيها حامية عسكرية، وجرّد الزعامات المحلية في الجوف من سلطاتها، كما أخذ رهائناً معه إلى الجبل، وهدم القصور وصادر الأسلحة من الأهالي، وظلّ عبيد بن رشيد قرابة ٦ أشهر في الجوف بعد أن ضمها، كي يعمل على تثبيت حكم آل رشيد فيها، وبعد ذلك غادرها بعد أن عينّ عليها أحد أهالي حائل، حمود العقلا[١]، وقد أصبح حاكماً إدارياً رسمياً من قبل السلطة في الجبل.[٢] بعد هذه الحادثة اقتنع أهالي الجوف إلى حد ما بسلطة ابن رشيد مرغمين، بعد ما رأوا إصراره على تبعيتها، على الرغم من أنهم حاولوا واستبسلوا في التحرر منه، وبعد أن تم لابن رشيد ما أراد؛ بدأ في تشكيل الملامح الإدارية في الجوف حسب ما كان يريد، إذ جعل من الجوف نسخة مصغرة من نظام الحكم في الجبل، وأصبحت السلطة القضائية والتنفيذية بيد الحاكم المُعينّ، في حين بقيت السلطة التشريعية بيد الأمير في الجبل، كذلك القضايا الكبيرة، التي لا يبت فيها غير الأمير في الجبل.[٣]

وفي ما يتعلق بالأسماء أو الألقاب التي كانت تطلق على الحاكم في الجوف من قبل الجبل اختلفت بين المصادر والمراجع التاريخية، حيث أطلق عليه لقب حاكم وأمير، ونائب الأمير في الجوف، ومهما اختلفت هذه الأسماء والألقاب، إلا أنه كان يتعامل معه أهالي الجوف على أنه يحكم بسلطة الأمير في الجبل، وقد أصبح له مقر في الجوف، في قصر تم

---

(١) يذكر العطية أن حموداً العقلا ابن أخت الحاكم طلال بن عبدالله الرشيد، والمعروف في الجبل أن هذا الأمر غير صحيح، كما أن ذلك غير منطقياً بحسب رواية أحمد العريفي للباحث بتاريخ ١٤٣١/١٠/٢٤هـ، خصوصاً وأن أكبر ذرية عبدالله بن رشيد أصغر من العقلا بكثير، ولا يوجد ما يؤيد ما أورده العطية؛ (العطية: المرجع السابق، ص ١٤٦).

(2) Baran: op cit, pp 52-53.
(3) Ibid, p 64.

بناؤه في عهد متعب العبدالله خارج أسوار البلدة[1]، ويتضح من خلال ما قام به متعب؛ أنه لا يزال غير مرتاح لوضع قوته في الجوف، لذا عمد إلى سياسة بناء القصر خارج الأسوار، حتى إذا ما ثارت الجوف مرة أخرى، يجد ابن رشيد قصراً يكون بمثابة الحصن المقابل للبلدة، فيحكم الحصار عليها كذلك كي تجد الحامية التي عيَّنها في الجوف مكاناً آمناً لها من أي طارئ، ولكي يشعر الأهالي بقوة وهيبة إمارة الجبل.

تولى حكم الجوف بعد حمود العقلا؛ أحد موالي آل رشيد، يقال له جوهر[2]، وقد استمر فترة طويلة في حكم الجوف، عرف عنه شدته وبطشه، وعيشه بأبهة زادت من هيبته لدى أهالي الجوف، وقد كان مقرباً من أمراء آل رشيد، وأحد أكثر الأشخاص الذين يثقون بهم، لكن ذكرت بلنت – خلال زيارتها للجوف بوجود جوهر –؛ أن جوهر يعتمد على ستة فقط من أهالي حائل، هم الذين يقومون بحراسته والحفاظ على الأمن في الجوف[3]، وربما أن ما أوردته بلنت غير دقيق، فمن غير المنطقي أن تتكون الحامية من ستة أشخاص، يعهد لهم حكم بلدة مكونة من قرابة ٥ ألاف نسمة، لا يزالون يحلمون بالاستقلال.

مارس الحاكم في الجوف سلطته كما يمارس الأمير من آل رشيد سلطته في الجبل، حتى أن المظاهر التي كانت تقام في الجبل، هي نفسها تقام في الجوف، مثل المحكمة اليومية العامة التي يعقدها جوهر، للفصل في قضايا العامة من أهالي البلدة، وتحويل القضايا الكبيرة والحساسة إلى الأمير في الجبل، كذلك الوليمة اليومية التي يولمها للناس في قصره، وغير ذلك من المظاهر التي كان معمولاً بها في الجبل.[4]

---

(١) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ١٥٣.

(٢) جوهرالعنبر العبدالله، ظلَّ حاكماً للجوف حتى العام ١٣١٨هـ/١٩٠١م، حيث ذكر الرحالة أرتشيبالد فوردر أنه التقاه حين زيارته الجوف، وقد ذكر أنه لا يزال على أبهته وقوته وجبروته؛ (البادي: عوض، **الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية**، دار بلاد العرب للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ص ص ٣٠٤-٣٠٦).

(٣) نفسه، ص ١٥٤.

(٤) البادي: **الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية**... المرجع السابق، ص ٣١١.

على الرغم من السيطرة التي فرضها آل رشيد على الجوف بعد السنة ١٢٦٤هـ/١٨٥٣م؛ إلا أن هاجس التمرد والاستقلال كان يراود أهالي الجوف، ففي عهد محمد العبدالله الرشيد، وتحديداً سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، لجأ أهالي الجوف إلى الدولة العثمانية طلباً لانضمامهم إلى إدارتها بشكل مباشر، وقد أرسلت الدولة العثمانية حملة بقيادة محمد سعيد باشا، الذي وصل إلى الجوف، وحاصر حامية ابن رشيد فيها، ومن ثم وصل محمد بن رشيد بقواته، وعسكر مقابلاً للجيش العثماني، وبعد مباحثات بين محمد سعيد باشا وابن رشيد؛ توصل الطرفان إلى اتفاق تظل بموجبه الجوف تحت حكم ابن رشيد، الذي أكد على تبعيته للدولة العثمانية، وبالتالي الجوف تكون ضمن ولايات الدولة التابعة لابن رشيد، وبعد هذه الحادثة دب اليأس في أهالي الجوف من التخلص من حكم ابن رشيد، الذي لم تستطع حتى الدولة العثمانية من زعزعته فيها.[1]

أحكم آل رشيد قبضتهم في فترات عدة على الجوف وتيماء، يضاف إليهما العُلا وخيبر، اللتان دخلتا في حدود إمارة الجبل في عهد طلال بن رشيد، فالعُلا لم تثر إشكالات كما في البلدان الأخرى، وقد رضي أهلها سيطرة آل رشيد، وكانت البلدة تلجأ إلى الجبل في حل إشكالاتها وقضاياها، فمثلاً في سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م أرسل طلال بن رشيد رسالة إلى الشيخ موسى القاضي في العُلا؛ بخصوص مسألة خلاف حول قضية دم، ويشير فيها بتطبيق ما جاء في الشرع من الدية[2]؛ ويبدو أن العلا لم تكن هاجساً مخيفاً لآل رشيد، بحكم أن تبعيتها اتسمت بالهدوء طوال فترة حكم آل رشيد لها، وكانت تبعيتها من دون تعيين حكام مباشرين من الجبل عليها.

---

(١) المارك: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٨٤٤-٨٥٣؛ العطية: المرجع السابق، ص ص ١٤٩-١٥٨.

(٢) رسالة من طلال بن رشيد إلى الشيخ موسى القاضي، حول قضية دفع دية مقتول، مؤرخة في ١٢٧٥/٨/١٨هـ؛ (القاضي: محمد بن عبدالله، **وثائق تاريخية (علاقات تراثية) عشيرة القضاة بالعلا**، (د.ن)، (د.م)، ط١، (د.ت)، ص ٢١).

أما خيبر؛ فقد كانت إمارة الجبل ترى أنها تمثل حدودها الطبيعية من جهة الغرب، لذلك مدَّت نفوذها إليها، وبذلك أصبحت على حدود مباشرة مع المدينة المنورة التابعة للدولة العثمانية(١)، الأمر الذي يقلق السلطة في المدينة، وبالتالي لدى مصر والدولة العثمانية، لكن في الوقت نفسه؛ لم يُبدِ آل رشيد أي عداوة في عهد طلال تجاه الأشراف في المدينة المنورة ولا مكة المكرمة وبقية أجزاء الحجاز، إذ توقفوا عند خيبر، بل كانوا على علاقة جيدة مع الدولة العثمانية، وكان يستعان بطلال في دعم القوات التي كلفت بإخماد الثورة التي كانت في جنوب شبه الجزيرة العربية سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٤م، ويؤكد ذلك رسالة الجناب العالي في مصر إلى طلال بن رشيد، التي يتضح فيها حثه على دعم القوات بما يستطيع من تسهيل أمورهم وقضاء لوازمهم.(٢)

ظلت الأمور بعد طلال هادئة في خيبر، وحين وصل محمد العبدالله إلى السلطة رأى أنه لا بد من إحكام السيطرة على خيبر بشكل أكبر، بحيث تصبح تحت إدارته بشكل كامل، لذلك أقام موظفيه فيها، وشدد على مسألة دفع الزكاة من قبل أهلها(٣)، وهذا الأمر أقلق والي الحجاز، حيث أرسل إلى الصدر الأعظم في الدولة العثمانية، يشرح له ما حدث من محمد العبدالله، وأبان أن خيبر تابعة له، وأنه غير قادر على تحصيل الزكاة منها لصالح الدولة العثمانية ما لم يتم التدخل العسكري من قبل الدولة بالقوة، وقد حفزّ الوالي الدولة العثمانية بإقناعها بالاستعانة بالقبائل المناوئة لابن رشيد، ودعمها بطابور نظامي(٤)، لكن

(1) Baran: op cit, p 53.

(٢) دار الوثائق القومية في القاهرة: محفظة ذوات حجاز رقم (١٤٣)، رسالة من الجناب العالي في مصر إلى طلال بن رشيد شيخ جبل شمَّر، بتاريخ ١٢٨٠/١٢/٢٥هـ، الموافق ١٨٦٤/٦/١م.

(٣) كمالي: المصدر السابق، ص ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٤) إدارة الأرشيف العثماني باستانبول: رسالة محفوظة في مجلس مخصوص برقم (٢٨٩٦) من والي ولاية الحجاز أمير مكة المكرمة إلى الصدر الأعظم في الدولة العثمانية، حول تدخل محمد بن رشيد في إدارة خيبر واقتراحه التدخل العسكري ضده وتأديبه، بتاريخ ١٢٩٥/٧/١١هـ/١٨٧٨/٧/١١م.

ابن رشيد كان دائماً ما يحاول أن يمتص غضب الدولة العثمانية بإعلان تبعيته وخضوعه، واعتباره تابعاً لها. وبذلك استمرت خيبر في عهد محمد تابعة بشكل مباشر إليه.

- **القصيم والرياض:**

كان تمدد إمارة الجبل شمالاً وغرباً منذ بدايتها، بسبب أنها كانت تتمدد باسم الدولة السعودية الثانية، لذلك لم تكن تقوم بمد نفوذها جنوباً إلا نتيجة للصراع مع القصيم، التي كانت تمثل نداً عنيفاً لإمارة الجبل، حيث حدثت كثير من المواجهات العسكرية بين الطرفين، لذلك كان وصول إمارة الجبل إلى القصيم يهدف إلى تحقيق بعض النتائج الثأرية، كما كانت القصيم تعمد إلى الأمر نفسه، وقد كانت أول ترجمة لهذا الصراع؛ موقعة بقعاء التي قادها زعماء القصيم إلى الجبل سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، وحدثت لهم الهزيمة المشهورة.(١) كان منشأ الصراع بين الجبل والقصيم؛ وصول آل رشيد إلى الحكم وطردهم لآل علي، حيث أصبحت القصيم منفى لآل علي، وبعد وصول القوات المصرية إلى حدود الدولة السعودية الثانية؛ قاد أمير عنيزة يحيى بن سليم حملةً بمباركة القوات المصرية وبأمرٍ منها على جبل شمَّر سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م، ومعه عيسى بن علي أحد أبناء الأسرة الحاكمة قبل آل رشيد في الجبل، يرافقهم عسكر من الجيش المصري، وأعادت هذه الحملة الحكم لآل علي فترة من الزمن لم تدم طويلاً.(٢) كذلك حين استعاد عبدالله بن رشيد حكمه في الجبل بمساعدة خورشيد باشا؛ وفد إليه ابن رشيد وهو مقيم في عنيزة سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م، وحين عاد بعد أن أكرمه خورشيد؛ كان عبدالله يسعى إلى قتل من بقي من آل علي في القصيم، فأرسل إليهم من يحقق رغبته من الرجال، لكن قبض على واحدٍ منهم ووشى بمكان عبدالله، لذا هبت مجموعة من بريدة لابن رشيد، وقتلت ستة من أتباع عبدالله، وهرب عبدالله بمن بقي معه إلى خورشيد، الذي كساه مرة أخرى وعاد إلى الجبل.(٣)

---

(١) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٨.

(٢) نفسه، ص ١٤٦.

(٣) نفسه، ص ص ١٦٤-١٦٥.

ونتيجة لما فات من مناوشات بين الطرفين وخلاف على الحدود؛ حدثت الشرارة الأولى بموقعة بقعاء، ومن بعدها كانت موقعة الجوّي[1] سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، التي كانت بسبب إغارة عبدالله بن سليم على إبل عبدالله بن رشيد، وبالتالي جرد ابن رشيد قوة بقيادة شقيقه عبيد، الذي أغار على ماشية عنيزة، وعمل كميناً لهم حين خرجوا من بلدتهم لاستعادة ما سُرق، لكنهم حين خرجوا وقعوا في الكمين، فمنهم من هرب ومنهم من قبض عليه وقُتل[2]؛ وفي عهد طلال بن رشيد، كان الصراع لا يزال مستمراً، خصوصاً أنه دخل ضمن دائرة أخرى، هي مشاركة طلال للدولة السعودية الثانية في عملياتها العسكرية في القصيم، التي بدأت من السنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م، حين وفد طلال إلى الإمام فيصل الذي كان يعسكر في بلد المذنب، ليشاركه في الاستيلاء على البلدان المستعصية في القصيم[3]؛ كذلك مشاركة طلال للدولة السعودية في حربها ضد عنيزة سنة ١٢٧١هـ/١٨٥٥م[4]، وسنة ١٢٧٨هـ/١٨٦٢م.[5]

بعد هذا بدأت العلاقة مع القصيم تأخذ طابع الهدوء، خصوصاً في عهد متعب العبدالله وبندر الطلال من بعده، ولم تنشط إلا في عهد محمد العبدالله، وكان نشاطها مختلفاً هذه المرة، حيث أصبح هنالك تحالفاً ما بين الجبل والقصيم بعد ذلك التوتر في العلاقة والحروب بين الطرفين، خصوصاً بعد أن وصل إلى إمارة بريدة حسن بن مهنا[6]، وقد اتفق

---

(١) تسمى أيضاً موقعة الغريس، لأن المكان الذي حدثت فيه غريساً صغيراً لرشيد آل دغيثر، وحالياً يسمى الملقى؛ (البسام: عبدالرحمن الصالح، **تاريخ عبدالرحمن الصالح البسام**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد الخامس، (د.م)، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١٠٧).

(٢) الذكير: المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٣) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٨.

(4) Baran: op cit, p 55.

(٥) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢١٦.

(٦) وصل حسن بن مهنا إلى إمارة بريدة بعد أن قُتل والده على يد آل أبو عليان، حيث ثار عليهم واستولى على الإمارة عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م؛ (القاضي: إبراهيم بن محمد، **تاريخ القصيم السياسي**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد الثامن، (د.م)، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٤٣).

ابن رشيد وابن مهنا، وأصبح بينهم ودٌ واتفاق، حتى أن غزو الجبل والقصيم – خصوصاً بريدة يعد غزواً واحداً [(١)]، وهذا يعد أول تبدُّل في موازين القوى في عصر الدولة السعودية الثانية، إذ بدأ يتضاءل نجم الدولة السعودية، ويتصاعد نجم محمد العبدالله الرشيد.

واستمرت العلاقة على هذا التواؤم بين الجبل والقصيم، وحين لجأ حكام بريدة من آل أبي عليان إلى الإمام عبدالله بن فيصل في الرياض سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، يطلبون منه مساعدتهم ضد ابن مهنا الذي أجلاهم عن بلدهم؛ سار الإمام معهم إلى القصيم، وحين علم ابن مهنا طلب نجدة ابن رشيد، الذي سارع إلى الوقوف بجانب صديقه حسن، وصار الصلح بين الطرفين، وعاد الإمام إلى الرياض، في حين بقي ابن رشيد في بريدة عدة أيام ثم عاد إلى الجبل.[(٢)] وهذا هو الموقف العدائي الأول الذي اتخذه محمد بن رشيد ضد الدولة السعودية الثانية.

يبدو أن ابن رشيد في هذه المرحلة علم أن القصيم مفتاح السيطرة على نجد، الأمر الذي جعله يحاول كسب الأمور في القصيم إلى صالحه، ويحاول تبديل ذلك الموقف العدائي التاريخي السابق إلى انسجام بين الطرفين، لذا أجبر القصيم – عدا عنيزة –أن تكون تابعةً لحسن بن مهنا، كما حرص على تعميق العلاقة مع ابن مهنا، حيث تزوج لولوة المهنا أخت حسن، كما زوج حمود العبيد من بنت حسن؛ منيرة.[(٣)]

في ظل هذه الظروف على الجانب الآخر نجد أن أهالي الوشم وسدير يلجأون إلى ابن رشيد، ويدخلون تحت طاعته، حيث خرجوا عن طاعة الإمام عبدالله، وازداد موقف الإمام عبدالله سوءً ا حين اشتدت مشكلة أبناء أخيه سعود سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ما دعا ابن رشيد إلى انتهاز الفرصة برفقة ابن مهنا، وهبوا إلى الرياض مدعين نصرة الإمام عبدالله،

---

(١) نفسه.

(٢) إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٣) آل رواف: المصدر السابق، ص ١٠٦.

وبالفعل خرج أبناء سعود بن فيصل إلى الخرج والدلم، فيما بقي الإمام عبدالله في الرياض، ونصَّب ابن رشيد محمد بن فيصل على الرياض يحكم بجانبه سالم بن سبهان، وأخذ معه الإمام عبدالله إلى الجبل، وبعد ذلك تواجه ابن سبهان وأبناء سعود الفيصل وقتلهم، وأعاد ابن رشيد الإمام عبدالله إلى الرياض بعد أن أمنه من أعدائه.(١)

لم يكن موقف ابن رشيد مع الإمام عبدالله إلا تثبيتاً لسيطرته على نجد، كي تستقيم الأمور له من بعد الدولة السعودية، ولم يبق طرفاً يخشاه إلا زامل بن سليم في عنيزة، لذا أرسل إليه سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م يطلب منه مشاركته في الغزو، فوافق ابن سليم لمعرفته بأن ليس له قبلٌ بمواجهة ابن رشيد وحلفائه سواء في القصيم أو في المناطق الأخرى في نجد.(٢)

ظلَّ ابن سبهان في الرياض يحكم مع محمد الفيصل حتى سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م، حين أذن ابن رشيد للإمام عبدالله ومعه الإمام عبدالرحمن بالعودة إلى الرياض، وحين عادوا توفي الإمام عبدالله بعد عودتهبيومين، وتولى الأمور في الرياض الإمام عبدالرحمن، وقد عينَّ ابن رشيد بدلاً عن ابن سبهان؛ فهَّاد بن رخيص، الذي طلب الإمام عبدالرحمن من ابن رشيد عزله بخطاب ودي، فعزله ابن رشيد وأعاد سالم بن سبهان(٣)، وكان ابن سبهان يتربص بالإمام عبدالرحمن في حين أن الإمام يتربص بابن سبهان، وما أن حاول أن يهم ابن سبهان بالإمام؛ حتى تمكن منه الإمام وأخرجه من الرياض، وفي هذه الأثناء حدثت مكاتبات بين ابن مهنا وابن سليم مع الإمام عبدالرحمن، فيها اتفاقهم ضد ابن رشيد إذا ما هجم على أحد الطرفين، ووصلت الأخبار إلى ابن رشيد الذي جرد حملة إلى القصيم، فسار الإمام

(١) القاضي: المصدر السابق، ص ٤٤.

(٢) نفسه، ص ٤٥.

(٣) خزعل: المرجع السابق، ج١، ص ص ١٤١-١٤٢.

عبدالرحمن سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م إلى القصيم لنجدتها ضد ابن رشيد، لكن الموقعة حدثت قبل أن يصل الإمام، وانكسر ابن مهنا وابن سليم أمام ابن رشيد في موقعة المليداء.[١]

بعد هذه الموقعة لم يبق لابن رشيد معارض في نجد سوى الإمام عبدالرحمن في الرياض، لذا جهز ابن رشيد قوة من الجبل والقصيم وبقية بلدان نجد سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م قاصداً الرياض، وبالفعل تمكن من إخراج الإمام من الرياض، وانتهى بذلك عهد الدولة السعودية الثانية، وبدأ حكم محمد العبدالله الرشيد لنجد.[٢]

بعد أن دانت نجد لابن رشيد؛ بدأ يمارس حكمه باسم أمير نجد، وحصل على مباركة الدولة العثمانية[٣]، لذلك كان يتصرف في شؤون حكمها على أساس تبعيتها له، وبالتالي انتهج الأسلوب الذي كانت تنتهجه الإمارة مع البلدان التي تدين لها في الشمال والغرب، حيث أبقى على القوى المحلية في بعض البلدان التي كان يأمن جانبهافي حين عينّ من قبله أناساً يثق بهم من أهل الجبل على البلدان التي يخشى تمردها.

في القصيم بعد أن انتهت موقعة المليداء؛ عامل ابن رشيد عنيزة وبريدة بنوع من التمايز، إذ عينّ على عنيزة أميراً من أهلها وهو عبدالله بن يحيى بن صالح آل يحيى، وعلى بريدة عينّ حسن بن محمد بن جراد من أهالي الجبل، وجعل معه حامية عسكرية[٤]، وربما أن ما قام به ابن رشيد في مسألة التفريق بين بريدة وعنيزة، مبعثه أن عنيزة فيها من هو على علاقة جيِّدة من آل بسام، الذين أثروا في قرار ابن رشيد في مسألة تعيين أحدهم أميراً من قبله، في حين أن بريدة كانت تحت إمارة ابن مهنا الذي كان صديقاً له ومن ثم انقلب عليه، ما يعني أن حنق ابن رشيد على أهالي بريدة، كان بسبب موقف أميرها، كما أن بريدة كانت

(١) الذكير: المصدر السابق، ص ص ٢٧٨-٢٧٩.
(٢) نفسه، ص ٢٨٦.
(٣) حسني: المصدر السابق، ص ١٤١.
(٤) السلمان: المرجع السابق، ص ٢٧٥.

هي المحرض القوي في مسألة مواجهة ابن رشيد في المليداوعين ّ أيضاً حمود العبدالوهاب جابياً للزكاة من قبله في القصيم.[1]

أما في الرياض، فبعد أن استولى ابن رشيد على الحكم، وخرج الإمام عبدالرحمن منها؛ عين ّ محمد بن فيصل أميراً عليها من قبله، واستمر في منصبه حتى توفي سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م.[2]

(١) آل رواف: المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٢) الجاسر: حمد، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، ص ٨٠.

إحصائية ببعض المناصيب[1] من إمارة آل رشيد على بعض البلدان النجدية[2]

الأمير (المنصوب)	إمارته	فترة الإمارة
سالم العلي السبهان	الرياض	١٣٠٢-١٣٠٥هـ الفترة الثانية ١٣٠٦هـ
فهاد العيادة الرخيص	==	١٣٠٥-١٣٠٦هـ الفترة الثانية ١٣٠٨هـ
الأمير محمد بن فيصل	==	١٣٠٩-١٣١١هـ
سعد الطويرب	الخرج	غير معروف
مبارك بن صميعل	==	==
مرزوق الرشيد	==	==
محمد بن طالب	==	==
علي بن سالم الداوود	==	==
خميس بن ذبيان	==	==
حمود بن عقلا العقلا	الجوف	==
جوهر العنبر	==	==
علي العنوف العريفي	وادي الدواسر	==
سليمان السامي	المجمعة	١٢٩٠هـ
حسين بن جراد	بريدة	١٣٠٨-١٣١٠هـ
حمود الزيد	==	غير معروف
فهد القويعي	==	==
سعد الحازمي	==	==
عبدالرحمن الضبعان	==	==

(١) حسب اللهجة الدارجة في الجبل كان يوصف الحاكم من قبل الإمارة على بلدة من البلدان بمنصوب، بمعنى تنصيبه من قبل آل رشيد.

(٢) رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث بتاريخ ١٤٣١/١٠/٢٥هـ.

سالم السبهان	==	==
عبدالعزيز العنقري	تيماء	١٣٠١هـ وما قبلها
سعيد العلي	عُلا	١٣٠٩هـ وما قبلها

• القضاء:

سار النظام القضائي في جبل شمَّر حسب ما هو معمول به في عصر الدولة السعودية الثانية، ومن قبلها الدولة السعودية الأولى، إذ كان أئمة الدولة السعودية يرسلون القضاة بين حينٍ وآخر إلى الجبل، كي يحكموا بين الناس، ويطبقوا الشريعة الإسلامية من وحي الكتاب والسنَّة. لذا كان الجبل أحد البلدان التي انتشرت فيها المحاكم الشرعية، وتم إرسال القضاة إليها بشكل مستمر، وقد حرصت الدولة السعودية على إرسالهم لاستشعار أهمية القاضي، باعتبار أنه يأتي بمرتبة تلي الأمير أو الحاكم.[١]

اعتمدت إمارة الجبل في القضاء على تطبيق الشريعة الإسلامية وفق المذهب الحنبلي، كما هو الأمر في الدولة السعودية الثانية، ذلك لتعبية أمرائها للدولة، والتزامهم بمبادئها[٢]، ويصف جورج أوغست فالين أمراء الرشيد أنهم في أحكامهم "كالوهابيين يتبعون الشريعة الإسلامية"[٣]، وعلى الرغم من أن جميع المصادر التاريخية تجمع على أن المذهب الجنبلي هو المذهب المطبق في الجبل، إلا أن أحد التقارير التي كتبت عن نجد، ذكرت أنه يوجد في الجبل بعض الناس الذين يتبعون المذهب المالكي[٤]؛ وإذا ما كان ذلك حقيقةً، فإنه من المؤكد أن أتباع هذا المذهب أفراد قليلون جداً، من أؤلئك الذين يقطنون الجبل من أقطار خارج شبه الجزيرة العربية.

كما حكم أمراء الجبل بين الناس؛ وفق الأعراف والتقاليد العربية، بما لا يتعارض مع أحكام التشريع الإسلامي، وليس كما تذكر آن بلنت؛ حين تلمح إلى أن هذه الأعراف والتقاليد تطغى أو تصبح في كثير من الأحيان هي القاعدة الأساس في تطبيق القرارات التي

---

(١) أبو علية: **تاريخ الدولة السعودية الثانية** ... المرجع السابق، ص ٢٩٥.

(٢) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٥.

(٣) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٤) الحماد: المرجع السابق، ص ١٣٥.

يتخذها الأمير، حتى وإن كانت واضحة في التشريع الإسلامي، فعادة ما يتم الأخذ بهذه الأعراف والتقاليد، فيما يتفق عليه الناس، ولا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.[1]

كما غاب عن بلغريف الأمر نفسه؛ حيث ذكر أن طلال الرشيد كان ميالاً إلى عدم الحكم بالإعدام للقاتل، وأن أقصى عقوبة وقعها كانت بالنفي والسجن وفق العرف السائد، ودفع الدية للقاتل[2]، في حين أنه اشتهر عن طلال حرصه على تطبيق الأحكام القضائية، لكنه يميل إلى الإصلاح بين الناس قبل اتخاذ الحكم بالقتل، والدية هي حكم تشريعي، يسقط مسألة القصاص.

أما ما يخرج من سلطة القضاء، ويتولاه الأمراء؛ هو ما له شأن بالسياسة وتدابيرها، في حين يبقى تحت سلطة القضاء كل ما له نص تشريعي؛ مثل ما يتعلق بالديون، القسم والإرث، المعاملات التجارية، شؤون الفلاحة، المبايعات، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قضايا القتل والسرقة، الإفساد بين الناس والشجار بينهم والاختلافات.[3] وربما يشذ أحياناً؛ بعض الأحكام الانفعالية أو التي لا تستند إلى تصريح شرعي، وقد تكون سارت عرفاً في الجبل، مثل حرق لحى شهود الزور والكذابين، الأمر الذي يفقدهم بصرهم[4]، ومثل هذا ليس له أصلٌ في الكتاب والسنة.كذلك مصادرة أملاك العُصاة من الناس.[5]

أما القضايا الأخرى فواضحة أحكامها، مثل القصاص من القاتل، وقطع يد السارق، وإذا ما تكررت منه السرقة؛ يطبق عليه حكم الحرابة بالقتل، ويتم الرجم بمن يستحقه.[6]

---

(١) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٨٣.

(٢) بلغريف: المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٣) الدخيل: **أقسام**... المرجع السابق، ص ٣٥٥.

(٤) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ٦٣.

(٥) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٦.

(٦) الشهابي: محمد سليم، **الرحلة الحجازية**، المطبعة التجارية، الاسكندرية، ط١، ١٣١٧هـ، ص ٢٢.

ويتولى الأمير الأحكام المتعلقة بالعرف والتقاليد، ويحيل ما له شأن بحكم شرعي إلى القاضي.[1]

ومن الدلائل التي اعتمد عليها القضاة في الجبل، لإصدار أحكامهم؛ الأثر، يحث يعتمد على قصاصي الأثر إذا ما ثبت صحة ما أفادوا به، وقد صدر حكم بالقصاص من رجل قتل امرأة عجوز في أحد البلدان التابعة للجبل، حيث اعترف القاتل بجريمته، بعد أن تم الاستدلال عليها من خلال أحد العارفين بالأثر.[2]

- **مجلس القضاء اليومي:**

اعتاد حكام الجبل على عقد جلستين يوميتين للقضاء بين الناس، حيث تكون الجلسة الأولى صباحية والأخرى مسائية، وتعقد هذه الجلسة القضائية في الميدان العام في الجبل، الذي يسمى المسحب، وفي بداية الأمر كان الميدان بدائيً ا في اجتماعه، حيث يعقد الأمير جلسته في الطرف الغربي من المسجد الموجود في الميدان، ويحضر معه كبار موظفيه الذين يجلسون إلى يساره تبعاً لمنزلتهم، في حين يجلس أمامه ما يقارب العشرين من موالي الأمير.[3] ومع الوقت تطور هذا الميدان بما يتوافق والجلسات القضائية، حيث تم بناء مصطبة من اللبن على امتداد سور القصر المواجه للميدان والمسجد، حيث يجلس الأمير بموقع مرتفع على هذه المصطبة، وفي منتصفها، ويجلس بارتفاع أقل منه تقريباً كاتبه وسكرتيره، كذلك يجلس بشكل أعلى من الكاتب وأقل من الأمير الرجل الثاني بعد الأمير، وفي زمن محمد الرشيد كان يجلس في هذا المكان حمود العبيد الرشيد، كما يكون في مقابل جدران المسجد مقعد مرتفع يجلس عليه الشيوخ في الفترة المسائية، عند انعقاد المجلس الثاني بعد صلاة العصر، وفي مواجهة الأمير يجلس القاضي، الذي يتولى الحكم في القضايا المعروضة على

---

(١) نفسه.

(٢) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٩١.

(٣) غوارماني: المصدر السابق، ص ٦٢.

الأمير، ويحضر معه عدد من القضاة الآخرين وكبار حاشية الأمير، ويقف على جانبيهم موالي الأمير، أيضاً يحضر الجلسة رؤساء الخدمة العامة وسراياهم، ويجلس الناس بشكل نصف دائري على الأرض في ميدان المسحب، ويجب أن يكون هناك فئة رجاجيل الشيوخ، الذين يتكئون على سيوفهم، استعداداً لأي طارئ، ولإظهار قوة الإمارة، وعددهم بين ١٠٠ – ١٥٠ رجل، كما يوجد الرجال المكلفين بتنفيذ حكم الجلد[١]، ما يعني أن الأحكام تنفذ بشكل فوري بعد إصدارها. واستمر هذا المشهد اليومي طوال فترة حكم آل رشيد في الجبل، وحرص حكامهم على عدم التخلف عن هاتين الجلستين اليوميتين، إلا إذا ما حدث طارئ، أو كان الأمير خارج البلدة لظرف ما. وقد غرس ذلك مؤسس الإمارة عبدالله بن رشيد، الذي ذاع صيته في العدل في القضاء بين الناس، حيث كان الناس يفدون إليه من أماكن قصيَّة للفصل بينهم وحل مشكلاتهم[٢]، فكما يصف فالين أن البدو كانوا يأتون إلى عبدالله من قريب ومن بعيد للتحاكم عنده.[٣]

عند عقد الجلسات القضائية؛ يدخل المتقاضون في دائرة من الناس معهم أطراف القضية إذا حضروا، ويبدأون عرض قضاياهم أمام الأمير، ثم يصدر الحكم وينفذ في الوقت نفسه[٤]،ونجد أن هنالك تباين ٌ في عدد القضايا التي تعرض على الأمير، ذلك حسب أهميتها وطول النقاش فيها، إذ يتم البت والحكم والتنفيذ بشكل سريع في القضايا الواضحة، في حين تؤجل بعض القضايا الشائكة والصعبة، لكن إلى فترات بسيطة جداً، تصل إلى اليوم الذي يلي عرض القضية، فغوارماني مثلاً يذكر أن عدد القضايا التي عرضت على ابن رشيد أثناء حضوره، كانت ٨ قضايا، تم عرضها خلال ساعتين فقط[٥]، في حين أن داوتي الذي رأى

(١) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ٤٥٨.

(٢) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٦.

(٣) فالين: المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٤) داوتي: المصدر السابق، ص ٤٥٩.

(٥) غوارماني: المصدر السابق، ص ٦٢.

المشهد نفسه بعده بحوالي ١٤ عاماً، يذكر أن عدد الذين يحضرون للتقاضي لدى الأمير يقدر بحوالي ٤٠٠يومياً [١]، وربما أن داوتي كان يقصد عدد الحضور لا المتقاضين، لأن آن بلنت التي حضرت بعده بثلاث سنوات؛ ذكرت أن الذين مثلوا أمام الأمير للتقاضي حوالي ٦من أصحاب الحاجات، وأن الجلسة الواحدة لا تستغرق ثلاث دقائق، في حين أن الجلسة كاملةً لم تصل نصف ساعة، ما يعني أن داوتي كان يقصد عدد الحضور ٤٠٠، وذلك على الأغلب.[٢] وهذا التباين في أعداد القضايا التي ذكرها الرحالة، والتي تعرض في الجلسات القضائية، ربما يعود إلى نوعية القضايا التي يتم النظر فيها، إضافةً إلى وقت الأمير وظروفه، حيث إن بعض الجلسات لا تصل إلى ٢٠ دقيقة، وبعضها يمتد خلال اليوم الواحد إلى أكثر من ذلك بكثير، إذ يتم النظر في قضايا مؤجلة أو آنية في جلسة واحدة، وذلك حسب المتقاضين ومشكلاتهم وكثرتها، كما تنفض الجلسة بمجرد وقوف الأمير، حيث يعمل حرس الأمير ورجاجيله بصرف الناس.[٣]

كان الأمر نفسه يجري في المناطق التابعة للجبل، في ما يخص القضاء بين الناس، مثل ما كان يقوم به حاكم الجوف مثلاً، وعادة ما تحال القضايا الشائكة في هذه البلدان إلى الجبل للنظر فيها، أما القضايا البسيطة والسهلة فيتم البت فيها من حاكم البلدة وقاضيه الذي تم تعيينه.[٤]

كان لجلسات القضاء اليومية وتطبيق أحكامها؛ أثر بارز ومهم في رفع الناحية الأمنية في الجبل والبلدان التابعة لها، ومن قبل ذلك كان الأمن أقل، إذ لم يستطع المسافر من الجبل إلى قفار الذهاب وحده على رغم قصر المسافة، إلا حين يرافقه ما بين ١٠–٢٠

(١) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني ص ٤٥٩.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ص ٢٥٠–٢٥١.

(٣) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني ص ص ٤٥٩–٤٦٠.

(٤) الزعارير: المرجع السابق، ص ١٠٥.

رجل، خوفاً من السرقة، وبعد تطبيق أحكام الشرع؛ شبه انعدمت السرقة، وانتعشت الحياة الاقتصادية بشكل أكبر مما كانت عليه.[1]

(١) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٧.

- **قضاة الجبل في عصر الدولة السعودية الثانية:**

وفد إلىالجبل عدد من القضاة الذين أرسلتهم الدولة السعودية الثانية، وكان لهم دور كبير في تنامي الحياة العلمية في الجبل، وكان يتم إرسال القضاة من قبل حكام آل سعود منذ فترة حكم آل علي إلى فترة حكم طلال الرشيد تقريباً .[١] وبعد ذلك أصبح أمراء الجبل هم من يعينون القضاة لديهم، إذ إن بعضهم كان يتلقى تعليمه في المدن الكبيرة مثل المدينة المنورة ومكة المكرمة والرياض والقاهرة، وقد درسوا على يد علماء المذهب الحنبلي.[٢]

١. عبدالله بن سليمان بن عبيد (١١٧١-١٢٤١هـ/١٧٥٧-١٨٢٥م):

عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبيد، من مواليد بلدة جلاجل في سدير، نشأ فيها وحفظ القرآن الكريم، وطلب العلم على يد عدد من العلماء، البارزين في عصره، كما رحل إلى مكة المكرمة وأخذ عن علمائها، فبرز في الفقه وأصوله، والعلوم العربية الأخرى، فكان محل ثقةٍ من قبل الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد، ومن أبرز العلماء الذين تتلمذ عليهم الشيخ عبدالله بن عبيد؛ الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالله الحصين،[٣] الذي يُعدُّ من أشهر علماء الدولة السعودية الأولى، والشيخ محمد بن مقرن

---

(١) الرديعان: حسَّان بن إبراهيم، **منبع الكرم والشمائل في ذكر أخبار وآثار من عاش من أهل العلم في حائل**، منشورات مكتبة فهد العريفي، حائل، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٩٥.

(٢) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٧.

(٣) الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن أحمد الحصين، ولد في الوشم سنة ١١٥٤هـ/١٧٤١م، وهو أحد العلماء البارزين في عصر الدولة السعودية الأولى، محبًا للعلم وصاحب كلمة مسموعة لدى أئمة الدولة السعودية الأولى، كان له حلقات تدريس في الفقه لأهل شقراء والوشم، أخذ الفقه من الشيخ إبراهيم بن محمد ابن إسماعيل قاضي بلدة القراين في الوشم، وتفقه وقرأ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث أقام مدة سنتين يقرأ عليه، وقد استُعمِل قاضيًا للوشم، أشهر تلاميذه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين، والشيخ إبراهيم بن شيف قاضي سدير، والشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور قاضي جلاجل ومن بعدها سدير، وغيرهم من العلماء في شبه الجزيرة العربية، وقد انتدبته الدولة السعودية الأولى لمناظرة علماء الحجاز، وكان حُجَّةً في مناظراته، توفي سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م؛ (ابن بشر: المصدر السابق، ج١، ص ص ٤٦٤-٤٦٨).

بن سند[1]، وغيرهم من العلماء، وارتحل إلى الدرعية وأخذ عن علمائها من تلامذة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من أبنائه وتلاميذه، وولاه الإمام سعود بن عبدالعزيز قضاء جبل شمَّر، وكان واليه عليها في ذلك الوقت محمد بن عبدالمحسن بن علي، وظل في الجبل حتى حدث حصار الدرعية من قبل قوات محمد علي باشا، حيث عاد إلى بلدته جلاجل.[2] لم يقتصر صيته خلال فترة توليه القضاء على الجبل فحسب، بل تعدى إلى أن أصبحت قضايا الشمال كلها تعود إليه.[3] وكانت فترة قضائه في الجبل ثلاثة عشر عامًا من ١٢٢٠-١٢٣٣هـ/١٨٠٥-١٨١٧م، توفي رحمه الله في المجمعة ١٢٤١هـ/١٨٢٥م.[4]

٢. أحمد بن سليمان بن عبيد (... – **١٢٤٤هـ**/... – **١٨٢٨م**):

أحمد بن سليمان بن محمد بن عبدالرحمن بن عبيد، من أهالي جلاجل،ولم تُعرف سنة ولادته، تتلمذ على الشيخ عبدالله أبابطين[5]، والشيخ عبدالعزيز الحصين، وعيَّنه الإمام

---

(١) الشيخ محمد بن مقرن بن سند بن علي الودعاني الدوسري، ولد في قرية دقلة، أحد قرى المحمل شمال الرياض، ولم تعرف سنة ولادته، نشأ في بيئة علمية، و انتقل إلى الدرعية، وأخذ عن أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ حمد بن معمر، والشيخ عبدالعزيز الحصين، كان قاضيًا للإمام سعود بن عبدالعزيز على المحمل، كذلك قاضيًا على عسير ومن بعدها عُمان، أيضًا الأحساء، توفي سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م؛ (آل بسام: عبدالله بن عبدالرحمن، **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، ج٦، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ، ص ص ٣٩٣-٣٩٨).

(٢) آل الشيخ: عبدالرحمن بن عبداللطيف، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، دار اليمامة، الرياض، ط٢، ١٣٩٤هـ، ص ٢١٦؛ العريفي: أحمد بن فهد، **قضاة مدينة حائل ١٢٠٠-١٣٤٠هـ**، دار الجلس، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ص ٤٤.

(٣) القاضي: محمد بن عثمان، **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**، ج١، مطبعة الحلبي، (د.م)، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٣٢١.

(٤) الرديعان: المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٥) الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز أبابطين، ولد في روضة سدير سنة ١١٩٤هـ/١٧٨٠م، ونشأ على العلم، وأخذ عن الشيخ محمد بن طراد الدوسري، وبرز في الفقه، وانتقل إلى شقراء، وأخذ عن الشيخ عبدالعزيز الحصين، وعن علماء الدرعية بعد ذلك، عيَّنه الإمام سعود بن عبدالعزيز على قضاء الطائف سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، له مؤلفات شرعية، ورسائل في تجويد القرآن الكريم، ورد على داود بن جرجيس، توفي رحمه الله سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م؛ (آل بسام: المرجع السابق، ج٤، ص ص ٢٢٥-٢٤١).

تركي قاضياً للجبل سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م، زمن إمارة صالح بن عبدالمحسن بن علي[١]، ويعتقد بأنها تعود إليه أقدم وثيقة قضائية في الجبل، وهي الحكم الشرعي الذي قضى به لتقسيم بلدة قصر العشروات[٢] سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م، وكان بخط يده.[٣]

٣. حسين بن الشيخ:

ورد اسم الشيخ حسين في وثيقة شرعية يعود تاريخها إلى سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، حول خلاف على غرس أرض وبئر ماء.[٤] والواضح أنه أحد الذين كلفوا بالقضاء خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.لم نجد له ذكر ٌ غير هذا، إذ لم يُذكر في علماء نجد، ولا حتى في زهر الخمائل.

٤. محمد بن علي الخطيب:

ورد اسم الشيخ محمد الخطيب في ر سالة من الإمام تركي بن عبدالله إلى صالح بن عبدالمحسن بن علي سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، كما ورد في الوثيقة المذكورة في الحديث عن حسين بن الشيخ بتاريخ ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، ما يعني أنه كان قاضياً في الجبل أواخر النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.[٥]

---

(١) آل بسام: المرجع السابق، ص ٤٧٦؛ العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٤٦؛ الرديعان: المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٢) بلدة تقع جنوب غرب مدينة حائل على مسافة ٢١ ميلاً (٣٥ كيلو متر)؛ (الضبعان: المرجع السابق، ص ٢٠٥).

(٣) حكم شرعي قضى به الشيخ أحمد بن سليمان بن عبيد لتقسيم بلدة قصر العشروات عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م؛ نسخة طبق الأصل نسخها علي الصالح السالم في ١٣٧٨/١١/٢٠هـ الموافق ١٩٥٩/٥/٢٨م؛ (العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٤٧).

(٤) رسالة من عبدالله بن خزام إلى عبدالله بن رشيد بتاريخ ١٢٥٠/٥/٢٩هـ الموافق ١٨٣٤/١٠/٣م، وقد ورد فيها حكم شرعي للشيخ حسين بن الشيخ حول خلاف على غرس؛ نسخة نقلها من أصلها علي بن صالح السالم في ١٣٩٠/٧/٢٦هـ الموافق ١٩٧٠/٩/٢٧م؛ (العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٤٩).

(٥) العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٥٠.

٥. عبدالعزيز بن عثمان بن شبانة (... -١٢٧٣هـ/... -١٨٥٦م):

عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالجبار بن حمد بن شبانة، من أهالي المجمعة، ولد فيها ولم تعرف سنة ولادته، ونشأ في بيئة علمية، وتتلمذ على يد عدد من العلماء، وحصل على إجازاتهم، ولاه الإمام تركي بن عبدالله قضاء الزلفي، ثم ولاه الإمام فيصل بن تركي قضاء الجبل سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م في زمن عبدالله بن رشيد، وأقام في الجبل ثلاثة أشهر فقط، ومن ثم عاد إلى قضاء إقليم سدير.(١)

٦. **عبدالله بن صالح بن خزام (... -١٢٥٩هـ/... -١٨٤٣م):**

من أهالي الوشم، تولى القضاء في زمن عبدالله بن رشيد، وله مجموعة من الوثائق الشرعية، التي قضى فيها بين الناس بين سنتي ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م و١٢٥٩هـ/١٨٤٣م، ويذهب مؤلف كتاب علماء لبدة؛ أحمد الفهد العريفي إلى أنه ولي القضاء في الجبل مع بداية حكم عبدالله بن رشيد، عطفاً على وثيقة شرعية سبق أن تم ذكرها في الحديث عن الشيخين حسين بن الشيخ ومحمد الخطيب، حيث تم تعيينه خلفاً للشيخ عبدالعزيز بن عثمان بن شبانة، وكان التعيين من قبل الإمام فيصل بن تركي، ويدل على أنه قَدِم إلى الجبل بعد هذا التعيين؛ التاريخ المدون على بيته في حي لبدة، حيث تم بناؤه سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م.(٢)

٧. **محمد بن إبراهيم بن سليمان بن سيف** (... -١٢٦٥هـ/... -١٨٤٨م):

من أهالي بلدة ثادق، تولى القضاء في الجبل بأمر من الإمام فيصل بن تركي، في نهاية زمن عبدالله بن رشيد، وقد سبق أن ارتحل إلى مصر لطلب العلم سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م، حيث تعلم جملة من الفنون والعلوم، وكان توليه للقضاء في الجبل سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٥م، وقد ظلّ فيها، وذريته لا تزال في مدينة بقعاء حتى الآن، توفي

---

(١) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ٥٧؛ آل بسام: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٤٨٨-٤٩٠.

(٢) العريفي: أحمد بن فهد، **علماء لبدة طرف من أخبارهم وآثارهم**، (د.ن)، (د.م)، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ص ٥٢-٥٣.

سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م كما تتفق المصادر كافة[1]، عدا مؤلف كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون، الذي يذكر أن سنة وفاته بعد سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م، من دون أن يسوق ما يثبت هذا القول، في حين أن المؤرخ ابن بشر، للذي يعد صديقاً ومعاصراً لابن سيف؛ يذكر أن سنة وفاته كانت سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٥م.[2]

٨. **عثمان بن عبدالعزيز التميمي (١٢١١-١٢٨٢هـ/١٧٩٦-١٨٦٥م):**

عثمان بن عبدالعزيز بن منصور بن حمد التميمي، من أهالي سدير، برع في فنون وعلوم عدّة، وكان له اطلاع واسع في الفقه، لكنه كان على خلاف في فترات حياته مع منهج دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ فمرة يوالي الدعوة، وأخرى ينجذب إلى آراء معارضيهاُين ِّ قاضياً في الجبل زمن طلال الرشيد سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م، أي بعد وفاة ابن خزام، وظلَّ قاضياً في بلدة قفار، وحين دبَّ خلاف في قفار، رأى طلال ابن رشيد أنه انحاز لأهالي قفار فعزله عن القضاء سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م، وعاد إلى سدير حتى توفي فيها.[3]

٩. **محمد بن سعد بن مبارك (... -١٢٨٣هـ/... -١٨٦٦م):**

من مواليد جبل شمَّر، له أحكام شرعية منذ السنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م، وتولى قضاء الجبل بعد عزل الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م، وأخذ أبناؤه من بعده لقب آل يعقوب، وكان من مشائخه ابن منصور.[4]

---

(١) الهندي: علي بن محمد، **زهر الخمائل في تراجم علماء حائل**، تحقيق: إبراهيم بن عبدالله الحازمي، دار الشريف، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٩؛ القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ١٨٤-١٨٦؛ آل الشيخ: المرجع السابق، ص ٢٢٧؛ العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٥٧.

(٢) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ١١٠؛ آل بسام: المرجع السابق، ج٥، ص ٤٥٣.

(٣) العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٥٨؛ آل بسام: المرجع السابق، ج٥، ص ص ٨٩-٩٦.

(٤) الهندي: المصدر السابق، ص ٣٣؛ آل بسام: المرجع السابق، ج٥، ص ٥٤٠؛ العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٦١.

١٠. **محمد بن راشد الغنيمي (١٢٣٠-١٣٠٦هـ/١٨١٤-١٨٨٨م):**

من أهالي الرياض، تولى قضاء الجبل بعد وفاة الشيخ محمد بن سعد سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م، وظلّ حتى توفي سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م.[1] إضافةً لكونه عالمًا؛ اشتُهِر عنه فروسيته وبطولاته في القتال، إذ ذُكِر أنهُ من الذين شاركوا في إحدى معارك بندر بن طلال الرشيد في الشمال، وكان الشيخ من الفرسان الذين حموا مؤخرة الجيش.[2] ومما يُذكر عنه أنه الوحيد من علماء الجبل الذي كان يرتدي العقال، خلافًا لأولئك العلماء الذين يرتدون الشماغ فقط، وكان يحضر مجلس حمود العبيد بعد صلاة الفجر، لحضور الدرس العلمي، وكان من العلماء المقربين لآل رشيد[3]، وله مواقفٌ تبين عدم مداهنته للسلطة على الرغم من قربه منها، لا سيَّما في موقفه من المشكلة التي حدثت بين الشيخ يعقوب بن محمد وحمود العبيد.[4]

١١. **عبدالعزيز بن صالح بن المرشدي (١٢٤٠-١٣٢٤هـ/١٨٢٥-١٩٠٦م):**

من أهالي الرياض، وولد فيها سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٥م، وقرأ على مجموعة من علمائها، حتى أتقن كثيرًا من العلوم الشرعية والعربية، وارتحل إلى مكة المكرمة وأخذ عن علمائها أيضًا، إذ كان يتصف بالهمةِ العالية في طلب العلم، وتولى قضاء الزلفي ومن ثم سدير، والرياض، تتلمذ عليه عدد من علماء شبه الجزيرة العربية البارزين، ونقله محمد بن رشيد إلى الجبل بعد أن استولى على نجد وأسقط الدولة السعودية الثانية، من ضمن العلماء الذين استقطبهم إليه، وتولى القضاء فيها سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، وجلس لتدريس طلاب العلم فيها التفسير والحديث وأصولهما، كذلك التوحيد وعقائد السلف والفقه

---

(١) الهندي: المصدر السابق، ص ٤٤؛ آل بسام: المرجع السابق، ج٥، ص ٥٣٠؛ العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٦٣.

(٢) المارك: المرجع السابق، ج٣، ص ٩٦٣.

(3) Huber: op cit, p 433.

(٤) المشكلة التي سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى في الفصل الثاني، في ترجمة الشيخ يعقوب.

والنحو، وكان من تلامذته أشهر علماء الجبل في بدايات القرن الرابع عشر الهجري/نهايات القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات العشرين، وظلّ في الجبل حتى وفاته.[1]

(١) الهندي: المصدر السابق، ص ٥٠؛ آل بسام: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٣٩٣-٣٩٥؛ العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٦٨.

• الشرطة:

لم يكن مفهوم الشرطة معروفاً في نجد بشكله الحالي، كما لم يكن متطوراً، بل كان موجوداً للحاجة التي كانت تلح إليه، خصوصاً في مسألة الحفاظ على الذوق العام، وحفظ الأمن داخل المدن، وإضفاء نوع من الهيبة للسلطة. لذا كانت مهام الشرطة تأتي حسب الحاجة، من دون وجود تنظيم وتخطيط مسبق.

على الرغم من أن الشرطة لم تصل إلى مرحلة متطورة ومنظمة؛ إلا أن الأوضاع كانت في نجد، وفي إمارة جبل شمَّر هادئة، ويؤكد على ذلك السفير الروسي في استانبول سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، ويعزو ذلك إلى عدل حاكم نجد، الأمر الذي جعله يحث على إرسال مزيد من الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية من قبل الأوربيين بكل أمان.(١)

في إمارة الجبل لم يتم تحديد جهاز خاص بالشرطة، بل كانت فئة رجاجيل الشيوخ هي من تغذي الشرطة بجزءٍ من أفرادها، حيث إن أعمال الشرطة كانت جزءً ا من الخدمات التي يقدمونها للأمير، إضافةً إلى بعض الوافدين إلى الجبل ممن يريدون تقديم خدماتهم، خصوصاً أؤلئك الذين يأتون من شرق شبه الجزيرة العربية، ويريدون أن يبينوا إخلاصهم للأمير، ويذكر داوتي أن هنالك ما يقارب ٢٠٠رجلاً في المدينة يتقاضون من الأمير راتباً شهرياً لتقديم خدمة الشرطة، يرأسهم قائد الحرس، الذي يديرهم من قصر الأمير، على اعتبار أنه أحد أهم رجالاته.(٢)

إضافةً إلى ما ذكره داوتي؛ يخدم الأمير ما يقارب ٤٠٠ من الموالي، يقومون بمهام الشرطة أيضاً، وهؤلاء من الرجال الذين جندوا أنفسهم لخدمة الأمير، لذلك كانوا يسكنون

---

(١) **السفارة الروسية في استانبول:** رسالة من بونافيدين إلى خارجية الإمبراطورية الروسية في موسكو، محفوظة في القائمة ٥١٧/٢، إضبارة ١٢٣٤، بتاريخ ٢٨ مايو ١٨٩٠م/١٣٠٨هـ، ص ص ٦٧-٦٩.

(٢) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٥٢.

في بيوت مخصصة لهم، كل بيت يحوي ما يقارب ٢٠ رجلاً من هؤلاء الموالي، يساعدهم بعض المتطوعين من شباب الجبل.(١)

كما انخرط في خدمة الشرطة عدد من المغاربة(٢) الذين تم نقلهم إلى الجبل، وكان عددهم يقارب ٥رجلاً ، وكانوا غالباً ما يكلفون بحراسة المدينة وبواباتها، خصوصاً في حال كان الأمير خارج المدينة.(٣)

أغلب النفقات التي يقدمها الأمير لمن يخدم في الشرطة؛ كانت على أسلحتهم وثيابهم التي كان يفترض أن تكون موحدة، وكانوا يحصلون على رواتبهم منه، وكانت هذه الرواتب زهيدة نوع ما.(٤)

- **اللباس الخاص بالشرطة:**

كان لشرطة الجبل لباس خاص بهم، وقد يكون هذا اللباس هو اللباس نفسه الخاص بالجيش النظامي للأمير، ما يعني أن ثمة تداخل بين جهاز الشرطة والجيش، أو بمعنى آخر أن من يقدم خدمة الشرطة من الممكن أن يكون محارباً ، وبالتالي فإن الجيش هو من يغذي جهاز الشرطة في الجبل. كان لبسهم مهندماً بشكل واضح، حيث يلبسون ثياباً بيضاء ومشالحاً سوداء، ويمسك كل واحد منهم بعصا لها طرف من الفضة، كي يتم تمييزهم بين من يخدمون الأمير، كما يحملون سيوفاً لها مقابضاً من الفضة.(٥)

---

(١) الجاسر: **المعجم الجغرافي**... المرجع السابق، ص ٣٩٢.

(٢) كانوا في خدمة الدولةالعثمانية في الجوف، وبعد أن توقفت رواتبهم منها، نقلهم محمد العبدالله الرشيد إلى الجبل كي يقوموا بخدمته، ويستفيد منهم، والظاهر أنهم كانوا من المرتزقة الذين يدينون بولائهم لمن يدفع لهم؛ (داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٥٢).

(٣) نفسه.

(٤) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٨٣.

(٥) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٣٢.

وفي وصف لبلنت ذكرت أن مشالحهم بينة اللون، يلبسون كوفيات[1] زرقاء أو حمراء على رؤوسهم.[2] وبالنسبة للون المشالح، فربما أنه من باب التغيير، أما لون الكوفيات فمن الواضح أنه يرمز لرتبة معينة، وغالباً ما تكون بين رئيس ومرؤوس.

- **المهام التي يقوم بها رجال الشرطة:**

عادةً ما يقوم المكلفون بمهام الشرطة بحراسة البوابات، ذلك بعدد كبير منهم، بعضهم يكون واقفاً والآخر جالساً على منصة البوابة قريباً من مدخلها، حتى يكون رهن الإشارة في حال أي طارئ، أيضاً يقومون بحفظ النظام في ساحة المدينة، بحيث يكون كل واحدٍ منهم شاهراً سيفه في يده، وكان لكلٍ منهم موقعه المحدد له، إضافةً إلى حراستهم للسوق، لا سيَّما إن كانت بوابات المدينة مفتوحة للدخول، حتى يتم الحفاظ على الذوق العام.[3]

ويحتشد عدد كبير من رجال الشرطة في الساحة الكبرى في الجبل، ويشكلون صفوفاً منظمة، لكن ليس بالتنظيم المتعارف عليه حالياً، وقدَّرت بلنت عددهم بـ ٨٠٠ رجل يشكلون مربعاً، يجلسون بصف مزدوج أما جدران الساحة، بحيث يجلس جزء منهم على منصة الجدران، والآخر يقابلهم وهو يجلس القرفصاء.[4]

كما كانوا يكلفون بحراسة الشخصيات المهمة التي تزور الإمارة، أو تلك الشخصيات التي يخشى أن يحدث لها ضرر من الناس في المدينة، خصوصاً الأجانب، لذلك كان يرافق بلنت وزوجها باستمرار حارس منهم، لكي يشعروا بالأمان بين الناس، خصوصاً وأن الأهالي

---

(١) كانت تقصد بلنت هنا ما يغطى به الرأس، وغالباً ما تقصد هنا هو الشماغ أو الغترة المعروفة، لأنه ليس من المنطقي أن تكون تقصد القبعة.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٥٠.

(٣) بلغريف: المصدر السابق، ج٢، ص ص ١٣٢ و١٧٣.

(٤) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٥٠.

كانوا يتذمرون من زيارة غير المسلم، وعلى الرغم من ذلك كانوا ينسجمون معهم بشكل سريع.[1] كذلك غوارماني كان يرافقه عنيبر، أحد أهم موالي ابن رشيد.[2]

ومن المهام التي كان يكلف بها رجال الشرطة؛ حراسة الخيول الخاصة بالإمارة، خصوصاً في وقت خروجها من المدينة، لأنها كانت مطمعاً في شبه الجزيرة العربية، وغالباً ما يقوم بهذه المهمة موالي الأمير.[3] أيضاً كان أفراد الشرطة يكلفون بالتجمع خلال جلسات القضاء التي يعقدها الأمير، وبين أنهم كانوا يحافظون على الأمن في حضرة الأمير؛ كانوا ينفذون الأحكام التي يقضي بها القضاء فوراً على الغالب.[4]

كانت الخدمة في الشرطة مطمعاً لبعض شبان الجبل، خصوصاً إذا ما تم تكليفهم في المناطق التابعة للجبل؛ مثل الجوف، ذلك بسبب أنهم يتقاضون رواتباً على فترات خدمتهم، وما أن يعودوا تنقطع، وكانوا يساعدون الحاكم على فرض النظام والحفاظ على الولاء.[5]

---

(١) نفسه.

(٢) غوارماني: المصدر السابق، ص ٥٩.

(٣) نفسه، ص ٥٨.

(٤) نفسه.

(٥) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أبيش، ص ٢٨٢.

• التنظيمات العسكرية:

المتتبع لتاريخ إمارة جبل شمَّر يلحظ أنها كانت إمارةً عسكرية، ذلك لأنها انشغلت في فترات عدَّة من تاريخها بخوض المعارك العسكرية، سواء في مشاركة الدولة السعودية الثانية في الغزوات التي تقوم بها، أو التوسع الذي كانت تنتهجه الإمارة باسم الدولة السعودية في بداية أمرها شمالاً، ومن ثم تطاولها على المنطقة الجنوبية من الجبل، حتى وصلت إلى كامل حدود نجد وخارجها.

وبسبب كثرة المواجهات العسكرية في تاريخ الإمارة؛ نجد أنها بدأت تتطور في أساليبها الحربية، وخططها وآلتها العسكرية، حتى الفرق البشرية التي كانت تعتمد عليها في الحروب.

• جيش الإمارة:

في بداية تاريخ إمارة الجبل في عصر الدولة السعودية الثانية، كانت تسير على ما كانت عليه في عصر الدولة السعودية الأولى؛ من خلال إرسال المقاتلين للمشاركة مع جيش الدولة، أو التوسع بدعم الدولة شمالاً، لذا كان قوام الجيش يعتمد على النفير العام، ومن أبناء البادية التابعين للإمارة، ما يعني أنه لم يكن هنالك جيش منظم.

وبعد أن انتقلت الإمارة من حكم آل علي إلى آل رشيد؛ سار عبدالله بن رشيد على ما كان سابقاً في بداية الأمر، لكنه في الوقت نفسه أسس فرقة صغيرة من العسكر، يقدر عددها بحوالي ٢٠٠ أو ٢٥٠ رجل[1]، كانوا من الموالي، وبعض المحاربين من المناطق النجدية الأخرى، الذين التحقوا بخدمته، إضافة لبعض الجنود المصريين الذين تخلفوا عن حملة محمد علي على الدولة السعودية، الذين استعان بهم في حروبه وحراسته الشخصية، خصوصاً أنهم

(١) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٩.

كانوا ذوي خبرة عسكرية، وإخلاص لسيدهم، وأغلب هؤلاء المتخلفين من الحملة المصرية؛ كانوا من الزنوج والمصريين.(١)كما مدَّ خورشيد باشا عبدالله بن رشيد بـ ١٥٠ من المقاتلين المصريين، بعد أن زاره في المدينة المنورة، وأراده أن يساعده في استعادة حكمه على الجبل، بعد أن خرج منها حين استعادها آل علي بقوة خالد بن سعود وإسماعيل بك.(٢) لكن قوة خورشيد لم تبق كلها، حيث عاد جزء منها إلى خورشيد، وبقي آخرون مع ابن رشيد، والمتخلفون من الجيش المصري يعدون من المرتزقة، الذين كانوا يحاربون من أجل ما يقدمه لهم عبدالله من أموال، وتأمين لحياة كريمة لهم في إمارته، خصوصاً وأنهم مقربين منه، لذا سيكون لهم مكانة مختلفة.

إضافةً إلى المصريين والزنوج؛ التحق في جيش ابن رشيد في بداية التأسيس الحضر من أهالي الجبل في حائل، والقرى التابعة لسلطة الإمارة في كل مكان(٣)، كما برع جيش عبدالله في بداية أمره في استخدام الأسلحة، لاعتماده على قوات من المرتزقة المصريين، الذين كانوا متمرسين في ذلك، وبالتالي قاموا بتدريب بقية الجيش على استخدام السلاح.(٤)

مع مرور الوقت؛ أصبح جيش الإمارة ينقسم إلى:

أولاً : الجيش النظامي:

المدربون من الجند، ويعدون من الجيش النظامي، وأطلق على جزء منهم رجاجيل الأمير، أو رجاجيل الرئيس.غالبيتهم من أبناء الحاضرة، الذين عوَّل عليهم عبدالله بن رشيد

(١) كان هروبهم من القوات المصرية بسبب انخفاض رواتبهم، كذلك تأخرها، وبالتالي بقوا في المنطقة ولم يغادروا مع القوات التي عادت إلى مصر، إضافة إلى أنهم كانوا يودون الانضواء تحت مظلة قوة عسكرية، تأويهم وتحميهم من هجمات القبائل المعادية لهم؛ (الرشيد: المرجع السابق، ص ١٥٠).

(٢) العجلاني: **الدولة السعودية الثانية**... المرجع السابق، ص ١١٩.

(٣) موزل: ألويس، **فصول من كتاب شمال نجد**، مجلة العرب، ج١، السنة ٨، الرياض، رجب ١٣٩٣هـ/ أغسطس ١٩٧٣م، ص ٢٢.

(٤) الرشيد: المرجع السابق، ص ١٥٠.

في بداية التأسيس كثيراً في تثبيت أركان إمارته، خصوصاً أنه كان يعي أن ولاءهم لا يتغير.[1] ومع الوقت أصبح لدى الإمارة تجنيد اختياري، للالتحاق في الجيش النظامي، حيث يتم تسجيل شبان المدن والقرى في قصر برزان، كي يتم استدعاؤهم وقت الحاجة.[2] وبعد أن توسعت الإمارة لم يكن التجنيد الاختياري كافياً لسد حاجة الجيش، ما دعا الإمارة إلى أن تسير على سياسة التجنيد الإجباري، إلى أن شمل هذا التجنيد التجار من حاضرة الجبل إذا ما استدعت الحاجة إليهم، ذلك سعياً للتخفيف من الاعتماد على البادية في الحروب، وبالتالي أصبحت السيطرة العسكرية للحاضرة.[3]

ومما يبدو أن حاضرة الجبل جميعهم يدخلون ضمن هذا التصنيف[4]، وهو الجيش النظامي، خصوصاً وأن الإمارة اعتمدت عليهم بشكل رئيس، حيث يتم اختيارهم من أحياء الجبل، فقواد الجيش في الغالب من أهالي حي لبدَّة، ويأتي في مرتبة تليها سكان حي مغيضة الذين عُرف عنهم الشجاعة والإقدام، وأهالي حي برزان، الذي نشأ من مجموعة الذين يخدمون في الجيش من أهالي الجبل، وغالبيتهم من الموالي، الذين عملت الإمارة على استقرارهم في مجموعات، بحيث تتكون كل مجموعة من ٢٠ مولى، تقوم الإمارة بدفع الرواتب والعتاد لهم.[5]

ويدخل ضمن هذه الفئة من الجيش؛ المصريون الذين كانوا مع عبدالله في بداية إمارته، والمتطوعون من المناطق النجدية؛ كذلك الأيتام الذين يتربون في الجبل، ويعدون لخدمة

---

(١) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٩.

(٢) الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٧.

(٣) الرشيد: المرجع السابق، ص ص ١٥٣-١٥٤.

(٤) عُرف عن حاضرة الجبل شجاعتهم وإقدامهم، وأشتهر عنهم أنهم أول من يُقدِم في المعركة وآخر من يسلم منها، وقد قالت عنهم بنت ابن نقدان – شيخ العذبة من آل مرة –:

يا نور عيني يا أهل لبدة   اللي على الموت دلاقة

؛ (العتيق: سليمان، **حائل قبل مئة عام**، دار الأندلس، حائل، ط١، (د.ت)، ص ١٦٤).

(٥) عبيد: المرجع السابق، ص ص ٢٤-٢٥؛ الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٧.

الجيش، وهؤلاء يكون ولاءهم التام للأمير، لذا كان يتكفل بسكنهم وطعامهم ورواتبهم.(١) وتعد فئة الجيش النظامي هي الجزء الأكبر من جيش الإمارة.(٢)

ثانياً : منقيَّة الحرب:

مقاتلون مقربون من الأمير، ويسمَّون منقيَّة الحرب، وهم من الفرسان المعروف عنهم الشجاعة والإقدام والبسالة، مجهزون بالخيول الأصيلة والأسلحة، يتم اختيارهم من فئات المجتمع الحضرية، وغالبيتهم من الموالي، لا يشاركون في المعارك إلاَّ وقت الحاجة لتقوية الجيش، إذا ما أحسوا بقرب انكساره.(٣) وقد ذكر هوبر أن منهم ٢٠ كانوا مميزون وأذكياء، يلازمون القصر باستمرار، لا يفارقون الأمير، بحيث يستخدمهم في المهمات الاستثنائية التي تتطلب مواصفات خاصة، سواء في المعارك أو أي مهمات أخرى.(٤) وازداد عدد منقيَّة الحرب سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م إلى أن وصل إلى حوالي ٢٠٠رجل، كُلِّف جزء منهم بحراسة الأمير.(٥)

ثالثاً : مقاتلو البادية:

المقاتلون الذين يحضرون في وقت المعارك التي يدعو إليها الأمير، وهؤلاء أغلبهم من أبناء البادية، الذين يحرصون على المشاركة لكسب الغنائم.(٦) وفي كل قبيلة من القبائل هناك هناك من ٤٠ إلى ٨٠ مقاتل، لا يدفعون الزكاة للإمارة، لكنهم ملزمون على المشاركة في المعارك التي تخوضها الإمارة، مقابل ما يحصلون عليه وقت الحرب من دواب وسلاح ومواد

(1) Baran: op cit, pp 61-62.
(2) Ibid, p 62.

(٣) عبيد: المرجع السابق، ص ٢٦.

(٤) هوبير: شارل، **رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢م**، ترجمة: إليسار سعادة، مطبعة ألف، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٥٦.

(٥) نولده: المصدر السابق، ص ٩٦.

(6) Baran: op cit, p 62.

غذائية.[1] لكن في الوقت نفسه لا تقتصر مشاركة القبيلة الواحدة بهذا العدد وحسب من المقاتلين، إذ من المسموح مشاركة غيرهم، لكنهم لا يعفون من دفع الزكاة كما الأربعين أو الثمانين الذين تم إعفاؤهم، وتكون مشاركة غيرهم بالاختيار من الذين يرغبون كسب الغنائم.

لم يكن أمراء الجبل يعوّلون كثيراً على مقاتلي البادية، إذ يعدونهم جيشاً احتياطياً على الأغلب، ويستخدمونهم في دحض المدن والقرى التي تستعصي على الجيش، وفي أوقات الحاجة الملحّة.[2] لذلك لم يتم تسليم أبناء البادية إلا خراطيش البارود، من دون بنادق أو أموال، خلال الحروب.[3] وبعد أن تطور جيش الإمارة؛ أصبحت مسألة مشاركة جند البادية البادية اختيارية، ليست إلزامية كما كانت في بداية الإمارة، وعلى الأغلب كان الأمير يحرص على مشاركتهم كي يعملوا على الموزانة مع جيش العدو، بحيث تصبح كل قبيلة في مواجهة أخرى من طرف العدو المقابل، إضافة إلى استخدامهم لإرباك العدو، وتغيير خططه.[4]

وبحسب الإحصائيات التي ذكرتها بعض المصادر والمراجع لعدد هذه الفئات من جيش إمارة الجبل، فإنها كما في الجدول التالي:

تاريخ الإحصائية	مجموع الجيش
١٢٨٠هـ/١٨٦٤م	٧٢٠٠ مقاتل[5]
١٣٠٨هـ/١٨٩١م	٨٥٠٠ مقاتل[6]

(١) موزل: **عن التاريخ**... المصدر السابق، ص ٤٩.

(٢) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٩.

(٣) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٧٤.

(٤) عبيد: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٥) غوارماني: المصدر السابق، ص ص ١٠٥-١٠٦.

(٦) **إدارة الأرشيف العثماني باستانبول**: معروض مرسل من قائمقامية النجف إلى الباب العالي برقم (Y.PRK.U.M 21/44) حول قوة محمد بن رشيد في الجبل، بتاريخ ١٣٠٨/٨/٦هـ/١٨٩١/٣/١٧م.

١٣١٠هـ/١٨٩٣م	٤٠,٠٠٠ مقاتل[(١)]
١٣١٥هـ/١٨٩٧م	٥٠,٠٠٠ مقاتل[(٢)]

ذكرت بعض المصادر والمراجع إحصائيات تختلف عما ورد في الجدول، غير أن ابتعادها عن المنطقية، وبمقارنتها مع ما ورد لدى المصادر، نلحظ أنها مختلفة تماماً ولا تتناسب وتطور الإمارة، وربما أن المصادر والمراجع التي أوردت مثل هذه الإحصائيات لم تأخذ في الاعتبار مجموع الجيش، إذ ركزّت على فئات من الجيش وأهملت أخرى. ومن هذه الإحصائيات؛ ما أورده الزعارير أن غوارماني ذكر أن عدد مقاتلي الإمارة يصل إلى ٩٠٠٠ مقاتل، فيما أن غوارماني نفسه ذكر إحصائية مجموعها أقل مما ذكره الزعارير، حيث أفاد أن عدد الجيش بجمعه يقارب ٧٥٠٠ مقاتل. كما ذكر أيضاً الزعارير أنه في عهد محمد بن رشيد ٢٤,٠٠٠ مقاتل، وهذا العدد لا يتناسب أيضاً مع التطور والقفزة التي عاشتها الإمارة في عهده.[(٣)] أيضاً داوتي أعطى إحصائية من غير المنطقي أن تكون دقيقة؛ عطفاً على التوسع الذي كانت تعيشه الإمارة سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، حيث ذكر أن عدد المقاتلين الذين يلتحقون بجيش الأمير من القرى ٢٠٠٠ مقاتل، ومن القبائل ٨٠٠ مقاتل[(٤)]، وهذا أمر أيضاً غير دقيق، إلا إذا ما كان قد جزأ المقاتلين، وذكر بعضاً منهم وأهمل الآخر. أما ادوارد نولده فقد ذكر أن عدد جيش الإمارة عام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م يقدر بحوالي ٤٠,٠٠٠ مقاتل[(٥)]؛ وهنا نلحظ فارق كبير بين عدد الجيش عام ١٣٠٨هـ/١٨٩١م، وعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، والسبب في ذلك أن إمارة الجبل خلال هذا التاريخ توسعت وضمت كامل بلدان نجد التي أصبحت ترسل مقاتليها للمشاركة في جيش الإمارة.

---

(١) نولده: المصدر السابق، ص ٩٦.

(٢) قورشون: المرجع السابق، ص ٢٤١.

(٣) الزعارير: المرجع السابق، ص ص ٩٧-٩٨.

(٤) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٣٤.

(٥) نولده: المصدر السابق، ص ٩٦.

القواعد والأساليب العسكرية:

تدرجت إمارة جبل شمَّر في مسألة النضج في وضع القواعد العسكرية وأساليب القتال، ومن أهم القواعد والأساليب التي اتخذتها في معاركها، ما يلي:

١. السريَّة:

من أهم الأمور التي حرص عليها أمراء الجبل في معاركهم المحافظة على السرية، خصوصاً في مسألة مباغتة العدو من دون أن يكون لديه علم مسبق، ومن شدَّة الحرص على عدم تسرب الأخبار إلى الأعداء؛ كانت الإمارة تمنع البدو الذين يدخلون إلى الجبل من الخروج، إذا ما كان هنالك نيةٌ لمعركة خلال فترة قريبة(١)، حتى يضمنون عدم تسريب الخبر إلى العدو، وإلاَّ لفقدوا أهم قاعدة اعتمدوا عليها، وهي مفاجأة العدو.

٢. التعبئة العامة:

التعبئة العامة أو النفير العام، الذي تعمد الإمارة إليه إذا ما أرادت خوض معركة، بحيث يتم جمع المقاتلين من الحاضرة والبادية(٢)، وقد كانت طريقة التعبئة في الجبل من خلال رفع الراية في ظاهرة البلدة، ويلتف حولها كل من يريد المشاركة في الحرب(٣)، وتبدأ هذه التعبئة بجمع من الخيام التي تقام خارج البلد، بحيث يكون هنالك تجمع، استعداداً للحرب.(٤) يكون الاجتماع للحرب عادةً؛ في مكان محدد من قبل الأمير(٥)، ويشمل هذا التجمع أبناء البادية وسكان الجبل ومقاتلي القرى المجاورة، حتى رجاجيل الأمير، وغالباً ما يكون هذا التجمع قرب البلدة.

---

(١) أوتينج: المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٢) أبوعلية: **تاريخ الدولة السعودية الثانية**... المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٣) الدخيل: **إمارة آل رشيد**... المصدر السابق، ص ٥٨٢.

(٤) موزل: **فصول**... المصدر السابق، ص ٢٢.

(٥) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ١٠٠؛ داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٥.

يسبق التجمع خارج البلدة؛ اجتماع الأمير بكبار قومه، كي يتم تسجيل المشاركين في الحرب، بحيث تعلن الأسماء في اليوم الثاني، ومن يتم تسجيل اسمه لا يمكنه التراجع، ولا إنابة أحد عنه أو تقديم مقابل مادي، عدا حضر المناطق الأخرى من غير الجبل، الذين يقدمون أموالاً مقابل إعفائهم من المشاركة في المعارك.(١)

والظاهر من التعبئة العامة؛ أنها تتناقض والسريَّة في إعلان المعركة، ذلك لما فيها من إعلان واضح، من خلال الراية والخيام التي تقام خارج البلدة أمام الناس كافة، ولعل هذا التناقض منبعث من نوعية الحرب التي ستخوضها الإمارة، فإذا ما أرادات أن تكون الأمور سرية، فمن المؤكد أن التعبئة العامة لن تكون بالشكل المعلن، حتى لا تتسرب الأخبار إلى العدو. كما أن التعبئة والإعلان العام، إذا ما كانت الحرب معلنة، وفي مواجهةالخصم بقوى كبير وكثيرة، في حين أن السريَّة للعمليات العسكرية السريعة، التي لا تحتاج إلى حشد قوات كبيرة.

٣. التدريب والاستعراض:

حرصت الإمارة على أن يتصف مقاتلوها بالفخامة وحسن المظهر، ذلك من خلال ملابس الفرسان الأنيقة، وتزيين خيولهم بالسروج المطرزة، وقدرتهم على الاستعراض العسكري(٢)، وقد اعتاد أمراء الجبل على أن يقوم الفرسان أمامهم بمثل هذا الاستعراض قبل أي عملية عسكرية ينوون القيام بها(٣)، بهدف إضفاء نوع من المهابة وإظهار القوة العسكرية التي تحفز المقاتلين، وتزيد من ثقتهم بأنفسهم.(٤)

---

(١) حسني: المصدر السابق، ص ص ٧٩-٧٧.

(٢) نولده: المصدر السابق، ص ٩٣.

(٣) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٧٥.

(4) Baran: op cit, p 62.

كما وصفت قوات الجبل بأنها ذات تدريب متقن على القتال، بسبب خبرتهم في الحروب والمواجهات العسكري، فمنذ نشوء الإمارة وهي تخوض المعارك مع القوى المجاورة لها، إضافة إلى مشاركتها مع قوات الدولة السعودية الثانية في بدايتها، لذا كان لديها القدرة على القتال خارج البلدة والحصون، الأمر الذي أكسبها الكفاءة والتنظيم.[١]

٤. القيادة:

تمرس أمراء الجبل على المعارك، لذلك اكتسبوا قدرة فائقة على القيادة العسكرية في الميدان[٢]، وعادة ما تكون القيادة العليا للأمير أو نائبه في حال غاب الأمير، مثل ما كان يحدث في بداية تأسيس الإمارة مع عبدالله بن رشيد، حين كان ينيب شقيقه عبيد في قيادة الجيش، أو حين كان محمد العبدالله ينيب ابن عمه حمود العبيد. وعادةً ما كان يأخذ الأمير وحاشيته موقعاً مناسباً في أرض المعركة، تمكنهم من قيادة الجند وتوجيههم بالشكل المناسب، كذلك معرفة خطط العدو من خلال عيونه التي ينشرها، ووضع ما يتواءم معها في الوقت المناسب.[٣] وغالباً ما كان القادة يستشيرون مقاتليهم، حتى لو أنهم كانوا اتخذوا القرار قبل الاستشارة، مثل ما فعله عبيد بن رشيد في إحدى المواقع العسكرية مع أحد القبائل، إذ استشار جنده، فأشاروا بالعودة عن المعركة، حتى لا يخسروا، خصوصاً في ظل زيادة عدد جيش العدو عليهم، وحين رأى عبيد أن عزائم قومه كانت خائرة، عمد إلى دفن الآبار القريبة من جنده، إذ لم يبق إلا الآبار التي كانت خلف الأعداء، فخيرهم بين الموت عطشاً والموت في أرض المعركة، وبالفعل شارك المقاتلون في المعركة، وكان النصر لهم، واستطاع عبيد إجبار المقاتلين على النصر.[٤]

---

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٨.

(٢) العزاوي: المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٣) عبيد: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٤) العبيد: المصدر السابق، ص ص ٢٠-٢١.

٥. حامل الراية:

يعد من أهم المقاتلين في أرض المعركة، ومن أهم رجال حاشية الأمير، يسمى حامل البيرق، عادةً ما تكون خيمته خلف خيمة الأمير مباشرةً، ويعامل بشكل مختلف عن غيره، بنوع من الاهتمام، وفي جزء من عهد محمد العبدالله كان حامل الراية صغير السن بين ٢٠-٢١ سنة، وقد حصل على منصب حامل الراية، بعد أن أصيب والده في المعركة، ما جعل محمد يكرمه بمكانة أبيه.[(١)] ولا يمكن التهوين من قدر حامل الراية، ولا حتى جعله في مكان غير واضح، فحين كان عبدالله بن رشيد غازياً على عنزة؛ أشار عليه أحد أتباعه أن يمشي حامل الراية في منخفضات الأرض، حتى لا يُرى، فينكشف أمر غزوهم، لكن عبدالله رفض هذا الاقتراح بشدة[(٢)]، لما كانت تمثله الراية وحاملها من أهمية نفسية لدى الجند، فلا يمكن جعلها في مكان يقلل من هيبتها ومكانتها.

وكانت راية إمارة الجبل ذات لون أحمر، مكتوب عليها كلمة الشهادة؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله، بشكل مطرز.[(٣)]

٦. فنون القتال وتنظيماته:

تطور جيش جبل شمَّر في تنظيماته وفنونه القتالية، بحيث أصبحت هنالك مهام محددة، وأساليب جديدة، إذ إن أسلوب القتال القديم الذي تم البدء به، وهو الغارات والهجمات السريعة، لم يعد مجدياً ولا يتواءم وقدرات الجيش، فتم البدء باستخدام أساليب أهمها:

---

(١) نولده: المصدر السابق، ص ص ٩٧-٩٨.

(٢) العبيد: المصدر السابق، ص ص ١٨-١٩.

(٣) نولده: المصدر السابق، ص ٩٧.

- **الكمين**: من أبرز الأساليب الجديدة التي تطورت في تاريخ الإمارة العسكري، حيث تخصص فرق من الجيش بالتخفي في المنخفضات من الأرض، حتى لا يراها العدو، في حين أنها تراه، ولا تتدخل هذه الفرق إلاَّ إذا أحسَّت بضعف الجيش أمام العدو، بالتالي يتم إطلاق الرصاص عليه من مسافات قصيرة، تصيب أهدافها، أيضاً حين يتم الهجوم على العدو بالفرسان، ومن ثم يعود الفرسان وفي أثرهم العدو، تخرج الكمائن لصده عنهم.(١)

ومن أمثلة للكمائن التي قام بها جيش الإمارة؛ ما حدث في موقعة الجوَّي سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، حين هجم عبيد بن رشيد على عنيزة، وكان مضطراً لسحب مقاتليها خارج بلدتهم، لذا كمن لهم بالهجوم على ماشيتهم، وبالتالي خرج المقاتلون، وكان مترصداً لهم، فبادرهم بهجوم ٍ، أحدث مقتلة عظيمة بين أهالي عنيزة.(٢) أيضاً في موقعة المليداء ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، حين تظاهر جيش محمد العبدالله بالهزيمة، كي يتبعه جيش القصيم من منطقة رملية إلى صلبة، وبالتالي حين خرجوا إلى أرض المليداء الصلبة؛ وجد أهالي القصيم أن ثمة كمين وفرسان منتظرين لهم فيها، ما أحدث انتصاراً ساحقاً لمحمد وجيشه.(٣)

- **تقسيم المقاتلين**: اعتادت القيادة تقسيم الجيش إلى ميسرة وميمنة وقلب، وفي أثرهم مجموعة من الجند، يعملون على دعمهم إذا ما ضعفت قواهم، أو نال أحد الأقسام خلل ما، إذ يقوونها ويسدون نقصها، وخلف الجيش ينتشر مجموعة أخرى من المقاتلين؛ وظيفتهم تشكيل سور خلفي لحماية الجيش من الظهر، ويعدون جيشاً احتياطياً إذا ما دعت الحاجة إليهم.(٤) أيضاً هنالك تقسيم آخر بين المقاتلين، إذ يتم تقسيم كل خمسة

---

(١) عبيد: المرجع السابق، ص ص ٩١-٩٣.

(٢) البسام: **تاريخ عبدالرحمن الصالح**... المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٣) المارك: المرجع السابق، ج٣، ص ٨٢٤.

(٤) عبيد: المرجع السابق، ص ص ٩١-٩٣.

إلى ستة أفراد إلى مجموعة يقودها واحد تسمى الخبرة، وهذا القائد يكون من المعروفين بالبسالة والمكانة من بين المقاتلين، ومن المتمرسين بفنون القتال، والمعروفين بخدمة الإمارة، ويعطى هذا الخبير الذي يأتي بفرسه بعيراً ، لاستخدامها مع فرقته إن احتاج إليها، وعادة ما يركب على البعير اثنان من المقاتلين[1] ويقوم الخبير بتقديم حمل خيمة، يخرج بها معسكراً خارج البلدة، انتظاراً لانطلاق الجيش، ويبقى في هذه الخيمة هو وفرقته.[2]

- **الاعتماد على الركائب**: وهذا من أكثر الأمور التي يحرص عليها جيش الإمارة، فالعماد في المرتبة الأولى هم الفرسان[3]، إذ يعدون الركيزة الأساس التي من الممكن أن ترجح الكفة، وتغير موازين المعارك، وربما لتوفر الخيل في جبل شمَّر سبب في ذلك، إضافةً إلى إتقان أبناء الجبل الفروسية، والتعامل مع الخيل، خصوصاً في أرض المعركة. كما أن للخيل وفق معطيات ذلك العصر؛ قيمة عسكرية، جعلت من الإمارة التي لم تهدأ في أرض المعركة تهتم بها بشكل لافت، وقد فاق الاهتمام بها لسرعتها في المواجهات العسكرية، لذا تعد اسطبلات الخيل في الجبل جزءاً من المستودعات العسكرية.[4] وفي مرتبة تلي الخيل؛ تأتي الإبل، التي تستخدم في المعركة لإرهاب العدو، وعادة ما تكون البداية بها، لأنها كانت تهجم على العدو بشكل مباغت إذا ما سمعت صوت البارود والرصاص، وبعد الإبل يأتي المشاة، ومن ثم الفرسان بعد أن يتلقى الطرف الآخر أكثرمن ضربة، ويصبح في ذهول تواليها، كما أنها تفيد بشكل أكبر في المناطق الرملية، أكثر من الخيل، التي يقل أداءها بشكل ملحوظ على الرمل، لذا كانت الخيل دائماً ما تحتاج إلى أرض صلبة حتى تؤدي دورها كما يجب.[5]

---

(١) العزاوي: المصدر السابق، ص ١٧٤.

(٢) حسني: المصدر السابق، ص ٧٨.

(٣) عبيد: المرجع السابق، ص ٩٠.

(٤) الرشيد: المرجع السابق، ص ص ٦٣-٦٤.

(٥) المارك: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٨٢٤-٨٢٧.

- **العطفة (العماريَّة)**: من الأمور التي درج عليها جيش الإمارة في بعض معاركه؛ استخدام العطفة أو ما يسمى بالعمارية، إذ تُعد بنت أو أكثر من بنات القبائل أو الجبل للمشاركة في الحرب، وتركب على هودج مزيَّن ومعد لها يسمى العطفة، وعادة ما تكون هذه البنت من الجميلات الأبكار، تعمل على حث المقاتلين في أرض المعركة على الإقدام، حيث إذا رأت منهزماً عنَّفته وطلبت منه العودة إلى القتال، وإذا ما حلَّ مثل هذا الأمر رمت البنت غطاء رأسها مادحةً المقاتلين، وإن لم تلحظ لنداءاتها نتيجةً لدى الجند؛ تقدمت بهودجها للإمام صوب العدو، وغالباً ما تصاب في أرض المعركة، أو أنها تؤسر من قبل العدو، وفي مثل هذه الحال يعد الأمر عاراً على الجيش، ولم يحدث أن أُخذت عطفة الجبل في أي معركة شاركت فيها.[1] وتقوم كل فتاة تشارك في العطفة، بالاستعراض أمام خيمة الأمير قبل المعركة، ويقود ناقتها اثنان، واحد من الأمام وآخر من الخلف، ويتم تكريمها من الأمير بمبلغ بين ٥-١٠ ريالات حسب مكانتها.[2]

---

(١) العزاوي: **عشائر العراق**... المصدر السابق، ج١، ص ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٢) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٧٥؛ حسني: المصدر السابق، ص ٧٨.

- **مصروفات الجيش:**

بما أن إمارة جبل شمَّر كانت إمارة حربية، ركزت على المعارك طوال تاريخها؛ فمن المؤكد أنها ستوجه جزءاً كبيراً من دخلها الاقتصادي للتجهيز العسكري، لكن في بدايتها لم تكن تستطع أن تصرف علىالمقاتلين وتسليحهم بالشكل الذي يضمن لها جيشاً نظاميًّاً، لذا كانت مصروفاتها توجه بأقل التكاليف في هذا الشأن.

ومن ذلك أنها لم تكن تعطي رواتباً ثابتةً للجند الذين يتم تجنيدهم في خدمتها العسكرية، إلاَّ حينما يكونون في أرض المعركة، أو حينما يتم استخدامهم في خدمتها في البلدان التي يتم ضمها.[1] إضافة إلى أن ما كانت تعطيه هؤلاء المجندين؛ هو ما يسد حاجتهم، ويكون ضرورياً لحياتهم اليومية.[2]

كما أن إمارة الجبل لم تلزم نفسها في البداية بتجهيز المقاتلين بما يلزمهم خلال المعارك من خيول وركائب وطعام، حيث كان كل مقاتل مسؤول عن تجهيز نفسه،وأبلغ ما كان يحفِّز هؤلاء المقاتلين للمشاركة في الحروب؛ هو الفوز باليسير من الغنائم التي يقررها الأمير لهم بعد الانتصار في المعركة .[3] ومع الوقت أصبحت الإمارة تقدم السلاح والملابس لمقاتليها، كذلك المؤن اللازمة خلال المعركة، ولعل الطعام لُصبح أمره يسيراً بسبب أن حضر الجبل كانوا يقدمون زكاتهم من محاصيلهم الزراعية، التي يتم تخزينها واستخدامها وقت الحاجة خلال العمليات العسكرية، وغالباً ما يتم توزيعها على الموالي والمرتزقة من الجند[4]، ومن ثم غيرهم. وأصبحت أيضاً تلتزم الإمارة بتجديد الخيل والركائب والأسلحة للمقاتلين إن طالت

---

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) هوبير: المصدر السابق، ص ٥٦.

(٣) عبيد: المرجع السابق، ص ٩٠.

(٤) موزل: **فصول**... المرجع السابق، ص ٢٢.

فترة الحرب وتلف ما لديهم من أسلحة، وأرهقت ركائبهم[1]، كنوع من تحفيزهم على القتال، القتال، وضمان وجودهم في أرض المعركة، خصوصاً وأن الجيش قد يصاب بالملل في بعض المعارك التي تطول فترتها.

بعد ذلك سعت الإمارة إلى أخذ ضريبة من سكان الجبل، كي تعمل على تجهيز الغزوات بما هو ضروري من أسلحة وركائب وأطعمة للجند، لاستشعار الإمارة أهمية الصرف وضمان الولاء، لذلك توسع الأمير بمسألة التكفل بقوت المقاتلين، ودفع مبلغ مالي لمن لا يستطيع المشاركة والتجهيز، وكانت هذه الضريبة تغطي جزءاً كبيراً من مصروفات الجيش، إذ تصل في بعض الأحيان إلى ١٠٠٠ ليرة عثمانية ذهبية.[2]

وحين ازدهرت الإمارة، وارتفع دخلها؛ باتت تقدم مبالغاً ثابتة لمقاتليها، وتصنف هذه المبالغ حسب مكانة ودور المقاتل، وقد قسمت هذه المصروفات كالتالي[3]:

فئة المقاتل	قيمة ما يتقاضاه بالريال المجيدي[4]
مقاتلو الخبرة	٢٠-٣٠
الجند	٨-١٥
أبناء الرشيد والسبهان	١٠٠-٢٠٠
البنات المشاركات في العطفة	٥-١٠
سائسا العطفة	١-٢

(١) الدخيل: **أقسام**... المرجع السابق، ص ٣٥٧.

(٢) الحماد: المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٣) حسني: المصدر السابق، ص ص ٧٧-٧٨؛ العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ص ١٧٤-١٧٥.

(٤) يلفظها العامة إريال، وسمي بالريال المجيدي لأنه ضرب في عهد السلطان عبد المجيد الأول ١٢٥٥-١٢٧٧هـ/١٨٣٩-١٨٦١م، وهو مصنوع من الفضة الرباص الصافي، واستمر ضرب الريال المجيدي في عهود سلاطين لاحقين ولكنه بقي يسمى بالمجيدى؛ (عقل: محمد، **النقود المتداولة في فلسطين في العهد العثماني**، بحث منشور على موقع رابطة أدباء الشام، على الرابط: www.odabasham.net/show.php?sid=34463).

• الأسلحة:

بدأت إمارة الجبل خلال تأسيسها على يد عبدالله بن رشيد بأسلحة متواضعة، من بنادق ومدافع قديمة، وبعدد قليل، إضافة إلى السيوف والرماح والخناجر والدروع[١]، وغيرها من أدوات السلاح الأبيض، التي لم تكن تستطيع الجيوش في شبه الجزيرة العربية كافة الاستغناء عنها، بحكم شعبيتها، وتوافرها أكثر من غيرها من الأسلحة المتطورة حسب مقاييس ذلك الزمن.

حصل عبدالله بن رشيد في بداية حركاته العسكرية، على مجموعة من البنادق التي تركها المصريون بعد مغادرتهم البلاد، كذلك على ما مدَّه به الإمام فيصل بن تركي منها، وما حصل عليه عن طريق الشراء من ميناء الكويت.[٢] كما كان عبدالله يمتلك بطارية عسكرية[٣]، جاءت من الكويت، وأعطاه إياه الإمام فيصل، وظلت هذه البطارية المكونة من مدافع عدة إلى عهد طلال بن رشيد، وقد وصفها بلجريف في رحلته بأنها كانت مخيفة، ترهب من يراها، وأنها وضعت تحت مظلة بشكل منظم، تتكون من تسع قطع من المدفعية مختلفة العيار، أربع منها فقط مركب على عربة، وثلاثة تعمل فقط، كما ذكر أن طلال يمتلك مدفعي هاون، استخدمها في حصاره للجوف، إضافةً إلى مدفع ميدان.[٤]

ومما يبدو أن الأمور ظلت من دون تطور في التسليح في عهدي متعب العبدالله وبندر الطلال، إذ استمروا على ما كانت عليه الإمارة من تسليح قديم، ولم تفكر الإمارة بمزيد بالتسلح إلا في عهد محمد العبدالله، الذي كان يمتلك في بداية عهده ٥-٦ مدافع ميدان

---

(١) أبوعلية: المرجع السابق، ص ٢٨٣.

(2) Baran: op cit, p 63.

(٣)البطارية مصطلح عسكري يُقصد به الوحدة العسكرية المكونة من مدافع عدَّة.

(٤) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ص ١٣٦-١٣٧.

صغيرة، صناعتها ألمانية، كانت تستخدم لهدم الأسوار الطينية، وقد حصل عليها عن طريق موانئ الخليج العربي.(1) ومما يبدو أن المدافع القديمة، التي كانت في فترة التأسيس لا تزال موجودة لدى محمد، ذلك حسب ما أورده يوليوس أوتينج؛ حين زار الجبل سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، وأفاد أن ثمة مدافع متهالكة في الجبل، تحمل تواريخاً قديمة، كلها مهددة لمن يحاول إطلاقها.(2)

دأب محمد العبدالله إلى تسليح قواته بأفضل الأسلحة وأكثرها تطوراً، ما أربك الدولة العثمانية، التي كانت تتحسس من التعبئة العسكرية والتسليح الذي كان يقوم به أمير الجبل، خصوصاً بعد إخبارية وصلت الدولة العثمانية؛ ذُكر فيها أنه استقبل ١٧ إنجليزياً، سلموه ٩ صناديق محملة بالأسلحة.(3) وفي تقرير استخباراتي مقدم من مدير شرطة المدينة المنورة للباب العالي؛ ذُكر فيه أن جيش ابن رشيد مسلح بالبنادق المتنوعة، وست مدافع حصل عليها من الكويت والشام.(4) كما أكدَّ مدير شرطة المدينة المنورة أن ابن رشيد كان يحصل على الأسلحة من السيَّاح الأجانب ومن ميناء الكويت.(5)

كما حرص محمد على شراء كل ما هو حديث من الأسلحة في عهده، وكان يعمد إلى بيع الخيول في الكويت، ومن ثم يأمر أتباعه بشراء أسلحة بثمنها من الميناء نفسه، كما

---

(١) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٥٧.

(٢) أوتينج: المصدر السابق، ص ٩٨.

(٣) **إدارة الأرشيف العثماني باستانبول**: إخبارية من محتسب المدينة المنورة إلى الباب العالي، حول استقبال محمد بن رشيد ١٧ إنجليزياً مدوه بتسعة صناديق محملة بالأسلحة، برقم (Y.MTV 14/43) بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٣٠١هـ.

(٤) **إدارة الأرشيف العثماني باستانبول**: تقرير استخباراتي مقدم من مدير شرطة المدينة المنورة للباب العالي، حول تحركات محمد ابن رشيد وتسليحه، برقم (Y.MTV 49/47) بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٣٠٦هـ.

(٥) **إدارة الأرشيف العثماني باستانبول**: محضر معدّ للباب العالي حول موقعة المليداء، بشأن الأسلحة التي استخدمها في الموقعة، برقم (Y.MTV 50/72) ، بتاريخ ٢٣ شوال ١٣٠٨هـ.

كان يشتري الأسلحة أيضاً من قطر وينبع.[1] لذلك كان غالبية المحاربين في عهده مسلحين بأحدث البنادق في عصرهم، كما أنه قد حصل على جزء كبير منها من الدولة العثمانية.[2]

كانت الأسلحة تفد إلى إمارة الجبل من أماكن عدَّة، لعل أغلبها كانت تأتي عن طريق الكويت، كما أكدت عدد من الوثائق العثمانية، ومنها ما يأتي عن طريق قطر والإمارات الخليجية الأخرى، إضافة إلى ما كان يأتي عن طريق الدولة العثمانية وبلاد الشام. لكن فيما يبدو أن محمد العبدالله فكر في أن يجعل له ميناءً خاصاً، يجعل الأسلحة تأتي منه بسهولة، ما جعله يؤمن لنفسه ميناءً على البحر الأحمر في الجهة العليا من ميناء الوجه، وقد استفاد فترة من الزمن من هذا الميناء في مسألة التسليح[3]، خصوصاً بعد أن أحس أن الدولة العثمانية قد تقف أمام مصادر تسليحه في الخليج، وبعد أن كلفت موظفيها بالتحري حول مصادره، التي أفادت فيها التحريات أنها تأتي من الكويت بمساعدة بعض الولاة والشيوخ في البصرة.[4]

- **تخزين الأسلحة والتدريب على استخدامها:**

كانت أسلحة الإمارة تخزن في بلدة عقدَّة أيام السلم، وقد ذكر غوارماني أنه شاهد حمولة ٤٠ بعيراً من الأسلحة فيها[5]، كما وصفت مخازن الأسلحة أنها كبيرة، وتحوي عدداً وافراً من البنادق والسيوف والذخيرة الحيَّة، والمدافع كانت موجودة داخل حائل، لصد أي هجوم محتمل.[6]لأنه يصعب وجود المدافع في المخازن، خصوصاً وأن عقدَّة منطقة وعرة،

---

(١) الحماد: المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٢) موزل: **عن التاريخ**... المصدر السابق، ص ٤٩.

(٣) كمالي: المصدر السابق، ص ٣٧٦.

(٤) الحماد: المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٥) غوارماني: المصدر السابق، ص ٦٧.

(٦) نولده: المصدر السابق، ص ٤٩.

إضافة إلى أن جلبها سيأخذ وقتاً طويلاً، وبالتالي لا فائدة منها إذا ما تعرض الجبل إلى أي هجوم أو حصار.

أما في ما يتعلق بمسألة التدريب على الأسلحة؛ ففي بداية حكم الإمارة، كان للجنود المصريين أثر كبير في استخدام الأسلحة التي حصل عليها عبدالله بن رشيد، وفي عهد محمد العبدالله جُلب مجموعة من الفارين من الجيش السابع من أفراد المدفعية العثمانية إلى الجبل، وعدد من الضباط، حيث دُفعت لهم رواتب عالية، أغرتهم في قبول عرض ابن رشيد في تعليم رجاله على استخدام الأسلحة، خصوصاً وأن جزءاً كبيراً من أسلحتهم كانت حديثة.[(١)] إضافة إلى التدريب على استخدام الأسلحة؛ أُنشئ مصنع في الجبل لبعض لوازم الأسلحة من بارود وخراطيش، وقد أسس هذا المصنع عدد من المعلمين الإنجليز، الذين عملوا فيه فترة من الزمن، امتدت إلى أكثر من سنة[(٢)]، كانوا خلالها يدربون موالي محمد على هذه الصناعة حتى أتقنوها، ومن ثم تسلم الموالي الذين وصل عددهم إلى ٤٠٠ التصنيع كما تدربوا، كما كان لهؤلاء المعلمين دور في تدريب جيش محمد على استخدام الأسلحة الجديدة.[(٣)]

كما كان في جبل شمَّر أحد أكثر الحرفيين[(٤)] إتقاناً لتجليد البنادق الفتيلية بصفائح من الفضة والذهب، كذلك السيوف، وغيرها من الأسلحة الأخرى، التي كان يعيد تأهيلها وصيانتها، ومن ثم حفظها في مخازن الأسلحة.[(٥)] وربما أن دور هذا الصانع الذي يسمى غانم؛ كان بمثابة عمل ورشة لتأهيل بعض الأسلحة.

---

(١) كمالي: المصدر السابق، ص ٣٧٧.

(٢) نفسه، ص ٣٧٧.

(٣) قورشون: المرجع السابق، ص ٢٤١.

(٤) ذكر داوتي أن اسمه غانم، من سكان الجوف، وبعد ضمها أخذه عبيد بن رشيد إلى الجبل، لاشتهاره في إتقان حرفته، وأصبح مكلفاً بصيانة أسلحة الإمارة وتزيينها؛ (داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني ص ٤٥٠).

(٥) نفسه.

• أنواع الأسلحة:

كانت الأسلحة الحربية المستخدمة في إمارة الجبل؛ هي الأسلحة نفسها المستخدمة في شبه الجزيرة العربية خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، التي تمثلت في السلاح الأبيض، من سيوف وخناجر ورماح وسكاكين وعصي وغيرها، إضافة إلى استخدام البندقية، والمدفعية التي وفدت بدخول الأساطيل البرتغالية والهولندية والإنجليزية والفرنسية إلى الخليج العربي، وعرفت بشكل أكبر بعد حملة محمد علي باشا على الدولة السعودية الأولى.[1] وعلى الرغم من أن البنادق والمدفعية كانت تشكل مصدر قوة؛ إلا أن مقاتلي شبه الجزيرة العربية لم يستغنوا عن السلاح الأبيض. واستخدم جيش إمارة جبل شمَّر الآلات العسكرية القديمة والحديثة، وكانوا يستخدمونها بنوعيها في معاركهم، حيث يبدأ الجيش عادةً باستخدام البنادق والمدافع، ومن ثم تتحول المواجهات العسكرية إلى استخدام الأسلحة القديمة أو ما يسمى بالسلاح الأبيض.[2]

الأسلحة القديمة (السلاح الأبيض):

١. **السيف:** يأتي في مقدمة الأسلحة القديمة التي كان يستخدمها المقاتلون في شبه الجزيرة العربية حتى فترة متأخرة من التاريخ الحديث، باعتباره الأشهر من بين آلات الحرب، حتى بعد اكتشاف الأسلحة النارية الحديثة، ذلك لما يرمز إليه من شجاعة وإقدام، إضافة إلى أن البنادق والمدفعية لم تتوافر بالكم الذي يسعف الجيوش إلى الحد الذي يجعلها مستخدمة طوال المعركة الواحدة. ويشتهر من السيوف نوعان: السيف الطويل الذي يكون فيه انحناء قليل، ويستخدم عادةً في مواجهة الخصوم عن بعد، والسيف

---

(١) الهاشمي: رحيم كاظم، **تجارة السلاح في الخليج العربي ١٨٨١-١٩١٤م**، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٧.

(٢) المارك: المرجع السابق، ج٣، ص ٨٢٤.

القصير المعتدل الذي يسمى الكردة، ويعد الأقوى من حيث الضرب من قرب، وسريع في مسألة الطعن والإجهاز على العدو.[1]

٢. **الرمح**: كان من الأسلحة المستخدمة أيضاً، وبشكل رئيس، في مرتبة تلي السيف، وعادة ما يكون عبارة عن عصا طويلة، ودقيقة ذات رأس حاد، أو عصا غليظة وقصيرة لها رأسان متوازيان حادان من الجانبين وهذه تسمى الشلفا[2]، وتختلف الشلفا حسب تصنيعها، فمنها ما يصنع بلسانين حادين، وما يصنع بثلاث ألسنة حادة.[3]

٣. **الخنجر**: وهو ما يصنع من الفولاذ، ويشبه السيف في شكله إلا أنه صغير الحجم، وقصير يصل طوله على الأغلب إلى ٣٠ سم، وعادة ما يضعه المقاتلون على خاصرتهم، وهو في غمده، ويستخدم في الطعن حين الاشتباك بالأيدي، ويسمى القديمي، والحويرثي، الودين، الحضرمي، العكف، وغيره من الأسماء حسب المناطق.[4]

٤. **السكاكين**: وتسمى المديَّة أو الخوصة، وهي تشابه الخنجر من حيث الحجم والاستخدام، وتختلف عنه في تصنيعها، حيث إنها تصنَّع من الحديد الطري، وذات جانب حاد واحد، ولا تقوم مقام الخنجر إلا عند الضرورة.[5]

٥. **الفاعوس**: وتسمى الكلنك، وهي كالفأس لها عصا قصيرة ووجه حاد واحد، ورأسان حادان آخران معقوفان إلى الخلف، يستخدم للضرب عن قرب، مصنوع من الفولاذ.[6]

---

(١) السويداء: عبدالرحمن بن زيد، **نجد في الأمس القريب**، ج٢، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣٨٩.

(٢) نفسه، ص ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٣) القويعي: محمد بن عبدالعزيز، **تراث الأجداد**، ج٢، (د.ن)، (د.م)، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ص ١٥٦-١٥٩.

(٤) الميمان: محمد بن إبراهيم، **من مفردات التراث الشعبي**، منشورات لجنة التراث والفنون الشعبية بالجمعية العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، ص ٣٦.

(٥) السويداء: **نجد**... المرجع السابق، ص ٣٩٠.

(٦) نفسه.

٦. **القناة:** تسمى العجراء أو الهراوة، وهي عصا غليظة لها رأس كروي، تصنع من جذوع الشجر، وعادة ما يوضع في رأسها قطعة حجر، كي تكون ضربتها قاتلة على الرأس.[١]

وهناك أسلحة أخرى تستخدم على نطاق أضيق مما ذُكر، منها الزحافة، التي تعد من الآلات العسكرية القديمة، وتستخدم لنقل الجند إلى الحصون المحاصرة، كي تقيهم من المُحَاصَرِين ورمايتهم، وعادة ما تصنع من الخشب، لها دراجات تحملها إلى الأسوار بأمان.[٢] كذلك العصي والمقاليع وغيرها.[٣]

الأسلحة الناريَّة:

البندقية:

وهي السلاح الناري الأقدم في شبه الجزيرة العربية، إذ عُرِف منها البندقية ذات الفتيل، التي تعبأ بالفتيل ويشعل به ثم يضغط على الزناد، الذي يطلق البارود على العدو، ويصل مداه بين ٢٠-١٠٠٠م تقريباً، حسب قوة الملح وطول قصبة البندقية[٤]، كما عرف من البنادق أم روحين التي تسمى مقمَّع، وهي قريبة من الفتيل، إلا أن لها قمع رصاصي يقوم بإحداث شرارة تصل للبارود وتُحدث احتكاك أسرع من الفتيل، كما أن لها قصبتين بدلاً من قصبة واحدة.[٥] وهناك أنواع عدَّة من البنادق، منها الكبسون والمثومن، وغيرها.

وانتشرت البندقية في شبه الجزيرة العربية بعد مجيء العثمانيين إليها، حين زوِّد الجيش العثماني بها في العراق، وقد استوردتها الدولة العثمانية من أوروبا، خصوصاً بعد فتحهم لجزيرة

---

(١) الزهراني: حصة جمعان، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية (١٢٤٠-١٣٠٩هـ/١٨٢٤-١٨٩١م)**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٦٠١.

(٢) القويعي: **تراث الأجداد**... المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٣) السويداء: **نجد**... المرجع السابق، ص ص ٣٩٠-٣٩١.

(٤) نفسه، ص ٣٩١.

(٥) القويعي: **تراث الأجداد**... المرجع السابق، ص ١٦٦.

قبرص سنة ٩٧٧هـ/١٥٧٠م، حيث غنموا بنادق كثيرة، نقلوا منها الكثير إلى العراق وشبه الجزيرة العربية والخليج العربي، حتى صارت الدولة العثمانية تصنع البنادق، والبارود يصنع في العراق، وكانت هذه البنادق تنتقل إلى شبه الجزيرة العربية عن طريق الشراء أو الغنائم خلال الحروب.(١) إضافة إلى الدولة العثمانية؛ كانت الدول الأجنبية في الخليج العربي تغذي الكيانات السياسية في شبه الجزيرة العربية بالبنادق، عن طريق الخليج العربي، فكانت مسقط من أهم مراكز تجارة الأسلحة، التي عقدت صفقات كبيرة مع مصانع الأسلحة الأوروبية، خصوصاً بعد التحرر من القيود على تجارة الأسلحة من خلال امتيازات المصانع الأوروبية في الخليج العربي، حتى أن الأسلحة كانت تباع على المواطنين والوافدين من دون أن يكون لحكومة مسقط أي حول ولا قوة في منعهم، كما لعبت الكويت الدور نفسه في تجارة الأسلحة، وإمارات الساحل المتصالح وقطر والبحرين، وكانت تدر هذه التجارة أرباحاً خيالية على التجار، خصوصاً في نهايات القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.(٢)

ومع تطور البنادق في شبه الجزيرة العربية؛ كانت الأبرز بندقية المارتيني أو ما يسمى سلاح مارتيني هنري الإنجليزي، حيث صدرت كميات كبيرة منه، وكانت هذه البندقية الأصلح لحكومات شبه الجزيرة العربية، ومنها نوعان طويل وقصير، كما عرف منها نوع من مسدسات المارتيني.(٣) كذلك بنادق الماوزر البلجيكية والأمريكية، التي تطلق النار أكثر من مرة بحشوة واحدة، وبندقية لي سبيد وغراس وشيندر وغيرها من البنادق المتعددة الصنع.(٤) والواضح أن المارتيني تربعت على عرش البنادق الأخرى.

---

(١) الهاشمي: المرجع السابق، ص ص ٨-٩.

(٢) الفريحي: فاطمة محمد، **تجارة السلاح في الخليج العربي ١٢٩٧-١٣٣٣هـ/١٨٧٩-١٩١٤م**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ص ٧٦-١٠٧.

(٣) الهاشمي: المرجع السابق، ص ١٠.

(٤) الفريحي: المرجع السابق، ص ١٤٦.

المدفعية:

خلّفت القوات المصرية عدداً من المدافع التي كان من نصيب إمارة الجبل جزء منها، واستخدمتها في بعض مواجهاتها العسكرية، ومحاصرتها لبعض البلدان مثل الجوف، وكانت هذه المدافع تستخدم على نطاق ضيق، لأن أكثرها يصعب استخدامها، كما أن البعض منها غير صالح للاستخدام.(1)وغالباً ما تستخدم في محاصرة الأسوار، وتكسير الطينية منها، كذلك تخويف الغزاة بإطلاقها.(2) وقد مر معنا الحديث عن أنواع هذه المدافع واستخداماتها.

وفي نهاية هذا الفصل نجد أن لإمارة الجبل ملامح إدارية تتعلق بالأمير ونوابه وإدارة البلدان، تختلف بين حاكمٍ وآخر، غير أن القضاء كان يسير وفق التشريع الإسلامي على الأغلب، ذلك عطفاً على أن الإمارة كانت تنتهج دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتطبق ما كانت الدولة السعودية الثانية تسير عليه في ذلك، حتى بعد أن بدأت الإمارة في محاولة الاستقلال عن الدولة السعودية. أما التنظيمات الأمنية والعسكرية للإمارة فقد كانت متطورة بتطور الإمارة واتساع نفوذها كما مرَّ معنا. وبعد أن تحدثنا عن التنظيمات الإدارية؛ يأتي الحديث في الفصل الذي يليه عن الحياة الدينية والعلمية، التي تُعدُّ حلقةً من حلقات تطور الإمارة، خصوصاً مع وافد العلماء والقضاة إلى الجبل، وغالباً أولئك الذين كانت ترسلهم الدولة السعودية الثانية.

---

(1) داوتي: المصدر السابق، ج1، المجلد الثاني، ص 457.

(2) نولده: المصدر السابق، ص 49.

الفصل الثاني

الحياة الدينية والعلمية

- التعليم الديني: الكتاتيب، وسائله ومناهجه.
- العلماء (رحلاتهم، حلقاتهم).
- نسخ الكتب.
- المكتبات الخاصة.
- الأدب والشعر.

لم يكن جبل شمَّر أحسن حالاً من المناطق النجدية الأخرى، التي كانت الحياة الدينية والعلمية فيها ضعيفة قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ذلك لما كانت تحياه نجد من أنها في منطقة الظِّل، بعيدةً عن حسابات سياسة الدول القريبة منها، لا سيَّما أنها لا تمُثل مطمعاً اقتصاديًّا او استراتيجياً بالنسبة لها. وإن تفاوتت البلدان النجدية في استراتيجيتها واهتماماتها العلمية، إلا أن الوضع العام كان سيئاً دينياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.

بعد قيام الدولة السعودية الأولى ودعوتها الإصلاحيَّة في نجد؛ بدأ الاهتمام العلمي بالمناطق التابعة لها، ذلك بإرسال العلماء للمناطق التابعة لها، للقضاء بين الناس، وتعليمهم أصول دينهم، وعملهم على نشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.وكان الجبل أحدُ تلك المناطق التي اهتمت الدولة السعودية الأولى بإرسال القضاة والعلماء إليها، الذين كان لهم أثرهم في نشر مبادئ الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

على الرغم من ذلك؛ إلا أن الجبل كغيره كان يمُارس فيه التعليم البدائي، من خلال الكتاتيب، وتحفيظ القرآن، وبعض الدروس التي لم تكن متعمقة في العقيدة والفقه، إلا أنها كانت تحافظ بشكلٍ أو آخر على الهوية الدينية للمكان.

التعليم الديني

الكتاتيب (وسائله ومناهجه):

عُرفت الكتاتيب قبل الإسلام، إذ إنها تمثل التعليم المبدئي للصغار[1] ونَشُطَ العَمل بها في عصر النبوة، حيث اهتمَّ الرسول ﷺ بتعليم المسلمين صِغارًا وكبارًا.[2] ومع تطور الكتاتيب في التاريخ الإسلامي كانت المساجد نواتها الأولى، حيث يتم تعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم وعلوم الشرع واللغة وفروعها فيه، حتى أن هذه الكتاتيب أو المدارس بدأت تأخذ لها أماكنًا قريبة من المساجد، وقد تعدَّدت هذه الكتاتيب في المدينة الواحدة، حتى أنه يُذكر أن إحدى المُدن وصل فيها العدد إلى ٣٠٠ كُتَّاب تقريبًا، ما يعني أن الاهتمام بالكُتَّاب كان واضحًا خلال التاريخ الإسلامي.[3]

وتولى التعليم في هذه الكتاتيب؛ من كان له درايةً في الكتابة والقراءة، وحافظًا للقرآن الكريم، ويتقاضى على ذلك أجرًا، بحسب ما تقتضيه الحال الاقتصادية في البلدة التي يعلم فيها.[4]

---

(١) السرجاني: راغب، **الكتاتيب في الحضارة الإسلامية**، موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(٢) بعد غزوةِ بدرٍ الكبرى؛ اشترط الرسول ﷺ على من أمرَ بتسريحهم من الأسرى؛ أن يعلموا عشرةً من غلمان المسلمين القراءة والكتابة، وهذا مما يعدُّ وجهًا من أوجه اهتمامه ﷺ بالتعليم؛ (ابن إسحاق: محمد، **سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي**، تحقيق وتعليق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، (د.م)، ط١، (د.ت)، ص ص ٢٨٥-٢٩٠؛ ابن هشام: عبدالملك (ت ٢١٣ أو ٢١٨هـ)، **السيرة النبوية**، ج٢، تعليق وتخريج: عمر عبدالسلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ص ٣٥٤-٣٥٧؛ السهيلي: عبدالرحمن (ت ٥٨١هـ)، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، ج٥، تحقيق وتعليق وشرح: عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٣٥٦).

(٣) السباعي: مصطفى، **من روائع حضارتنا**، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ١٠٠.

(٤) ابن سحنون: محمد، **آداب المعلمين**، (د.ن)، تونس، ط١، ١٣٤٨هـ، ص ٤.

وفي منطقة نجد حظيت التجمعات السكانية باهتمامٍ يسير بالتعليم من خلال الكتاتيب، التي لم تكن تمثل مدرسةً منتظمة، يتولى التعليم فيها معلم يطلق عليه المطوع أو الخطيب، وهو الوحيد على الأغلب في هذا الكُتَّاب، إذ يتولى المهام كافة، من تعليم وإدارة للمكان، بحيث يعطي التلاميذ الذين يرسلونهم أهاليهم قرابة الثلاث ساعات يوميًا، يقسمها إلى ساعتين صباحًا وساعة بعد صلاة العصر.[1] وفي جبل شمَّر غالبًا ما كان المنهج يبدأ المُدرس في هذه الكتاتيب بتعليم الحروف الهجائية وكتابتها تلقينًا، إذ يعمد المطوع إلى طريقة التكرار ثم يعيد الطالب عليه ما تعلمه، وتستمر هذه العملية حتى يتمكن الطالب من إتقانها، ومن بعد ذلك يتم الانتقال إلى تعلم القرآن الكريم مبتدئًا بالفاتحة، ومن ثم أجزاء القرآن كاملاً، وتتم عملية الحفظ بطريقة الكتابة على الألواح الخشبية التي يقتنيها الطلاب لهذه العملية التعليمية.[2]

أما الأماكن التي يُعلم فيها المطوع طلابه؛ فلم يكن له مكانًا محددًا، إذ تتم عملية التعليم في المسجد أو في مكان مخصص لذلك بجواره، أو في منزل المطوع إذا ما كان لديه مكانًا يستوعب فيه عدد الطلاب، وتتوافر فيه المساحة الكافية للقيام بالتعليم[3]، وقد أشار عددٌ من الرحالة الذين زاروا الجبل إلى وجود مدارس، اتفقوا على أن عددها أربعة[4]، وهذه المدارس كانت ملحقةً ضمن المساجد، واحدةً في جامع برزان، والثانية في مسجد لبدة، والثالثة في مسجد سماح، والرابعة في سوق النحاحيس. لكن في ما يبدو أن هذه المدارس التي ذكرها الرحالة؛ لم تكن المدارس الابتدائية التي نتحدث عنها، وهي الكتاتيب، إذ إن هذه

---

(١) السويداء: **نجد**... المرجع السابق، ص ٢٠٩؛ القويعي: **تراث الأجداد**... المرجع السابق، ج٣، ص ص ١٦٦-١٦٨.

(٢) السويداء: عبدالرحمن بن زيد، **الثقافة والتعليم في منطقة حائل قبل المدارس النظامية**، دار السويداء، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ص ١٠-٢١.

(٣) نفسه، ص ٢٣.

(٤) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٦٧؛

Musil: op cit, p 253.

المدارس المقصود بها المدارس التي يتم فيها تعليم الفروع العلمية المتعمقة، والتي تخص التعليم الأعلى من العلوم البدائية[1]، لذلك اكتفى بعض الذين كتبوا عن حائل عاصمة الجبل بذكر هذه المدارس، من دون التفريق بينها والكتاتيب[2]، وما يتبادر إلى الذهن أنها المدارس الوحيدة في حائل، في حين أن الكتاتيب من المؤكد أنها أكثر من ذلك العدد الذي تم إيراده، عطفاً على أن المدارس أربعة، فبالتالي بديهياً ستكون أكثر من ذلك بكثير، فأربع مدارس عليا على مستوى حائل كان يوحي بوجود حراك علمي على مستوى واسع جداً. ولم يقتصر تعليم الكتاتيب في الجبل على الذكور من دون الفتيات، إذ تعدّدت كتاتيب الذكور والفتيات، ومن أشهر كتاتيب الذكور: كُتّاب الشيخ عبدالعزيز بن صالح النزهة[3] في لبدة، وكُتّاب الشيخ صالح بن محمد الزريقي[4] في سَرحة، وكُتّاب الشيخ يوسف[5] والشيخ

---

(1) Ibid.

(٢) من هؤلاء الذين كتبوا عن التعليم في الجبل، وأوردوا أنها أربعة من دون التفريق بينها والكتاتيب: محمد الزعارير في كتابه إمارة آل رشيد في حائل، كما أنه جانب الصواب تماماً ولم يتحقق عن المستوى التعليمي في الجبل، حين قال في كتابه: "التعليم في الجبل مقتصر على القراءة والكتابة، والمتعلمون تعليماً حقيقياً نادرون"، وفي ما يبدو أنه لم يتحرى المصادر كافة، ولم يدرك الأهمية العلمية التي كان يحظى بها الجبل بين أقطار شبه الجزيرة العربية وخارجها، من تعددٍ للعلوم والمعارف، إذ اعتمد في معلومته هذه على لوريمر في دليله، وسيأتي إن شاء الله بيان الأهمية العلمية التي كانت في الجبل وعلمائه في ما سيأتي من هذا الفصل؛ (الزعارير: المرجع السابق، ص ص ٣٤-٣٥).

(٣) عبدالعزيز بن صالح النزهة، لُقب بمبرك، ولد عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م، كان حافظاً مجوداً وإماماً لمسجد لبدة القبلي، واشتُهر عنه جمال صوته بقراءة القرآن، علّم عدداً من أهالي قرية فيد القرآن، توفي رحمه الله ١٣٣٧هـ/١٩١٨م؛ (الهندي: المصدر السابق، ص ٦٧).

(٤) صالح بن محمد الزريقي، ولد عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م، تلقى تعليمه في كتاتيب حائل، وأخذ العلم الشرعي من عددٍ من علماء الجبل، حتى بات أحد طلاب العلم الذين اشتغلوا بتدريس القرآن الكريم، تخرج على يديه عدد كبير من أبناء الجبل في عصره، حتى أصبح صاحب أحد أشهر الكتاتيب في حائل، توفي رحمه الله عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م؛ (الرديعان: المرجع السابق، ص ٣٧٢).

(٥) يوسف بن يعقوب بن محمد بن سعد، ولد عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، وقرأ القرآن على والده الشيخ يعقوب بن محمد، ودرس على يديه وعلى الشيخ عبدالله بن مسلم وغيرهما من العلماء، حتى بات حافظاً مجوِّداً للقرآن، تناوب وأخيه عُمر على تدريس القرآن الكريم، توفي رحمه الله عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م؛ (الهندي: المصدر السابق، ص ص ٩١-٩٢).

عُمر[1] آل يعقوب، وكُتَّاب الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الملق[2]، وكُتَّاب شُكر بن حسين[3]، أمَّا أشهر كتاتيب الفتيات: كُتَّاب هيلة[4] وابنتها نورة في العليا، وكُتَّاب هيا بنت صالح الناصر الشاعر في لبدة[5]، وكُتَّاب فاطمة الغازي[6] في سَرحة.

وكان تعليم الفتيات في كتاتيب الجبل مقصوراً في معظمه على حفظِ القرآن الكريم، من دونِ تعلُمِ الكتابة والقراءة، ومما يبدو أن ذلك عطفاً على عادات وتقاليد الجبل، التي لا ترى أهمية تعليمهن القراءة والكتابة، إذ كان التركيز في الغالب على حفظِ القرآن، إذ إنهم يرون أهميته بشكل أكبر من غيره من مناحي المعرفة الأخرى، لكن في الوقتِ نفسه عُرِف أن فاطمة السبهان[7] كانت تتقن القراءة والكتابة[1]، الأمر الذي يتناقض وما هو وارد في بعض

---

(١) عُمر بن يعقوب بن محمد بن سعد، ولد عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، وقرأ كأخيه يوسف القرآن على والدهما، وأخذ العلم عنه وعن عددٍ من علماء الجبل، حتى أنه تولى الخطابة للجمعة والعيدين في حائل قرابة الخمسين سنة، توفي رحمه الله عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م؛ (نفسه، ص ص ١٠٠-١٠١).

(٢) عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد الملق، لم يُعرف تاريخ ولادته، وهو من حفاظ القرآن الكريم وطلبة العلم، توفي رحمه الله عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م؛ (العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ٨٥).

(٣) شكر بن حسين الشكر، ولد عام ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م، كان حافظًا للقرآن الكريم، وقد افتتح مدرسة في حائل بعد أن انتقل إليها من بلدة موقق التابعة لإمارة الجبل، وتخرج على يديه عدد من علماء الجبل ومقرئيه، توفي رحمه الله عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م؛ (الرديعان: المرجع السابق، ص ص ٢٣٢-٢٣٣).

(٤) هيلة الخطيبة، هكذا عُرِفَت في حائل، وقد كان من يشتهر عند الناس حفظه للقرآن والتزامه الديني ويعلم الناس القرآن يسمى بالخطيب، لذا في ما يبدو أُطلق عليها الخطيبة تأنيثاً للخطيب، وهي من أهالي القصيم الذين انتقلوا إلى حائل، ولم نقف على سنة ولادتها أو وفاتها، غير أنها عام ١٣٣٠هـ/١٩١١م كانت تمارس تعليم فتيات حائل القرآن الكريم؛ (العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ١١٨).

(٥) هيا بنت صالح بن ناصر الشاعر، من أسرةٍ علمية معروفة في حائل، وقد كان والدها وعمها من حُفاظِ القرآن، وكان لها كُتَّاباً في حي لبدة تُعلِّم فيه الفتيات، أيضاً لم نَقف على ولادتها أو وفاتها، لكن في ما يبدو أنها عاصرت فترة ولو يسيرة من فترة الدراسة؛ (نفسه).

(٦) فاطمة الفلطوني، وعُرِفت بالغازي نسبةً لزوجها غازي الحمَّاد، وكان لها كُتَّاباً في حي سَرحة، غير أنه في ما يبدو أن كُتَّابها اشتُهِر بعد فترة دراستنا، لكنها من الكتاتيب المهمة في الجبل، لذلك أوردناها، حيث إنها كانت تُعلم الفتيات خلال العام ١٣٦٠هـ/١٩٤١م، (نفسه، ص ١١٩).

(٧) فاطمة بنت زامل السبهان، أحد أهم النساء في جبل شمَّر، ومن أكثرهن نفوذاً سياسيًّا، ذلك لارتباطها ببلاط إمارة آل رشيد بشكل وثيق، من خلال والدها وزير الإمارة لفترة طويلة، وزوجها سبهان بن سلامة السبهان،=

بعض المراجع، وربما يكون ذلك نادرًا في بعض الأُسر.[2] من أهم الوسائل المستخدمة في الكتاتيب اللَّوح الخشبي، الذي يكتب عليه الطلاب ما يتعلمونه، ووظائفهم اليومية التي يكلفهم بها المطوع، ذلك من خلال كتابة الأحرف والآيات القرآنية التي يتعلمونها، وعادةً ما يكون هذا اللَّوح من خشب الأثل، وفي أحيان أخرى من أي شجر يكون خشبه صلبًا يؤدي الغرض منه، ويصنعه النجارون في الجبل من ألواحٍ يجعلونها ملساء ومصقولة من وجهيها، فيها خشبة خارجة من اللَّوح ليمسك بها الطالب.[3] والوسيلة الأخرى؛ هي المادة المستخدمة للكتابةعلى الألواح الخشبية، وتسمى الحبر، مادته تُصنع محليًّا من الصَّاج أو الفحم المسحوق أو القهوة المحروقة، أو قشر الرُّمان، يُضاف إليها القليل من الصَّمغ ليكون الحبر متماسكًا ولزجًا، ويحضر بخلط هذه المادة المُصنَّعة بالماء، بعد ذلك يتم غليها لتتفاعل مع الماء على نار هادئة، وتترك حتى تبرُد، ثم تحُفظ في محابر، قد تجف بعدها المادة مرةً أخرى، غير أن سكب الماء عليها يجعل منها مادةً جاهزة للكتابة.[4]أيضًا من الوسائل المستخدمة الأقلام التي تتم الكتابة بها، وتؤخذ من أغصان الشجر وأعواد الأعشاب الصَّلبَة، ومن هذه الأشجارالرُّمان والعوسج والرمث، وأغصان الخوخ والقصب التي يؤتى بها من العراق، وتُبرى هذه الأقلام بشكلٍ حادّ، ومن ثم تُستخدم للكتابة بعد غمسها بالمِحبرة.[5]

=وابنتها موضي التي تزوجت من محمد العبدالله الرشيد ومن بعده عبدالعزيز المتعب وأنجبت منه ولده سعود، الذي تولى الإمارة ومن خلاله تنفذت أسرة السبهان بشكل أكبر من خلال الوصاية عليه، ومنهم جدته فاطمة السبهان؛ (الحربي: دلال بنت مخلد، **فاطمة السبهان – حياتها ودورها في إمارة آل رشيد**، مجلة الدرعية، العددان السادس والسابع، السنة الثانية، شوال ١٤٢٠هـ/يناير ٢٠٠٠م، ص ص ١٨١-١٩١).

(١) بيل: جيرتروود، **رسائل جيرتروود بيل ١٨٩٩-١٩١٤م**، ترجمة: رزق الله بطرس، مراجعة وتعليق وتقديم: ماجد شبر، دار الوراق، لندن، ط١، ٢٠٠٨م، ص ص ٣٣٧-٣٣٩.

(٢) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ١١٨.

(٣) السويداء: **الثقافة والتعليم**... المرجع السابق، ص ٨.

(٤) نفسه، ص ٩.

(٥) نفسه، ص ١٠؛ حسني: المصدر السابق، ص ٦١.

بعد أن يتقن الطالب ما تعلمه من كتابةٍ وحفظٍ للقرآن أو أحد أجزائه؛ يقوم أهله بعمل احتفال يسمى زفة الطالب به ويُظهر أهله احتفاءهم بما أتقنه، وغالبًا ما يكون هذا الاحتفال بعمل وليمة يدعون إليها أقاربهم وجيرانهم، وسُمِّيَت بالزفة أيضًا لأن الطالب يقوم زملاؤه بعمل زفَّة له في الحي، يجوبون خلالها الشوارع، مرددين آيات من القرآن الكريم والأدعية المأثورة.(١)

التعليم في المدارس:

بعد أن يُتقن الطالب مهاراته الأساسية – حسب متطلبات ذلك العصر – في الكتاتيب؛ يستطيع زيادة معارفه وعلومه من خلال المدارس العلمية المعروفة في حائل عاصمة الجبل، التي اتُّفِق على أنها أربعة. كانت مدرسة برزان المعروفة بمدرسة الشيخ عبدالعزيز المرشدي، ومدرسة لبدة المعروفة بمدرسة الشيخ عبدالله بن مرعي الأبرز بين المدارس العلمية في جبل شمَّر، ذلك لأنهما كانتا الأكثر عُمقًا وتنوعًا، إضافةً إلى أن أبرز علماء حائل تخرجوا من هاتين المدرستين.وقد كان بينهما تكاملاً وتعاونًا في نشر العلم، إذ إن طلاب مسجد لبدة يأخذون من طلاب مسجد برزان، والعكس، فمثلاً الشيخ صالح بن سالم البنيان أحد طلاب مسجد لبدة، لكنه في المقابل درس على الشيخ عبدالعزيز بن صالح المرشدي، والشيخ يعقوب بن محمد بن سعد أحد طلاب برزان درس على الشيخ عوض بن محمد الحجي، كما اشتُهِر عن علماء هاتين المدرستين وغيرهما من مدارس الجبل؛ تمسكهم بمبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إذ لم يُعرف أن هُنالك عالمًا من علماء الجبل عارض الدعوة ومبادئها، أو رموزها، كما اشتُهِر هؤلاء العلماء بإتقانهم الأصول الشرعية العَقَدِيَّة وفروعها الفِقهِيَّة.(٢)

---

(١) السويداء: **الثقافة والتعليم**... المرجع السابق، ص ص ٣٠-٣٢.

(٢)ناقش الأستاذ حسَّان الرديعان في كتابه منبع الكرم والشمائل في أخبار وآثار من عاش من أهل العلم في حائل ما أورده محمد بن عثمان القاضي مؤلف كتاب روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، حين قال: "ويقول الشيخ علي الهندي إن علماء لبدة يتميزون عن غيرهم من مشائخ حائل بأصول الدين، وعلماء قفار=

التعليم في حلقات المساجد:

وبشكلٍ عام؛ فإن التعليم في مدارس الجبل كان بعد أن يُتم الطالب دراسته في الكتاتيب يتوجه إليها، ذلك كي يواصل دراسته الدينية الأكثر عُمقًا في الفقه والعقيدة، حيث يبدأ بالأصول الثلاثة؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، والإيمان والإحسان، ومن كتب الفقه التي يدرسها كتاب أداب المشي إلى الصلاة، وكتاب الأربعين النووية، وعادةً ما تكون هذه البداية؛ إذ يقرأ الطالب المتون بتمعنٍ وفهم، ثم يقرأها على أحد المشايخ الذين يحق لهم أن يجيزوه في ما قرأه، وفي كل فترة يتجاوز فيها الطالب كتابًا ينتقل إلى آخر، وبذلك يحصل على الإجازة من شيخ واحد أو أكثر في مجموعة من الكتب الشرعية، وحين يجد الطالب نفسه قد أتقن كثيرًا من كتب العقيدة والفقه؛ فإنه يتجه –إذا ما كان لديه جلدٌ في ذلك– إلى دراسة معارف وعلوم أخرى؛ كاللغة والأدب والتاريخ، بحيث يقرأها على المتخصصين فيها من المشائخ، وقد يضطر إلى السفر إلى خارج الجبل، كأن يذهب إلى الرياض أو الحجاز أو القصيم أو خارج شبه الجزيرة العربية، كي يحصل على إجازة من المشائخ المتخصصين، بعد ذلك يكون عالمًا متخصصًا؛ ومنهم من يتم اختياره للقضاء بين الناس، ومنهم من يقوم بإعطاء الدروس العلمية.[1] لم تكن أماكن التعليم في المدارس في عصر الدولة السعودية الثانية محصورة في المساجد وحسب، والجبل

=يتميزون عنهم بالفروع"، ومفاد مناقشة الرديعان؛ أن الهندي لم يذكر ذلك في كتابه زهر الخمائل، إضافة إلى أنه لم يُعلم أن قفار نافست عُلماء لبدة أو برزان وحائل بشكلٍ عام وأيضًا ذكر أن التميُّز في العقيدة والفقه كان موجودًا في مدرستي لبدة وبرزان، وأخيرًا استنتج أن القاضي ساق هذه الفكرة لمعرفته بالخلاف الذي وقع بين علماء حائل وعلى رأسهم الشيخ صالح بن سالم البنيان، وعلماء قفار وعلى رأسهم الشيخ عيسى الملاحي، حيث اختلفوا في مسألة التكفير بالعموم، التي قال بها الملاحي، وخالفه فيها الشيخ صالح السالم، ويميل الباحث إلى ما جاء به الرديعان، وقد يرى أيضًا أن سكوت الهندي عنها كافٍ عما غيره، إذ إنه من الأولى أن يورد الهندي في كتابه ما ذكره للقاضي، لكن يبدو أن الرديعان أراد مزيدًا من التوضيح للمسألة؛ (الرديعان: المرجع السابق، ص ص ٤١-٤٤).

(١) السويداء: **الثقافة والتعليم**... المرجع السابق، ص ص ٣٦-٣٨.

تحديداً اشتهرت حلقات العلم فيه بالمساجد التي ذكرناها، لكن بعض العلماء كانوا يعقدون مجالس علمٍ ودروسٍ في منازلهم أو بالقرب منها، ويحضر هذه الدروس أي طالب علم يود الاستفادة من هذه الدروس، سواء أراد أن يقرأها ويتقنها ويحصل على الإجازة، أو أنه أراد فقط الاستفادة من هذه الدروس بشكلٍ عام.(١)

كان العلماء في مدارس حائل يتخذون طريقتين في إعطاء دروسهم؛ الأولى بشرح وتدريس المتون العلمية في الأصول الشرعية وفروعها، والثانية بجرد المطولات من الكتب العلمية كالصحاح والسنن والتفسير، وكتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة وابن القيم الجوزية وغيرها من الكتب المطولة.(٢) وقد امتاز علماء بعض المدارس في عنايتهم بالعلوم في الجبل، حيث إن علماء لبدة عنوا بمقابلة النسخ الخطيَّة على أصولها المنقولة من الكتب الشرعية، وتأليف الردود على المعارضين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكانت هنالك مجموعةً من الردود التي قام بتأليفها علماء لبدة على المعارضين للدعوة، والمعارضين لهم في بعض المسائل الشرعية، وكانت بعض هذه الردود نظماً شعرياً، وأُخرى ردوداً علميةً مقاليَّة، ومن ذلك رد الشيخ عوض الحجي سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م على داود بن جرجيس(٣)، كما كان لعلماء لبدة إسهام في وقف الكتب العلمية.(٤)

---

(١) العيسى: مي بنت عبدالعزيز، **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ص ٢٧٤-٢٧٩.

(٢) الرديعان: المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣) داود بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي الشافعي، شُهِرَ بابن جرجيس، ولد في بغداد سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م وتوفي فيها سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، له عدد من الرحلات إلى الحجاز، وقد أقام في مكة قرابة ١٠ سنوات، وإلى بلاد الشام، وكان له ردوداً على أتباع دعوة الشيخ من أشهرها ما رد به على حنابلة نجد في ما نُسب إليهم من دعوى الاجتهاد في كتيبه أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد، وللشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ردٌ عليه أسماه منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود ابن جر جيس، وقد اشتهر عنه الرد على الحنابلة في نجدٍ والعراق، كما فعل مع أبي الثناء الألوسي أحد علماء العراق الحنابلة، لكن مؤلفاته لم تكن ذات حجة قوية، لذا لم تقوَ على الانتصار؛ (الزركلي: المرجع السابق، ج٢، ص ٣٣٢).

(٤) الرديعان: المرجع السابق، ص ص ٤٦-٤٧.

أيضًا لمقبل علماء برزان عن لبدة في ما يمتازون به من علوم، لا سيَّما وأن لعلماء جامع برزان حضوةً لدى حُكَّام الجبل من آل رشيد، وقد برزوا في علومٍ عِدَّة كعلماءِ لبدة، وكان لهم نشاط علمي بارز، حيث نشطوا في حركة وقف الكتب العلمية، والمكتبات الوقفية، التي أفاد منها أبناء الجبل، وغيرهم من طلاب العلم في شبه الجزيرة العربية وخارجها، وأثروا بذلك المكتبات بالمصادر العلمية في شتى العلوم والمعارف في عصرهم، حيث وجدت المصنفات والمتون العلمية في الفقه، وفي الحديث من كتب الصحاح والسنن والمسانيد، وكتب التفسير المشهورة، واللغة العربية، والتاريخ.[(١)] ولم تقتصر العلوم في جبل شمَّر وعاصمتها حائل على العلوم الشرعية والعربية الأدبية وحسب؛ بل تجاوزت ذلك إلى شتى العلوم الأخرى، حيث يُضاف إلى ما فات الرياضيات والجغرافيا، حتى أن إدوارد نولده[(٢)] قال خلال رحلته إلى الجبل سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م: "عرض اثنين من صبيان البدو عليَّ لتفوقهما في الرياضيات وتميزهما في فهمها بصورة سلسة، للدرجة التي كانوا معها قادرين على استخدام الفواصل العشرية"[(٣)]، كما أشار إلى قدرة سكان الجبل العجيبة في فهم علم الفلك، وقد تحدث عن محمد بن عبدالله الرشيد، وشدة إتقانه لهذا العلم ومراجعاته اليومية، كذلك استيعابهم للحال السياسية والتاريخية المحيطة بهم في العالم، إضافةً إلى أن الأمير مشترك في عددٍ من الصحف العربية والتركية في مصر وسوريا واستانبول، بحيث تصله عن طريق حامل البريد من هذه الأقاليم بشكل مستمر، وقد صادف أن حضر البريد لحائل أثناء وجود نولده، وذكر أنه في بعض الأحيان يحضر ثلاثة من حاملي البريد.[(٤)]

---

(١) نفسه، ص ص ٤٩-٥٤.

(٢) رحالة ألماني الأصل ولد سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م، قام برحلة إلى شمال شبه الجزيرة العربية، ووصل إلى حائل عام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م مبعوثًا من روسيا، وقد انتحر بعد هذه الرحلة بعامين في ١٣١٣هـ/١٨٩٥م في لندن؛ (البادي: **الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية**... المرجع السابق، ص ص ٢٤٩-٢٥٠).

(٣) نولده: المصدر السابق، ص ٥١.

(٤) نفسه، ص ص ٥٧-١٠٠.

وقد أورد سليمان الدخيل في أحدِ أبحاثه واصفاً الحياة العلمية في الجبل بعد سقوط الدولة السعودية الثانية ما نصه: "ومع ذلك فتراهم سبقوا غيرهم في العلوم العصرية وذلك لاختلاف كبرائهم إلى الآستانة ومصر والحجاز أيام السلطان عبدالحميد المخلوع فأصبح البعض منهم يعرف اللسان التركي والفارسي... أما ميلهم إلى العلوم الأدبية كالشعر والنحو وعلوم الآلة والسياسة والاجتماع فمما تظهر منافعه عن قريب إذا ما تحسنت الأحوال وتوفرت وسائط النقل والانتقال بعد أمد غير بعيد بمنه تعالى وكرمه"[1]، وفي حديثه إثبات على تنوع العلوم والمعارف في جبل شمَّر من غير العلوم الدينية، لكن في ما يبدو أن أكثر العلوم درايةً في الجبل وعناية من أهله؛ في العلوم الشرعية والعربية، ذلك للنشاط الذي كان واضحاً من خلال وقف الكتب ونسخها وتأليفها وردودها.

(١) الدخيل: سليمان، **نجد**، مجلة لغة العرب، ج١، السنة (١)، بغداد، رجب ١٣٢٩هـ/ تموز ١٩١١م، ص ص ٢٢-٢٤.

العلماء (رحلاتهم، حلقاتهم)

لقيت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قبولاً في جبل شمَّر منذُ أن وصلت قوات الدولة السعودية الأولى إليها، إذ أعلن آل علي ولاءهم لها وللدعوة، وعُرف من الجبل من خدموا الدولة السعودية الأولى، وكانوا محلَّ ثقةٍ من قبل أئمتها، ومن هؤلاء جبر بن رشيد(١) الذي اشتُهر أنه ذو خطٍ جميل، وأن الإمام سعود بن عبدالعزيز اعتمدَّ عليه في مكاتباته، كما وصف علي بن رشيد والد مؤسس إمارة الجبل؛ بالعلم والورع، حتى أن الإمام سعود عيَّنَه عاملاً له على شمال شبه الجزيرة العربية، وبقي فيها حتى سقطت الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م.(٢)

---

(١) أحد الذين استعان بهم الإمام سعود بن عبدالعزيز بعد ضم الجبل إلى الدولة السعودية الأولى، وكان ذومعرفةٍ بالقراءة والكتابة، وله اهتمامٌ علمي، جعل منه رجلاً مقرباً من الإمام، لذا أوصى الإمام سعود عمَّاله في البلدان التابعة له بقوله: "إذا ورد عليكم كتاب فيه اسمي وهو خط جبر بن رشيد يكون يعمل فيه ولو ما فيه مهر"، وجبر هذا أخٌ لوالد مؤسس إمارة آل رشيد في الجبل، وبحسب رواية ضاري بن رشيد فإنه توفي في العام الذي توفي فيه الإمام سعود، أي عام ١٢٢٩هـ/١٨١٣هـ؛ غير أن رواية ضاري تتناقض ورواية الدكتور عبدالله بن صالح بن عثيمين، الذي حقق كتاب ضاري، إذ علَّق في الحاشية حول ذلك، بقوله: "ما ذكره ضاري عن تاريخ وفاة جبر غير صحيح. فقد توفي الإمام سعود عام ١٢٢٩هـ.أما جبر فكان موجوداً في الدرعية سنة ١٢٣٣هـ، وقد ذهب عند استسلامها إلى رأس الخيمة، وكان موجوداً في البلدة الأخيرة عندما هاجمها البريطانيون سنة ١٢٣٥هـ"، ونسب ما ذكره لكتاب ابن بشر عنوان المجد، غير أنه بعد العودة إلى ابن بشر؛ اتضَّح أن ابن بشر لم يقصد في حديثه عن جبر بن رشيد سنة ١٢٣٥هـ/١٨١٩م وجوده في رأس الخيمة في هذا التاريخ تحديداً، بل كان يتحدث عن دخول الإنجليز إلى رأس الخيمة، وخلال حديثه تطرَّق لمن كان فيها من أتباع الدعوة ممن رحلوا إليها بعد أن ساءت الأمور في الدرعية، وسقطت الدولة، ومن ضمنهم جبر بن رشيد. أما سنة وفاته التي أوردها ضاري ليست صحيحة، ولا حتى رأي ابن عثيمين الذي اعتمد فيه على ابن بشر، حيث ذكر أنه كان موجوداً حين دخلها البريطانيون، لأن تاريخ وفاته مجهولولا توحي رواية ابن بشر بأنه كان موجوداً خلال الحملةالبريطانية، لكنه ممن كانوا في رأس الخيمة بعد سقوط الدرعية، لكن متى توفي، بعد الحملة أم قبلها؟، هذا ما لم يثبت حتى الآن، إذ لم نجد بين أيدينا ما نستدلُّ به، غير أن قبر جبر لا يزال في رأس الخيمة، إذ توفي فيها؛ (ابن بشر: المصدر السابق، ج١، ص ص ٤٥٠-٤٥١؛ ابن رشيد: المصدر السابق، ص ص ١٢٦-١٢٧).

(٢) العفنان: المرجع السابق، ص ص ٢٠٠-٢١٢.

ولم تكن الحياة العلمية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب معدومة في الجبل؛ يدلُّ على ذلك وجود من كانوا يتقنون القراءة والكتابة، ولهم اهتمامٌ علمي، كما سبق وأن أوردنا من أمثلةٍ على ذلك، في الحديث عن جبر وأخيه علي بن رشيد، لكن في الوقت نفسه، نحتاج إلى معرفة بعض العلماء الذين كان لهم نشاطٌ قبل قيام الدعوة في الجبل، ومن هؤلاء الشيخ عبدالله بن رحمة[1]، الذي كان من علماء القرن العاشر الهجري، وبحسب رواية أوردها العفنان في كتابه حائل وعبقرية المكان؛ فإنه يذكر أن زيد بن عبدالرحمن الخطيب[2] روى له روايةً مفادها أن الجد الأعلى لأسرته من الخطيب؛ هو الشيخ عبدالله بن رحمة، الذي جاء إلى جبل شمَّر خلال القرن العاشر الهجري، ومن ذريته العالم محمد بن علي المعروف بالخطيب، ومنه أخذت الأسرة لقبها.[3]

وجود عالم مثل ابن رحمة في المنطقيقطي دلالةً على أن له أثرًا فيها وفي تعليم أبنائها، لكن للأسف لقلة الاهتمام بالتدوين التاريخي، لم نصل لتفصيل حول ذلك من خلال المصادر المتوافرة لدينا، ومن المؤكد أن له طلابًا أثروا من بعده في نشر العلم، ولكن

---

(١)عبدالله بن رحمة الناصري التميمي، وهو من بلدة الفرعة إحدى قرى الوشم في نجد، وابن عمٍ للشيخ أحمد بن عطوة، أحد علماء القرن العاشر الهجري، صار بينهما مناظرةٌ في مسألةٍ شرعية حول التمر المعجون، هل يبقى على معياره الشرعي بالكيل، أو يكون في معيار الموزونات، ويصبح موزونًا لتعذر كيله؟، حيث يرى ابن رحمة انتقال معياره إلى الموزونات لتعذر كيله، في حين يرى ابن عطوة بقاؤه على معياره الأول، وقد طال الجدل بينهما في ذلك، الأمر الذي جعلهما يحتكمان إلى قضة أجود بن زامل في الأحساء، وأتى الحكم بنصرةِ رأي ابن عطوة، وقد ذكر هذا الجدل ابن بشر وابن عيسى، وعُدَّ ابن رحمة أحد الفقهاء المطلعين المجودين، ويبدو أن ابن رحمة كان من علماء النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، ذلك عطفًا على تاريخ وفاة ابن عطوة، الذي حدده ابن بشر في سنة ٩٤٨هـ/١٥٤١م؛ أما ابن رحمة فلم نجد ذكرٌ لوفاته ولا سنة ولادته؛ (ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ٣٠٣؛ ابن عيسى: إبراهيم بن صالح، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم**، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٤١؛ آل بسام: المرجع السابق، ج٤، ص ص ١١٦-١١٧).

(٢) أحد أهالي حائل المعاصرين، ينتمي لأسرة الخطيب المعروفة بعلمها ووجاهتها في المنطقة، وأصل أسرته من بلدتي قفار والمستجدة جنوب حائل حاليًا.

(٣) العفنان: المرجع السابق، ص ٢١٢.

على نطاقٍ ضيق، كما هو الحال في بقية مناطق نجد قبل قيام دعوة الشيخ، وربما أن قبول الجبل بشكل سريع للدعوة؛ يعني وجود علماء لهم وعيٌ بفهم مبادئها، التي تعود بالناس إلى منابع الإسلام الأصيلة.

بعد أن انضم الجبل إلى الدولة السعودية الثانية؛ تكفلت الدولة بإرسال القضاة والعلماء إليها، حالها في ذلك حال بقية المناطق الأخرى التابعة لها، ومن الطبيعي أن يكون هنالك حراكًا ثقافيًا وعلميًا في المنطقة بشكلٍ أوسع مما كان عليه قبل ذلك، ومن دون شك أن هذا الحراك سيُنشط حلقات العلم، ووقف الكتب العلمية، ويكون ذلك نقلةً في الحركة العلمية في المنطقة، إضافةً إلى أن النشاط العلمي زاد عما كان عليه في البدايات، ذلك خلال حكم أسرة آل رشيد، التي وجد الحراك العلمي اهتمامًا من قبل حكامها وأفرادها، ومن ذلك الرسالة التي أرسلها الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب جواباً على عبيد بن رشيد سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، التي كانت ردًا على استفسار أهالي الجبل حول صيام الثلاثين من شعبان إذا ما غمَّ عليهم الغيم وتعذرت رؤية الهلال، وجواب الشيخ عبدالرحمن لهم حول ذلك بجوازه[(١)]، وبالتالي فإن هذا الاهتمام بمثل هذه القضايا الدقيقة، يوحي بما يوحي به من اهتمامٍ وتبعية لعلماء الدولة السعودية.

كذلك حرص الجبل على الاطلاع على القضايا الشرعية والاستفادة منها خلال عصر الدولة السعودية الثانية، ويتضح ذلك من خلال رسالة أخرى للشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى اثنين من علماء القصيم سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، التي يذكر فيها بعض القضايا والردود الشرعية، ويورد فيها أن عبيد بن رشيد ألزم عليه أن يطلعهم على القضايا والمسائل المهمة في الشرع[(٢)]، وبطبيعة الحال كي تعمّ الفائدة علماء الجبل.

---

(١) الرديعان: المرجع السابق، ص ص ٢٨-٣١.

(٢) **مركز الوثائق بدارة الملك عبدالعزيز**: رقم (٧٨٢)، رسالة من الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى محمد بن عبدالله ومحمد بن عمر آل سليم في القصيم، بتاريخ ١٢٨١هـ.

وبذلك نقول أن إمارة الجبل تأسست تأسيسًا دينيًا قويًا في عصر الدولة السعودية الثانية، لا سيَّمَا بعد تولى آل رشيد الإمارة فيها، إذ أولت الإمارة الجانب الديني اهتمامها الأكبر، وبات العلماء فيها يمثلون أرفع مكانةً لدى الحكام فيها، ولعل القضاة كان لهم النصيب الأكبر من اهتمام الدولة، خصوصًا وأنهم يعينون من قبل الدولة السعودية، خصوصًا وأنها كانت ترسل القضاة بشكل مستمر إلى الجبل، الأمر الذي كان له تأثيره على التزام الأهالي بمبادئ الدعوة والحرص على تطبيقها.(1)

وبحرص الإمارة على العلماء ورعايتهم، وتطبيق الشريعة الإسلامية؛ نجد أن الدين بات في المرتبة الأولى في الولاء بين الناس، ذلك لأنه في السابق كان العرف القبلي والعادات والتقاليد هي صاحبة اليد الطولى في تعاملاتهم ومحسوبياتهم، لكن بعد هذا النفح العلمي في الجبل؛ نجد أن كل شيء بدأ ينظر إليه بمنظار ديني، ما أدى إلى تراجع الاحتكام ومحسوبية العرف والتقاليد القبلية، فصارت الأحكام الشرعية تُطبق على القوي والضعيف، بتأكيد من الدولة السعودية على ذلك، وبرعاية من العلماء والقضاة الذين ترسلهم إلى الجبل باستمرار.(2)وهذا ما يتعارض وأحد التقارير البريطانية التي قدمت وصفًا للجزيرة العربية سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، وأفادت فيه أن عبدالله بن رشيد دخل تحت طاعة الدولة السعودية كرهًا في الدولة العثمانية لا حبًا في الدولة السعودية ودعوتها(3)، ومن الواضح أن هذه الفكرة لا أساس لها من الصحة، عطفًا على منطقية الأحداث التاريخية، التي ذكرناها في التمهيد، القاضية أن عبدالله بن رشيد أحد رجالات الدولة السعودية قبل أن يكون حاكمًا على الجبل، ووصوله إلى الحكم كان بيد الدولة السعودية، ولو أنه كان حاكمًا ومن ثم أعلن و لاءه، لقلنا أن هذا التحليل قد يجد طريقه في هذا التقرير، لكن على الرغم من ذلك؛ فإن جميع

(1) Baran: op cit, p 61.

(٢) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ص ٢٣٢-٢٣٤.

(٣) صفوة: نجدة فتحي، **الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)**، ج١، دار الساقي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م، ص ١٢٦.

الدلائل تفيد أن آل رشيد كانوا حريصين على تطبيق الدعوة وتبعية الدولة في الوقت نفسه. واهتمام الإمارة بالجانب الديني انعكس على الناس في الجبل، حتى أنهم وصفوا بأبطال ٍ لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ذلك لتمسكهم بمبادئها، وقد قال فالين في رحلته إلى جبة قبل حائل: "ومنذ بدء الدعوة الوهابية والشَّمر أبطالها وأتباعها المخلصون الغيارى، عملوا الكثير لنشرها في شبه الجزيرة. وعملوا لدعمها أيام خفت حمية المنتمين إليها، عملوا مقاتلين أشداء في جيوش السعوديين، ومحاربين لحسابهم الخاص. ومع أن الحماسة الصاخبة إلى الصرامة القاسية التي اعتمدها أوائل المبشرين بالدعوة، وحمايتها في نشر تعاليمها الدقيقة، تراخت بعض الشيء، وأزال مرور الزمن الاندفاع والتطرف اللذين يرافقان نشر مذهب جديد، فالسكان هنا – في المنطقة التي ظهرت الوهابية فيها – لا يزالون يتمسكون بالدعوة بدقة، ولا سيما في الشرق من نجد حيث ديار آل سعود"[1]، وفي ذلك إعطاء صورة واضحة لأهمية الدين في الجبل بين الناس حاضرة وبادية.[2] كما اهتمَّ أيضًا حكام الجبل وأمرائه بحضور مجالس العلماء والاستفادة منها، وبالتالي هم في ذلك يؤكدون احترامهم للتشريع من خلال هذا الحضور، والحرص على تطبيقه في القضاء بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[3] وقد تحدث بلغريف عن حضور طلال بن عبدالله الرشيد في المسجد، واستماعه للدرس اليومي في المسجد، الذي يعقد عادةً بعد انتهاء صلاة العصر.[4]

---

(١) فالين: المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٢) ورد عباس العزاوي في كتابه عشائر العراق ابياتًا لأحد أهالي الجبل في العراق، تصف مخالفة ما رآه فيها لفطرته وتدينه، بقوله:

يا عون من طالعك برزان ونام بشنقك هني

ويا عون من فارق البرغوث وفراق عبَّادة علي

(العزاوي: **عشائر العراق**... المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٩).

(٣) الرشيد: المرجع السابق، ص ص ١٠٢-١٠٥.

(٤) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ٢١٧.

ومن الأمور التي رأها الرحالة في الجبل وتوحي بتمسك أهله بالتشريع، كرههم للتدخين، على الرغم من وجود من كان يدخن فيها، إلا أنه كان خفية عن الناس، لأنهم كانوا ينكرون على من يقوم بذلك، أيضًا لبس الحرير.(١)

استمرت إمارة الجبل على ولائها للدولة السعودية الثانية، وظلت تعلن التبعية السياسية، وتطبق مبادئ الدعوة فيها، غير أنه بعد أن اعتلى محمد بن عبدالله الرشيد الحكم في الجبل؛ بدأت تتبدَّل نواياه تجاه الدولة، إذ سعى إلى استغلال ما كان من فتنةٍ بين أبناء الإمام فيصل بن تركي، جعلته يفكر في إنهاء الدولة، وبالتالي يرث هذه الدولة، ويتولى القيادة الدينية والسياسية في نجد كافة.وتحقيقًا لهذا الطموح تعمقت علاقته بالقصيم، وبدلاً من سياسة الصراع بين القصيم والجبل التي كانت في عهد والده وأخيه طلال، جعل الأمور تتجه إلى التقارب السياسي بينه وحسن بن مهنا أمير بريدة، لأنه يعي الأهمية الاستراتيجية لبريدة في القصيم، وتأثير آل مهنا فيها، فإذا ما كسبها إلى جانبه، وحوَّل ولاءها إليه، كسب القصيم كافة، وبالتالي ضمن أكثر المناطق استراتيجيةً في نجد لصالحه.

وقد حدث ما كان يصبوا إليه ابن رشيد، حيث بدأ التدخل المباشر في شؤون نجد بمساعدة القصيم، وتحديدًا في الوشم وسدير، حتى ساءت العلاقة بينه وابن مهنا، ومن ثم حدث الصراع مع الدولة وأمراء القصيم.(٢)

وتحقيقًا لهذه السيطرة التي سعى إليها محمد؛ أراد أن يجعل من جبل شمَّر وريثًا سياسيًا ودينيًا للدولة السعودية الثانية بعد سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، بحيث يكسب الوهج السياسي وتبعية البلدان النجدية إليه، ومن ثم يحث العلماء وطلبة العلم الانتقال إلى حائل، حتى يضفوا على إمارته طابعًا دينيًا، يرسِّخ الولاء النجدي.

(١) فالين: المصدر السابق، ص ١٠٥؛ نولده: المصدر السابق، ص ٤٦.

(٢) السلمان: المرجع السابق، ص ص ٢٤٠-٢٦٠.

الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ[1] في الجبل:

ألحَّ محمد بن رشيد على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف أن يحضر إليه في عاصمته حائل سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، وكان يهدف من ذلك تحقيق نتيجتين مهمتين:

الأولى: أنه كان يعي بأن وجود شخصية كالشيخ عبدالله بن عبداللطيف في الجبل، ستمنحه صبغةً شرعية، كالتي كانت تصطبغ بها الدولة السعودية في رعاية العلماء ورموزهم من أسرة آل الشيخ، لا سيَّما وأن الشيخ سيكون مصدر جذبٍ لكل طالب علمٍ في نجد، وبالتالي، سيزداد الحراك العلمي في المنطقة أكثر مما كان عليه في السابق، من وفودٍ للعلماء، وجلوسٍ للشيخ للتدريس، فتصبح حائل بعد ذلك موئلاً ثقافياً في شبه الجزيرة العربية، وبالفعل تحقق شيءٌ من هذا في ظل وجود الشيخ فيها.[2]

الثانية: كان ابن رشيد يعي تماماً أن ثمَّة ردة فعل فكرية لدى الكثير من العلماء في نجد بعد أن أسقط الدولة السعودية الثانية، خصوصاً في مسألة موالاته للدولة العثمانية، وإسقاطه لدولةٍ رعت العلم والعلماء، ما يعني أنه يمثل وجهاً للسياسة العثمانية، التي ظل النجديون يتذكرون ويلاتهم وتقتيلهم للعلماء والقادة فيها، واستباحتهم لأرضهم، وبالتالي فإن استقطاب شخصية دينية بحجم الشيخ عبدالله إلى الجبل؛ سيخفف من هذه النظرة العدائية لابن رشيد في نجد، وربما أن ابن رشيد أحضر الشيخ بطريقةٍ فيها نوع من الإقامة الجبرية،

---

(١) هو عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد في الأحساء عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م، أخذ العلم من جده لأمه الشيخ عبدالله بن أحمد الوهيبي، ثم من والده الشيخ عبداللطيف، وجده لأبيه الشيخ عبدالرحمن بن حسن، والشيخ حمد بن عتيق، وقد اشتُهِر عنه الكرم والعلم ورجاحة العقل، كما أصبح يمثل العلماء في نهاية عصر الدولة السعودية الثانية، وقد خرج لمحمد بن رشيد مع الأمير محمد بن فيصل والملك عبدالعزيز مفاوضاً عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، من بعد ذلك فك ابن رشيد حصاره للرياض، توفي رحمه الله سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م؛ (آل الشيخ: المرجع السابق، ص ص ١٢٩-١٣١).

(٢) السيف: إبراهيم بن محمد، **المبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر وبعض تلامذتهم**، ج١، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٥٨.

حتى يأمن جانبه، وكي يكون تحت رعايته، فلا يسعى إلى تعميق نظرة العلماء لمسألة موالاة الدولة العثمانية.(١)

حين جاء الشيخ عبدالله بن عبداللطيف إلى الجبل؛ التف حوله العلماء، وبدأوا ينهلون من علمه، ويحضرون دروسه، حتى أن بيته صار مركزًا علميًّا يعجُّ بطلبة العلم من أبناء الجبل، وقد سكن في حي لبدة(٢)، المشهورة بكثرة طلبة العلم. ومن خلال الدروس التي يعقدها لطلبته من علماء الجبل؛ بدأ يناقش قضية الولاء للدولة العثمانية، لكن بطرق غير مباشرة، ما جعل الكثيرون من علماء الجبل ينساقون وراء فكرته، التي رأى ابن رشيد فيها انقلابًا فكريًّا عليه، لا سيَّما بعد أن انجذب إليه علماء الجبل بصورة أدخلت الريبة في نفسه.(٣) بعد هذه الريبة التي دخلت ابن رشيد من وجود الشيخ في الجبل، أشار عليه ابن عمه حمود العبيد الرشيد بإخراج الشيخ، حتى لا ينفتن فيه الناس أكثر، ومن ثم يقود فتنةً في الإمارة، قد يكون من آثارها ثورة فكرية تزعزع حكمهم، فمن الأولى تأمين الداخل، ومحاولة إبعاد الشيخ.(٤) إضافةً إلى أن الدولة العثمانية كانت خلال هذه الفترة تتوجس خيفةً من طموحات ابن رشيد في شبه الجزيرة العربية، ومحاولته مد نفوذه بشكل توسعي، وإذا ما علمت الدولة العثمانية بوجود تأليب عليها في الجبل من دون أن يكون لأميره تدخلاً فيه، فإنها ربما تجد هذه ذريعة لممارسة الضغط على الإمارة للحد من توسعها.

خرج الشيخ عبدالله من الجبل بمن جاء معه من العلماء، وعاد إلى الرياض، الأمر الذي أحدث شيئًا من الاستياء لدى علماء الجبل، الذين تعلقت نفوسهم بالشيخ،

---

(١) المارك: المرجع السابق، ج٣، ص ص ١٠٠٣-١٠٠٤.

(٢) سكن في بيت الخنبش، أحد الأسر المعروفة في حائل، مقابل بيت زيد الصوينع في حي لبدة؛ (العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ٩٠).

(٣) القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج١، ص ٣٥٧.

(٤) السيف: المرجع السابق، ج١، ص ١٥٨.

واستبشروا خيراً بوجوده.[1] وكان ذلك بعد أن مكث الشيخ سنة كاملة في الجبل، حيث عاد سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م.[2] من بعد ذلك يبدو أن علماء الجبل تبنوا فكر الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وموقفه من موالاة الإمارة للدولة العثمانية، وعلى رأسهم الشيخ صالح بن سالم البنيان، الذي قاد هذا الفكر، وصار بينه وابن رشيد وحشةً على خلفية ما حدث، ففي السابق كان الشيخ صالح مكلفاً من قبل ابن رشيد بتعليم نساء القصر، وبعد خروج الشيخ عبدالله من الجبل، لم يحضر البنيان قصر برزان؛ إعلاناً منه لتزعم الثورة الفكرية، الأمر الذي أدركه ابن رشيد، وعلم أنه سيدخل في صراعٍ فكريٍّ سيطول، بين السلطة السياسية والسلطة الدينية.[3]

---

(١) وكان على رأسهم الشيخ صالح بن سالم البنيان، الذي ضَمَّن قصيدةً بخروج الشيخ من الجبل، وأرسلها إليه:

شوقي إلى الشَّيخِ شَوقُ الواجدِ الدَّاء — إلى الشِّفاء أو العطشاء للماء
قد كان قلبي المعنى قبل رؤيتكم — في كل يوم له مثوى ببطحاء
يوما بجزوى ويوما بالعقيق وبال — عذيب يوماً ويوما بالخليصاء
فمذ بدا من محياكم له قمر — به استنار وجلا كل غمـاء
وارتاح من بعد كرب الهم وانتعشت — أرواحه سجسجاً من بعد نكباء
يا أيها الشيخ ما لي في فراقكم — من طاقة فاستدى قلبي وأعضاء
لو خلت أن لهيب الحب يحرق في — يوم الفراق من التوديع أحشاء
كنت اكتفيت بأدنى ما يقوم به — حبل الوداد الذي بين الأخلاء
والله لا أنكم بالأمس حين به — كانت تذوب من الزفرات أمعاء
يا لائمي لا تلم خلا به أسف — على محب نأى عنه بآراء
واحذر فما شوقه يبغي معانقة — لوصل ليلى ولا نيلاً لحسناء
لكنما اشتاق من طابت مجالسه — واشواق نفسي إلى رؤيا الأحباء
هذا عليكم سلام الله ما طلعت — شمس وسارت بأفق كل آناء

ومن خلال هذه القصيدة نستشف مدى تعلق علماء الجبل بالشيخ عبدالله، وإيمانهم بفكرته المعارضة لسياسة ابن رشيد الموالية للدولة العثمانية، ذلك من خلال البيت العاشر الذي يقول في عجزه: "على محبٍ نأى عنه بآراءٍ"، وأن سبب خروجه آرائه؛ (السيف: المرجع السابق، ج١، ص ١٥٩).

(٢) المارك: المرجع السابق، ج٣، ص ١٠٠٥.

(٣) نفسه.

وعلى الرغم مما حدث بين ابن‌رشيد والشيخ عبدالله بن عبداللطيف من وحشةٍ واختلاف؛ إلا أن ابن رشيد كان يحرص على التزام الإمارة بمبادئ الدعوة، واختلافه مع الشيخ وغيره من أتباعه في الجبل وخارجها ينحصر في قضية سياسية أُعطيت أبعاداً شرعية في مسألة الموالاة للدولة العثمانية.

كما أن ابن رشيد حرص على أن يسيطر على السلطة الدينية، وأن يسائل كل من يمس قضية حساسة تسيء للإمارة أو سياستها، ومن ذلك موقفه مع الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم[1]؛ حين وصلت إلى ابن رشيد وشايةً من أعداء الشيخ، فأراد ابن رشيد تقصي المسألة منه شخصيًّا، وطلب منه الحضور إلى الجبل، كي يتبين مما سمعه، فحضر معه من القصيم ٣٠من العلماء وطلبة العلم في القصيم، نصرةً للشيخ، لكن تبدَّل موقف ابن رشيد من الشيخ محمد بعد أن سمع ما سمع عنه، حين التقاه أحد أبناء الجبل قبل دخوله حائل، وقال لابن رشيد: والله إن هؤلاء لا يريدون الدنيا، وإنما يريدون الآخرة، يقصد بذلك الشيخ ومرافقيه، فحينما علم ابن رشيد بذلك، أمر أن يتم إكرام الشيخ بعد أن يصل إلى الجبل، وأن يهيأ له مقاماً يليق به كعالمٍ له وزنه ومكانته في نجد، وبعد أن حضر إليه أكرمه وأذن له بالرحيل.[2]

---

(١) محمد بن عبدالله بن حمد بن محمد بن سليم، أحد علماء القصيم، ولد سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م من أسرة اشتُهرت بنشر العلم وكثرة طلابها، وكانت أسرته تقطن في الدرعية قبل انتقالها إلى القصيم، في فترة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبعد سقوط الدرعية خرجت الأسرة إلى بريدة في القصيم، وكان ما كان لها من‌أثرٍ نهضويٍّ في الحركة العلمية بالقصيم، وقد تتلمذ الشيخ محمد على يد كثير من علماء عصره، من أهمهم: الشيخ سليمان بن مقبل قاضي بريدة، الشيخ قرناس بن عبدالرحمن قاضي الرس، الشيخ عبدالله أبابطين حين عُيِّن قاضياً لعنيزة، ومن الشيخين عبدالرحمن وعبداللطيف ابني الشيخ حسن آل الشيخ، وكان للشيخ محمد بن سليم أثر علمي بارز في القصيم، حيث تتلمذ على يده عدد كبير من علماء القصيم وخارجها، الأمر الذي جعل منه شخصيةً مؤثرة في زمنه، توفي سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، بعد أن تولى القضاء في القصيم فترةً من الزمن؛ (آل بسام: المرجع السابق، ج٦، ص ص ١٥٠-١٥٩).

(٢)العُمري: صالح بن سليمان، **علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم**، ج١، (د.ن)، (د.م)، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص ص ٢٨-٢٩.

موقف علماء الجبل من موالاة الإمارة للدولة العثمانية:

لم تكن مسألة موالاة الدولة العثمانية نابعةً من الجبل في أساسها، بل إن هذه المسألة خاض بها علماءٌ عدَّة في نجد، نتيجةً لما عانته المنطقة من الدولة العثمانية، وحروبها وإرسال واليها على مصر، الذي نكَّل وقتل وعاث في الأرضِ فساداً وإفساداً، لذا كان ما كان من صورةٍ ذهنية لدى النجديين عن الدولة العثمانية، وأنها دولةٌ غازيَّة، لا تهمها المصالح النجديَّة بقدر ما يهمها المحافظة على الحجاز من دون تدخلات إقليمية. فحقيقة الأمر؛ أن الدولة العثمانية لم تكن لديها مطامعٌ في نجد، ولم تهتم لشؤونها منذ أن ضمَّت العالم العربي بعد حروبها مع الصفويين، ووراثتها للسلطة المملوكيَّة في مصر.

الدليل على إهمال الدولة العثمانية لوسط شبه الجزيرة العربية، ونجد خصوصاً، هو ما وصلت إليه المنطقة من جهلٍ وضياعٍ لهويتها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وربما أن الدولة العثمانية لم تجد في هذه المنطقة ما يغريها كي تغامر بجيوشها للسيطرة عليها، لا سيَّما وأنها منطقةً ستُكلِّف الكثير على الدولة العثمانية، إذا ما قررت التوغل فيها، لذا كان نصيبها الإهمال، إضافةً إلى ما كانت تقوم به الدولة العثمانية من فتوحاتٍ في القارة الأوروبية، كانت ترى بأنها أولى، والهدف الأساس من ضم العالم العربي قد تحقق بالحصول على الصبغةِ الشرعية في ضم الحرمين الشريفين. ولكن التساؤل الذي يجب أن نطرحه هنا قبل الخوضِ في الحديث عن الأزمة الفكرية التي حدثت في الجبل، وتعرضت لها إمارة آل رشيد؛ هو تقييم التاريخ للدولة العثمانية.

ونرى أن الصورة العامة في تقويم الدولة العثمانية قد تتضح من خلال ما لها وعليها في النقاط التالية:

أولاً: أن الدولة العثمانية دولةً قدَّمت ما قدمته للعالم الإسلامي من خدماتٍ كان لها الأثر الكبير، منها وأهمها حماية الحرمين الشريفين من التدخلات الاستعمارية الأوروبية التي هدَّد بها

البرتغاليون مع بدايات القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، حين أحكمت الدولة العثمانية سيطرتها على البحر الأحمر، وصدّ أي تدخل برتغالي في مياهه، استشعاراً من الدولة العثمانية لدورها الرئيس في حماية وقيادة العالم الإسلامي.(1)كذلك ما قدَّمته الدولة العثمانية من دعمٍ وخدماتٍ حضارية للبلدان التي كانت تنضوي تحت حكمها.

ثانياً: للدولة العثمانية أثراً واضحاً وبارزاً في رعاية الطُّرق الصوفية، التي تمثل أحد أهم الأمور التي حاربتها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبيَّنت ما فيها من شركٍ ووساطةٍ بين الله عزوجل وعباده وقد رعت الدولة واعتنت ببناء الأضرحة والمزارات التي تعدُّ مظاهراً شركيَّة، الأمر الذي جعل ذلك مأخذاً كبيراً عليها من قبل علماء الدعوة.(2)

ثالثاً: تعاملت الدولة العثمانية بشكل سياسي وعسكري مع الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية، ولم تجد التعامل الفكري، في محاولة فهم طبيعة هذه الدعوة، والتقرب لها ولما كان يثيره علماؤها من إنكار، على الرغم من وجود أصوات كانت تنادي بالحوار في الدولة العثمانية، لا سيَّما التي تعالت سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، والتي نادت بمواجهة الدعوة فكرياً، وخطورة الموقف إذا ما كان التعامل عسكرياً، وخلال ذلك كانت الدولة السعودية تقوم بضم أقاليم شبه الجزيرة العربية، والدولة العثمانية لا تزال تفكر وتحاول عن طريق ولاتها في العراق والشام القضاء على هذه الدولة، من دون التحرك المباشر لمواجهتها،وتحقيقاً للرأي الذي نادى بمواجهتها فكرياً؛ عُقد في دار شيخ الإسلام في استانبول سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م اجتماعاً لمناقشة الدعوة السلفية في نجد، وتم الاتفاق على وجوب المحاجة الفكرية، والتفكير في إرسال أحد قضاة بغداد وعلماء آخرين معه إلى الدولة السعودية الأولى لمناقشتها والتعرف

---

(١) جودت: أحمد، **تاريخ جودت**، ترجمة: عبدالقادر أفندي الدَّنا، تحقيق: عبداللطيف بن محمد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ص ١١١-١١٤.

(٢) أرسلان: شكيب، **تاريخ الدولة العثمانية**، جمع وتحقيق: حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير ودار التربية، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ص ١٩٣-٢٠٠.

عن قرب على مبادئها.(١) لكن يبدو أن الحل العسكري سبق الحل الفكري، لا سيَّما بعد أن ضمت الدولة السعودية الأولى الحجاز.

رابعاً: تعرُّض الدولة العثمانية لهجمات عدَّة من قبل أعدائها من الدول الأوروبية، ما لم يجعل للدولة العثمانية الفرصة في التفكير بشكل سليم في حل مشكلاتها الداخلية، ومن هذه الهجمات؛ تلك الدعاية التي روِج لها، التي توحي للعالم العربي؛ أن الدولة العثمانية ليست إلا دولةً استعمارية، فسارت فكرةٌ قضت بالعالم العربي إلى تبني الفكر القومي، الذي نسي أن الدولة العثمانية دولة إسلامية، وسعى إلى إعطاء تصور يعمق الهوة، ويغفل الرابطة الإسلامية. غير أن هذا الأمر حدث بشكلٍ تدريجي وخلال فترات مختلفة نشُطَت في نهايات الدولة العثمانية، لكن في المقابل، ما كان من الدولة العثمانية إلا أن تتخذ سياسة الحل العسكري مع أي تحرك سياسي في حدودها، من ذلك الحركة السياسية في نجد.(٢)

ومع ما ذكرناه من إيجابيات تحسب للدولة العثمانية؛ فإن ذلك لم يحسِّن صورتها في المجتمع النجدي، الذي عانى منها الأمراء والعلماء بالتقتيل والتنكيل، وعانى منها الأهالي بالظلمِ والتعذيب، لذا بديهيًا أن تتعاظم أخطاء هذه الدولة في أذهان أهالي نجد وعلمائها تحديدًا، خصوصًا في مسألة المظاهر الشركية، وفي الجانب الآخر مع ما ذكِر من سلبيات للدولة العثمانية؛ إلا أن الحل السياسي كان حاضرًا قبل أي حلٍ آخر، بسبب تسارع الأحداث، ما لم يتح الفرصة للفهم والتقارب بين الدولة العثمانية والدولة السعودية، والدولة العثمانية تبقى في ميزان التاريخ دولةً لها من الإيجابيات ما لا يمكن إغفاله أو تناسيه، لا سيَّما بفتوحاتها ونشرها للإسلام في شرقِ القارة الأوروبية، واستشعارها لدورها الإسلامي، ويبدو أن

---

(١) هريدي: محمد عبداللطيف، **تاريخ شبه الجزيرة العربية من المصادر التركية العثمانية**، دار الزهراء، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص ص ٣٠-٣٧.

(٢) الشناوي: عبدالعزيز، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، (د.ت)، ص ص ٨٣٠-٨٦١.

الدولة في نهاياتها تفهمت الوضع القائم في العالم العربي، وباتت تحصل على الولاء في المنطقة من دون المطالبة بالتبعية السياسية الكاملة، ما جعل الدولة تفكر بربط أقطار العالم العربي والإسلامي في سبيل السيطرة على هذا الاتساع.

وفي العودة إلى موضوع الخلاف بين علماء الجبل؛ يجب أن نشير إلى موقف ابن رشيد من الدولة العثمانية، وسبب موالاته لها؛ إذ إنه سعى إلى موالاتها أملاً في الحصول على مكاسب سياسية في نجد، من دون وجود قوة تتهدد سيطرته، حيث أخذ درساً مما حدث في عهد الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، من تحرك عثماني مصري ضدهما، ومن الطبيعي أن تختلف رؤية الأمير عن العلماء، لأن العلماء يربطون أحكامهم بقضايا شرعية بحتة، من دون الأخذ بالحسابات السياسية، ولا يمكن لوم العلماء في ما يرونه، حيث إنهم من عانوا من سيطرة وتشتيت، كذلك مخالفة الدولة لأهم شيء في دعوتهم، يمس العقيدة التي قامت من أجلها الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في محاربة الشرك وأشكاله، وفي رسالة محمد بن رشيد لوالي بغداد[1] سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م خير دليل على تفكيره بمنطق سياسي، ومجاملته لهوى الدولة العثمانية، حيث ذكر في رسالته ما نصه: "لا يخفى على سعادتكم انه ر بنا يديم لنا وجودكم باننا واسلافنا كنا ملازمين لخدمة الدولة العلية ادامها رب البرية بتمشاة الدروب وتأمين السبل وتمشاة الحجاج لبيت الله الحرام وزوار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام قائمين لهم بالحماية والصيانة ذهابا واياباً"، وقد حاول احتواء الأزمة الداخلية في إمارته مع العلماء، حيث وضَّح لوالي بغداد ما هو دائرٌ في حدود إمارته النجدية من خلاف حول موالاة الدولة العثمانية ومما قاله فيها: "وكان معلوما عند اهل نجد كافه وغيرهم باننا خدام ورعية دولة ومشهدين الله تعالى على ذالك ومن اجل هذا السبب اشتهر

---

(١) **إدارة الأرشيف العثماني باستانبول**: رسالة محفوظة في ملف ولاية بغداد برقم (Y.PRK.UM 21/69) من محمد بن رشيد إلى والي بغداد، بتاريخ ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، وتاريخ اليوم ٣ هجرياً، غير أنه لم يتضح من خلال صورة الوثيقة الشهر.

عداوتنا اهل نجد الحاضرة والباديه وانكروا علينا بذلك امور ديننا ودنيانا ومن هذا الخصوص احتملنا عداوتهم واخترنا الله تعالى ثم جانب الدولة العلية على نجد وغيرهم واصروا على محاربتنا وهم ابن سعود واهل القصيم ومن تبعهم من اهل الباديه"، إلى أن يقول في رسالته: "وهذا الحركه لاجل خدمتنا للدولة العليه انكروا علينا من هذا المبنى وحسبنا الله عليهم ونعم الوكيل يتخذون حربنا دينا لاجل انهم وهابية اذا جاء الرجل من اطراف الدول هاو من بلدانهم لم يسلموا عليه يقولون انت مشرك يدينون بذلك ويطلقون علينا الكفر". وبعد استعراض بعض من رسالة ابن رشيد يتضح أنه يود أن يمتص أي ردة فعل عثمانية إذا ما سمعت بالمشكلة، إضافة إلى أمرٍ مهم وهو إقرارها لما تحت يديه من حدود نجد، لذلك استخدم مصطلح وهابية.ومؤكدٌ أن ما قاله ابن رشيد في رسالته يعارض ما يؤمن به، والدليل هو ما عُرف عنه من دعمٍ للعلم والعلماء، وقد نَشَطت الحركة العلمية في الجبل في عهده ووصلت ذروتها، حتى أنها عُدَّت في زمنه عاصمة للثقافة في شبه الجزيرة العربية، ولا يمكن أن تتعارض عقيدة ابن رشيد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو الداعم والمتواصل مع السلفيين في العراق[1]، فقد وجدت عدداً من رسائلهم لعلماء الجبل، ذلك في سبيل تبادل المنفعة، والاتفاق على استراتيجية أتباع الدعوة في الرد على الشبهات التي كانت تُلصق باستمرار عليهم، إذ كان ابن رشيد على درايةٍ بمثل ذلك، ويشجع العلماء على بذل المزيد من الجهد، ويستقدِّم العلماء السلفيين من الأقطار العربية من العراق و الشام ومصر للتدريس في الجبل.[2]

كما عُرف عن محمد بن رشيد أنه نشأ على تعلم القرآن والتجويد ومبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان شغوفًا بالعلوم الأخرى من أدبٍ وتاريخٍ وسياسةٍ وفلك،

---

(١) **مكتبة آل بنيان بحائل**: رسالة من الشيخ عبدالقادر بن عبدالله العبادي – أحد علماء العراق – إلى الشيخ صالح بن سالم البنيان بتاريخ ١٣٠٧/٧/٢٦هـ الموافق ١٨٩٠/٣/١٨م، يطمئن على أحواله، ويسوق له البشائر في تكاثر أتباع السلفية في العراق والهند، واهتمامهم بكتب الدعوة.

(٢) السويداء: **الثقافة والتعليم**... المرجع السابق، ص ١٢١.

ويتحدث اللغة الفارسية والتركية، وقد تداول الناس وعرفوا حبه للعلم وحرصه على تطبيق مبادئ الدعوة، حتى أنه وصف بحسن العقيدة والمحافظة عليها والالتزام بها، ولعل ما اشتهر به الجبل من نهضة علمية خير دليل على التزامه، خصوصاً في وقف الكتب الشرعية. ومما يبين موقف ابن رشيد من الدعوة وإيمانه بها، حين أرسل إليه أهل الأحساء سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م يشتكون إليه أتباع الدعوة وتضييقهم عليهم بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، وما كان منه إلا أن أسكتهم بإقرار أتباع الدعوة.(١)

لذا نخلُص إلى أن ما جاء في رسالة محمد بن رشيد لوالي العراق ؛ لم يكن سوى لعبة سياسية يهدف منها إقرار الدولة العثمانية لما تحت يديه من حدود، وبالتالي يكسب ودها، ويتجنب عداوتها، التي قد تعمل على تقليص حدوده، والقضاء على احلامه في إقامة دولة نجدية.

أما ما يتعلق بالصراع الفكري بين علماء الجبل حول موالاة الدولة العثمانية؛ فقد كان منبعه القصيم، واختلاف علمائها حول موالاة الدولة العثمانية، إذ انقسموا إلى فريقين، أحدهما يرى أن الدولة العثمانية ومن على شاكلتها عبَّادُ قبورٍ مسلمون ليسوا بمرتدين، ولا يرى وجوب عداوتهم، ويبيح السفر إلى ديارهم، ولا يرى وجوب الهجرة من بين ظهرانيهم، والآخر اعتقدوا خلافهم، وبالتالي أرسل هؤلاء العلماء استفساراً لطلب الرأي حول هذا الموضوع من الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وغيره من علماء الدعوة، حيث أتى الرد موافقاً للفريق الثاني الذي يرى ردَّة الدولة العثمانية، لما فيها من مظاهرٍ شركيَّة، الأمر الذي دفع أصحاب الرأي الأول المسارعة إلى محمد بن رشيد، والشكاية لديه والوشاية على مخالفيهم، من أن هؤلاء إنما يقصدون إمارة آل رشيد ممثلةً بأميرها، ما دعا إلى الفتنة، حيث سعى ابن

---

(١) الحماد: المرجع السابق، ص ص ٤٩-٥٧.

رشيد لمطاردة هؤلاء، وإرسال رسالة إلى الشيخ عبدالله بن عبداللطيف يؤنبه على موافقته للفريق القائل بردَّة الدولة العثمانية ومواليها.[1]

انتقل الصراع حول هذه القضية إلى جبل شمَّر واشتدَّ فيها عما غيرها لسببين مهمين؛ الأول هو أن إمارة آل رشيد كانت تمثل الدولة العثمانية المُثار حولها الصراع، في مسالة كفريتها أم لا، والثاني هو سكن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في الجبل وتأثيره على علمائها في هذه المسألة، وجعلهم يتبنون رؤيته في أن الإمارة تمثل الدولة العثمانية، وبالتالي ينسحب عليها ما ينسحب على الدولة العثمانية، ما جعل ابن رشيد يعجل في إذنه برحيل الشيخ عبدالله عن الجبل خوفاً من الفتنة التي حدثت، غير أنه رحل وبقي فكره بين علماء الجبل يتزعمهم الشيخ صالح بن سالم البنيان، وعارضهم علماء من الجبل، يمثلون وجهة نظر الإمارة يتزعمهم الشيخ عيسى الملاحي، وقد طال هذا النزاع وامتدّ، ولم ينته إلا في فترة متأخرة عن فترة دراستنا.[2]

---

(١) الظاهري: أبوعبدالرحمن ابن عقيل، **مسائل من تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة دار الأصالة، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ص ٦٠-٦١.

(٢) الرديعان: حسَّان بن إبراهيم، **الشيخ صالح بن سالم آل بنيان (حياته، آثاره، جهوده العلمية)**، دار التوحيد للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ص ٩٣-٩٩.

علماء جبل شمَّر خلال عصر الدولة السعودية الثانية:

عرف جبل شمَّر عدداً من العلماء الذين كان لهم أثرٌ في تنشيط الحركة العلمية خلال عصر الدولة السعودية الثانية، منهم من كانوا من أهالي الجبل، ومنهم من وفدوا من قِبل الدولة السعودية، ومنهم من جاء نتيجة للبيئة العلمية التي نشطت خلال تلك الفترة، ومن ثم قطن في الجبل وأصبح واحداً من أهلها. واقتصرنا هنا على العلماء في فترة الدراسة، كذلك العلماء الذين كان لهم أثرٌ واضح في الحراك العلمي، وإقامة الدروس والتعليم العالي، كذلك روعي في ترتيبهم تاريخ الوفاة، ذلك لأن بعضاً منهم لم يعرف تاريخ ولادته، كما استثنينا منهم من ذُكِر في الحديث عن قضاة الجبل في الفصل الأول، وأبرز هؤلاء العلماء:

١. **الشيخ عوض بن محمد بن عوض الحجي** (... – **١٣٠٣هـ/... – ١٨٨٥م**):

لم يُعرف تاريخ ولادته، غير أنه من المرجح أنه ولد في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي[(١)] قارئاً مجوِّداً للقرآن وحافظًا له، واشتُهِر عنه دوره الاجتماعي في إصلاحِ ذات البين، وحلِّ المشكلات، كما جلس لتدريس القرآن الكريم فترةً طويلةً من عمره، لذا كان الناس يميِّزُون تلاميذه عن غيرهم، من خلال حُسنِ قراءتهم وتجويدهم وجمال أصواتهم، وأبرز علماء حائل درسوا عليه القرآن، اعتنى بجمعِ الكتب، وكتابة الأجوبة الشرعيّة، ومن السهل أن نميِّز أي رسالة أو خط للشيخ عوض، لما كان يتمتع به من خطٍ جميل ومرتب.[(٢)] كما كان الشيخ عوض عالماً بالفرائض، وله رسالةٌ مخطوطة جواباً لمسألةٍ فيها، وله درايةٌ بأصولِ الدين، وكان له رداً على من أثاروا الشبهات، ككتاب أنموذج الحقائق لمؤلفه داود بن جرجيس، حيث ردَّ عليه بكتاب الصواعق في أجوبة أنموذج الحقائق، وله اختصارٌ

---

(١) الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٢) الهندي: المصدر السابق، ص ص ٣٥-٣٧.

لألغاز المحرر في الفقه الشافعي[1]، أيضًا كان ناظمًا للشعر، وقد وجد له قصائد وأبياتًا دينية، كان مشهد وفاته مؤثرًا، حيث توفي وهو يؤم الناس في الصلاة ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، إذ كانت آخر آية قرأها قبل وفاته[2] قوله تعالى: "كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩".[3]

وتعدُّ أسرة الشيخ عوض من الأسر الوافدة إلى جبل شمَّر من خارج شبه الجزيرة العربية، وقد استقرت أسرته في قرية قصر العشروات، وكان كبيرها في فترة مجيئهم محمد بن عوض الجارحي.[4]

٢. الشيخ جارالله بن حمَّاد آل جبارة (١٢٥٠-١٣٢٠هـ/١٨٣٤-١٩٠٢م):

ولد الشيخ جارالله في الجبل، وقرأ القرآن حفظًا وتجويدًا، وكان من المقرئين، وعمل كاتبًا لدى الشيخين محمد بن سعد ومحمد بن راشد الغنيمي، وتولى مهام قصر الرشيد الدينية، واستعمله طلال بن عبدالله الرشيد كاتبًا له[5]، بعد ذلك قارئًا لآل عبيد الرشيد، ومقربًا من حمود العبيد، توفي رحمه الله وهو يقرأ على حمود في كتاب معجم البلدان، لذا قال فيه حمود العبيد[6]:

يا معجم البلدان هبِّيت ولُويت   من بعد أبو حمَّاد ما بك شفاة

٣.الشيخ مبارك بن عبدالله العوَّاد (١٢٤٠-١٣٢٠هـ/١٨٢٤-١٩٠٢م):

ولد الشيخ مبارك في حائل ونشأ فيها، وقرأ القرآن على المتقدمين من مقرئيها، وكان حافظًا مجوِّدًا، جلس لتعليم القرآن، حيث درسه على يديه مجموعة من علماء الجبل،

---

(١) الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٢) العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ٦٤.

(٣) سورة العلق آية ١٩.

(٤) الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٥) نفسه، ص ص ١٨١-١٨٢.

(٦) العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ٢٦.

إذ كان لديه مدرسة إقراء مشهورة. وهو من أسر حي لبدة في حائل، توفي رحمه الله ولم يكن له عَقِب.[1]

٤. **الشيخ يعقوب بن محمد بن سعد (١٢٥٠-١٣٢٢هـ/١٨٣٤-١٩٠٤م):**

ولد في حائل، وقد اختُلِفَ في سنةِ ولادته، حيث ذكر العريفي أنه ولد سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م[2]، فيما ذكر الهندي وصاحب كتاب روضة الناظرين أنه ولد سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م[3]، وفي علماء نجد ذُكر أنه ولد سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م[4]، ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م[4]، ومما يبدو أن ولادته كانت في بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، بحسب الروايتين الأولى والثانية؛ إذ إنه تعينَّ إماماً وخطيباً لجامعِ برزان سنة ١٢٧١هـ/١٨٥٤م[5]؛ لذا من غير المنطقي أن يكون عمره حينها أربع سنوات، وهو الذي يجعلنا نرجح رواية العريفي بشكل أكبر.

نشأ الشيخ يعقوب نشأةً علمية في بيت والده الشيخ محمد بن سعد، حيث حفظ القرآن عن ظهر قلب، وقرأ على علماء حائل، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ محمد بن راشد الغنيمي، والشيخ صالح بن سالم البنيان في أصول الدين والفرائض، كما قرأ عليه الشيخ صالح أيضاً في الفروع، إذ تتلمذ كلٌّ منهما على الآخر، وقرأ على غيرهم من العلماء، وقد أتقن علوماً عدَّة في اللغة والتاريخ، وحين عُيِّنَ أماماً وخطيباً ومعلماً في جامع برزان رفض تقاضي الأجر على عمله هذا تورعاً، له عددٌ من التلاميذ من طلاب العلم في الجبل.[6]

---

(١) الهندي: المصدر السابق، ص ٤٧؛ العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ٦٥.

(٢) العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٣١.

(٣) الهندي: المصدر السابق، ص ٤٦؛ القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج٢، ص ٣٥٢.

(٤) آل بسام: المرجع السابق، ج٦، ص ٤٩٦.

(٥) القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج٢، ص ٣٥٣.

(٦) نفسه.

لم يكن الشيخ يعقوب يخاف في الله لومة لائم، لذا كان يصدح في الحق أيًّا كانت النتيجة، ومن ذلك ما أورده صاحب كتاب من شيم العرب؛ من أنه كان يقرأ يومًا في كتاب تاريخ ابن كثير سيرة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في مجلس حمود ابن عبيد الرشيد، الذي كان يعقد هذا المجلس بعد صلاة الفجر يوميًا، إذ يكلف الشيخ محمد بن راشد الغنيمي أحد طلابه بالقراءة، وبما أن صوت الشيخ يعقوب كان جهوريًا، كُلف بذلك في غيابٍ للشيخ الغنيمي، وبعد أن انتهى الشيخ من القراءة؛ بدأ حمود يتحدث عن شخصية الخليفة عمر، ويعدد مناقبه، إلى أن قال: "إن أخلاق والدي وقوة شخصيته الفذة تشبه إلى حد كبير شخصية عمر بن الخطاب"[1]، ويقصد بذلك والده عبيد بن رشيد، لكن لم يدعه الشيخ يعقوب يُكمل؛ إذ قال: "إن البعد بين أخلاق والدك وأخلاق عمر بن الخطاب كبعد المشرق عن المغرب، شتان بين شخصية والدك الذي استعمل شجاعته بدافع من أنانيته ولحساب نفسه وأسرته، ومن أجل النعرة القبلية الجاهلية، وبين شخصية عمر بن الخطاب الذي أوقف حياته ونذر نفسه لرفع شأن الأمة الإسلامية"[2]، وفي ذلك صدحٌ بالحق جعل حمود الرشيد يطرد الشيخ يعقوب من مجلسه، وبعد أن حضر الشيخ الغنيمي روى إليه حمود ما حدث، فغضب الشيخ وخرج من مجلس الأمير، وأكد على حمود أن يعتذر للشيخ، وبالفعل اعتذر للشيخ، وكان موقفًا قويًا للشيخ يعقوب، يوضح ما كان عليه من ورعٍ وقوةِ حجة.[3] كما كان للشيخ يعقوب موقفًا آخر؛ إذ اشتُهر عنه شدَّته على المشاهدة الشيعة[4]، ويُذكر أنه صفعَ أحدهم يومًا في سوق برزان، الأمر الذي جعل

(١) المارك: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٩٥٩-٩٦٠.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) الشِّيعة الذين أحضرتهم الإمارة في عهد طلال العبدالله لتنشيط الحركة التجارية في أسواق حائل؛ وسيأتي الحديث عنهم مفصلاً في الفصل الرابع إن شاء الله.

الإمارة توقفه عن إمامة الناس في جامع برزان فترةً قصيرة، وقد توفي عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م.[١]

٥. الشيخ سالم بن محمد بن عوض الحجي (... – ١٣٢٤هـ/... – ١٩٠٦م):

هو أخٌ لسابقه الشيخ عوض، أيضًا كان فقيهًا عالمًا بالفرائض، وقد درس على يدي أخيه، وقد عُرف عنه حسن الخط، لذا اتخذه عبدالعزيز بن متعب الرشيد كاتبًا له، وعينه أيضًا رئيسًا لديوانه[٢]، وقد ذكر الهندي مؤلف زهر الخمائل أن الشيخ سالم ابتُلي في خدمة للأمراء، لكنه في الوقت نفسه كان عونًا لأهلِ العلم عندهم من مكائد حاسديهم، كما أورد الهندي أن وفاته كانت سنة ١٣١٨هـ/١٩٠١م في موقعة الصَّريف[٣]، ونقل عنه العريفي[٤]، في حين أورد مؤلف كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون ما يتعارض وهذا التاريخ، حيث ذكر أنه توفي سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م في موقعة روضة مهنا[٥]، ونقل عنه الرديعان.[٦] وبين الرأيين في تاريخ وفاته؛ فيبدو أن رأي الهندي وتبعه العريفي بُني على مرثيَّةِ الشيخ حمود بن

---

(١) الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٢) العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ٤٠.

(٣) الموقعة التي حدثت بين جيش الإمارة بقيادة عبدالعزيز بن متعب الرشيد وجيش الكويت بقيادة مبارك الصباح، يرافقه الإمام عبدالرحمن بن فيصل وأمراء القصيم من آل سليم وآل أبا الخيل وسلطان الدويش شيخ قبيلة مطير وغيرهم من القبائل التي تحالفت معهم، وكان النصر فيها لإمارة الجبل؛ (ليسي: روبرت، **المملكة**، ترجمة: دهام العطاونة، (د.ن)، لندن، ط١، ١٩٨٧م، ص ١٧؛ البسام: **تحفة المشتاق**... المصدر السابق، ص ص ٣٨٣-٣٨٤).

(٤) الهندي: المصدر السابق، ص ص ٤٨-٤٩.

(٥) الموقعة الفاصلة التي انتصر فيها الملك عبدالعزيز – رحمه الله – على عبدالعزيز بن رشيد أمير الجبل، وقتل فيها ابن رشيد، وتحول سير الأحداث بعد ذلك لصالح الملك عبدالعزيز في نجد، بحيث ضعفت قوة آل رشيد في الجبل؛ (العثيمين: عبدالله بن صالح، **معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ص ١٠٥-١١٢).

(٦) آل بسام:المرجع السابق، ج٢، ص ٢١١.

حسين الشغدلي[1]في الشيخ سالم، حيث ذُكر في المرثيَّة المخطوطة ما نصُّه: "ولما قتل سالم بن محمد الحجي مع عبدالعزيز بن رشيد في وقعة الصريف المعروفه المشهوره انشد حمود بن حسين"[2]، لكن في ما يبدو أن الأصح هي الرواية الثانية؛ ذلك لما استدلَّ عليه الرديعان في كتابه منبع الكرم، حين أورد أحد الوقفيات في الجبل سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م، وكان الشيخ سالم الحجي أحد الشهود على هذه الوقفيَّة[3]، ما يؤكد حياته بعد موقعة الصرِّيف، ويُرجح وفاته في موقعة روضة مهنا.

٦. الشيخ صالح بن سالم البنيان (١٢٧٥-١٣٣٠هـ/١٨٥٨-١٩١١م):

يُعدُّ الشيخ صالح أبرز علماء جبل شمَّر في عصره، ولد فيها ونشأ لدى جدته لأبيه، بعد أن توفي والده سالم وهو في عمرٍ مبكر، وتزوجت والدته، لذا تكفلت به جدته، وعملت على رعايته، وأرسلته منذ فترة مبكرة لتعلم القرآن[4]، حيث درسه على الشيخ عوض الحجي، الذي زوجه ابنته بعد ذلك.[5] وبعد أن تعلم القرآن ومبادئ العلوم العربية والحساب؛ فأخذ عن شيخه الأول عوض الحجي الفرائض والفقه، كذلك عن الشيخ عبدالعزيز المرشدي، كما لازم الشيخ عبدالله ابن عبداللطيف حين كان في الجبل وأخذ عنه الكثير، كما تأثر به وبتوجهاته، لا سيَّما في القضية التي

---

(١) حمود بن حسين الشغدلي، ولد سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م في حائل، وأخذ العلم الشرعي عن عدد من علماء حائل، أبرزهم الشيخ صالح بن سالم البنيان، كذلك أخذ النحو في الرياض من الشيخ حمد بن فارس، والتوحيد والعقائد والفقه من الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، كُلِّف بقضاء حائل سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م، وتقاعد عن العمل سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، وكان أحد العلماء الذين يثق بهم ورأيهم الملك عبدالعزيز، توفي سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م؛ (آل بسام: المصدر السابق، ج٢، ص ص ١٣٦-١٤٠).

(٢) وثيقة غير مؤرخة، مكتوب عليها القصيدة الرثائية من الشيخ حمود الشغدلي في الشيخ سالم الحجي؛ (الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ٥٩٠).

(٣) تملُّك ووقف وتهذيب السنن لعبدالعزيز الحمَّاد وأخيه مبارك الحمَّاد سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م؛ (الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ٥٩٠).

(٤) القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج١، ص ١٧١.

(٥) الهندي: المصدر السابق، ص ٥٤.

ناقشناها حول الولاء للدولة العثمانية[1]، وقد انتقل إلى القصيم وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وقد عُدَّ أحد تلاميذه([2])، كما أخذ عن غيره من علماء القصيم في أصول الدين وفروعه والحديث والتفسير وعلوم العربية[3]، أيضًا ارتحل إلى الرياض ليلازم شيخه عبدالله بن عبداللطيف، كما أخذ عن علماء آخرين، أثروا حصيلته العلمية.[4]

حدثت بينه وعبدالعزيز بن متعب بن رشيد وحشةٌ بسبب وشاية ضد الشيخ لدى الأمير، الأمر الذي دفع الأخير إلى نفيه إلى تيماء، وقد رحل معه طلابه الملازمين له، فأثر في طلبة العلم في تيماء، وبقوا على علمه حتى كانوا الأبرز من بين طلبة العلم في تيماء، من ثم عاد إلى الجبل مرة أخرى بعد عبدالعزيز الرشيد، وتولى القضاء فيها شريطة أن يؤمرُ بالمعروف ويُنهى عن المنكر، وأخذ عنه الكثيرون من مشاهير طلبة العلم في الجبل في زمنه.[5]

اهتم الشيخ صالح بجمع الكتب، لذا له مكتبةً مشهورة في حائل، يستفيد منها طلاب العلم إلى يومنا، كما كان ناظمًا للشعر.[6] وقد اهتمَّ أيضًا بنسخِ الكتب، خصوصًا رسائل شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وله تعليقات وتهميشات على عددٍ من الكتب.[7] وكان بينه وبين علماء عصره في الأقطار الأخرى تواصلٌ ومراسلات، لتبادل المنفعة والعلم.

---

(١) الرديعان: **الشيخ صالح**... المرجع السابق، ص ص ٢٣-٢٤.

(٢)العُمري: المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣) القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج١، ص ١٧١.

(٤) الرديعان: **الشيخ صالح**... المرجع السابق، ص ٢٤.

(٥) الهندي: المصدر السابق، ص ص ٥٤-٥٨.

(٦) العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ٤٤.

(٧) الرديعان: **الشيخ صالح**... المرجع السابق، ص ص ٢٥-٢٦.

كما كان في زمنِ محمد بن عبدالله الرشيد معلمًا لقصره، وكانت له كلمة نافذة لديه، غير أن ما حدث من خلاف فكري حول الولاء للدولة العثمانية؛ أوقع الجفوة بين الشيخ وابن رشيد، ما جعله يهجر القصر، وكان دائم التحذير للسلطة في الجبل من الظلم، والنصح بتحري العدل بين الناس، لذا كان له جهودٌ دعويَّةٌ، ولا يخاف في الله لومة لائم، ما كان له الأثر الكبير لدى السلطة الحاكمة، لذا حين طُلبت منه العودة إلى حائل بعد نفيه حين وليَّ القضاء فيها؛ أصرَّ على تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[1] وكان من أسباب نفيِّه إلى تيماء؛ وشايةٌ من حاسديه، أيضًا موقفه المعروف من الدولة العثمانية، إضافة إلى أنه كان يصدحُ بالحق في وجه عبدالعزيز ابن متعب، ويذكر أنه يومًا دخل عليه وهو غاضبٌ مما أنكره على حاشيته من أذيَّةٍ كانوا يمارسونها على الناس.[2]

وعلى الرغم مما اشتُهر به من ورعٍ وعلم؛ إلا أنه كان له بعض المعارضين من علماء الجبل، الذين ردَّ عليهم بأبياتٍ قال فيها[3]:

وكن نحلة ترعى أزاهير روضـــــةٍ   فتلقيه مشروبًا بإشفاء من العلل

فذان مثال للجهـــــــــول وهذه   لم رام إيمانًا كما صح في المثل

وعش سالمًا صدرًا وعن غيبة فغب   وإياك أهل الشك والزيغ والدغل

كاتب الشيخ صالح الملك عبدالعزيز برسالة نصح، ذكَّرهُ فيها بالعدل وتطبيق الشريعة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك مجانبة الحاسدين، ومما يبدو من هذه الرسالة أن الشيخ صالح كان ميَّالاً بعواطفه للملك عبدالعزيز، إذ إنه أرسل هذه الرسالة إلى الملكعبدالعزيز وهو لا يزال في ظلِّ حكم آل رشيد، على الرغم من

---

(١) القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج١، ص ١٧٢.

(٢) نفسه، ص ١٧٤.

(٣) السيف: المرجع السابق، ج١، ص ٣٦.

أن رسالته لم تؤرَّخ، إلا أنه عطفًا على معرفة سنة وفاته رحمه الله؛ يتضح أنه أرسلها وهو في حكم آل رشيد.[1]

٧. **الشيخ عبدالله بن محمد مرعي (قبل ١٢٦٠-١٣٣٧هـ/١٨٤٤-١٩١٨م):**

ولد في الجبل قبل عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، وينتهي لأسرةٍ تعود أصولها إلى دمشق في الشام، ونشأ على العلم، وأخذ عن مجموعة من علماء عصره في الجبل، أبرزهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وآخرون ممن كان مع الشيخ عبدالله زمن إقامته في الجبل، كما أخذ عن علماء الجبل الآخرين، كما أخذ عن علماء القصيم، وأبرزهم محمدبن عمر بن سليم في بريدة، وأتقن علم الفقه وأصوله والحديث والفرائض، كانت له مدرسةٌ مشهورة في لبدة، إذ تتلمذ عليه مجموعةٌ من علمائها وعلماء الجبل عامة.[2] تولى القضاء في الجبل ثلاث فترات؛ الأولى ١٣٠٦-١٣١٥هـ/١٨٨٨-١٨٩٧م، والثانية ١٣٢٠-١٣٢٤هـ/١٩٠٢-١٩٠٦م، ومن ثم أعيد مرةً ثالثة سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م، وظلَّ حتى توفي رحمه الله بعدها بعام، أي في سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م.[3]

٨. **الشيخ عبدالعزيز بن صالح النزهة (١٢٦٤-١٣٣٧هـ/١٨٤٧-١٩١٨م):**

ولد الشيخ عبدالعزيز في حائل، وقرأ وتعلَّم، كان حافظًا مجودًا، واشتُهِر عنه أنه جميل القراءة والأداء في القرآن الكريم، كما كان إمامًا لمسجد لبدة الجنوبي، قرأ عليه عددٌ من أبناء الجبل القرآن، كما قرأ عليه عددٌ من أهالي قرية فيد.[4]

---

(١) **مكتبة آل بنيان بحائل**: رسالة نُصح غير مؤرخة من الشيخ صالح بن سالم البنيان إلى الملك عبدالعزيز رحمهما الله نسخها الأستاذ حسَّان الرديعان في كتابه الشيخ صالح بن سالم آل بنيان.

(٢) آل بسام: المرجع السابق، ج٤، ص ٤٨٦؛ الرديعان: **منبع الكرم**...المرجع السابق، ص ص ٢٣٤-٢٤٠.

(٣) العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ٥٧.

(٤) الهندي: المصدر السابق، ص ٦٧.

٩. شكر بن حسين بن شكر الثويني (١٢٧٢-١٣٣٧هـ/١٨٥٥-١٩١٨م):

ولد في قرية موقق في جبل شمَّر، كان مقرئًا حافظًا للقرآن الكريم، انتقل إلى حائل وقرأ القرآن على علمائها، وحين أتقن القرآن فتح مدرسة لتعليمه، وقد تخرج من مدرسته عددٌ من علمائها، وقد ذكر مؤلف زهر الخمائل أنه قرأ عليه في صِغرِه، وأخذ العلم الشرعي عن الشيخ صالح بن سالم البنيان، وله خطٌّ جميل، إذ كانت خطوطه مشكَّلة.[١]

١٠. الشيخ عثمان بن عبدالكريم بن عثمان العبيداء (١٢٦٠-١٣٤١هـ/١٨٤٤-١٩٢٢م):

من مواليد حائل، نشأ على العلم، حتى أصبح فقيهًا عالمًا بالفرائض[٢]، وقرأ على الشيخ صالح بن سالم البنيان، وتولى قضاء حائل سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م، واشتُهر عنه العدل والأمانة، وكان ورعًا زاهدًا بكاءً يحُسن التعامل مع مصادر التشريع، في استخراج المسائل، كما يحسن تطبيقها الشرعي، وظلّ في القضاء عامين، حيث أُعفي من القضاء في عهد الملك عبدالعزيز – رحمه الله – بعد أن ضمَّ حائل سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، وتوفي بعد ذلك سنة واحدة رحمه الله.[٣]

١١. الشيخ عبدالله بن مسلم بن عبدالله التميمي (١٢٦٨-١٣٤١هـ/١٨٥١-١٩٢٢م):

ولد الشيخ عبدالله في بلدة الحلوة في حوطة بني تميم كفيف البصر، ونشأ فيها على قراءة القرآن وحفظه، ثم جدَّ في طلب العلم، إذ قرأ مبادئ العلوم وأصول التشريع على علماء عصره في الحوطة والرياض، وحفظ كثيرًا من كتب الحديث واللغة، وقد أثنى عليه عددٌ من العلماء، خصوصًا في ما يتعلق بفقه الحنابلة، ووصف باتساع

---

(١) نفسه، ص ٦٣.

(٢) العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ٥٨.

(٣) الهندي: المصدر السابق، ص ٧٠.

الاطلاع في الفقه والفرائض وحسابها، وعلم الحديث والمصطلح، كذلك علم اللغة العربية، وكان ممن انتقل مع الشيخ عبدالله بن عبداللطيف إلى الجبل سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م الذي بقي فيها عامًا ثم عاد إلى الرياض، غير أن الشيخ عبدالله بن مسلم بقي في الجبل، وقرأ على علمائها أصول الدين، ولازم الشيخ صالح بن سالم البنيان وغيره من علماء لبدة والجبل، وبعد فترة من الزمن انتقل إلى مكة المكرمة وأقام فيها فترةً بعد الحج، ولازم علماءها وعاد إلى الجبل مرةً أخرى، وتولى قضاء الجبل سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م وظلّ ست سنوات، وعُزل سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م، حيث تفرَّغَ للإفتاء والتدريس والعبادة، وأعيد مرةً أخرى للقضاء سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م، وظلّ فيه مرةً أخرى حتى ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م حين طلب إعفاءه، إذ عاد لما كان عليه من تفرغٍ للعبادةِ والتدريسِ والإفتاء، وحين ضمّ الملك عبدالعزيز الجبل أخذه معه إلى الرياض، بعدها عاد إلى بلدته الحلوة، وتوفي رحمه الله سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م وصُلِّي عليه صلاة الغائب في الرياض وحائل، الأمر الذي يدلّ على تعلق الناس به رحمه الله.(١)

١٢. الشيخ حسن بن محمد بن عوض الحجي (١٢٧٧-١٣٤٣هـ/١٨٦٠-١٩٢٤م):

ولد الشيخ حسن في حائل في بيئةٍ علميةٍ وأسرةٍ عُرفت باهتماماتها العلمية، وقد قرأ القرآن وتجويده على أخيه الشيخ عوض بن محمد الحجي، وكان له اهتمامًا في الكتب والأدب، واشتُهِر بحُسنِ قراءته.(٢)

وكان للشيخ حسن ممن اعتمدت عليهم إمارة الجبل في بعضِ مهماتها، حيث أُرسل إلى البصرة في العراق وكيلاً للإمارةِ فيها، وأقام حوالي سبع سنوات، وكان ناظمًا للشعر الفصيح، وله عدد من القصائد، وطبعت له قصيدة في مصر باسم صدى

(١) القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج١، ص ص ٣٧٢-٣٧٣.

(٢) الهندي: المصدر السابق، ص ٧٤.

الحرب، التي كتبها بعد موقعة الصريف بين الإمارة والكويت سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م(١) وله رحمه الله تهميشات على عدد من الكتب.(٢)

١٣. الشيخ حمد بن محمد أبو عُرف الخطيب(٣) (١٢٦٦-١٣٤٤هـ/١٨٤٩-١٩٢٥م):

ولد في حائل، وتعلَّم فيها، وقرأ القرآن على مقرئيها، ويذكر أن له إلمامٌ بكل الفنون، درس الحديث والفقه وأصوله والنحو والفرائض وعروض الشعر، وعلى الرغم أنه درس العُروض إلا أنه لم يقرض الشعر، وقد تولى الكاتب الخاص لآل رشيد، كما كانت تحُال إليه بعض القضايا المهمة لإبداء الرأي، ما يعني أنه كان مستشاراً للسلطة، وعُرف عنه الكرم، إذ كان يعترض الغرباء فيكرمهم ويحسن إليهم.(٤)

وبعد ضم الملك عبدالعزيز الجبل؛ جعل الشيخ حمد أحد كُتَّابه ومستشاراً له، وقد ولاه القضاء في مكة المكرمة، كما قام بالتدريس في المسجد الحرام. له مجموعةٌ من التلاميذ في الجبل وغيرها.(٥)

١٤. الشيخ عبدالله بن خلف بن راشد الخلف (١٢٦٩-١٣٤٤هـ/١٨٥٢-١٩٢٥م):

ولد الشيخ عبدالله بحائل وتعلَّم فيها وحفظ القرآن ومبادئ العلوم، وكان والده رحمه الله من طلبة العلم في الجبل(٦)، وقرأ على أشهر علمائها، والشيخ عبدالله بن

---

(١) الحجي: حسن، **صدى الحرب**، مطبعة اللواء، القاهرة، ط١، ١٣٢٠هـ، ص ٣.

(٢) العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ص ٢٧-٢٨.

(٣) قد يحدث خلطٌ بين الشيخ حمد وغيره من المشائخ من أسرة الخطيب الأخرى في الجبل المعروفون ببلدة قصر العشروات، ذلك لأن الشيخ حمد من أسرة العُرف، وهم فرعٌ من أسرة المزيني المشهورة في حائل؛ (العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ٣٠).

(٤) الهندي: المصدر السابق، ص ٨٠.

(٥) العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ٣٠.

(٦) القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج١، ص ٣٧٥.

عبداللطيف حين كان في الجبل، وحين رحل الشيخ ارتحل معه إلى الرياض وقرأ على علمائها، ثم ارتحل إلى الشام، وقرأ على علماء دمشق في النحو والصرف.(1)

تولى قضاء تيماء في عهد محمد بن عبدالله الرشيد قرابة عشرين سنة، وبعد أن انضمت حائل للملك عبدالعزيز ع يُنِّ في قضائها خلال الفترة ١٣٤٠-١٣٤٣هـ/١٩٢١-١٩٢٤م، وبعد ذلك انتقل إلى المدينة المنورة وتوفي فيها بعد ذلك بعامٍ واحد.(2)

ومما أثاره صاحب زهر الخمائل حول الشيخ عبدالله في كتابه قوله: لمّا قدم حائل كان قويًا شديدًا مهيبًا من أياديه البيض على البلاد أنه سعى بإجلاء المشاهدة من حائل فإنه شد عليهم بحزم حتى باعوا مساكنهم وأثاثهم ورحلوا نهائيًا إلى العراق"(3)، وبعد ما ذكره الهندي أورد أنقولى قضاء تيماء في زمن محمد الرشيد، ومما يُفهم من السرد أن جلاء المشاهدة عن حائل كان في عهد الرشيد، غير أن المنطق التاريخي يروي غير ذلك، وهو أنهم ارتحلوا عن الجبل بعد ضم الملك عبدالعزيز لحائل سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، وربما أن المؤلف هنا ذكرها من مآثر الشيخ ولَم يراعِ التسلسل التاريخي في العرض. ودور الشيخ مع الشيعة أنه سعى في إجلائهم من حائل.

كما أن المشاهدة لم يرحلوا جميعهم إلى العراق، بل انتقلت بعض أُسرِهم إلى المدينة المنورة، ومنها أسرتي المشهدي في المدينة وأسرة السيف، واللتان لا تزالان معروفتان في المدينة.

١٥. الشيخ عيسى بن حمود بن محمد المهوس (١٢٥٤-١٣٥٠هـ/١٨٣٨-١٩٣١م):

(١) الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ٢٦٩.

(٢) الهندي: المصدر السابق، ص ٧٨؛ العريفي: **علماء لبدة**... المرجع السابق، ص ص ٥٤-٥٥.

(٣) الهندي: المصدر السابق، ص ٧٨.

ولد بحائل وقرأ على علمائها القرآن الكريم، وحفظه بعدها بدأ طلب العلم على علماء الجبل، ومن أبرز العلماء الذي تتلمذ عليهم الشيخ عبدالعزيز بن صالح المرشدي، ومن ثم ارتحل إلى الرياض ولازم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وغيره من علماء الرياض، كذلك ارتحل إلى مكة المكرمة وقرأ على علمائها، ثم المدينة المنورة وقرأ على علمائها الحديث، ثم عاد إلى حائل، وكان له دروس فيها، وله عددٌ من التلاميذ من طلبة العلم في عصره، وعُرف عنه الفصاحة والبيان حين يتحدث رحمه الله، ورشح للقضاء فرفض تورعًا.[1]

١٦. الشيخ عيسى بن محمد بن عبدالله الملاحي (١٢٨١-١٣٥٣هـ/١٨٦٤-١٩٣٤م):

ولد في بلدة قفار في الجبل، وكان قد ولد يتيم الأب، وأمه توفيت وعمره ثلاث سنوات، لذا تربى يتيمًا في كنفِ عمِّه إبراهيم بن عبدالله الملاحي،[2] وتربى تربيةً حسنةً حيث قرأ القرآن وحفظه، ثم شرعَ في طلب العلم، وقرأ على علماء حائل الأصول والفروع والحديث وعلوم العربية، كما انتقل إلى القصيم وقرأ على علمائها ولازمهم، ما أكسبه فنونًا علميةً عدَّة، وكان ممن أشتُهر عنه من العلماء نظم الشعر، وكان ممن اعتنوا بكتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة وابن القيم.[3]

عيَّنهُ الملك عبدالعزيز قاضيًا في القصيم، واستمر فيها قرابة عشرين عامًا، وكان له فيها عددٌ من طلبة العلم من علماء القصيم، وقد قال عنه صاحب زهر الخمائل: "كان صالحًا دينا فيه تحامل على بعض العلماء في الطعن عليهم وكان شديدًا على أهل المعاصي"[4] ومنشأ هذه المقولة خلافاتٌ بين الشيخ عيسى وبعض علماء

---

(١) القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج٢، ص ١٣٦.

(٢) الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ٢٨٩.

(٣) القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج٢، ص ١٣٧.

(٤) الهندي: المصدر السابق، ص ٨١.

الجبل، حتى أن رحيله إلى القصيم كان على خلفيَّةِ تكفيره للدولة العثمانية، وبالتالي تكفيره لإمارة آل رشيد زمن عبدالعزيز بن متعب الرشيد، الذي يقال أنه ضربه حتى كُسرت يده، من بعدها انتقل إلى القصيم، حيث يرى الهجرة من الجبل على اعتبار أنها دار كفر، كما كتب قصائدً ا ذمَّ فيها أمراء الرشيد وعلماء الجبل، وخصَّ منهم الشيخ صالح بن سالم البنيان، الذي كان هو الآخر ممن يعارض تبعية الإمارة إلى الدولة العثمانية، والذي تعرض للإبعاد في زمنِ عبدالعزيز المتعب، وقد طالت مسألة الردود في القصائد بين الملاحي وعلماء الجبل، حتى استفتوا في ما قاله وقالوه الشيخ سليمان بن سحمان[1]، فأنكر على الملاحي ما قاله، على الرغم من أنه ممن وقف ضد التبعية للدولة العثمانية، وردَّ بقصيدةٍ على هذه المسالة، قال فيها:

ألا قُل لأهل العلم من ساكن الجبل　　　وصفوة أهل الخير من ذلك المحل

نظرنا إلى قول الملاحي وقولكـــــم　　　فلم نر قول الفدمِ إلا من الزلل

وفي هذين البيتين دلالة على معارضة ابن سحمان لسبِّ علماء الجبل، وعلى رأسهم الشيخ صالح البنيان، لكنه في الوقتِ نفسه وافقه على تكفير الدولةالعثمانية، وقد كثُرت القصائد والردود حول هذه المسألة.[2]

١٧. الشيخ يوسف بن يعقوب بن محمد بن سعد (١٢٨٨-١٣٥٥هـ/١٨٧١-١٩٣٦م):

---

(١) الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح الخثعمي، ولد في بيشة سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م، ونشأ على العلم والعبادة، حيث حفظ القرآن ودارسه، ثم شرع في طلب العلم وقرأ أصول الدين وفروعه، واشتُهر عنه نظم الشعر، انتقل مع والده إلى الرياض، وأخذ عن علمائها ولازمهم، وكان ممن انتقلوا مع الشيخ عبدالله بن عبداللطيف إلى الجبل، وكان للشيخ سليمان موقفٌ مشهور من إمارة آل رشيد ومن محمد بن رشيد تحديدً ا، خصوصً ا في إنكاره على وجود شاهدة، كذلك تبعية الإمارة للدولة العثمانية، إذ كان طرفًا رئيسً ا لدى العلماء في ذلك العصر في مسألة الخلاف الذي دار حول تبعية الدولة العثمانية، توفي رحمه الله سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م؛ (القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج١، ص ص ١٢٥-١٢٧).

(٢) الرديعان: **الشيخ صالح**... المرجع السابق، ص ص ١٠٩-١١٥.

ولد الشيخ يوسف في كنف والده الشيخ يعقوب في حائل، لذا تربى على العلم والدين، حيث حفظ القرآن وجوّده، وقرأ على والده التجويد والقراءات ومبادئ العلوم وأصول الدين وفروعه والحديث وعلوم العربية، ولازم والده طوال حياته، وقد قرا على عدد من علماء الجبل الآخرين، وكان أخيه عُمر ينيبه عنه في إمامة جامع برزان، وقد اشتُهر في ورعه وزهده، ومن يقول الحق من دون أن يخاف في الله لومة لائم، كوالده الشيخ يعقو ودرّس في جامع برزان، وله كُتَّاب لتحفيظ القرآن ومبادئ العلوم، وما يقال عنه أنه كان يهجر أولئك الذين يتخلفون عن الجماعة، أو من يأتي من بلدان أُخرى تكثر فيها المعاصي، أو الأمور الشركية.(١)

١٨. الشيخ عمر بن يعقوب بن محمد بن سعد (١٢٨٦-١٣٦٧هـ/١٨٦٩-١٩٤٧م):

لد في كنف والده كأخيه يوسف، وكان أكبر سنًا وأكثر شهرةً من أخيه، كان حافظًا للقرآن مجوّدًا، وقرأ على والده الأصول والفروع، ولازمه حتى توفي، كما قرأ على غيره من علماء الجبل الأصول والفروع أيضًا، وعلوم العربية، وتولى إمامة وخطابة جامع برزان بعد وفاة والده،كذلك الصلاة بالناس في العيدين، وظلّ على ذلك قرابة الخمسين عامًا، واشتُهر عنه أنه صاحب صوت جهوريٍ وحسن، ولديه مكتبة قيّمَة ورثها عن والده الشيخ يعقوب، إذ كان محبًا للمطالعة والقراءة، وقد آلت هذه المكتبة الآن إلى المعهد العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بحائل، ومن بعدها إلى دارة الملك عبدالعزيز.(٢)

(١) القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٢) الهندي: المصدر السابق، ص ١٠٠؛ القاضي: **روضة الناظرين**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ١٢٢-١٢٤.

نسخ الكتب

عَرفت نجد نسخ الكتب منذ فترةٍ مبكرة، حيث اشتُهر بعض العلماء بنسخ الكتب، ومنهم الشيخ حسن بن علي البسام[1] خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري، الذي نسخ مجموعة من الكتب خلال رحلته إلى الشام، وعاد بها إلى نجد، وقد عُرف عنه جمال الخط، وقد أوقف كتبًا عِدَّة خلال حياته على طلبة العلم.[2] وازداد بعد القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي اهتمام العلماء في نجد بنسخ الكتب، التي كان منها كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وكان لتضاعف عدد النُّساخ في نجد خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي أثرٌ في إثراء المنطقة بالكتب، حيث نُسخت أعدادٌ من الكتب منها: كتاب المطالع على أبواب المقنَّع، وشرح الشنشوري في الفرائض، ومتن الغاية، وتزايد أمر النسخ بعد ذلك، ما أثرَّ في نشوء المكتبات النجدية.[3]

وازداد نشاط النُّساخ بعد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لما كان من حراكٍ علمي، ما جعل كثيرًا من العلماء يعمدون إلى استعارة الكتب، ومن ثم نسخها من أصحابها، لذا ازدهرت المكتبات، ونشطُت حركة وقف الكتب على طلبة العلم.[4]

---

(١) الشيخ حسن بن علي بن عبدالله بن بسام الوهيبي التميمي، ولد في بلدة أشيقر ولم تُعرف سنة ولادته، غير أنه توفي رحمه الله سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، ويعد من أشهر مشائخ نجد في عصره، أخذ عن مجموعة من العلماء منهم أبو الفضل معين الدين محمد بن صفي الدين صاحب كتاب جامع البيان في تفسير القرآن، كما أخذ الشيخ حسن عن علماء الشام الحنابلة، خلال رحلته إليها، وأشهرهم في ذلك العصر الشيخ موسى الحجاوي، ومن ثم عاد إلى أشيقر، وصار قاضيًا ومعلمًا فيها؛ (آل بسام: المرجع السابق، ج٢، ص ص ٥٣-٥٤).

(٢) نفسه، ص ٥٥.

(٣) العيسى: المرجع السابق، ص ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٤) نفسه، ص ٢٨٦.

وكان جبل شمَّر أحد الأقاليم التي انتشر فيها أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لذلك عمل عددٌ منهم على نسخ الكتب، كي يستفيد منها أبناء الجبل من طلبة العلم، ذلك خلال بدايات القرن الثالث عشر الهجري/نهايات القرن الثامن عشر الميلادي، وممن عُرف بنسخ الكتب إبراهيم بن موسى[١]، حيث نسخ من الكتب: كتاب القواعد الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيميَّة سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م، كذلك نسخه كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيِّم الجوزية سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م.[٢]

ومن أشهر النُّساخ في الجبل مع أمثلة للكتب التي نسخوها، كما في الجدول الآتي[٣]:

الناسخ	الكتاب المنسوخ	سنة النسخ	مكان الحفظ
حمَّاد بن عثمان بن جبر	تفسير ابن كثير	غير معروف	مكتبة آل بنيان
==	صحيح البخاري	==	==
==	مسائل في العقيدة	==	==
==	ُمدَّة الأحكام	==	==
==	مسائل الجاهلية	==	==
==	بلوغ المرام	==	==
محمد بن إبراهيم بن سيف	الطرق الحكيمة	غير معروف	مكتبة آل يعقوب

(١) جد أسرة العتيق، أحد الأسر المشهورة في حائل؛ (العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ٧٨).

(٢) **مكتبة آل يعقوب**: نسخ إبراهيم بن موسى بن عتيق للشيخ عبدالله بن صالح بن حزام إعلام الموقعين عن رب العالمين سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م.

(٣)أورد الأستاذ حسَّان الرديعان جدولاً في كتابه منبع الكرم بجهد مشكور، أشهر النُّساخ في الجبل، ما وفر الجهد على الباحثين، لذا أوردنا هنا أهم النُّساخ الذين ذكرهم في كتابه، ممن دخلوا في فترة الدراسة، ولم نورد من كانوا بعدهم، كما اطلع الباحث على أغلب الكتب المخطوطة التي ذكرها الرديعان في المكتبات الحائلية؛ (الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ص ١١٣-١٢٠).

==	القواعد الفقهية لابن رجب	==	مكتبة الأزهر بمصر
بدران بن رحمة بن محمد	الرحبية	١٢٦١/٩/٢٤هـ ١٨٤٥/٩/٢٦م	مكتبة آل بنيان
محمد بن راشد الغنيمي	الرد على الأخنائي	١٢٦٦هـ/١٨٤٩م	مكتبة الملك فهد الوطنية
عبدالعزيز بن صالح المرشدي	قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين	١٢٧٠هـ/١٨٥٣م	مكتبة الطويرب
عوض بن محمد الحجي	الصواعق في أجوبة أنموذج الحقائق	قبل ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م	مكتبة آل بنيان
==	عمدة الفقه	١٢٨١هـ/١٨٦٤م	==
==	الرحبية	١٢٨١/٢/٢٩هـ ١٨٦٤/٨/٣م	==
==	جواب مسألة في الفرائض	١٢٨١/١١/١٥هـ ١٨٦٥/٤/١١م	==
==	اختصار المحرر في الفقه	١٢٨١/١١/٢٧هـ ١٨٦٥/٤/٢٣م	==
==	قصيدة في اتباع النبي	١٢٨٣هـ/١٨٦٦م	==
يحيى بن سليمان العميم	العقيدة الواسطية	١٢٨٤هـ/١٨٦٧م	==
سليمان بن سالم آل ليلى	المقتبس	١٢٩٠/٣/١٨هـ ١٨٧٣/٥/١٦م	مكتبة آل بنيان
==	فضل علم السلف على علم الخلف	١٢٩٠هـ/١٨٧٣م	==
==	الكلام على كلمة الإخلاص	==	==

	لابن رجب		
==	الحيدة والاعتذار للكناني	١٢٩٦هـ/١٨٧٨م	مكتبة الطويرب
عبدالله بن علي الغنيمي	التخويف من النار	١٢٩٤/٨/٦هـ ١٨٧٧/٨/١٦م	مكتبة آل بنيان
==	الجواب الكافي	١٢٩٦/٦/١٣هـ ١٨٧٩/٦/٤م	==
==	الحموية	١٢٩٩/٦/٢٥هـ ١٨٨٢/٥/١٤م	==
==	الصارم المنكي في الرد على السبكي	١٣٠٧/٢/٢٥هـ ١٨٨٩/١٠/٢١م	==
صالح بن سالم البنيان	المدهش	١٢٩٨هـ/١٨٨٠م	مكتبة الأوقاف العامة ببغداد
==	التدمرية	١٢٩٩/٥/١٤هـ ١٨٨٢/٤/٣م	مكتبة آل بنيان
==	زاد المستقنع	غير معروف	==
==	الرد على الزنادقة	==	==
==	شرح حديث عمار بن ياسر لابن رجب	==	==
==	الماردينية	==	مكتبة الشغدلي
صالح بن جارالله لحمَّاد	السنة للإمام أحمد	١٣٠٣/٥/٣هـ ١٨٨٦/٢/٧م	مكتبة آل بنيان
ناصر بن إبراهيم السميِّر	عمدة الفقه	١٣٠٦/١/١٦هـ ١٨٨٨/٩/٢٢	==
عيسى بن مشاري	الشهب النجدية	١٣٠٧هـ/١٨٨٩م	مكتبة الملق

==	رد إسحاق آل الشيخ على ابن حنش	==	==
إبراهيم بن عمر السايح	الصيب الهطال في كشف شبه ابن كمال للكتلاني	١٣٠٨/٩/٢٦هـ ١٨٩١/٥/٥م	مكتبة الشغدلي

في ما فات ذِكرُ لأشهرِ النُّساخ من الكتب التي ذكرها المؤلفون، ومما اطلع عليه الباحث في المكتبات.

ونتيجةً لحركة نسخ الكتب؛ ازدهرت سوق الوِرَاقَة في الجبل خلال فترة الدراسة، ذلك نتيجةً لتسابُق العلماء والوجهاء على طلبها، ولم يكتفِ النُّساخ بنسخِ الكُتب وحسب، بل تعدى الأمر إلى أن كانوا ينسخون الوثائق والمراسلات، حفاظًا عليها من الضَّياع أو التلف، خصوصًا تلك التي تتعلق بالمبايعات، أو المراسلات المهمة، وكان من أشهر الذين اهتموا بنسخِ الوثائق الشيخ عوض بن محمد الحجي.(1) ومن الوثائق التي نسخها من أصلها رسالة من محمد بن سيف وعبدالعزيز بن سيف من أهالي بقعاء إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز، يوضحون فيها أملاك الأهالي في بلدتهم، وقد نسخها من أصلها الشيخ عوض سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ولم تكن الرسالة الأصلية مؤرخة(2)، ولعل سبب نسخ الشيخ عوض لهذه الرسالة؛ أهميتها التاريخية في إثبات ملكيات الأهالي في بقعاء.

ومما يدلُّ على ازدهار الوِرَاقَة في جبل شمَّر خلال فترة الدراسة؛ رسالة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف لعالم العراق الشيخ خير الدين نعمان بن شهاب الدين محمود الألوسي(3)،

(١) الحماد: المرجع السابق، ص ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) **مكتبة آل بنيان بحائل**: رسالة من محمد بن سيف وعبدالعزيز بن سيف إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز حول أملاك آهالي بقعاء، رسالة غير مؤرخة، نُسخها الشيخ عوض بن محمد الحجي سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م.

(٣) الشيخ خيرالدين نعمان بن شهاب الدين محمود الألوسي، ولد في بغداد سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م، ونشأفي بيئةٍ علميَّة في كنفِ والده الشيخ محمود الألوسي؛ أحد أشهر العلماء الحنابلة في العراق صاحب كتاب تاريخ نجد، وقد نَهلَ الشيخ نعمان من والده العلوم الشرعية والعربية، حتى عُدَّ أحد العلماء والفقهاء المتبحرين، وكان له علاقة قويّة مع علماء نجد وأتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إذ كان على اتصال دائمٍ بهم وله مجموعةٌ من المؤلفات=

التي يطمئنه فيها على أن الكتب التي طلبها يتم نسخها في جبل شمَّر، وكان الرد من الشيخ عبدالله حين كان في الجبل.[1] كذلك رسالة الشيخ نعمان للشيخ صالح ابن سالم التي يطلب فيها كتبًا من الجبل، ويقول: "ثم ما ذكرتم من جهة الكتاب مصباح الظلام في الرد على عثمان بن منصور فإنه ليس موجودا عندنا وكذا بغية المرتاد المنعوت بالسبعينية لشيخ الاسلام ابن تيمية فلا يوجد ايضا فاذا تفضلتم بارسالهما ولاسيما البغيه فهو من اعظم ما نبتغيه ولكم الفضل واما كتاب الاعتصام لاحمد الخزاعى فلم اره ولا يوجد عندنا ثم اذا كان يمكن استنساخ الجزء الاخير اى النصف الثاني من كتاب منهاج السنة لشيخ الاسلام وكذا النصف الثانى من بدايع الفوائد للشيخ ابن القيم ارجو استكتابهما لانه عندى من كل منهما النصف الاول وكلما يبلغ الثمن والاجرة ندفعه لكم إن شاء الله تعالى والاجر ايضا حاصل لكم واذا يمكن ايضا شراء المغنى في الفروع او المنتهى او شر ح الاقناع او غيرهم من كتب الحنابلة المطولة المفصله فتزداد شكرا وليت ان مثل هذه الكتب كان يطبعها بعض من له سعه نشر مذهب الامام احمد ومع ذلك يربح دنيا واخرى لان كتب مذهبه قلّت او اضمحلت ومن يطبع الأن فى مصر والهند او غيرهما يربح الربح الوافر فاسعوا تؤجرون ان شاء الله تعالى"[2]، وفي رسالة الألوسي ما يعطي صورة حيَّة لما كان عليه الجبل من اهتمامٍ بنسخِ الكتب،

=المشهورة منها: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، وغالية المواعظ، وشقائق النعمان، وسلس الغانيات في ذوات الطرفين من الكلمات، كما أن له خزانةً أوقف فيها حوالي ألف كتاب، توفي رحمه الله سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م؛ (الآلوسي: محمود شكري، **تاريخ نجد،** تحقيق وتعليق:محمد بهجة الأثري، دار المعالي، عَمَّان، ط٤، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ص ١٣-١٧؛ العزاوي: عباس، **موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين،** ج٨، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ص ١٦١-١٦٢).

(١) **مكتبة آل بنيان بحائل:** رسالة من الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في جبل شمَّر إلى الشيخ نعمان بن محمود الألوسي في العراق، بشأن الرد على طلبه نسخ بعض الكتب التي يحتاجون إليها في العراق، بتاريخ ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، نسخها من أصلها الشيخ صالح بن سالم البنيان في السنة نفسها.

(٢) **مكتبة آل بنيان بحائل:** رسالة من الشيخ خيرالدين نعمان بن محمود الألوسي للشيخ صالح بن سالم البنيان، يطلب فيها نسخ بعض الكتب غير المتوافرة لديهم في العراق، مؤرخة في ١٣١١هـ/١٨٩٣م.

خصوصاً الكتب الشرعية، حتى أنها باتت تغذي بها مكتبات العراق، وقد وُجِد فيها ما لم يوجد في العراق من الكتب حسب ما ورد في رسالة الألوسي.

وقف الكتب:

دأب المسلمون منذ فترات متقدمة من التاريخ على وقف الكتب على طلبة العلم، ذلك لما لهذا العمل من قيمةٍ في التقرب إلى الله ﷻ، لذا امتلأت المكتبات الإسلامية على مر العصور بالكتب الموقوفة، الأمر الذي أحدث نوعاً من التسابق بين المسلمين على وقف الكتب، ولعل مكتبات الشام والعراق والأندلس تحاكي واقع الكتب ووقفها، إذ تسابق الخلفاء والأمراء في وقف الكتب، وإنشاء المكتبات.(١)

لذا كان الوقف من أهم الروافد التي دعمت وجود المكتبات، والتي كانت نواتها المسجد في بدايات التاريخ الإسلامي، ومن ثم تطورت حتى باتت لها دور خاصة بها، لكي يستفيد منها الجميع، من المسلمين وغيرهم، كما كان في الأندلس، عندما كان يأتي الطلاب من أنحاء أوروبا، كي يستفيدوا من الكتب الموقوفة في المكتبات الأندلسية، وبالتالي يسقط الحرج في دخولهم المساجد، الأمر الذي يعطي صورةً لما كان عليه وقف الكتب من عناية لدى المسلمين.(٢)

وفي جبل شمَّر استشعر الأمراء والعلماء أهمية انتشار الكتب، لذا اعتنوا بمسألة وقف الكتب، خصوصاً أولئك الذين كانت لهم قدرة اقتصادية، تجعلهم يسعون إلى نسخ الكتب ووقفها على المكتبات الخاصة، ولعل الجبل من أشهر المناطق النجدية التي نَشَطت فيها حركة

---

(١) الرافعي: مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ص ٢٠٩-٢٠١٦.

(٢) دي بور: ت.ج، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، (د.ت)، ص ص ٣١٦-٣٢٠.

وقف الكتب، ولعل بعض الكتب المشهورة[1] خصوصاً الشرعية منها؛ اعتُمد في طباعتها على الأصول المحفوظة في مكتبات الجبل، مثل تفسير الطبري وغيره من الكتب، وقد أشرنا إلى رسالة الألوسي للشيخ صالح بن سالم، وحديثه حول ما في الجبل من كتب، وحثه لعلمائها على نشرها بين المسلمين.

كان وقف الكتب من قبل الواقف على من يتوافر فيه العلم وسيما الصلاح من طلبة العلم في الجبل، أو على شخص وذريته من بعده، أو أن يكون الوقف لطلبة العلم عامة، ويشهد بهذه الوقوف في صحفةِ عنوان الكتاب شهود يُضَم إليهم الناسخ أو الكاتب، ويمهر الكتاب بختم الكاتب، أو ختم الواقف.[2]

ومن أمثلة الوقفيات التي اطلع عليها الباحث في جبل شمَّر الآتي:

الكتاب	الواقف	التاريخ
الجزء الثاني من عيون الأثر في فنوان المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس	عبيد بن رشيد	غير مدون
معونة أولي النهى شرح المنتهى لابن النجار	عبيد بن رشيد	١٢٦٦هـ/١٨٥٠م
ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس لعبدالرحمن بن حسن	نورة بنت الإمام فيصل بن تركي	١٢٨٥هـ/١٨٦٨م
الجزء الثاني من كتاب التحقيق لابن الجوزي	عوض بن محمد الحجي	١٢٨٥هـ/١٨٦٨م

(١) الحماد: المرجع السابق، ص ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) السويداء: **الثقافة والتعليم**... المرجع السابق، ص ص ٦٦-٦٧.

كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي	عوض بن محمد الحجي	١٢٩٧/١/٢٠هـ ١٨٨٠/١/٣م
تفسير ابن كثير	محمد بن عبدالله بن رشيد	١٣٠٢/١/٢٥هـ ١٨٨٤/١١/١٤م
كتاب الإقناع	محمد بن راشد الغنيمي	١٣٠٥/١٠/٢٧هـ ١٨٨٨/٧/٧م
نونية ابن القيِّم	==	==
سلوان المطاع في عدوان الاتباع للصقلي	عبدالعزيز بن سليمان العريفي	١٣٠٥/١٠/٢٩هـ ١٨٨٨/٧/٩م
الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين لعبدالله أبابطين	عبدالرزاق بن محمد الغنيمي	١٣٠٥هـ/١٨٨٨م
إعلام الموقعين لابن القيِّم	فالح بن يوسف	١٣٠٦/١/٣٠هـ ١٨٨٨/١٠/٦م
تفسير الطبري	حمود بن عبيد الرشيد	١٣١١/١٢/١٢هـ ١٨٩٤/٩/١٦م

وغير هذه الكتب الكثير، مما لا يسع المجال لحصره، ومما يلاحظ على وقف في الكتب في الجبل، أن الموقف لم يكن محصوراً على الوجهاء من الرجال، إذ عمد بعض نساء الجبل إلى المشاركة في وقف الكتب، طلباً للبر[١]؛ فممن اشتُهرن بوقف الكتب على طلبة العلم؛ بنات الشيخ عوض بن محمد الحجي ووالدتهن قوت، إذ أوقفن عدداً كبيراً من الكتب

(١) نفسه.

الخاصة بوالدهن، وتجاوز عدد الكتب التي أوقفنها ٥٧كتاباً[1]، حسب السجل المحفوظ باسمهن في مكتبة آل بنيان، أيضاً ممن اشتهرن بوقف الكتب على طلبة العلم[2]:

١. دليِّل بنت طلال الرشيد.

٢. خنساء الرشيد.

٣. طريفة بنت عبيد الرشيد.[3]

٤. نورة المحمد الرشيد.[4]

٥. شماء بنت حسن الدوخي.

٦. فاطمة بنت زامل السبهان.

---

(١) **مكتبة آل بنيان بحائل**: فهرس لوقفيات بنات الشيخ عوض بن محمد الحجي رقية وشماء ووالدتهن قوت، من دون تاريخ.

(٢) الحربي: دلال بنت مخلد، **إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد**، بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ٢٥-٢٧ محرم ١٤٢٠هـ، ص ص ٧٣٢-٧٣٩.

(٣) ولدت في ١٢٥١هـ/١٨٤٧م، وهي أحد النساء اللاتي كُنَّ على قدر من التعليم والثقافة، تزوجت الإمام عبدالله بن فيصل، وقد تعرضت للسجن مع زوجها الإمام عبدالله على يد أبناء سعود بن فيصل سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م، الأمر الذي تدخل من أجله آل رشيد في الشؤون الداخلية في الرياض، كما تزوجت طريفة بعد موت الإمام عبدالله بأخيه محمد بن فيصل، توفيت رحمها الله قبل ١٣١٤هـ/١٨٩٦م؛ (الحربي: دلال بنت مخلد، **نساء شهيرات من نجد**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ص ١٠٠-١٠٥).

(٤) من موالي محمد الرشيد؛ (رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الجمعة ١٤٣١/١/٨هـ).

المكتبات الخاصة

من خلال الحديث عن نسخ الكتب ووقفها؛ يتضح لنا أن جبل شمَّر كان يزخر بعددٍ من المكتبات خلال فترة الدراسة، ما جعل العلماء يهتمون بإنشاء المكتبات الخاصة، التي يحرصون على إثرائها بأهم الكتب وأنفسها والنوادر منها، وكانوا يبذلون الجهد والمال، ويتنافس العلماء فيذلك؛ ومن ذلك حين أهدى أحد علماء أسرة آل بسام في عنيزة كتاب كشاف القناع عن متن الإمتاع[1] لأمير الجبل محمد بن رشيد، وأراد ابن رشيد أن يهديه لأحد العلماء، ولأهمية المخطوط تنافس العلماء على الفوز به، لذا اضطروا لبيعه، حيث اشتراه حسن بن سليمان العريفي وأخيه عبدالعزيز، ووقفا المخطوطة لعمهما عبدالله بن محمد العريفي على الشيخ صالح بن سالم البنيان سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م.[2]

كانت المكتبات في الجبل مظهرًا من مظاهر التطور الثقافي، وترجمةً لما كانوا يقومون به من رعايةٍ فائقةٍ بالكتب والاهتمام بها، وجمع أكبر عددٍ منها، وقد تصل أعداد هذه الكتب في المكتبة الواحدة إلى ألاف كتاب.[3]

كان لمكتبات حائل مصادر عدَّة أهمها:

١ الكتب التي تَرِد مع حجاج العراق وفارس:

بما أن جبل شمَّر كان يقع على طريق الحاج العراقي والفارسي؛ فإن كثيرًا من الكتب التي كانت ترد إليه؛ كانت تأتي بمعيَّةِ الحجاج، الذين يقومون ببيعها على أهالي

---

(١) المخطوطة للشيخ منصور بن يونس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١هـ/١٦٤١م، وقد اطلع عليها الشيخ عيسى القدومي – أحد علماء دمشق سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م، وقد ذكر ذلك في خاتمة الجزء الأول من المخطوطة، وانتقلت بعد ذلك إلى مكتبة الشيخ موسى بن صالح بن سميكة بالشراء الشرعي سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م؛ (العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ٩١).

(٢) نفسه.

(٣) العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٢٠.

الجبل، وربما أنه اشتُهِر هذا الأمر بين حجاج العراق وفارس؛ حيث كانت النجف سوقًا للكتب، وتسابق الناس لشراء الكتب التي لا يوقفها أصحابها بعد موتهم، إذ يشترونها بأبخس الأثمان، وكثير منهم يعمل على تخزينها للاكتساب منها، وبيعها بما يوفر له مردودًا ماليًا مجزيًا بمقاييس ذلك الزمن، لا سيَّما كتب التاريخ واللغة والأدب والشعر والبلدانيات والهندسة والطب وتراجم الرجال وغيرها، وهؤلاء المتاجرون كانوا يبيعونها إذا ما سنحت لهم الفرصة في رحلة حجهم على أهالي الجبل، كي يحصلوا على ما يجزيهم من المال.(1) كما كان أهالي الجبل يتحينون الفرصة خلال وصول ركب الحج، ويبحثون عن الكتب التي قد تكون معهم فيشترونها.(2)

٢. تبادل الكتب وانتساخها:

كان العلماء يحرصون على نسخ الكتب، من خلال التبادل في ما بينهم بالنسخ التي تكون ناقصة في مكتباتهم، أو الأجزاء التي ليست متوافرة لديهم من كتاب أو آخر، لذا كانت الإعارة قائمة بين العلماء وطلبتهم وأصحاب المكتبات منهم تحديدًا. وقد تمتد إلى شهورٍ عدَّة، خصوصًا إذا ما أراد المُستعير نسخ الكتاب، ويعمل أصحاب المكتبات على كتابة الكتب المُعارة بسجلٍ خاص، يذكرون فيه تفاصيل الإعارة، وتاريخها، خصوصًا إذا ما كان الكتاب موقوفًا، ولدى الشيخ صالح بن سالم سجلاً خاصًا بالكتب التي أعارها على طلبة العلم.(3)

٣. الشراء:

انتقلت كثير من الكتب الموجودة في مكتبات الجبل؛ عن طريق الشراء الشرعي، وقد حرص كثيرٌ من الوجهاء على شراء الكتب؛ سعيًا لوقفها برًا على أصحاب المكتبات،

(1) الدجيلي: كاظم، **مكتبات النجف**، مجلة لغة العرب، السنة الثالثة، ج11، جمادى الآخر ١٣٣٢هـ/آيار ١٩١٤م، ص ص ٥٩٣-٥٩٥.

(2) السويداء: **الثقافة والتعليم**... المرجع السابق، ص ٥٨.

(3) نفسه، ص ص ٦٢-٦٣.

وقد مرَّ معنا عدد من النماذج لكتب انتقلت شراءً ومن ثم تم وقفها، وممن اشتهروا بشراء الكتب ووقفها آل عبيد بن رشيد، حيث اشتُهر عن عبيد بن رشيد نفسه اهتمامه بالكتب ووقفها، حيث كان يحصل عليها في الغالب عن طريق الشراء، ويذكر داوتي أن في حوزة حمود العبيد ما يزيد على ثلاثة ألاف كتاب من المجلدات، ويقول: عثُرت في قهوة عبيد على ما يزيد على اثني عشر كتاباً داخل أكياس مصنوعة من قماش القطن، ومجلدة بجلود حمراء اللون من الجلد الطبيعي"(١)، ولم يكن هذا حكراً على الرجال من آل عبيد دون النساء، فقد مر معنا أيضاً أن بنات عبيد بن رشيد كان لهن دورٌ في وقف الكتب. كما أن آل عبيد أثروا مكتبات الجبل بأهم الكتب الشرعية، ولعل تفسير الطبري خير دليل على ذلك، حيث اعتمدت المطبعة الميمنية في القاهرة على النسخة المحفوظة في خزانة آل عبيد.(٢) كما أن الوجهاء من الأمراء والعلماءوالتجار قاموا بدورٍ مماثل في شراء الكتب ووقفها.

٤. الوقف:

في حديثنا عن وقف الكتب؛ لحظنا التسابق على ذلك، على اعتبار أنه عمل من أعمال البر التي تبقى للإنسان حتى بعد موته، ما ساعد على إثراء المكتبات في الجبل بعددٍ كبير جداً من الكتب، ما ساعد على تعدد خزائن الكتب والمكتبات.(٣)

٥. الثقل السياسي للجبل، وأثره في انتقال الكتب:

بعد أن انفردت إمارة الجبل بالسلطة السياسية في نجد؛ آلت إليها كثيراً من الكتب، التي كانت محفوظةً في المناطق النجدية، ما أثر في زيادة نشاط توافد الكتب، وجعل المتتبع لتاريخ الكتب والمكتبات في نجد؛ يلحظ وجود الكتب العربية النادرة والثمينة من المخطوطات في مكتبات الجبل. وقد استغل محمد بن رشيد فرصة استيلائه على

---

(١) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ص ٦٦-٦٧.

(٢) الحماد: المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٣) الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ١٠١.

نجد؛ بأن يجذب الأنظار إلى إمارته، وخصوصًا حين يعمل على زيادة ثقلها الثقافي والديني.[1] وقد كان لوفود العلماء خلال تلك الفترة أثرًا في زيادة عدد الكتب، من كتب علماء الدعوة، التي أُحضرت إلى الجبل، أو تلك التي استُنسخت فيها، أو التي أُلِفت، لا سيَّما بعد وفود الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ومن معه من علماء الدعوة في ذلك الزمن.

٦. شغف طلبة العلم والأمراء بتوفير مصادر المعرفة:

يذكر بلغريف في رحلته أنه اطلع على مجموعة من الكتب المطبوعة في مصر، التي تتحدث معظمها عن الشريعة والقانون والتاريخ،[2] أيضًا يورد داوتي أن أحد أهالي الجبل كان يحتفظ بسجلات ودفاتر حسابات أجنبية، أحدها كان مطبوعًا في أمستردام باللغة العبرية، وقد وصل إلى فلسطين، وبعدها انتقل إلى الجبل بعد أن كان الكتاب في حوزة إحدى القوافل في الجزيرة العربية التي تعرضت للهلاك.[3] كما كان الأمراء يتابعون بشكلٍ مستمر ما يستجد من معرفة، ويحصلون على مصادرها، ومن ذلك شغفهم بوصول الدوريات والمجلات والصحف والكتب المطبوعة حديثًا في زمنهم، خصوصًا تلك التي تتناول الجانب السياسي.[4] ومن شدَّةِ ولع الأمراء بالمعرفة، وحرصهم على توفير مصادرها؛ أنهم كانوا يسعون إلى توفير مطبعة في جبل شمَّر، وقد سأل حمود العبيد داوتي عن إمكانية شراء مطبعة من بغداد؛[5] سعيًا لتطوير انتشار الكتب، لكن في ما يبدو أن الظروف لم تسعفهم للقيام بجلب مطبعة إلى الجبل.

---

(١) الدخيل: **نجد**... المصدر السابق، ص ٢٢.

(٢) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٩٢.

(٣) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٥٢.

(٤) الدخيل: **نجد**... المصدر السابق، ص ٢٢.

(٥) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٦٧.

أشهر المكتبات:

١. مكتبة آل يعقوب:

تعد مكتبة آل يعقوب أحد أشهر المكتبات في جبل شمَّر، ذلك لما كانت تشتهر به أسرة آل يعقوب من شغف ٍ بالمعرفة والعلم الشرعي، والحرص على توفير مصادره، وتعاقب أكثر من عالم من هذه الأسرة على الاهتمام بالكتب.

أسسها الشيخ محمد بن سعد المتوفى سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م، ومن بعده ابنه يعقوب، وعمر بن يعقوب ويوسف بن يعقوب، وكانت مكتبتهم من أشهر المكتبات المعروفة في الجبل، حيث حرصوا على احتوائها بالعديد من الكتب، من خلال الشراء والوقف والإهداء، حتى تنوعت موجودات هذه المكتبة من كتب ٍ مطبوعة ٍ، تلف عدد منها بعد تعرض حائل للسيل سنة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، والموجود منها حاليًا ٢٦٣ كتابًا مطبوعًا، طُبعت في الهند ومصر وتركيا والحجاز والعراق، وموضوعاتها متنوعة في علومها. كما احتوت المكتبة على وثائق ومراسلات لعلماء آل يعقوب، وعلى كتب مخطوطة في العلوم الدينية واللغوية والتاريخية والفلكية والرياضيات والطب، غير أن أغلبها في العلوم الشرعية، يصل عددها إلى ٩٠مخطوطة تقريبًا، جميعها كاملة، عدا ١١ منها، فيها نقص، كما يوجد في المكتبة مجموعة كبيرة من الأوراق الخاصة بخطب الجمعة، ومما يبدو أن علماء آل يعقوب كانوا يجمعونها ويعتنون بها، وهم الذين كانوا يتولون إمامة الناس في جامع برزان، وخلال الأعياد.[1]

أهدى آل يعقوب هذه المكتبة إلى مكتبة المعهد العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بحائل، وقد حُفِظت هذه المكتبة في المعهد فترةً طويلةً من الزمن، حيث أهداها للمعهد الشيخ علي بن عبدالله بن عمر بن يعقوب سنة

---

(١) الطريفي: يوسف بن عبدالعزيز، **مكتبة آل يعقوب** مخطوطة محفوظة لدى المؤلف كمسودة ينوي طباعتها في كتاب، (د.ت)، ص ص ٣-١٩.

١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، بعد طلبٍ من مدير جامعة الإمام آنذاك معالي الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي[1] خوفًا على المكتبة من تلفٍ آخر بعد تعرضها للسيل بعد ذلك انتقلت إهداءً من المعهد إلى دارة الملك عبدالعزيز، ذلك للعناية بها، بحكم تخصص الدارة التاريخي، كذلك لإمكانات الدارة في الحفاظ عليها من التلف، وترميم ما يحتاج إلى ذلك منها.

٢. مكتبة آل بنيان:

مكتبة آل بنيان تكاد تكون الأشهر من بين مكتبات الجبل، ذلك لما احتوته من نفائس الكتب، مخطوطةً ومطبوعة، ولما كانت توليه الأسرة ولا تزال من اهتمام بالمكتبة، وفتح المجال للباحثين للاستفادة منها، في أيِّ وقتٍ شاءوا.

أسس المكتبة الشيخ صالح بن سالم آل بنيان خلال حياته (١٢٧٥-١٣٣٠هـ/١٨٥٨-١٩١١م)، ومن بعده أثرى المكتبة ابنه الشيخ علي المتوفى سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، والشيخ عبدالكريم المتوفى سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، وتحتوي المكتبة على ٢٩٤ كتابًا مخطوطًا، كذلك على وثائق ومراسلات للشيخ صالح، كما تحتوي على مئات الكتب المطبوعة. وكان الحصول على كتب هذه المكتبة عن طريق الإهداء والوقف، وقد كتب الشيخ صالح سجلاً ذكر فيه الكتب التي أوقفها آل عبيد، والكتب الموقوفة والمهداة، كذلك المُعار من مكتبته. كما تحتوي المكتبة على نوادر الكتب والمحفوظات.[2]

ولا يزال أحفاد الشيخ صالح بن سالم يعتنون بالمكتبة حتى وقتنا الحالي، إذ يتولى شؤونها حاليًا الأستاذ عبدالرحمن بن صالح البنيان، ويتم التواصل مع الباحثين الذين

---

(١) ورد في كتاب الأستاذ حسَّان الرديعان أنه بطلبٍ من مدير المعهد آنذاك الشيخ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، والصواب أنه كان مديرًا لجامعة الإمام خلال تلك الفترة، حيث تولى إدارة الجامعة خلال الفترة ١٣٩٦-١٤١٤هـ/١٩٧٦-١٩٩٤م؛ (الرديعان: **منبع الكرم**... المرجع السابق، ص ١٠٣).

(٢) نفسه، ص ص ١٠١-١٠٢.

يودون الاستفادة من المكتبة عن طريقه، إذ توفر الأسرة السبيل لذلك، من خلال المكان وإمكانية التصوير، والقراءة.

وتتنوع الكتب في مكتبة آل بنيان، غير أن الغالب فيها والنصيب الأكبر للكتب الشرعية؛ ككتب العقيدة والفقه والحديث والتفسير، كذلك كتب اللغة والأدب، لاسيَّما الشعر منها، وغيرها من العلوم والمعارف الأخرى.(١)

وتعد مكتبة آل يعقوب ومكتبة آل بنيان الأشهر خلال فترة الدراسة، لما تحتويان عليه من كتب نادرة، ومراسلات، غير أن في الجبل غيرها من المكتبات، وهي(٢):

١. **مكتبة الشيخ عوض الحجي:** وقد أنشأها الشيخ عوض المتوفى سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، لكن أغلب محفوظاتها آلت إلى مكتبة آل بنيان، على اعتبار العلاقة الأسرية بين الأسرتين، حيث إنها انتقلت للشيخ علي بن صالح البنيان، سِبط الشيخ عوض الحجي.
٢. **مكتبة الشيخ سالم الحجي.**
٣. **مكتبة آل عطيَّة.**
٤. **مكتبة الشيخ حسن الحجي.**
٥. **مكتبة الشيخ عيسى المهوس.**
٦. **مكتبة الشيخ حمود الحسين الشغدلي.**
٧. **مكتبة الشيخ علي الأحمد.**
٨. **مكتبة الشيخ عبدالله المرجان.**

---

(١) العفنان: سعد بن خلف، **المكتبات في حائل**، مجلة تجارة حائل، العدد ٩١، السنة ١١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ص ٨٣-٨٤.

(٢) من هذه المكتبات ما أنشئ بعد فترة الدراسة؛ (العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ص ٢١-٢٤).

وفي ما يلي ذكر لبعض الكتب المحفوظة في هذه المكتبات:

١. صحيح الإمام البخاري.

٢. مختصر صحيح البخاري لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

٣. جامع الأصول في أحاديث الرسول للمبارك بن محمد بن الأثير.

٤. مشارق الأنوار في الحديث للقاضي عياض.

٥. تفسير ابن جرير الطبري.

٦. تفسير ابن كثير.

٧. الممتع في شرح المقنع للمنجي.

٨. الشرح الكبير في الفقه الحنبلي للمقدسي.

٩مُسند الإمام أحمد.

١٠. الإيضاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة.

١١. سنن الترمذي.

١٢. شرح نُظم الآليء في الفرائض لابن رجب.

١٣. فتح المبين شرح الأربعين النووية للهيثمي.

١٤. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب.

١٥. شرح زاد المستقنع للبهوتي.

١٦. إغاثة اللهفان لابن القيِّم.

١٧. الكافية الشافية لابن القيِّم.

١٨. هداية الحيارى لابن القيِّم.

١٩. نسائم الأزهار لابن الجوزي.

٢٠. البيان المبدي في شفاعة القول المجدي لابن سحمان.

٢١. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي.

٢٢. تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي لابن الجوزي.

٢٣. نيل المآرب للتغلبي.

٢٤. سلوان المطاع في عدوان الاتباع لمحمد بن ظفر الصقلي.

٢٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفى لعياض بن موسى.

٢٦. عيون الأثر في فنون المغازي والشمايل والسير لابن سيد الناس.

٢٧. سيرة ابن هشام.

٢٨. غزو الجيوش الإسلامية لابن قيِّم الجوزية.

٢٩. عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر.

٣٠. تاريخ العصامي.

٣١. معجم البلدان لياقوت.

٣٢. الداء والدواء لابن قيِّم الجوزية.

٣٣. كليلة ودمنة لابن المقفع.

٣٤. شرح ملحمة الإعراب لأحمد بركات.

٣٥. ديوان أبو الطيب المتنبي.

٣٦. شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء.

٣٧. ديوان ابن مقرب العيوني.

ويوجد غير هذه الكتب الكثير،يغ أن هذه المذكورة نموذجً ا لجزء يسير منها، مع مراعاة تنوعها في مختلف الفنون.

الأدب والشعر

حظي الأدب في جبل شمَّر بعناية ٍ فائقة، إذ اهتمَّت طبقات المجتمع كافة به، واقتصر اهتمامهم بنوعٍ واحد من أنواع الأدب، وأبلغها؛ وهو الشعر، كما لم يقتصر هذا الاهتمام في الجبل دون غيره من الأقاليم الأخرى في شبه الجزيرة العربية، غير أنه في الجبل كان له تاريخ ًا حافلاً . ويقول فالين عن الشعر في الجبل: "فالشعر في جبل شمَّر هو في بيته، والناس رجالاً ونساءً ترتجله، ويحفظ الصغير والكبير قصائد كثيرة. وأمراء آل رشيد شعراء كامرئ القيس الشاعر الشهير"[1]، ولم يُبالغ فالين في وصفه هذا للشعر في الجبل، ذلك لأن الناس كافة كانوا يهتمون بالشعر ويتفاخرون بقرضه، ويستخدمونه لمحاكاة حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

كما كان الشعر يحاكي التطور الثقافي الذي كان في الجبل خلال فترة الدراسة، فقد اهتمَّ أمراء الجبل بالشعراء وقربوهم، وكانوا يعطرون به مجالسهم، فأغدقوا عليهم الهبات والعطايا، وعُرف أيضًا من أمراء آل رشيد من كانوا يقرضون الشعر[2]، واشتهروا به، حتى ذاع صيتهم، وكانت قصائدهم محطَّ فخرٍ واعتزاز للقبيلة والإمارة.

الشعر في الجبل نوعان:

الأول: الشعر الفصيح:

وهو الشعر الذي تناوله العلماء من أهالي الجبل، الذي يعتمد على الأوزان العربية المشهورة، حيث درس الكثير ممن قرضوا الشعر الفصيح علم العروض وأتقنوه، حتى باتوا يستخدمونه باستمرار في وصف انطباعاتهم، وتوجيه نصائحهم، واشتُهر علماءٌ ممن كانوا

---

(١) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٢) الحماد: المرجع السابق، ص ١٣١.

يقرضون الشعر الفصيح، وكان لهم قصائداً مشهورة، لا سيَّما تلك التي كانت انطباعية، لكن في الغالب يعدُّ هذا النوع من الشعر نظماً لاعتماده على التقليد وعدم التجديد، وترديد صورٍ ومعانٍ قديمة ممن سبقوهم من الشعراء.[1]

ومما اتضح من خلال الاطلاع على كثير من قصائد العلماء في الجبل؛ أنها تنحصر في غالبها في النصح والإرشاد والدعوة والابتهال إلى الله ﷻ، كذلك في الرد على المسائل الخلافية، وفي المدح الذي تناول طبقة العلماء.وممن اشتُهر بالشعر الفصيح من العلماء:

١. الشيخ حسن بن محمد بن عوض الحجي:

كان الشيخ حسن من العلماء الذي ولعوا بالشعر الفصيح، كذلك حفظ الأدبيات والحِكَم والوصايا، ومن أشهر قصائده حين كتب مخمساً[2] قصيدة الشيخ إسماعيل المقري[3]، منها قوله[4]:

النَّفسُ داعية الهلاك وكلما ... رأت الهوى مالت إليه وقلَّما
يرجو النجاة وطبعها ولكنما ... نفسُ ابن آدم لو تسامى للسما
فالنقصُ مستولٍ على أخلاقها
تبّاً لها نفسٌ تعامل لهواها ... وإذا رأت ريباً تهرول نحوها
فتحت مرارتها وقبح حلولها ... تطغى إذا استغنت ويكثر زهزها

---

(١) العريفي: **قضاة مدينة حائل**... المرجع السابق، ص ٣٤.

(٢)التخميس في الشعر؛ هو أن يعمد الشاعر إلى قصيدة مشهورة لغيره، ويأخذ منها بيتاً فيجعل له ثلاثة أشطرٍ تسبقه الوزن والقافية نفسها، فتكون خمسة أشطر، لذا سمُيَّت تخميساً.

(٣) الشيخ إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله بن إبراهيم الشرجي الشاوري الحسيني الشاوري اليمني، ولد سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م في اليمن في أبيات حسين، ينتمي إلى قبيلة شاور، عمل في التدريس بتعز وزبيد في اليمن، وتولى إمارة بعض البلدان من قبل الأشراف، وتوفي في زبيد سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، له تصانيف منها عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي، وديوان شعر، والإرشاد في فروع الشافعية؛ (الزركلي: المرجع السابق، ج١، ص ص ٣١٠-٣١١).

(٤) السويداء: عبدالرحمن بن زيد، **شعراء الجبل**، دار الأندلس، حائل، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢١.

تذلقٌ ثم تقلٌ في إمـــلاقٍ بها

ويعدٌّ هذا التخميس من أشهر ما قاله الشيخ حسن، ويدل من خلاله على إتقانه العروض، وتذوقه للشعر الفصيح كما أن له ديوانًا مطبوعًا، مرَّ معنا ذكره في ترجمته، بعنوان صدى الحرب[1]، مما جاء فيه:

حمدًا لمولانا عظيمِ الشـأن ... رب البريَّةِ أولاً والثـــــاني

حمدًا كثيرًا مجملاً ومفصلاً ... بالحقِ والإيمانِ والإذعـــانِ

فله الثناء سبحانه وبحمده ... وهو الحكيم مدبر الأكوان

كما أن له مجموعةٌ من الردود الشعرية بينه وعلماء عصره، محفوظٌ منها في مكتبة آل بنيان.

٢. الشيخ صالح بن سالم آل بنيان:

إضافةً إلى أن الشيخ صالح أبرز علماء الجبل خلال فترة دراستنا؛ هو أحد أهم العلماء الذين قرضوا الشعر الفصيح وأتقنوه، وأكثروا منه. لم يكن له ديوان مجموع، غير أنَّ الباحث حسَّان الرديعان جمع ما وجده من قصائد وأبياتللشيخ في ديوانٍ شعري، اشتملت على قصائد في مدح الدعوة السلفية وردود على معارضيها، تتضمن وصفًا للحال العلمية والتاريخية في زمنه. ومما جاء في مدحه لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[2]:

حوراءُ زارتني فطال تجلدي ... حذرًا عليها من عيون الحســـد

إلى أن قال:

وتجيل مسواكًا على رتل بدا ... فسألتهـــا في صورة المتعبـــد

ممن؟ فقالت إنني من بلـدةٍ ... من أرضِ طيبة من مهاجر أحمد

---

(١) الحجي: المصدر السابق، ص ٣.

(٢) الرديعان: **الشيخ صالح**... المرجع السابق، ص ص ١٣١-١٤٦.

من معشرٍ فيها بفاسد رأيهم قد أحدثوا في الدين ما لم يُعهد
من رفعهم فوق القبور مشاهدًا وصلاتهم أولى بها من مسجد

وقوله:

ويرون ذبحًا والنذر لأهلها ودعاءهم أهل البقيع الغرقد
من أفضل القربات عند شيوخهم والسبق للاجي لها المتردد

وقوله في مدح الدعوة النجدية:

فيها أناسٌ كان من ديدانهم حبٌّ الرسول وحب كل موحد
لم يشركوا بالله شيئا إنما رفعوا على التوحيد مُذ رضعوا الثدي

وللشيخ أيضًا قصيدة في وصف الغربة والغرباء، ومما قال فيها[1]:

فلا عجبًا يومًا من الدهر مثل ما أناخ بنا من كل بادٍ وحاضر
وما ذاك إلا غربة الدين يالها مصيبة قوم من عظام الفواقر

وله قصيدةٌ في مدح الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، ومما قال فيها[2]:

شوقي إلى الشيخ شوق الواجد الداء إلى الشفاء أو العطشان للماء
قد كان قلبي المُعنى قبل رؤيتكم في كل يومٍ له مثوى ببطحاء

وله فيه فنون الشعر الفصيح غير ذلك الكثير.

٣. الشيخ عوض بن محمد بن عوض الحجي:

كان للشيخ اعتناء كبير بالشعر الفصيح، وكانت قصائده رحمه في الغالب في الدعوة إلى الله، والنصح، ومن قصائده قوله[3]:

دع عنك من ذكرى سعاد ودعد ووصل هند ما وصلهن بسعد
ولا تذكرك لي غير قولاً توبة يقوم بها ديني ومن خيراء زود

(١) نفسه، ص ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) نفسه، ص ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) السويداء: **شعراء الجبل**... المرجع السابق، ص ص ١٠٧-١٠٩.

فدع عنك تذكار الغواية والصبا | واترك دنيات الأمور وسدد
وتوخ قول الخير واقصد فعله | وتجدك لنهج دين محمد

٤. الشيخ عيسى بن محمد الملاحي:

قَرض الشيخ عيسى الشعر الفصيح، واستخدم أغلب شعره في خلافاته الفكرية مع العلماء في نجد، خصوصاً ما قد أثرناه بعد رحيله عن حائل إلى القصيم، وموقفه من إمارة آل رشيد، حين كفرهم لتبعيتهم للدولة العثمانية. ومما يُعاب على قصائد الشيخ عيسى الكسور في وزن بعض الأبيات التي يقولها، ومما قاله في موقفه من إمارة آل رشيد[1]:

ألا قائلٌ لأهل علمٍ في الجبل | أجيبوا سؤالاً لسائلٍ لكم سأل
ما حكم أهل بلدةٍ قد أسلموا | وسلموا الأمر بما دقَّ وجل
للخالعين دين الرسل جميعهم | وملتزمي أقبح الطرق والملل
أعني بهم عصبة الأتراك وحزبهم | من آل رشيد لا أطيل لهم أجل

ومما يدلُّ على عدم إتقان الملاحي لأوزان الشعر رد الشيخ سليمان بن سحمان عليه بقوله[2]:

أنشد شعراً واهياً متهافتاً | عيوباً كساها حلة الجهل والخطل
وضمنَّه تيهاً وعجباً وليته | نحا الصدقَ واستوفى القريض بما احتمل
فليس بنظمٍ مستقيمٍ ولم يكن | على أبحر الشعر الطويل ولا الرمل
ولا وزنه بالمستقيم ولفظه | ركيك ولا معناه حقاً فيحتمل

وفي رد ابن سحمان تقليل من قرض الملاحي الشعر، إذ وضَّح عيوب أبياته وركاكتها، وعدم التزامها ببحوره.

---

(١) الرديعان: **الشيخ صالح**... المرجع السابق، ص ١١٠.

(٢) نفسه، ص ص ١٢٠-١٢١.

ويوجد في الجبل غير الذين ذكرنا كثر من شعراء النظم الفصيح، ومنهم من جاء بعد الفترة الزمنية لدراستنا.

ثانياً: الشعر العامي (النبطي):

يحظى الشعر العامي أو النبطي بشعبية أكبر من الشعر الفصيح، ذلك لأن العامة يهتمون به أكثر لكونه يأتي بلهجتهم العامية، ويستخدم مفردات سهلة الفهم، كما أن أوزانه أسهل عليهم من الشعر الفصيح، الذي يتطلب إتقاناً لبحور الشعر العربية. والمتتبع للشعر النبطي في الجبل؛ يعي أنه التزم أوزاناً شعرية نبطيَّةً صحيحة، ولو أن بعض أوزانه تعتمد على فهم اللهجة الدارجة في المنطقة، ومن الممكن إدراكها إذا ما تم تشكيلها ونطقها كما قالها الشاعر.(1)

يزخر الجبل بشعراء لهم وزنهم في تاريخ الشعر النبطي في شبه الجزيرة العربية، منهم من أمراء آل رشيد، ومنهم من عامة أبناء الجبل، وأشهرهم:

١. عبدالله بن علي بن رشيد:

يعدُّ مؤسس إمارة آل رشيد الأبرز بين شعراء الفترة التي نتناولها، ذلك لما لأشعاره من شهرةٍ وصيت، كما أنها مما يعطي صورةً حيَّةً لمسار الأحداث التي مرَّ بها الشاعر، وصراعاته السياسية، ومن أشهر قصائده التي خلدتها ذاكرة الشعر النبطي في الجزيرة العربية، ما قاله حين تم طرده من الجبل على يد ابن علي، ومما قال فيها(2):

يالربع دنوا ضمَّرٍ تَطوي الأمـــــراس   هجنٍ يفلن حيل رَاع الرّديَّـــــه(3)

---

(١) الدخيل: سليمان بن صالح، **البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم**، مخطوط محفوظ في جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٢٦م، ص ص ١١-١٢.

(٢) موزل: ألويس، **أخلاق الرولة وعاداتهم**، ترجمة: محمد بن سليمان السديس، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٣٧١.

(٣) مراعاة النطق الصحيح باللهجة الدَّارجة في جبل شمَّر؛ تم إهمال التاء المربوطة في قافية القصيدة، وإبدالها هاءً.

تغازوا المعبار من عنـــــــد دوّاس   وأنا على الخابور ما لي مطـــيِّه

كلٍ تذكَّر عزوةٍ يمّ الأطعَـــــــاس   وأنا أتذكَر عزوَّة الشَّمـــــريّه

لولا سبيلٍ هَاز بقلّة الـــــــرَّمس   كَهَف حمَسَه بمَاك الزويِّه

مَزِّيت ما يَبَّس معَاليقي إيبَـــــــاس   يبرد لهيبَه القلب لوله خطِـــيَّه

لَو دَكّ بمَالي ثمَانين هُـــــوجَاس   الشّاوري بالكيس والنَّار حَيـــَّه

والله لا أنصَى نجدٍ لو لقطعَة الـــرَّاس   وأبيع أنَا الغَالي وأذبَـــح بنَيَّه

الحكم مَا يَاتي بحبرٍ وقـــــــرطَاس   إلا بضَرب السّيف وتَرك الخَطِيَّه

من عقب مَاني شيخٍ وتهَابَن الـــنَّاس   اليوم مَا اهيب رَاع الرّعِـــيَّه

بكيت أنَا حَالي ولابَه عَلَيّ بَـــــــاس   لي طَاهبَدق ان هَم والرّعِيَّه

وأخذت عشر المَال وحَسَبت الأغرَاس   ومحَسُوبَة العمَّال ألفين ومِـــيَّه

مَا ظَلّ لي منَاحٍ مَع جمَلَة الـــنَّاس   البَدو والحضر كانوا كلهم سُـــويّه

ومن خلال ما فات من قصيدة عبدالله يتضح أنها كانت بعد خروجه من الجبل الثاني، حين عاد آل علي للحكم مرَّةً أخرى، كما مَرَّ معنا التمهيد لموضوعنا، والدليل أنه ذكر أخذه للزكاة والأعشار، وفي هذه القصيدة ما فيها من سردٍ للوضع الذي كان فيه بعد خروجه من الجبل. ومما يُذكر من جميلِ قصائد عبدالله بن رشيد؛ حين حاول أحد المدسوسين من أعدائه قتله، وهو يقوم بالرَّقص وبألعابٍ بهلوانيَّة استعراضية للأمير، بَعد أن ذاع صيته بين الأهالي، وأراد عبدالله أن يرى ما يقوم به من رقص، وحين تمَّ اكتشافه، حقق معه عبدالله وعرف من أرسله، وعفا عنه وارتجل قائلاً (1):

لي ديرةٍ مَا بَه حَذَا البرَد والجُوع   لولاي عَفِّيتَه بضَرب الهَنَـــادِي

حمَيته عَن كلّ دوَّارٍ ومَطمُوع   حَيٍّ نَصبّحهُم وَحَيٍّ نَهَـــادِي

(1) المارك: المرجع السابق، ج1، 178-185.

القَلب مَصمُوعٍ وبَالكَّف قَاطُهو يع حَكَايَا رَقصتَك يَابو هَادِي[1]

ولا أحدٍ يطيع إلا له السير ممروع وإلا بضَرب مصقلات الهَنَـــادِي

وله في الفخر[2]:

ومن جَا يرِيد الزَّين يعطَى ســوَ الَه وَعن عَانيِ الله مَا قطَعنَا لَه أوصَال

فْان كَان هُو رَكَّب الرّ شدّلمحَالَه واستَثقَلت مَانيِ من الحَرب مَـلاَّل

نَصبر كْمَا تَصبر روَاسِي جبَـــالَه ما تنهَزع مَن وَطِي حَافيِ ونَعَّـــال

وقال مخاطبًا أخيه عبيد أثناء هربه الأول من الجبل[3]:

يا عبيد عفنَا الدَّار يَا عبيد عفنَاه خَلَّه لَعَل الوبيُ لعِي بجَالَــــــه

الدَّار مثل البنت يَكشف مغَطَّاه لا صَار مَا تَدرَى عَوَاقب رجَالَه

ومن أشهر قصائده حين كان هاربًا بزوجته من الجبل، مع أحد مرافقيه، حيث تتضح رقَّة الشاعر وعطفه على زوجته حين بدأت تتأذى من المشي على الأرض حافية، ومما قاله[4]:

ارمَ النّعُول لمغِيزل العِين يَا حسِـــين واقطَع لهَا من رَاس ردنَــــك لِيَانَه

جَنّب حَشَاث القَاع واتبَع بهَا الوطاة خطَاك اشوَيّ وَامشْ امشِيَانَه

ما إنَا شَحيحٍ يوم يَن تَرَى مَا بهَا حَلَاة اشرَى الخوَيّ يَا حسِين مثل الامَانــه

ولعبدالله بن رشيد الكثير من القصائد التي لا تزال متداولةً بين الناس في الجبل وخارجها، مما أثرى به التاريخ الأدبي الشعبي في شبه الجزيرة العربية، لذا يُعدُّ من أعلام الشعر النبطي.

---

(١)أبو هادي هو الرجل الذي حاول اغتيال عبدالله، وكان مرسلاً من أحد الأمراء المعادين له من خارج الجبل.

(٢) العريفي: أحمد بن فهد، **معجم الشعراء الشعبيين**، ج١، مطابع الفرزدق، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) نفسه، ص ٢٢٥.

(٤) كمال: المرجع السابق، ص ١٩.

٢. عبيد بن علي بن رشيد:

شقيق مؤسس إمارة آل رشيد، ويكاد يكون أغزر منه قصائدًا من حيث العدد، وقد يعود ذلك لكثرة ما عاصره من أحداث تاريخية، وتغير في مسار الأحداث في الجبل، كما أنه يعدُّ محاربًا يُكثر من شعر الحماسة والحرب، وشعر الوصف، الذي يتناول به حروبه ويفخر بها، كما كان يعمل على التعبئة العسكرية خلال المعارك بقصائده، وله قصيدة مشهورة بعد موقعة بقعاء ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، مما قال فيها[1]:

يا دار من جاك جينا ه عجلين اللّيل نسري والصفر والقوايل
ناتي مع أوّل سربة تاتي ألفين الشّهر به يدحان المسايل
جونا صباح وهم لنا مستكنين ثار الدّوا من حر صلو الفتايل

إلى أن قال:

جونا يبون ديارنا والبساتين يبغون منزلهم قفار وحايل

وله أيضًا في التعبئة العسكرية[2]:

يا دارنا من جاك يبشر بعاثور غير الضيوف ومن تنصّاه بيّاع
من لا نحاه الحق ننحاه بالزّور بمخفرات الهند مع كل شعشاع
كم واحد بحرابنا طاح منحور تُطوّطه صمّ الحوافر على القاع

ومن قصائده المشهورة؛ ردّه للخديوي إسماعيل[3]، حين طلب فرسه كروش، حين أسرف في مديح فرسه، وعنّف الخديوي لطلبه إياها تهديدًا، وبأنه لا يمكن أن يحصل

---

(١) هوبر: تشارلز، **مخطوطة عبيد بن رشيد**، كتبها لهوبر أحد نُسّاخ الجبل، متحف اللوفر، باريس، رقم ١٩١، ص ص ٢-٣.

(٢) نفسه، ص ٥.

(٣) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا، حفيد محمد علي باشا والي مصر، ولد في القاهرة سنة ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م، وتولى مصر سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، وهو أول من أطلق عليه لقب الخديوي، وكان له كثير من الإصلاحات المدنيَّة في مصر، عُزل عن الحكم سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م، وقضى بقيّة أيامه بين الدول=

عليها إلا إن خاض معه معركة، ومما قال في قصديته[1]:

يَا بِيه أنَا لكرُوش لا اعطِي ولا أبِيع   عَلَّمت قَبلَك فِيصَل وابن هَادِي

يَا بِيه مَا يَرهَم عَلَى مثلَه البِيـــع   ولا تجرِي مثلَه يقُودَه مهَـــادِي

وَلا جمع أصلَه بَالقرَاطِيس تجَمِيِّـع   بِيتَه يعَرفُونُه جمِيع البـــوَادِي

بَاغِي إلى لقَّمَن المصَارِيـــع   وصَاح الصَّيَاح وثَار عَجّ الطَّرَادِي

تَلحَق وَأنَا عَليَّه تَرتَّع تَرَاثِيـــع   مثل الفَحَل لا جَا ليَال الهَدَادِي

هَذَاك بيعَه والصَّبَايَا مفَارِيـــع   عَلَى القنَا ومخضرَات الهَنَـــادِي

هَذَاك بِيعَه كَان انتْ تَفهَم البِيع   لا منّهنْ جلْبن بسُوق المـــزَادِي

يَا بِيه أنَا لا اسمَع جُوَابَك وَلا اطِيع   هَرجَك بقرَّة نَاظرِي والفُوَادِي

كما أن عبيد يتفاخر بتبعيته للدولة السعودية الثانية وخدمته لها، لا سيَّما حين يعدُّ حدوده حدود الدولة السعودية، حين قال[2]:

نفسِي تمنِينَ الرّقَى للَسنُودِي   من لابةٍ تُوزِي نفُوسَه عَلَى الكُود

بحرَابنَا نَرعَى البَحَر والنّفُودِي   رعَى غَلَى الزَّعلان والخَد ممَــدُود

ومن قصائد عبيد التي تعطي صورةً لما كان عليه من التزامٍ ديني، قوله[3]:

طَلَبت عَلاَّم السّرَاير والاســـرَار   عَلاَّم مَا بَالصَّدر لَو كَنتْ مخفِيه

اللِّي وَعَد من عقْب الاعسَار بِيسَار   بَل دعَا يعْقِدٍ يخَافَه ويَرجِيـــه

وغير هذا من قصائد عبيد بن رشيد الكثير، المحفوظ في ذاكرة الناس، والموجود في كتب الشعر النبطي.

=الأوروبية واستانبول، وتوفي في استانبول ونقل جثمانه إلى القاهرة ليدفن فيها سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥م؛ (الزركلي: المرجع السابق، ج١، ص ٣٠٨).

(١) هوبر: **مخطوطة عبيد**... المصدر السابق، ص ٢٠.

(٢) نفسه، ص ٢٢.

(٣) الصويغ: فهد بن خالد، **مخطوطة الصويغ**مخطوطة محفوظة لدى أسرة الصويغ جمُع فيها عدداً من القصائد النبطيَّة، ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، ص ٤١.

٣. حمود بن عبيد بن رشيد:

تولى عبيد بن رشيد نيابة أخيه عبدالله، ومن بعده ابن أخيه طلال، وكان الشاعر الأول في الإمارة، الذي تستند عليه الإمارة في دعايتها السياسية، واستعراض قوتها. الدور نفسه لعبه حمود، حين كان كوالده لمن سبق في حكم الإمارة، مع ابن عمه محمد بن عبدالله بن رشيد، حيث كان الشاعر الأول في الإمارة في عصره، وله العديد من القصائد المشهورة، والمحفوظة والمتداولة بين الناس.وتناول في قصائده ما كان يتناوله والده من حماسة وتعبئةٍ للجيش، وردٍ على الأعداء، كذلك في النصح الديني والحكمة.

ومما قاله حمود في وصف موقعة المليداء سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م[1]:

يَا من لنَفسٍ مَا تريد السَّوَالي ... إلاَّ من الله مع النَّاس لحسَاب

يَا الله يَا الِّلي فُوق الإسلام عَالي ... يَا الوَاحد الَّلي من ترجَّاك مَا خَاب

الحَرب شَبّ وبَالله الاتكَالي ... وصَبرٍ جَميلٍ نستعينَه بمَا نَاب

وجيه يخاهم لمَّا جاه الجبَالي ... وصَار الطّمَع منَّا ومنهم بَالاوقَاب

سرنَا كمَا مزنٍ ثقيل الخيَالي ... خمسين جمع شمَّر دُون الأجنَاب

الخيل دُون الغَلا والمغَالي ... ثَلاثَة ألاف حسَاب لحسَاب

دَارَت عَليهم مثل وَصف الجمَالي ... مَا كنَّه إلا حُوطةٍ مَا لهَا بَاب

ومما قاله حمود العبيد في الغزل[2]:

هَلا بمن جَانَا سَلامَه معَنَّا ... والَّلي بحَارَب خَطَّه نْصَابَه

عَليك يَا نَاب الرَّدايف مثَنَّى ... ترحيب مشتَاقٍ بطَيَّة غيَابَه

لَو الطّيُور الطَّايرَة يرسَلنَّا ... أرسَلت لَك مَع كل طيرٍ ركَابَه

(١) نفسه، ص ص ١-٣.

(٢) العريفي: **معجم الشعراء**... المرجع السابق، ص ص ٨٢-٨٣.

والحمود قصائد كثيرة؛ كان أغلبها في وصف الأحداث التاريخية والحروب والردود بين الإمارة وخصومها.

٤. زيد بن سلامة الخوير[١]:

من أشهر شعراء جبل شمَّر، وتحديداً بلدة قفار، وقد عُرف عنه جزالة العبارة وقوَّة المعنى في قرض الشعر النبطي، وله قصائد مشهورة ومتداولة، تنوعت في الحكمة والوصف والرد، ومن قصائده المشهورة في الرد على طلال بن عبدالله الرشيد، ومما قاله منها[٢]:

من تَالي نصيبي عندَك بحَادُور من أوَّل يا عَرب الأجدَاد ثَاير
حَسَبت زَلاَّتي لَو كلّهن عُومَا تَرفعُونَه لَلعدَا بَالفشَاير
ادلا علذَّا محدث عندكَم زُورَن النَّاس تبدُونَه عَلَي بَالسَّرَاير
انتَه بحل وبَالتّحِيَّات مَاجُووبحَقتَه لَو كَان مَا جَان صَاير

ومن أشهر قصائده على الإطلاق، ومما يحفظه الناس إلى وقتنا الحالي؛ وصفه للقهوة، التي قال منها:

ضياقا صَدري قمت أسَوي من الكَيف حَال بن مَا يغَبّب سرِيبَه
بكر عَلَى بكر عَذي عن العَيسفلك الحَرير إليَا تمَاهَا صبيبَه
صَبَّه لمَصطُور برَاس نزعَاز اليلفّي إلى شفتَه يصَالي لهيبَه
ويثني عَلَى تَال المتَلّين بَالسّيفيَا حَل عند المتَلّين ريبه
صَرنَا لسَمحَات المنَاظر كلاليف يعبَاهن ملح الشّفَا كَل عيبه

---

(١) زيد بن سلامة الخوير الحميضي، من بني عمرو من تميم، ولد في بلدة قفار في الجبل، ولم يعرف تاريخ وفاته، غير أنه عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، وكان أميراً لبلدة قفار، واشتُهر بالشجاعة والكرم والإقدام؛ (نفسه، ص ١٤٨).

(٢) الداود: عبدالله بن علي، **مخطوطة لشعراء الجبل وشعراء من نجد**، جمعها ونسخها: لافي بن شبَّاب الشريطي، مصورة من مكتبة الأستاذ راشد بن عساكر، (د.ت)، ص ٦٣.

٥- زيد الخشيم[1]:

يعدّ زيد الخشيم أحد شعراء الجبل المبرّزين، غير أن كثيرًا من قصائده اندثرت، فلم يبقَ منها إلا القليل، ومن أشهر قصائده بين الناس، تلك التي رثى بها زوجته[2] بعد أن لدغها الثعبان، وقال فيها[3]:

يا قبر ما تنباج عن غضّ الأنهاد نشّوف الذي عن شوف حيٍ سلاني
لو أعلا من علّله يا ابن حمّلي وترحيب وأنا أصغي بأذاني
لو بعيني لو تمنّيت ما فاد لو تنكّس الدّنيا على الضيّم كاني
يا عين لو صحتي ونحتي بالأجهاد للحشر ما وضّاح الأنيّاب داني
يا رب تجعلني إلى جيت وقّاد على مأنك نجعل به تهداني
علّيت يا اللّي بالحشا طقّ الأوتاد الجنّة العليا عسى لك مكاني
نزّه عن الأدناس ما جاه نقّياذا نافلٍ جيله بكلّ المعاني
ما قط يخبر زين مزمّوم الأنهالا بأوّل الدّنيا ولا آخر زمّاني

ويُذكر من شعراء الجبل غير هؤلاء الكثير، مما لا يتّسع المجال لذكرهم خلال فترة الدراسة، غير أن النماذج المذكورة تعد الأشهر، والأكثر تداولاً بين الناس.

---

(١) زيد الخشيم الخالدي، من بني خالد، ولد في بلدة قفار، وهو أحد الشعراء المشهورين، وقد عاش خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، وقد عاصر الإمام فيصل بن تركي؛ (العريفي: **معجم الشعراء**... المرجع السابق، ص ١٤٥).

(٢) حين كان زيدًا وافداً على الإمام فيصل بن تركي في الرياض، جاء إلى بيته ضيوف، فذبحت لهم زوجته شماء الخشيم —تلقّب بالصنيتية— أحد السواني من الإبل، وقالت عبارة مشهورة: "سمُّوا الله يحييكم على فضل من إذا غاب وصى، وإذا حضر تقصَّى"؛ (نفسه).

(٣) يبدو أنه حدثَ خلطٌ لدى الأستاذ أحمد العريفي في كتابه معجم الشعراء الشعبيين، حين نسب قصيدة القهوة لزيد الخشيم، وهي للخوير، أيضًا نسب مرثيَّة الخشيم بزوجته للخوير، هذا ما بدا للباحث بعد التقصي، والله أعلم؛ (نفسه، ص ص ١٤٠-١٤٨).

عناية أمراء جبل شمَّر بالشعر والشعراء:

بما أن كثيرًا من أمراء الجبل كانوا يقرضون الشعر؛ فمن الطبيعي أن يكون لهم عنايةً بالشعر والشعراء، ذلك من خلال استئناسهم في مجالسهم بالشعر، وتقريبهم للشعراء والإغداق عليهم، ولم يقتصر اهتمامهم بالشعر النبطي وحسب، إذ اهتموا بشعراء الفصحى، فهم يتذوقون الشعر بنوعيه، إلاّ أن الاهتمام بشكلٍ أكبر بالنبطي.

في ديوان الشاعر جعفر الحلّي النجفي[1]، نجد أكثر من قصيدة امتدح فيها أمراء آل رشيد في جبل شمَّر، سواء محمد بن عبدالله أو عبدالعزيز بن متعب، ومن ذلك امتداحه لمحمد ابن رشيد أملاً في الحصول على شيءٍ من المال، ومما قاله في قصيدته[2]:

بمدحكم القريض حلى وطابا ... ومن مدح الكرام فقد أصابا

ومن قصدت قصايده سواكم ... فصفقة شعره خسرت وخابا

لكم أحدو القوافي طيِّعاتٍ ... وأُركبها لغيركم صِعَابا

قصدت لحيكم وأنا مقيمٌ ... وزرتكم ولم أوجف ركابا

أيضًا قال في القصيدة نفسها ما يُعَدُّ غلُّوًا في المديح، يصل إلى حدِّ الإشراك بقوله في أحد الأبيات:

وعندي أنَّكم خزآن[3] رزقي ... إذا ما الرزق أعجزني طلابا

---

(١) أبو يحيى جعفر الحلّي النجفي، نسبةً للنجف في العراق، ويقال أنه شريفُ النسب، من نسل الحسين بن علي رضي الله عنه، ولد في الحلّة ١٢٧٧هـ/١٨٦١م، يُعَدُّ من أشهرِ شعراء العراق في زمنه، توفي سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م؛ (النجفي: جعفر الحلّي، **كتاب سحر بابل وسجع البلابل تراجم الأعيان والأفاضل**، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣١هـ، ص ١٩).

(٢) نفسه، ص ص ٤٨-٤٩.

(٣) يبدو أن القصد خزائنُ.

والواضح من هذه القصيدة التي قالها النجفي؛ أنه حصل قبل ذلك حين زار الجبل على المال مقابل المديح؛ فأعاد الكرَّة، وهذا من الدعاية التي كان يسعى إليها أمراء آل رشيد، خصوصاً بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، ذلك لحرصهم على الشهرة والاتساع بين الناس، وكان الشعر أحد تلك الوسائل التي يسعون من خلالها تحقيق ما يصبون إليه.

وكان الأمراء يتمتعون بقدرةٍ على النقد الأدبي، ويختلفون في تمييز الجيد من الغث من الشعر، والمقارنات بين الشعراء، خصوصاً شعراء النبط، ومن ذلك اختلاف محمد بن عبدالله مع ابن عمه حمود العبيد حول اثنين من شعراء النبط، أيُّهما أشعر.(١)

ومن أشهر القصائد التي قيلت مديحاً بأمراء الجبل من غير شعرائهم؛ قصيدة محمد العبدالله القاضي(٢) التي امتدّح بها طلال بن عبدالله الرشيد، وتعد أشهر قصيدة امتُدِح بها، ومما قال فيها(٣):

طلال لَو قَلبَك حَجَر أو حَدِيدِي   أمدَاه من حَامِي وطِيس الوغَى ذَاب

---

(١) هما اختلفا أيُّهما أشعر خضير الصعيليك أم دغيِّم الظلماوي؛ (العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ص ٩٧-٩٨).

(٢) محمد بن عبدالله القاضي، أحد شعراء عنيزة، يقال أنه أشعر شعراء زمنه، إذ لم يضاهيه أحداً خلال حياته في حكمته وعلمه بالفلك والمعارف، عاش خلال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، توفي سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م؛ (العريفي: **معجم الشعراء**... المرجع السابق، ص ٣٢٢).

(٣) كانت هذه القصيدة بعد حملة طلال العبدالله على الجوف سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م حين عاد طلال منتصراً على الجوف، باعتباره قائداً لجيش الدولة السعودية الثانية على الشمال، حيث استعصت الجوف على ابن رشيد، التي طلفته الدولة السعودية بضمها، كما أن في هذه القصيدة ما فيها من عصيان للقاضي على أمراء عنيزة من آل سليم، حيث قال القصيدة وفيها لمزٌ لزامل بن سليم، ومما يقال أنه أرسل القصيدة من رسول عرضها على زامل قبل أن يرسلها، ومن ثم أضاف زاملاً بيتاً فيها، يقلل فيه من القصيدة ويبين أن سببها طلب المال، حيث أضاف في نهايتها:

أبي منك شيخ ميَّة مجِيديٍّ مع مشلَحٍ يَا شِيخ تَرَى مشلحِي ذَاب

وحين وصلَت القصيدة إلى طلال وعمه عبيد تفحصاها، واستنكرا هذا البيت، وحين تقصيًّا من الرسول، علما أنه عرضها على زامل، وهو من أضاف هذا البيت تقليلاً بالشاعر والممدوح، ونكايةً به قام طلال بإسال ٤٠٠ مجيدي للقاضي مع أربع عباءات؛ (المارك: المرجع السابق، ج٤، ص ص ١٤٠٣-١٤١١).

كسيت حكمـَك ثُوب عزٍ جدِيدِ يوسَلَبت حـَال اعدَاك يـَا عزَّ الأقـرَ اب

بحَرب وضـَرب شـَاب منه الولِيـــدِي يا طِيب من عـَادَاك يـُومٍ ولا شـَـــاب

حكميَك عندَنَا يـَا لرشِيـــدِيمـَا كَان يـُوخـَذ زملَنَا من ورَا البـَـــاب

وبمثل هذا كان أمراء آل رشيد يتعاملون مع من يقدرون من الشعراء، إذ كان الشعر له ميزانه لديهم، لأنه يساعد على الدعاية السياسية، ويغازل طموحاتهم في المكانة السياسية.

وفي نهاية هذا الفصل الذي يتحدث عن الحياة العلمية والدينية في جبل شمَّر؛ نلحظ أنها كانت نشِطَة، على اعتبار اهتمام الدولة السعودية الثانية بالجبل وبإرسال العلماء إليه، هذا الاهتمام الممتد من عصر الدولة السعودية الأولى. وقد لحظنا أن التعليم في الجبل لم يختلفعما هو عليه في بلدان نجد الأخرى؛ ذلك لاعتماده الكتاتيب في وسائله ومناهجه، كذلك التعليم ما بعد الكتاتيب، والذي يـُعدَّ أعلى من خلال التعمق في بعض العلوم، التي على الأغلب تكون في العلوم الدينية. وقد اتضح ذلك من ازدياد عدد العلماء في عصر الدولة السعودية الثانية في الجبل. كما أن حركة نسخ الكتب جاءت بعد ازدياد الاهتمام بالمعرفة، حيث انتشرت المكتبات التي أثرت الحياة العلمية في الجبل، خصوصـًا بعد نشاط حركة الوقف.أيضـًا نجد أن الجبل حظي بوفرة أدبية، حيث قرض أبناؤه الشعر بنوعيه، الفصيح والشعبي، وكان لشعرائه شهرة واسعة على مستوى شبه الجزيرة العربية. وبعد أن تناولنا الحياة العلمية والدينية في الجبل، يأتي الفصل الثالث ليتحدث عن الحياة الاقتصادية، التي تـُعدُّ أبرز موضوعات الجانب الحضاري للجبل، لازدهار الاقتصاد في المنطقة خلال فترة الدراسة.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

- المواارد المالية: (الواردات، الصادرات، الضرائب).
- الزراعة والرعي.
- التجارة: السلع، الأسواق، العملات، القوافل.
- الحِرف والصناعات.

لم تكن إمارة جبل شمَّر في بداية عصر الدولة السعودية الثانية ذات قيمة اقتصادية، لا سيَّما في نهاية حكم آل علي، مقارنةً بما أصبحت عليه بعد ذلك في عهد حكامها من آل رشيد، ذلك لأن الإمارة كان بمقدورها الكسب المادي الوفير، من خلال استغلال ما لديها من مقدرات، ولما يحققه الموقع الجغرافي والأضاع السياسية من مكاسب.

النظام المالي للإمارة لم يكن واضحاً، أو منظماً بشكلٍ دقيق، ذلك لعدم ثبوت مصادر الدخل والمصروفات، إذ تتغير حسب الحال السياسية، والولاءات في المناطق التابعة للجبل، وولاء القبائل التي تدفع الزكاة لها؛ على الرغم من أن المصادر كانت متنوعة، إلا أنها مرهونة بالوضع السياسي العام في شبه الجزيرة العربية، إضافةً إلى أن جزءاً من مصادر الدخل يعتمد بشكلٍ كبير على التغيرات المناخية لكل سنة، خصوصاً موسم الأمطار، التي تنعكس على الزراعة والرعي بشكلٍ مباشر.

على أيٍّ حالكان للإمارة شكلاً اقتصادياً متزايداً اعتمد على تمددها، والأراضي التي دخلت تحت حكمها، وما كانت تكسبه من ذلك، لذا تحددت الصورة الاقتصادية من خلال موارد الإمارة ومصروفاتها.

الموارد المالية: الواردات والصادرات والضرائب

كان النظام المالي للدولة السعودية الثانية والبلدان التابعة لها يعتمد على الواردات، التي تأتي الزكاة في مقدمتها، بحيث تكون لبيت مال المسلمين، يُصرف منها على الفقراء، وعلى ما تحتاجه الدولة من قوة وتجهيز. لذا أكد أئمة الدولة السعودية على وجوب دفع الزكاة في أوقاتها المحددة، بحيث تكون ٢,٥% من مصادر الدخل، وهي النسبة التي اقتضاها التشريع الإسلامي، أما المزروعات التي تعتمد على مياه الأمطار والعيون؛ فيؤخذ منها ١٠%، وكان أمراء البلدان التابعة للدولة مكلفون بجباية هذه الزكاة.[١]

إضافةً إلى ذلك كانت الدولة تعتمد على مصادر أخرى غير الزكاة؛ منها العشور التي تؤخذ على البضائع التجارية التي تدخل حدود الدولة السعودية من خارجها، أيضًا ما يرد للدولة من مكاسب الحرب والغنائم، بحيث يحصل بيت المال على الخُمس ويوزع باقي الغنائم على المقاتلين، كُلٌ حسب دوره ومكانته، كما أن ضريبة الجهاد التي تؤخذ ممن لا يشاركون في معارك الدولة؛ تعدُّ دخلاً يوفر شيئًا من العتاد والمؤن والأسلحة للجند المحاربين.[٢]

الزكاة:

كانت إمارة الجبل جزءًا من الدولة السعودية الثانية، تعمل بنظامها الاقتصادي وتؤدي الزكاة السنوية لها، بحسب وارداتها وحسابها السنوي، ويدل على ذلك بيت عبدالله ابن رشيد حين قال[٣]:

وأخذت عِشر المَال وحَسَبت الأغرَاسوحَسُوبَة العمَّال ألفِين ومِـــيَّه

---

(١) أبوعليه: **تاريخ الدولة السعودية الثانية**... المرجع السابق، ص ٢٩٨.

(٢) نفسه، ص ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٣) موزل: **أخلاق الرولة وعاداتهم**... المصدر السابق، ص ٣٧١.

ما يعني أنه يأخذ الزكاة لصالح الإمارة، ويعي أهميتها، وفي إحصائية لزكاة نجد إبان حملة محمد علي باشا على الدولة السعودية الثانية عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م؛ كانت زكاة الجبل ١٢٥ صاعاً من الغلال، ولم تحدد نوعية الغلال في هذه الإحصائية، غير أنها وضحَّت أن مقدار الزكاة خُمس الدخل من الغلال، ما يعني أن دخل الإمارة في هذه السنة ٢٥٠٠ صاع، وهي محصول جبل شمَّر وما يتبعه من قرى، حددتها الإحصائية بتسعة عشرة قرية.[(١)]

ومن أهم الأمور التي كان يحرص عليها مؤسس الإمارة عبدالله بن رشيد أن تُؤدى له الزكاة، حتى لو لم تكن له سيطرة مباشرة في بعض البلدان المجاورة كالجوف، ذلك أنه في ظل وجود الحملة المصرية عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م؛ سعى إلى مد نفوذه على الجوف التي كانت تسعى للاستقلال عنه، بإرسال حملقيادة أخيه عبيد حققت نصراً، لكنها لم تقم بتعيين حاكم من قبلها، إذ تركت الحكم بيد الأهالي، واكتفت بضمان دفع الزكاة للإمارة.[(٢)] وربما أن عبدالله في هذه الخطوة؛ كان حريصاً على إضافة دخل للإمارة، وعائداً مالياً مجزياً، خصوصاً وأنه في هذه الأثناء كان يتمتع بنوع من الاستقلالية، لتوتر الأوضاع في المنطقة، بعد انقطاع حكم الإمام فيصل بن تركي في فترته الأولى.

إضافةً إلى ذلك فإن المنطقة التي يحكمها ابن رشيد؛ كانت ذات إمكانات اقتصادية جيدة، من خلال الإمكانات الرعوية والزراعية الجيدة نسبياً مقارنةً بمناطق نجد الأخرى، يضاف إلى ذلك المناطق التي كانت تتبع إليه، والتي سعى إلى مد نفوذه إليها، ما يعني أنه كان يحصل على الزكاة من أكثر من جهة؛ حيث يأخذ الزكاة من ثروة البادية الحيوانية، ومن المنتجات الزراعية من الحاضرة، فيأخذ العُشر من الزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار

---

(١) **دار الوثائق القومية في القاهرة**: محفظة عابدين رقم (٢٦٧)، وثيقة رقم (١٦٣) حمراء، رسالة من خورشيد باشا إلى الجناب العالي، مرفق بها كشف عن مقدار الغلال المشتراة من نجد والزكاة، والتقرير الخاص بواردات نجد وأحوالها، بتاريخ ٢٩ جمادى الأول ١٢٥٥هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٨٣٩م.

(2) Baran: op cit, pp 47-48.

والعيون والخُمس مما يحتاج إلى مؤونة من المزارع.[1] وكانت زكاة المزارعين تحُفظ في مستودعات بيت المال في جبل شمَّر، ويتم توزيعها على المحتاجين، وعلى جند الإمارة ومواليها، الذين تكفلت الإمارة بمصروفاتهم ومعيشتهم.[2]

حَرِص أمراء الجبل على أن تبقى المناطق الشمالية تابعة لهم، وأحكموا سيطرتهم عليها، خصوصًا الجوف بعد أن بدأت الإمارة تسيطر بشكل أكبر على نجد في ظل النزاع الذي حدث في نهاية عصر الدولة السعودية الثانية؛ ومن ذلك أن أمراء الجبل كانوا يحاولون بشتى الطُّرق أن يبقوا هذه المناطق تحت حكمهم، ولو استدعى الأمر الدخول في صراعٍ عسكري مع الدولة العثمانية، أو من خلال دفع مبالغ إضافة لخزينة الدولة العثمانية، كي تبقى الجوف وما يجاورها تحت حكمهم، ذلك لما تمثله من أهمية اقتصادية، باعتبارها أرضًا خصبة، وفيها ثروة حيوانية تدر على الإمارة مبالغًا طائلة. ومن ذلك حين ترك واليا الشام والمدينة المنورة الجوف لمحمد بن رشيد عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م، مقابل مبلغ مالي يدفعه للدولة العثمانية.[3]

والسياسة نفسها اتبعها محمد بن رشيد مع المناطق الجنوبية من الجبل ليضمن ولاءها، حين ازداد نفوذه في نجد، لذا لم يتردد في الدخول في صراع عسكري مع حليفه أمير بريدة حسن بن مهنا بسبب الزكاة، ذلك حين أراد ابن رشيد تحصيل الزكاة من القبائل التابعة لابن مهنا، والتي استأثر بها الأخير عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، حيث نتج عن ذلك موقعة المليداء الشهيرة، كذلك مشكلته مع قبيلة عتيبة عام ١٣١٢هـ/١٨٩٤م التي رفضت دفع الزكاة، فقام بتجريد حملة على عتيبة، كان من نتاجها أن جبى منهم ما يقارب ٥٠٠٠ من الإبل

(١) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٧٣.

(2) Musil: op cit, p 253.

(٣) كمالي: المصدر السابق، ص ص ٣٧٤-٣٧٥.

والأغنام، وفي السنة نفسها حصَّل الزكاة أيضاً من قبيلة مطير، التي رفضت كسابقتها دفع الزكاة له.[1]

وقد وصلت زكاة التمور في عهد الإمارة إلى ٣٠٠ حمل من الجمال، كل حمل يزن ١٤٠ وزنة[2] (٢١٠ كلغم)، وبالتالي يصل المجموع الكلي إلى ٤٢٠٠٠ وزنة (٦٣٠٠٠ كلغم) في السنة من التمور، كذلك الحبوب تصل إلى ما يقارب ذلك، غير أن الإمارة توصي المسؤولين عن جباية الزكاة ببيع ما يحصلونه من الحبوب، بحيث يأتون بثمنه نقداً لبيت مال الإمارة.[3] وربما أن الإمارة ترى أن لديها ما يكفيها من الحبوب في حدودها القريبة، مما يتم تخزينه في مستودعاتها، لاسيَّما وأن الحبوب قد يمتد تخزينها إلى فترات طويلة، يتعذر معها زيادة الكمية المُخزَّنَة، خصوصاً خلال السنوات التي تزداد فيها خصوبة الأرض.

وفي إحصائيةٍ للزكاة التي كان يحصل عليها جبل شمَّر خلال فترة السيطرة على نجد كاملةً، نخلص إلى أنها كانت كالتالي من المزروعات[4]:

المنطقة	بالصاع من الحبوب	بالوزنة من التمر
جبل شمَّر	٢٠٠٠	٢٥٠٠٠٠
الجوف	١٠٠٠٠	٧٠٠٠٠
الحائط والحويط وتيماء	١٠٠٠٠	٤٠٠٠٠
الرياض (العارض)	٤٥٠٠٠	٣٠٠٠٠٠
القصيم	٣٢٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠
عنيزة	١٠٠٠٠	٣٠٠٠٠
المحمل	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠

(١) الحماد: المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٢) الوزنة تساوي كيلاً ونصف تقريباً.

(٣) الزعارير: المرجع السابق، ص ١٠١.

(٤) حسني: المصدر السابق، ص ٦٦.

سدير	٢٤٠٠٠	٤٠٠٠٠٠
الوشم	٣٢٠٠٠	٣٥٠٠٠٠
الأفلاج	٣٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠
الفرع	٣٠٠٠٠	٢٠٠٠٠
الخرج	٨٠٠٠٠	٦٠٠٠٠
وادي الدواسر	٢٠٠٠٠	٤٠٠٠٠
المجموع	٦٥١٠٠٠	٦٣٠٠٠٠٠

ومما يبدو من خلال هذه الإحصائية للزكاة؛ أنها كانت تمثل دخلاً كبيراً للإمارة، خصوصاً وأن قيمة الوزنة الواحدة من التمر تساوي ٢٠درهماً، والصاع من الحبوب ٧٥٠ درهماً، وبالتالي يساوي مجمل هذه الزكاة نقداً حوالي ٤٠٠٠٠ ليرة عثمانية.[١]

أما الثروة الحيوانية، فقد كانت تأخذ الإمارة زكاتها بمجيدي عثماني واحد عن كل خمسة من الإبل، ومجيدي عن كل ٣٠ من الماشية مما هو دون الإبل، وتعد ذلك زكاةً عن الثروة الحيوانية.[٢] كما حُددت زكاة الماشية بعملة الريال أيضاً، حيث يكون ريالاً عن كل خمسة من الإبل، ومثله عن ٣٠ من الماشية من غير الإبل، وقد ذُكر ريالاً عن ٤٠ من الغنم[٣]، وربما أن في ذلك اختلاف خلال فترات حكم الإمارة، وبحسب المواسم والأمطار، إضافةً إلى أن الإمارة قد تأخذ رأساً من الغنم عن كل أربعين منها، ذلك إذا ما تم الاستيلاء على أحد البلدان بالقوة.[٤] وقد مثَّلت زكاة الماشية للإمارة خلال فترة سيطرتها على نجد حوالي ٢٠٠٠٠ ليرة ذهبية عثملية، وذلك من زكاة الإبل والأغنام تحديداً.[٥]

---

(١) نفسه.

(2) Baran: op cit, p 66.

(٣) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٤) حسني: المصدر السابق، ص ص ٦٣-٦٤.

(٥) نفسه، ص ٦٧.

تتم جباية الزكاة لصالح الإمارة عن طريق المناصيب التي تعينهم الإمارة على البلدان التابعة لها، وإن لم يكن هنالك منصوب من قبلها؛ فإنها تُعين من تكن مسؤوليته منحصرةً في جباية الزكاة من الأهالي، كما كان الحال في الجوف عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م.[1] أو تكون جباية الزكاة من خلال مبعوثين، ترسله الإمارة سنويًا لهذه المهمة، يعودون بمجرد انتهاءهم من جمعها، وغالبًا ما يكون ذلك موجهًا للبادية.[2]

كان للإمارة استثناءات في دفع الزكاة، إذ أعفي رؤساء القبائل من دفعها، لكنهم في الوقتِ نفسه ملزمون بزيارة الأمير في الجبل بشكلٍ شهري لتقديم الولاء والطاعة، إضافةً إلى حوالي ٤٠ إلى ٨٠ فارسًا من فرسان كل قبيلة معفون من الزكاة؛ لأنهم مكلفون بخدمة الإمارة عسكريًا في حال الحرب.[3] ومما يبدو أن هذا الاستثناء لشيوخ القبائل؛ كي يعملوا على التفاني في خدمة الإمارة، وكي يشعرون بمكانتهم لديها، وبالتالي يكون ضمانًا لولائهم ضمانًا لولاء القبيلة التي يرأسونها كافة، أما استثناء الفرسان، فلأنهم يقدمون الخدمة العسكرية مقابل إعفائهم.

كما كانت هنالك إعفاءات للمزروعات، وهو إعفاءٌ من نوعٍ آخر، حيث يتم إعفاء الأشجار التي تقل أعمارها عن سبع سنوات من الزكاة[4]، ومما يبدو أن ذلك لما تحتاجه هذه الأشجار في بداية زراعتها من عنايةٍ ومؤونة، لذا راعت الإمارة أصحاب المزارع في هذا الجانب، وأعفت هذه النوعية من الأشجار من دفع الزكاة.

---

(1) Baran: op cit, p 66.

(٢) الحماد: المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٣) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٨.

(٤) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٨٣.

الضرائب (الخوّة أو الإتاوة):

الخوّة أو الإتاوة هي تنظيم اقتصادي متعارف عليه في شبه الجزيرة العربية، خصوصاً وأنه كان من التنظيمات الاقتصادية المتعارف عليها بين القبائل، بحيث تعمل على تنظيم العلاقة بين قبيلة قوية مع أخرى ضعيفة أو تجمعات سكانية مغلوبة على أمرها، بحيث يتم دفع الخوّة للقبيلة الأقوى، ويكفل ذلك لمن دفعها المشاركة في المراعي والمشاركة في الأرض، ويحصل على حماية القبيلة القوية، وتدفع الخوّة إما بمبلغٍ نقديٍّ أو في الأغلب على شكل ماشية أو منتوجات حيوانية، كاللبن والزبد. وقد يدفع سكان الحاضرة الخوّة للبادية مقابل حماية أسواقهم ومزارعهم من الاعتداءات الخارجية واعتداءات القبيلة المدفوع لها، ذلك من محصولاتهم الزراعية، أيضاً قوافل الحج، تعمد إلى دفعها للقبائل التي تمر بأراضيها، ضماناً لعدم الاعتداء عليها، وحمايتها إذا ما كانت في حدودها.[1]

وعلى الرغم من أن هذا التنظيم ينتشر في الأماكن الأقل أمناً، والبعيدة عن التنظيم السياسي القوي، الذي يلغي الخوّة؛ إلا أن إمارة آل رشيد سعت إلى إبقائه، على اعتبار أنه كان يحقق لها نتيجتين مهمتين:

الأولى: ضمان ولاء القبائل والتجمعات السكانية في حدودها، حتى لا تفكر في التمرد أو العصيان.

ثانياً: ضمان دخل مادي للإمارة، خصوصاً وأن الإمارة ركّزت على أخذ الخوّة من قوافل التجارة والحج.

ومما يبدو أن الإمارة اعتمدت إبقاء هذا النظام في بداياتها، لأنها كانت حريصةً على توفير وتنويع مصادر الدخل للإمارة، إذ قلّ هذا الأمر في فترات قوة الإمارة، وتم أخذه على

---

(١) الرشيد: المرجع السابق، ص ١٢٥.

نطاق ضيِّق، إلا أنه أُبقِي في ما يتعلق بقوافل الحج، فكانت الخوَّة ثابتةً على قوافل الحج، وكان لها تنظيمًا واضحًا. كما أن أغلب مصادر الخوَّة كانت تفرض على قبائل الشمال، وعلى بعض الواحات التابعة للجبل، وقد التزم رؤوساء القبائل وزعماء الواحات بدفعها للإمارة منذ بدايتها، حتى في أحلك الظروف التي مرت بها الإمارة، ذلك أنه حين أراد عبدالله ابن رشيد الهرب من وجه القوات المصرية سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م؛ حصل على خوَّة القبائل، التي هرب بها، وقد قُدِّرت بحوالي ٥٨٠٠ فرانسة.[1] الأمر الذي يعني احترام القبائل لهذا التنظيم الاقتصادي في ما بينهم.

ومما يدلّ على تمسك الإمارة بالخوَّة في بداياتها، ما تعارف عليه الحجاج القادمون من العراق وفارس، من أن عبدالله بن رشيد كان حريصًا على أخذها، بحيث يتم تحصيل غازيين[2] من الحاج الفارسي، وغازيًا واحدًا من الحاجة الفارسية، فيما يؤخذ غازي واحد من الحاج العربي، ونصف غازي من الحاجة العربية، في حين أن الإمارة لا تأخذ الخوَّة من الحجاج الفقراء من الهنود وغيرهم.[3] وقد تطوَّرت خوَّة الحجاج بعد ذلك في بدايات القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي؛ بحيث أصبحت الخوَّة بالليرة العثمانية الذهبية، إذ يُؤخذ على الفارسي ١٠ ليرات عثمانية ذهبية، والمرأة الفارسية ٥ ليرات، فيما يؤخذ من العربي خمسة ليرات والمرأة العربية ليرتان ونصف، ويتم تحصيل هذه الإتاوة عن طريق قائد حملة الحج، وقد وصل عدد أفراد حملات الحجاج سنويًا من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ حاج، ما

---

(١) **دار الوثائق القومية في القاهرة**: محفظة عابدين رقم (٢٦١)، وثيقة رقم (٣١٣) حمراء ٣٧، رسالة من المير لواء محمد إسماعيل إلى أحمد شكري، تصف أحوال شبه الجزيرة العربية ومسار الأحداث فيها، بتاريخ ٤ ربيع أول ١٢٥٣هـ الموافق ٧ يوليو ١٨٣٧م.

(٢) الغازي عملة فارسية، يقول صاحب رحلة سفرنامه حج محمد ولي ميرزا قاجار أنها تساوي ٢٥٠ دينارًا، لكنه لم يحدد هذا الدينار وقيمته؛ (قاجار: محمد ولي ميرزا، **سفر نامه حج ١٢٦٠هـ**، نسخة مترجمة لدى الباحث تركي القداح، (د.ن)، (د.م)، ط١، (د.ت)، ص ص ١٢-١٣).

(٣) نفسه.

يضمن دخلاً مجزيًّا للإمارة[1]، ومن الممكن من خلال عملية حسابية على متوسط الدخل السنوي للإمارة من خوّة الحج نلحظ أن الدخل عالي، غير أن الإحصائية غير دقيقة لعدد الحجاج العرب والفرس والفقراء.

كما يذكر داوتي أن الخوّة على الأسر المقتدرة في تيماء كانت بما يعادل جنيه استرليني عن كل رأس، وجنيه عن كل ٨-١٠ من القبائل الفقيرة، التي ليست لديها قدرة مادية.[2] لذا نخلص إلى أن الخوّة كانت من الموارد المالية التي تعتمد عليها الإمارة، خصوصاً في بدايتها، وبعد ذلك أصبحت تؤخذ على نطاق أضيق، وفي حالات خاصة، تكاد تنحصر في قوافل الحج.

الأعشار (الرسوم الجمركية):

وهي الرسوم التي تتحصل عليها الإمارة من القوافل التجارية القادمة إلى أراضيها من من خارج شبه الجزيرة العربية، والتي كانت تمثل دخلاً كبيراً لمواردها، لكن هنالك مشكلة في وضوح مصادر الدخل، حيث يخلط الكثيرون بين الخوّة الخاصة بقوافل الحج و الأعشار، إذ إن الأعشار أمر شرعي، ومن حق السلطة السياسية أن تحصل عليها من القوافل القادمة إلى أراضيها، في حين أن الخوّة ليس لها وجهاً شرعياً، بل أمر تنظيمي، يعود للعرف السائد بين الناس، القصد منه حماية القوافل الخاصة بالحجاج، من التعرض للخطر. وفي غالب الأحيان ترافق حملات الحج قوافل تجارة، لذلك يتم الخلط في هذا الأمر، حتى الإمارة نفسها قد تتعرض لمثل ذلك الخلط.

وإذا ما ركزنا على قوافل التجارة، فإن المصادر والمراجع لم توضح الفرق بين الأعشار والخوّة، لكن في ما ذُكر أن القوافل كانت تمثل أكثر من ربع الدخل السنو ي للإمارة في بداية

---

(١) حسني: المصدر السابق، ص ص ٦٤-٦٥.

(٢) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٣.

عهدها، في حين أنها أصبحت تمثل الربع في فترة قوتها وفتوتها[1]، في عهد محمد بن عبدالله، وقد وصلت إلى الربع لتعدد مصادر الدخل، وزيادتها.

وكانت الإمارة تأخذ خمسة ريالات عن حمل كل بعير من القافلة التجارية[2]، كرسم جمركي، وقد تختلف الرسوم على حسب البضاعة المحملة في القافلة، وعادةً تكون خمسة ريالات للبضائع العادية، غير أن التبغ الحميدي كان الأكثر رسوماً، إذ يصل رسمه للحمولة الواحدة ٦٠ريالاً [3]، وقد تراوح دخل الإمارة من الرسوم الجمركية بين ١٠٠٠٠ليرة عثمانية كأقل دخل جمركي[4] إلى ٤١٠٠٠ ليرة عثمانية كحد أعلى.[5]

ولم تقتصر الأعشار على البضائع الواردة إلى حدود جبل شمَّر، إذ شملت البضائع المُصدرة، خصوصاً تلك التي تذهب إلى العراق، إذ يؤخذ عليها رسوماً مقابل حمايتها، بواقع ربع مجيدي عثماني عن كل بعير خاص بالبادية، ونصف مجيدي عن كل بعير خاص بالتجار من الحاضرة، لذا يرافق الحملة المصدرة للبضائع قائداً من قبل الإمارة، يعمل على الحماية والتحصيل قبل دخول حدود العراق.[6]

الغنائم:

لم تهدأ إمارة جبل شمَّر منذ أن تولاها آل رشيد، حيث انشغلت فتراتٍ طوال في خوض المعارك مع الخصوم، والبلدان المجاورة، لذا كانت الحروب سمةً ملازمة لها، لاسيَّما وأنها حققت كثيراً من الانتصارات العسكرية على خصومها. وتعددت أسباب تلك الحروب

---

(١) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٢) الزعارير: المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٣) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٣.

(٤) الزعارير: المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٥) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٦) الحماد: المرجع السابق، ص ١٣٩.

والمعارك التي كانت تخوضها؛ بين ثأرية ٍ ونزاعات سياسية على النفوذ، أيضًا ما كانت تكلفها الدولة السعودية الثانية به من مدٍّ نفوذ ٍ لحسابها خاصةً في المناطق الشمالية، وذلك في بداية عهد الإمارة. ويرافق السبب السياسي في مدِّ النفوذ سبب اقتصادي، حيث حرصت الإمارة على الكسب من هذا النفوذ، والإضافة إلى مواردها الكثير من العوائد، سواءً من الزكاة التي تفرضها على البلدان التي تقع تحت نفوذها، أو الخوَّة والرسوم على البضائع.إضافةً إلى ذلك غنائم الحروب التي تقوم بها الإمارة؛ كانت تمثل دخلاً مهمًا بالنسبة ِ لها.

عمدَّت الإمارة منذ تأسيسها إلى أسلوب النفير في حروبها، بحيث يشارك أبناء القبائل بما يجهزونه من عتاد خاصٍ بالحرب، من دون أن تتكفل الإمارة بذلك، مقابل أن يشاركونفي الحصول على الغنائم، ومن المعتاد أن الأمير يحصل على خمُس هذه الغنائم، ويوزع الباقي على المحاربين، كلٌ حسب مكانته ومشاركته، والحال نفسه ينطبق على المحاربين من أبناء الحاضرة، غير أنَّ الإمارة لم تكن تلتزم بهذا الأمر التزامًا دقيقًا في الحصول على الخُمس، حيث يبسط الأمير يده في ما يحصل عليه من غنائم، من دون أي معارضة، ومن ثم يوزع ما يود توزيعه كي يقلل من ردة فعل المشاركين في معاركه، وكي يضمن ولاءهم له.[1] ومن أكثر الأشياء التي لا يمكن أن تتنازل الإمارة عنها بسهولة للمشاركين؛ هي الخيول، ذلك لما كانت تمثله الخيول من أهمية استراتيجية في معارك الإمارة، ولما لها من مكانة لديها، ويدلل على ذلك قول عبيد بن رشيد في أحد أبياته[2]:

الخِيل ما جَتنَا شَرَايَا بَالأكيَّاس   بوقَايِعٍ نَاطَابهن المدَارِيـــك

واستمرت الإمارة على الاعتماد على الغنائم في دخلها، وبات تنظيمها في الغنائم ثابتًا في عهدها كاملاً تقريبًا، خصوصًا وأن الأغلب من معارك الإمارة كانت انتِصارًا، ما يعني

(١) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٧٥.

(٢) نفسه.

أن الغنائم كانت رافداً مهماً وشبه مستمر لوارداتها، ومتى توقفت المعارك؛ فإن الواردات ستتأثر بهذا التوقف.[1] لذا لم تكن الإمارة تهتم لشأن توزيع الغنائم بشكلٍ شرعي، لأنها تعي ما تمثله الغنائم من رافدٍ لها، وربما أنها أيضاً أخذت بذلك العُرف السائد في البادية، الذي يقضي إلى أن الأمير أو القائد؛ قد يصل نصيبه إلى الربع من الغنائم، خصوصاً إذا ما كان لملحجا بصيراً بأمر الحرب[2]، غير أن أمراء الجبل قد يتجاوزون الربع بكثير، غير أنهم يسكتون رؤوساء القبائل والزعماء المشاركين، بما يقدمونه من عطايا مجزية بشكلٍ دوري، حتى لو لم تكن هنالك حروب.

ومما اتبعته الإمارة للحفاظ على الغنائم بعد المعركة؛ أن يقوم موالي الأمير بإحاطة الغنائم التي تكون في يدِ المشاركين في الحرب، فيمر كل مشارك أمام الأمير، إما أن يأخذها منه، أو أن يتركها، وقد وصل أعطيات الحضر المشاركين في حروب الإمارة في عهد محمد ابن رشيد بين ٤٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ ريال.[3]

موارد أخرى:

للإمارة موارد متفرقة أخرى، قد لا تكون بأهمية ما ذُكر قبل ذلك، منها ضريبة الجهاد، وهي الضريبة التي يدفعها من لا يشارك في المعارك التي تخوضها الإمارة، بحيث يدفع مبلغاً ماديًّا، يجهز من خلاله الجيش أو يكون لصالح خزينة الإمارة، وقد ذُكر أنه هذه الضريبة وصلت إلى ١٠٠٠٠ ليرة عثمانية.[4]

أيضاً كان للإمارة تجارتها الخاصة، التي تتمثل في بيع الماشية والخيول، بحيث تعمد الإمارة إلى بيعها في الأسواق العالمية، ما يضمن لها دخلاً ثابتاً ومهماً، حرصت عليه بعضِ

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٢) العزاوي: **عشائر العراق**... المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٠.

(٣) الحماد: المرجع السابق، ص ص ١٣٨-١٣٩.

(٤) نفسه، ص ١٤١؛ الزعارير: المرجع السابق، ص ٩٩.

فترات حكمها،[1] خصوصًا في تصدير هذه الماشية إلى أسواق الكويت والعراق، ولعل الخيول التي كانت تصدرها الإمارة ذات قيمة كبيرة لدى هذه الأسواق، خصوصًا الكويت، لما اشتهرت به خيول الجبل من أصالة، باعتبارها أجود أنواع الخيول العربية الأصيلة، التي كانت الإمارة تمتلك الكثير منها، سواءً مما تتملكه في الأساس، أو تلك التي تحصل عليها من خلال المعارك والحروب، ككانت هذه الخيول تدر ثروةً كبيرة للأمير، خصوصًا في عهد محمد بن رشيد، الذي كان يمتلك الكثير منها، ويرسل سنويًّا ما بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ رأس لبيعها تحت مسؤولية أحد مواليه في الكويت، ومن ثم إلى العراق وبومباي، وكانت خيوله تباع بمبالغ طائلة.[2] ونورد هنا إحصائيةً بين عامي ١٣٠٢-١٣٠٨هـ/١٨٤٤-١٨٩٠م لبيع خيول الجبل في الأسواق العالمية[3]:

السنة	عدد الخيول المصدرة	سعر بيعها بالجنيه الاسترليني
١٣٠٢هـ	٢٥٠٠	٦٢٥٠٠
١٣٠٣هـ	٢٢٠٦	٥١١٥٠
١٣٠٤هـ	٢٨١٥	٦١٩٣٠
١٣٠٥هـ	٣١٩٣	٦٣٨٦٠
١٣٠٦هـ	٣١٤٩	٧٣٢٣٠
١٣٠٧هـ	٢٢٦٨	٣٧٥٠٤
١٣٠٨هـ	٢٤٣٢	٥٠٤٠٨
المجموع	١٨٥٦٣	٤٠٠٥٨٢

ويتضح أن ميزانية الجبل خلال فترة الإحصائية قد ازدهرت بسبب تجارة الخيول، لكن في المقابل، هذا الأمر أثار حفيظة الدولة العثمانية، التي لم يرقها أمر بيع الخيول خارجيًا من

(1) Baran: op cit, p 66.

(٢) الزعارير: المرجع السابق، ص ص ١٠٢-١٠٣.

(٣) الحماد: المرجع السابق، ص ١٤٢.

قبل إمارة الجبل، على اعتبار أن الغالب من هذه الخيول يباع إلى الدول الأجنبية[1]، خصوصًا بريطانيا، التي تستخدمها ضد مصلحة الدولة العثمانية، في تحقيق طموحاتها الاستعمارية على حساب الأخيرة، التي تدين لها الإمارة بالولاء، كما أن ثراء الإمارة؛ كان يمثل أمرًا مقلقًا للدولة العثمانية، لا سيَّما وأن ابن رشيد كان مشكوكًا في طموحاته التوسعية.

الصُّرة السلطَانِيَّة[2]:

قدَّمت الدولة العثمانية مساعدة مالية سنوية لإمارة جبل شمَّر باسم الصُّرة السُّلطَانية، ولعل أوَّل شكل رسمي لهذه الصُّرة كان عام ١٣٠٢هـ/١٨٤٤م، في عهد محمد بن رشيد[3]، ومما يبدو من خلال هذه المخصصات أن الدولة العثمانية تودّ استمالة ابن رشيد، بعد أن تزايد نفوذه وتوسعه في شبه الجزيرة العربية، وبات متاخمًا لحدود الدولة العثمانية. ولم يوجد حتى الآن قبل عام ١٣٠٢هـ/١٨٤٤م أي ذكر لمخصصات عثمانية خاصة بالإمارة، ما يفسر سبب صرف الصُّرة تنامي قوة الإمارة، إذ إن الإمارة قبل هذا التاريخ كانت تتبع الدولة السعودية الثانية بشكلٍ مباشر، قبل أن تضعف وتنحسر حدودها، ما يعني أن الدولة العثمانية لم تكن تهتم لأمر تبعيتها في هذه الأثناء.

جاءت الصُّرة العثمانية على أثرِ طلبٍ من محمد بن رشيد للباب العالي، بحيث تكون ثابتة بشكلٍ سنوي للأمير والشيوخ التابعين له، على غرار ما كان يُعطى للشيوخ المحافظين على طرق الحج، وبررت الدولة العثمانية إقرار هذه الصُّرة بعد طلب ابن رشيد باستمالته

---

(١) نفسه، ص ١٤٣.

(٢) هي مخصصات مالية تدفعها الدولة العثمانية للحرمين الشريفين في البداية، وتوسع وجه إنفاقها بعد ذلك، حتى شمل القبائل والزعامات الموجودة على طرق الحج، ذلك ضمانًا لأمان القوافل، وتقديم المساعدة لهم بأي وجه، واتسع مفهوم الصرة، حتى باتت الدولة العثمانية في نهاياتها تمنحه على سبيل استمالة القوى السياسية التابعة؛ (صابان: سهيل، **مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م**، مجلة جامعة الملك سعود، العدد ٢٠، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ص ١-٢).

(٣) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ٨١؛ الحماد: المرجع السابق، ص ١٤١.

والشيوخ التابعين إليه، وتأليفه بقرب الدولة العثمانية، وكي يكون في ذلك حدٌّ للنفوذ الأجنبي في وسط شبه الجزيرة العربية، إذ قررت الدولة العثمانية تخصيص ٢٥ ألف قرش عثماني للإمارة، ومعها ٣١ خِلعة عثمانية بثمن ٠٠٠ قرش، بحيث تُرسل هذه الخِلع والمبلغ المالي مع أمين الصُّرة في الدولة العثمانية سنويًا.[(١)]

كان ابن رشيد يرسل من يتسلم هذه الصُّرة سنويًا من استانبول، وفي بعض السنوات ترسلها الدولة العثمانية إليه في مقرِ إمارته، كما كانت الدولة العثمانية تخصص مساعدات أخرى لإمارة الجبل من غير الصُّرة، مثل بعض المساعدات المتمثلة بالمعونات الغذائية، كذلك الهدايا والأعطيات[(٢)]، كل ذلك في سبيل ضمان جانب محمد بن رشيد.

---

(١) **إدارة الأرشيف العثماني باستانبول:** قرار إدارة مجلس الخصوص بمجلس المالية التابع لنظارة المالية برقم (I.MEC.MAH/4139) القاضي بتخصيص صُّرة سلطانية لمحمد بن رشيد والمشائخ التابعين إليه، بتاريخ ١٣٠٥/٩/١٠هـ/١٨٨٨/٥/٢١م.

(٢) الحماد: المرجع السابق، ص ١٤٢.

تقديرات دخل الإمارة بعد عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م:

أوردت بعض المصادر والمراجع بعض تقديرات دخل إمارة الجبل لعددٍ من السنوات بعد العام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، في الجدول الآتي:

السنة	المبلغ بالجنيه الاسترليني
١٢٩٣هـ/١٨٧٦م	٤٠ ألف[١]
١٢٩٤هـ/١٨٧٧م	٤٠ ألف[٢]
١٢٩٧هـ/١٨٨٠م	٨٠-٩٠ ألف[٣]
١٢٩٧هـ/١٨٨٠م **السنة نفسها من تقدير لوريمر**	٥٠٠ ألف[٤]
١٣٠٨هـ/١٨٩٠م	٤٥ ألف[٥]
١٣١٠هـ/١٨٩٣م	٦٠-٧٥ ألف[٦]

من خلال هذه التقديرات نلحظ أنها لم تكن دقيقةً بما يكفي، إذ إنها لم تعتمد على أرقام صريحة، أو إحصاءات رسمية، بل هي أرقام تخمينية، ويدل على ذلك قول بلنت: "أكرر ثانية بأنني أخمن هذه الأرقام فحسب، وربما لا يعلم أحد في جبل شمَّر، خلا الأمير وحمود، الأرقام بدقة"[٧]، لكن في المقابل؛ يظهر أن تقديرات بلنت فيها نوع من المبالغة، مقارنة بتقدير من قبلها وبعدها من الرحالة، لكنها مبالغة منطقية مع من قبلها، ذلك إذا ما أخذنا

(١) الرشيد: المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٢) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٣.

(٣) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٨٤.

(٤) لوريمر: المصدر السابق، ج٦، ص ٢٢٤٧.

(٥) **السفارة الروسية في استانبول**: رسالة من بونافيدين إلى خارجية الإمبراطورية الروسية في موسكو، محفوظة في القائمة ٥١٧/٢، إضبارة ١٢٣٤، بتاريخ ٢٨ مايو ١٨٩٠م/١٣٠٨هـ، ص ص ٧١-٧٢.

(٦) نولده: المصدر السابق، ص ٤٩.

(٧) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٨٤.

في الاعتبار مسألة التطور الاقتصادي. أما إدوارد نولده فقد ذكر أن ثروة الإمارة بين مليون ونصف إلى مليونين جنيه استرليني، وهذا مما ادخرته الإمارة خلال سنوات ٍ عدَّة، وعلى الرغم من ذلك إلا أن المبلغ فيه من المبالغةالشيء الكثير، خصوصـ ًا أن المبالغ التي ذكرها تعتمد على التخمين، لكنه أضاف أن الدخل السنوي بين ٦٠ ألف إلى ٧٥ ألف جنيه استرليني، وعلى أيَّة ٍ حال، فإن الإمارة كانت من الثراء بما يجعل منها قادرة على تأسيس قوة اقتصادية لا يمكن مجاراتها في شبه الجزيرة العربية.[١]

أما تقديرات لوريمر لدخل الإمارة سنة ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م، التي ذكر أنها وصلت إلى ٠ ألف جنيه استرليني؛ فغير منطقية تمامـ ًا، خصوصـ ًا إذا ما قارنها بمن زاروا الإمارة وقدروا دخلها، وقد تعود تقديرات لوريمر إلى كونه لم يزر المنطقة، حيث إنه من المتوقع اعتمد على تحليلاتدخيل الإمارة، خصوصـ ًا من بيعِ الخيول في الخليج العربي.كما أن تقدير بلنت كان في السنة نفسها، لذا لا يمكن المواءمة بينه وبينها. كما أن لوريمر اقتصر على ذكر دخل الإمارة خلال السنة ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م.[٢]

على أيَّة ٍ حال، نستخلص مما فات أن الإمارة كانت تحظى بتنوع في مصادر دخلها، وبعوائد كبيرة جدـ ًا، تصل إلى مئات الألوف بالجنيه الاسترليني، وربما أنها أكثر مما ذُكر من ٤٠ إلى ٩٠ ألف جنيه استرليني، مع مراعاة تغير الأحوال الاقتصادية والسياسية، وتأثير ذلك على العوائد السنوية.

---

(١) نولده: المصدر السابق، ص ٥٠.

(٢) لوريمر: المصدر السابق، ج٦، ص ٢٢٤٧.

المصروفات

مقابل تلك المداخيل والواردات التيكانت تنعم بها ميزانية جبل شمَّر؛ ثمَّةَ مصاريف تنفق عليها الإمارة من هذه الميزانية، غير أنها لا توازي بأيّ حال من الأحوال تلك الواردات، ما يعني أن النظام المالي كان يحقق فائضًا سنويًا. ومن خلال تتبع هذه المصروفات نخلص إلى أن تقسيمها إلى ثابتة وغير ثابتة أمر غير دقيق، ذلك لأنه لم تكن هنالك تنظيمات واضحة تُقنِّن هذه المصروفات، حتى وإن كان هنالك رواتبًا تعمل الإمارة على صرفها بشكلٍ دوري، أو مصروفات خاصة بالضيافة والهدايا والعطايا، لأنها تخضع لرغبة الأمير، وظروف الصرف وتغير الأحوال، وتجاوزًا من الممكن وصف المصروفات الدورية بشبه ثابتة، لكن على الرغم من ذلك ذكر المصروفات بشكلٍ مجمل أقرب للدقة منه للتقسيم، خصوصًا وأن الإمارة لم تأخذ نمطيَّةً واحدة وثابتة طوال فترة حكمها. ومن أهم مصروفات الإمارة:

المصروفات على الإدارة والمشروعات الحكومية:

وهي المصروفاتالمعتادة، والتي تُصرف على خدمات الإمارة، المتمثلة بالمحافظةِ على آبار المياه من خلال تنظيفها، وإنشاء آبار أخرى جديدة بشكل دوري، إذ يستوعب ذلك جزءًا يسيرًا من دخل الإمارة، مقارنة بوارداتها.(1) يُضاف إلى ذلك ما يُصرف على المشروعات العمرانية، مثل بناء القصور والدور الخاصة بالإمارة والمساجد(2)، لكن هذه المشروعات لم تكن ذات ثقل مالي على ميزانية الإمارة، حيث إنها كانت حسب الحاجة للبناء، مثل بناء قصر برزان، والقصور الأخرى في البلدان التابعة للإمارة،والتي تستخدم كمقر لحكومتها، كما في الجوف وغيرها من البلدان، وهي القصور التي يقيم فيها الحاكم، وتمثل الدور نفسه الذي يقوم به برزان في حائل.كما أن هنالك مصروفات خاصة بخدمات

(1) نولده: المصدر السابق، ص ٥٠.

(2) عبيد: المرجع السابق، ص ٨٩.

تلك القصور، التي تتمثل في تقديم الضيافة اليومية، ومصروفات خاصة بالموالي والموظفين التابعين للإمارة فيها.[1]

ومن المصروفات الحكومية؛ الرواتب التي تُقدَّم للموظفين العاملين في خدمة الإمارة، ومنهم الحكام أو المناصيب الذين تكلفهم إمارة الجبل بتولي إدارة شؤون البلدان التابعة لها، مثل الحكام الذين عيَّنتهم الإمارة على الجوف وتيماء وخيبر وبريدة وعنيزة والرياض وغيرها من البلدان، كذلك من كانوا يساعدونهم في تأدية مهامهم من إداريين ومساعدين[2]، ولم يقتصر الإنفاق على هؤلاء الموظفين برواتبهم فحسب، إذ تكفلت الإمارة بالإنفاق على توفير الإقامة لهم وإطعامهم، وما يحتاجون إليه من بضائع وحاجيات، بحيث يتم تقديمها بشكل منتظم ومستمر.[3] كما كانت الإمارة تقدِّم رواتباً لخطباء الجُمع وأئمة المساجد وطلبة العلم.[4] ويُحسب من ضمن العاملين في الإمارة، ويخصص لهم رواتباً؛ أولئك المكلفون بما يخص الإمارة من ممتلكات، مثل الموالي والرعاة والخدم، سواء في دار الإمارة أو البلدان التابعة لها، وعدد هذه الفئة من العاملين وصل في عهد محمد بن رشيد إلى أكثر من ٢٠٠٠[5]، غير أن الموالي منهم يتراوح عدد من يقدمون خدمات يتقاضون عليها مخصصات مالية، ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ خصوصاً الذين يرافقون الأمير منهم بشكلٍ دائم.[6]

لم يكن هنالك ذكرٌ لمقدار الرواتب أو الخدمات البلدية والمشروعات العمرانية في الإمارة، ما يعني أنها لم تكن ثابتةً بتنظيم واضح، الأمر الذي يجعلنا نبتعد عن مسألة المصروفات الثابتة، إذ نُقر أن ثمة صرف على الرواتب، لكنه لم يكن واضحاً أو منظماً، ما

---

(١) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٣.

(٢) حسني: المصدر السابق، ص ٦٨.

(3) Baran: op cit, p 67.

(٤) الحماد: المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٥) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٤؛ الحماد: المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٦) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٤.

يوحي إلى أن هذه المصروفات كانت متغيرة بحسب ظروف الإمارة، وبحسب عهد الأمير وتقديراته.

أيضًا تدخل من ضمن المصروفات الحكومية؛ المخصصات المالية لآل عبدالله وآل عبيد من آل رشيد، وفي وقتٍ متأخر مخصصات آل سبهان، كذلك ما يُنفق عليه من ميزانية الإمارة على الملبوسات الخاصة بالأمير وحاشيته وأتباعه.[1] وفي تقديرٍ لبلنت أن مصروفات العائلة الحاكمة تبلغ حوالي ٠٠ جنيهًا استرلينيًا، والنفقات الحكومة لا تتجاوز ١٠٠٠٠ جنيهًا استرلينيًا([2])، ويقدرها داوتي ٠٠٠ جنيهًا استرلينيًا.[3]

المصروفات على التجهيز العسكري:

أولت إمارة جبل شمَّر الجانب العسكري أهميةً بالغة ذلك عطفًا على أنها إمارة عسكرية أو محُاربة، حيث إنها لم تهدأ عن شنّ الحروب والمعارك مع البلدان المجاورة لها، كما أنها كانت دائمًا ما تقوم ببعض العمليات العسكرية على البلدان التابعة لها إذا ما كان هنالك حاجة لقمع تمرد أو إبعاد نفوذ قوى أخرى. وكانت المصروفات العسكرية على التجهيزات الخاصة بالجند، وتحديدًا من تتكفل الإمارة بتجهيزهم من غير أبناء القبائل الذين يجهزون أنفسهم مقابل المشاركة في الغنائم، والإعفاء من دفع الخوّة. وعادةً ما تكون هذه المصروفات على تجهيز رجاجيل الإمارة من خلال شراء الخيول والإبل التي يشاركون بها في المعارك، كذلك صيانة الأسلحة العسكرية وتطويرها، وشراء المدافع والبنادق والذخيرة.[4]

---

(١) حسني: المصدر السابق، ص ٦٨.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ١٨٤.

(٣) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٣.

(4) Baran: op cit, p 67.

مصروفات الضيافة:

كانت الضيافة تقليدًا مهمًا في تاريخ إمارة جبل شمَّر، حرص الأمراء كافة على الاعتناء به واستمراريته، ذلك حفاظًا على تقاليد الكرم التي كانت سمةً لجبل شمَّر، سواءً لأمرائها، أو حتى المجتمع بشرائحه كافة. ومن البرتوكولات التي حرص أمراء الجبل عليها؛ فتح الضيافة بشكلٍ يومي، سواء لسكان الجبل أو الضيوف الوافدين من خارج الإمارة.[1] ويقول عبدالله بن رشيد في بيتي شعر له، حول ضيافته وتقديم الهدايا والأموال لضيوفه كلٌّ حسب منزلته[2]:

كَم خـَيرٍ عَانٍ لَنَا شَاكِي الجُوع حَادِيه من لُوعَات الأيَّام حَادِي

لَو مَا نعَرِفَه رَاح منهَا بِمَطمَنُوع اس مَالٍ نجَمَعَه للنفَـــادِي

لم تقتصر تقاليد الضيافة على دار الإمارة في حائل وحسب، إذ أصبح ذلك تقليدًا مهمًا في جميع البلدان التابعة للجبل، حيث تقام المأدُبة اليومية في القصر الخاص بالإمارة في البلد التابع لها[3]، وذلك الحاكم المُعيّن، الذي يحرص ألا يُقصر في هذا الجانب وبالتالي قد يثير نقمة الأمير عليه.وذكرت الليدي آن بلنت أن ضيوف القصر بشكلٍ يومي ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ ضيف، يتم تقديم القهوة والتمر والأرز واللحم لهم، وقدَّرت تكاليف هذه الضيافة يوميًا بخمسين جنيهًا استرلينيًا[4]، أي ما يُعادل ٠ جنيهًا استرلينيًا شهريًا، و٠٠ جنيهًا استرلينيًا سنويًا، ومما يدلّ على أن تخمينات الليدي لم تكن دقيقةً؛ أنها أحصتها بعشرين ألف جنيهٍ استرليني سنويًا، ما يعني أن هذا المبلغ قد يزيد أو ينقص، حسب عدد الضيوف الوافدين للإمارة. ومما يجعلنا نشك في تقديرات الليدي؛ أنها وفدت إلى الإمارة

---

(١) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٣.

(٢) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ص ١٧٦-١٧٧.

(٣) حسني: المصدر السابق، ص ٦٨.

(٤) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ١٨٤.

في وقت وصول قافلة الحج، التي كانت تقدم لها الإمارة الضيافة، ما يعني أن ثمَّة أيام من السنة تقل فيها مصروفات الضيافة أقل من ذلك بكثير، وقد لا تتجاوز نصف التكلفة السنوية التي ذكرتها الليدي. ولم تقتصر مصروفات الإمارة على إطعام الضيوف، إذ تعمل على إيوائهم وتقديم الهدايا والأموال لمن كانوا ذوي مكانة منهم.(١)

واللحم الذي تحرص الإمارة على تقديمه لضيوفها؛ إما من لحم الإبل أو لحم الضأن، وعادةً ما تختلف اللحوم من يومٍ لآخر، من دون وجود سبب، بحيث يتم الاختيار بين ذبح سبعةٍ من الإبل يومياً أو ٤٠ من الضأن،(٢) وهذا أيضاً لا يمكن أن يكون بشكلٍ ثابت، حيث يتحكم في ذلك عدد الضيوف المتوقع وفودهم، فربما يزيد أن ينقص عن ذلك بكثير، وتبقى مثل هذه الإحصاءات تخمينية، لا يُعتمد عليها بشكل كبير.

الهدايا والأعطيات:

مصروفات الهدايا والأعطيات غالباً ما تكون حسب الرخاء المادي لميزانية الإمارة، ففي بدايات الإمارة مثلاً لم تكن الأعطيات والهدايا كما في عهد محمد بن عبدالله. وتتمثل هذه الهدايا في عطايا الفقراء والمساكين، سواءً من أهالي الجبل أو الوافدين، كما أن هنالك هدايا لغير الفقراء، من الوجهاء الذين غالباً ما تكون أعطياتهم من الإبل والأنعام.(٣)

ويحسب من الهدايا والأعطيات ما تقدمه الإمارة لرؤوساء القبائل وولاة الدولة العثمانية في الشام والعراق ومصر والمدينة المنورة ومكة المكرمة، ومن الواضح أن هذه الأعطيات والهدايا التي تقدمها الإمارة لهم؛ تأتي على سبيل استمالتهم، وتقديم تقارير جيدة عن الإمارة للدولة العثمانية، كي تُقر ما تقوم به الإمارة من عمليات عسكرية في شبه الجزيرة

---

(1) Baran: op cit, p 67.

(٢) الزعارير: المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٣) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ١٨٤.

العربية، وعدم التعرض لما تحت يد الإمارة من نفوذ في خيبر القريبة من والي المدينة المنورة، أو البلدان الشمالية، وأبرز الهدايا التي تُقدم للولاة تتمثل بالخيول العربية الأصيلة، التي اشتهرت بها الإمارة.[1] كما يدخل ضمن الهدايا والأعطيات؛ ما أطلق عليه بعض الرحالة الرشوة، حيث كانت الإمارة تقدم الهدايا من خيول، كذلك بلغت المسألة أن قدَّمت الإمارة الأموال لبعض الولاة، سعياً لتحقيق هدفها في استمالتهم، وكسبهم إلى جانبها، ومن ذلك شريف المدينة المنورة الذي كان يأخذ بشكلٍ سنويّ من محمد بن رشيد ما بين ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ جنيهاً استرلينياً، غلفتها الإمارة باسم الإعانة الدينية[2]؛ أيضاً شريف مكة المكرمة كان يتقاضى إعانةً دينية من الإمارة، لكن لم نصل إلى تحديدٍ لها، غير أنها من المتوقع أن تكون قريبةً مما يُقدَّم لشريف المدينة المنورة، كذلك والي الشام كان يأخذ من محمد بن رشيد ١٥٠٠ مجيدياً سنوياً، مقابل السكوت عن تبعية الجوف للإمارة.[3]

كان محمد بن رشيد يحرص على تأمين إمارته بالهدايا بشكلٍ دائم، ومن ذلك القوافل التي تأتي محملةً بالأقمشة والثياب، وتخصصها لهداياه التي يقدمها للشعراء ورؤوساء القبائل والوجهاء.[4]

---

(١) الرشيد: المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ١٨٤.

(٣) الرشيد: المرجع السابق، ص ١٣٨.

(٤) الحماد: المرجع السابق، ص ١٤٥.

الزراعة

تُعدُّ الزراعة مقوماً رئيساً من مقومات اقتصاد جبل شمَّر، ذلك لما كان يزخر به الجبل من مقومات عدَّة ساعدت على أن تكون أرضه صالحةً للزراعة، لذلك يجب التعرف على هذه المقومات التي تتمثل في الآتي:

١. الماء:

توافرت في الجبل كمية من المياه، التي كانت كافية لتعتمد عليها الزراعة، وعلى الرغم من أن الجبل يقع ضمن الإقليم الصحراوي الحار والجاف، الذي يعمل على تبخر جزء من مياه الأمطار التي تحتفظ بها الوديان؛ حيث إن باطن الأرض يحتفظ بالمياه المتسربة إليه، إذ تتكون مياهاً جوفيةً سطحية في رواسب الوديان، كذلك مياهاً جوفيةً عميقة.[١] لذلك كان للآبار الموجودة في شِعاب الجبل وخارجها وظيفةً في توفير المياه، غير أن آبار الشِّعاب كانت الأغزر بالمياه عنها في المناطق الأخرى، كما كان سكان الجبل يعمدون إلى إقامة السدود التي تناسب وقدراتهم الفنية والمادية حجماً ومتانةً، ما يعني أنها كانت متواضعة حسب معطيات زمن الدراسة، لكنها في الوقت نفسه كانت مثمرةً في حجز كميات من مياه الأمطار لاستعمالها في ريِّ المزروعات.[٢]

وفي الغالب كان المزارعون يعمدون إلى حفرِ الآبار في مزارعهم، حتى يكون الماء متوافراً في المكان نفسه، فلا يكلف عناء جلبه بشكلٍ يومي، لذلك يقول فالين أن كل مزرعة في جبَّة تحتوي على بئر.[٣] كما كانت زراعة الجبل إروائية، تتم بواسطة الآبار، إذ يكون الاعتماد على مياه الأمطار والسيول نادراً، لكن حفر الآبار كان يحتاج إلى جهدٍ كبير،

---

(١) الصغير: المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٢) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٣) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ٧٥.

وتكاليف مادية عالية، إلا أنه على الرغم من ذلك لم يجد سكان الجبل بدًّا من اللجوء إلى مثل هذه الزراعة الإروائية، وعادةً ما يروى خمس هكتارات من بئر عادي واحد بعمق عشرة أمتار تقريبًا.[١]

وإذا ما توفرت الآبار لدى المزارعين؛ فإنهم يحتاجون إلى جهدٍ من نوعٍ آخر لاستخراج المياه منها، وعادةً ما تتم هذه العملية من خلال الحيوانات التي تستخدم لهذا الغرض، لتعمل على رفعِ الماء من قاع البئر إلى سطح الأرض، وفي الأغلب يتم توفير هذه الحيوانات بشرائها أو استئجارها من أبناء البادية في مواسم معينة من السنة، مثل استئجار الإبل لهذه الوظيفة، ولا يتوقف الأمر عند ذلك؛ إذ لا بد من يدٍ عاملة تعمل على رعاية هذه الحيوانات والحفاظ على قوتها، كذلك توجيهها بشكلٍ جيد، كي تتم عملية استخراج المياه بشكل سهل.[٢] ويستخدم المزارعون في عملية استخراج المياه من اثنين إلى ثمانية حيوانات تقريبًا في المزرعة الواحدة، حسب مساحتها وحجم مزروعاتها، حيث يستخدم الإبل أو البقر أو الحمير، لكن الإبل كانت الأكثر استخدامًا على أساس توافرها بشكل أكبر من غيرها في الجبل.[٣] كما تستخدم في عملية استخراج المياه مجموعة من الأدوات المُصنَّعة محليًا؛ مثل الشادوف أو الناعور[٤]، الذي يعمل على جلب المياه من الآبار، وبالتالي يسهل رفع المياه عن طريق الدلاء المعروفة بهذا الغرض، أو القِرَب التي تربط بالسواني، حيث تقوم الحيوانات بجر دراجة تستخدم لهذا الغرض لتسهيل عملية رفع القِرب أو الدلاء، بحيث يتم تجميع الماء في حياض خاصة لهذا الغرض[٥]، ومن ثم توجيهه من خلال مجاري إلى

---

(١) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٢) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١١٧.

(٤) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٥) دارة الدائرة للنشر والتوثيق: **الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية**، ج٥، الدائرة للنشر والتوثيق، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ط١، ص ص ٤٩٤-٤٩٩.

المزروعات، أو أن يتم نقل المياه للمزروعات بالطريقة البدائية، من خلال اليد العاملة بعملية النقل العادية من خلال الدلاء، لكن هذه الطريقة تعدُّ طريقةً مجهدة وصعبة.

هناك بعض المزروعات التي لا تحتاج إلى ريٍّ، إذ تكفيها كميات الأمطار، التي تنزل في فصل زراعتها، أو يتم ريها عن طريق العيون الجارية بين جبلي أجأ وسلمى، والتي تتميز مياهها بالعذوبة والبرودة.[1]

٢. المناخ:

مناخ الجبل حار جاف يعمل على مد المزروعات بضوء الشمس حتى في فصل الشتاء، كما أن رياحه لا تتلف النباتات على الأغلب، غير أن الرياح الجافة تسلب النبات ماؤه، أو أن تكون هذه الرياح باردة في أجواء الشتاء تتدنى إلى ما دون الصفر، فيعمل ذلك على إتلاف النبات، أو أن تطمر النباتات إن كانت محملةً بالأتربة والرمال، إضافةً إلى أن أمطار الجبل تكون أحيانًا مصحوبةً بالبَرَد الذي يضر المزروعات.[2] وبما أن مناخ الجبل أكثر برودة وأقل حرارةً من المناطق النجدية الأخرى؛ فإنه كان أكثر مناسبةً لزراعة كثير من الفواكه والخضروات باختلاف أنواعها.[3]

٣. التربة:

أما التربة فخصبةٌ نوع ما، ذلك لتوافر التربة الصفراء في بعض المناطق في الجبل، كبلدة قفار والوديّ، كما أن الوديان توفر التربة الصالحة كوادي الإديرع، وهي تربة طينية رملية تصلح للزراعة ولجميع المحاصيل. والتربة الصخرية النارية والبركانية تمتاز بخصوبتها لما فيها من عناصر معدنية في المناطق الجبلية والحرات، وقد تنوعت نوعية التربة في الجبل، باتساع

---

(١) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص١٩٣.

(٢) الصغير: المرجع السابق، ص ص ١٥٤-١٥٧.

(٣) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٩٣.

مساحتها.[١] لذا اشتهُرت مجموعة من البلدان في جبل شمَّر بالزراعة، وعلى رأسها حائل عاصمة الجبل، كذلك عقدة وبقعاء وقفار وجبَّة وفيد والوديّ وموقق والروضة، والجوف وتيماء، فكل بلدة كانت لها طبيعتها في التربة، التي ساعدت على إنتاج محاصيل زراعية مختلفة، كذلك اختلفت نوعيتها، خصوصًا التمور التي تختلف نوعيتها حسب التربة المزروعة فيها.[٢]

وإذا لم تكتمل العناصر الأساسية للتربة في بعض مناطق الجبل؛ فإن المزارع يلجأ إلى إضافة الأسمدَّة إلى التربة ليزيد من عملية خصوبتها، وهذه الأسمدة اعتاد أهالي الجبل على توفيرها من خلال استخدام ركن في فناء المنزل يجُمع فيه الرماد والمخلفات التي يتم استهلاكها، حيث إنها بعد فترة من الزمن تصبح مادة عضوية تستخدم كسماد للمزروعات، أيضًا يعمد الأهالي إلى حفر خنادق خاصة بذلك لكي يتم إلقاء المخلفات في مناطق عامة، حتى تمتلئ، وإذا امتلأت حفروا أخرى، وبالتالي يوفرون أكثر من مكان لإنتاج السماد الذي يساعد على خصوبة الأرض، لكن في الغالب يشتري هذه الأسمدة من تقل خصوبة الأرض لديهم، كذلك من ينوون زراعة الذرة والشعير، لأن مثل هذه المزروعات شتوية، وتحتاج إلى خصوبة أعلى.[٣] ما يعني أنه يتم استخدام السَّماد على نطاق ضيق في الجبل، وفي موسم الشتاء تحديدًا، ولنوعية محددة من المزروعات، لأن الأغلب من أرض الجبل لا تحتاج إلى سمَاد، كما أن مزروعاتها صيفية على الأغلب.

وبشكلٍ عام؛ ساعدت مواسم الأمطار في الجبل، والسيول على حمل مواد الطمي وغيره من المخصِّبات إلى الأراضي الزراعية.[٤] لذلك قلَّ الاعتماد على الأسمِدَّة.

---

(١) نفسه، ص ١٥٩.

(٢) الزعارير: المرجع السابق، ص ٢٩.

(3) Huber: op cit, p 405.

(٤) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**.. المرجع السابق، ص ١٩٣.

٤. اليد العاملة:

لم تعانِ جبل شمَّر من شُحٍ في الأيدي العاملة؛ ذلك لاشتغال الحضر ومواليهم في الزراعة، خصوصًا أولئك الذين يملكون عددًا كبيرًا من الموالي، لاسيَّما حاضرة شمَّر، إضافةً إلى قيام تحالفات حضرية بين أهالي الجبل، وتحديدًا في حائل عاصمة الجبل، بين عائلاتٍ عدَّة، تقوم على أساس الاستفادة المشتركة في زراعة الأرض والاستفادة من منتوجاتها بشكل دائم، لذلك سمَحَ أصحاب الأراضي الزراعية الواسعة لمن يشاركونهم في زراعة الأرض بالحصول على خمُس المحصول، في حين يأخذ أصحاب الأرض أربعة أخماسه، وهذا مما يعدُّ شائعًا في شبه الجزيرة العربية، كما أن مجموعات من أبناء القبائل كانوا رحلاً؛ يوكلون أراضيهم الزراعية لبعض الأسر الحضرية، ومن ثم يقومون بزيارتها بشكلٍ دوري لمتابعتها، وأخذ ما يخصهم من محصولها، وغالبًا ما كان هذا التنظيم بين البدو والحضر في عقدة.[1] ولعل في ذلك نوعًا من التنظيم الإقطاعي، الذي يعتمد على الأساس الاجتماعي والطبقية، حيث إن الأسر ذات المكانة الاجتماعية الرفيعة؛ كانت تعمد إلى إيجاد أسر أخرى تكفل لهم متابعة الأرض ورعايتها، كذلك السكن فيها في الغالب، مقابل هذه المشاركة.

إضافة إلى ذلك لم يكن العمل في الزراعة من الأعمال التي يستهجنها سكان الجبل، أو من الأعمال التي يأنفون القيام بها مثل الصناعة، التي تعمل على نبذ أصحابها من الإطار القبلي، لذا كانت الزراعة عملاً مألوفًا يحافظ على النسيج الارستقراطي، حتى وإن مارس أبناء القبائل عمله بشكلٍ مباشر.[2] لذا لم يواجه الأهالي مشكلةً في وفرة اليد العاملة.

كما أن هذه النظرة الاجتماعية للزراعة؛ يدعمها أنها تمثل دخلاً مجزيًا ووفيرًا، وتعمل على الاكتفاء الذاتي، والاستفادة من خيرات الأراضي، فليس من السهولة أن يتنازل ابن

---

(١) الرشيد: المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٢) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٩٣.

القبيلة عن هذه الميزات، لذا استثنى الزراعة من الأعمال اليدوية التي استهجنها، ما يعني أن الشأن الاقتصادي، جعل النظرة الاجتماعية انتقائيةً إلى حدٍ بعيد.

المحاصيل الزراعية:

حاول سكان الجبل أن يوفروا ضرورياتهم الغذائية من خلال الزراعة، محاولةً للوصول إلى حدِ الاكتفاء الذاتي، يساعدهم في ذلك ما توافرت لهم من مقومات زراعية، وأصبحت الزراعة رافداً غذائياً واقتصادياً مهماً، وقد عرف جبل شمَّر لدى بلدان نجد الأخرى باسم شام نجد، لما فيه من تنوع في المحاصيل الزراعية.(1) وعلى الرغم من السعي وراء الاكتفاء الذاتي، إلا أن اتساع رقعة الإمارة، والزيادة في عدد السكان، جعل الإمارة تلجأ إلى توفير بعض حاجياتها الغذائية من الأسواق القريبة، فعادةً لم تتوافر الحبوب بشكل دائم(2)؛ وبشكلٍ عام فإن كميات الحبوب التي تتم زراعتها في الجبل؛ لم تكن كافيةً في بعض المواسم، خصوصاً إذا ما قلَّت الأمطار، حيث يتم جلبها من الأسواق القريبة، كأسواق الكويت والعراق والشام.(3) ومن أهم المحاصيل الزراعية التي تتم زراعتها في الجبل:

١. التمور:

اهتمَّ المزارعون في الجبل بمزارع النخيل، حتى أنها وصفت في غاية الإتقان والانتظام، ذلك لما تمثله من توفيرٍ للتمور، التي تعد مصدراً غذائياً رئيساً لدى السكان، وغالباً لم يكن يُصدر إلى خارج الجبل، لأنه يُستهلك محلياً، ويتم تخزينه لفترات طويلة.(4) كما أن أشجار النخيل كانت تتحمل التقلبات المناخية، وتتواءم وطبيعة الأرض، ذلك لتحملها العطش والجفاف وشدَّة الحرارة، إضافةً إلى كونها تمدّ الأهالي بمنتوجاتها

---

(١) عبيد: المرجع السابق، ص ٩٦.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٧٩.

(٣) الدخيل: سليمان، **أخلاق أهل نجد**، مجلة العرب، السنة الأولى، ج٢، شعبان ١٣٢٩هـ/آب ١٩١١م، ص ٦٥.

(٤) حسني: المصدر السابق، ص ٢٧.

الأخرى من غير التمور، كالسعف والجريد، الذي يستخدم في صناعات عدَّة، لعل أهمها البناء.[1] ومن المعروفأن النخيل تُعمِّر طويلاً، إذ يصل عمرها إلى ١٠٠ عام تقريبًا، كما أنها ليست في حاجةٍ إلى حراسة ورعاية أو مياه دائمة مقارنةً بالمزروعات الأخرى، غير أنها تحتاج إلى تلقيحٍ وتأبيرٍ من قبل المزارع، وعادةً ما تتم زراعة النخيل في أماكن السيول، أو في مناطق تقترب المياه فيها من سطح الأرض، وترتفع رطوبتها، والتشبُّع بالمياه؛ يتحكم في مسألة إثمار النخيل، فإن كان المكان المزروعة فيه مشبعًا بالمياه؛ أثمرت النخيل في ثلاث سنوات، أما إن كان جافًا فإنها لا تثمر قبل خمس سنوات.[2]

وعطفًا على ذلك فإن أهالي الجبل اهتموا بزراعة النخيل بدرجة كبيرة، لذلك وصف الجبل بأنه بلد نخيلٍ من قبل زائرية، ذلك لإحاطة النخيل بالجبل للقادم من الخارج، وكأنها تمثل أسوارًا حول العاصمة حائل، كذلك القرى والبلدان التابعة للجبل، توصف بالأمر نفسه.[3] ويقول كارلو غوارماني عن نخيل الجبل: "وفي كل هذه المناطق تنتشر بساتين النخيل الكبيرة في السهل الذي شكلته الرمال بين الجبال، وكل منها محاط بسور من الطين المجفف بالشمس، ويحتوي على أبراج من أطرافه"[4]، لذلك كانت النخيل الأكثر انتشارًا، حتى أنها وجدت بين المزروعات الأخرى في مزارع الجبل، إذ يقول يوليوس أوتينج: "انتقلنا بعد ذلك إلى بستان القصر المهمل حيث توجد بين النخيل أشجار أخرى متناثرة مثل التين والليمون والبرتقال والرمان والبرقوق".[5]

---

(١) باشا: أيوب صبري، **مرآة جزيرة العرب**، ترجمة وتعليق: أحمد فؤاد متولي، والصنعاني أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٢٩٨.

(٢) نفسه.

(٣) الشهابي: المصدر السابق، ص ٢٤.

(٤) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ١٠٥.

(٥) أوتينج: المصدر السابق، ص ١٠٤.

اشتُهر جبل شمَّر بنوعيات مختلفة من التمور؛ تأتي في مقدمتها الحلوة، يليها الأنواع الأخرى من الخديري، الجسبة، الحمراء، شقراء، الخلاص، المكتومي، فنخى، سكري، أم حمام، أم الخشب. لكن لم تكن هذه الأنواع بجودة الحلوة، التي يشتهر بها الجبل، إذ وصفت الحلوة ملكة أصناف التمور في جبل شمَّر، لجودتها وانتشار زراعتها في المنطقة، كذلك ملاءمتها للتخزين، ومن الصعب أن تتعرض للتغير في جودتها، حتى وإن خُزِّنت لفترة طويلة، لذا يتمون منها السكان بكميات كبيرة، حتى تصبح حويلاً، بمعنى أن يحول عليها عام كامل.[1]

ولعل جودة التمور التي تنتجها الجبل، تختلف حسب منطقة زراعتها، إذ إن فالين وصف تمور جبَّة بأنها أقل جودةً من تمور الجوف وتيماء[2]، ما يعني أن إنتاج التمور متباين في الجبل حسب جودته.ويتفق هوبر مع فالين في عدم جودة تمور جبة مقارنةً بغيرها من مناطق الجبل الأخرى، إذ يصفها هوبر بالصغيرة والرديئة، ويعزو ذلك إلى ما يبرره السكان في جبَّة من أن المياه التي تسقى منها النخيل مالحة، أيضًا يذكر هوبر أن السكان لم يكونوا يهتموا بالنخيل بشكلٍ كاف، ما يؤثر في جودة إنتاجها.[3] أما عقدَّة فتختلف عن إنتاج جبَّة؛ بحكم أن المياه فيها متوافرة من الوديان وأحواض المياه المنتشرة فيها، وقاعها الجرانيتية التي تحبس الماء لفترات طويلة، وقد وصل عدد النخيل في عقدَّة حوالي سبعين ألف نخلة تقريبًا، خمسها يعود في ملكيته لأمراء الجبل.[4]

وفي تقديراتٍ لعدد النخيل في جبل شمَّر، نُسِبت لسليمان الدخيل سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م؛ فإن عدد النخيل في حائل وحدها حوالي ٣٠٨٠٠٠ نخلة، وفي

---

(١) الصغير: المرجع السابق، ص ١٩٤.

(٢) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ٧٥.

(٣) هوبير: المصدر السابق، ص ٤٧.

(٤) نفسه.

باقي أنحاء الجبل المتفرقة حوالي ١٩٩٧٠٠ نخلة، ما يعني أن مجموع النخيل في حدود الجبل كافة ٠٧٧٠٠ ٦نخلة تقريبًا[1]، وهذا يدل على أن إنتاج الجبل من التمور عالي جدًا، حتى أن الدخيل يذكر أن بعض النخيل تكفي لحملي بعير من التمور، ويساوي ذلك ٤٠٠كغم تقريبًا، وقد قام مؤلف كتاب إمارة آل رشيد في حائل محمد الزعارير؛ بالقيام بعملية حسابية معتمدًا على تقديرات الدخيل، حيث قام بإعطاء متوسط لإنتاج النخلة الواحدة من التمور ١٠٠ كغم، وضرب هذا الناتج بعدد النخيل في الجبل، ومن ثم أصبح ناتج الجبل من التمور ٦٢٠,٧٠٠,٠٠٠ كغم سنويًا.[2] لكن لا يمكن الاعتماد على مثل هذه التقديرات، خصوصًا وأن الأرقام التي ذكرها الدخيل لا نعلم عن مدى صحتها، ولا دقتها، ومن ثم نأتي إلى توقعات الزعارير بإعطاء متوسط لإنتاج النخلة الواحدة، ما يعني أن الرقم الحقيقي للإنتاج ينقص عما أورده الزعارير بكثير، ومن قبله الدخيل. وعلى الرغم من أن الدخيل كان يتحدث عن سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م، إلا أننا أوردناه وهو خارج الإطار الزمني للدراسة، على اعتبار أن العدد قد يقلّ قليلاً أو أنه قريب منه، ومع ذلك لا يمكن الاعتماد على مثل هذه الأرقام للمبالغة الواضحة فيها، لكن المشكلة في أنه لا يوجد لدينا إحصائية غيرها.

٢. **الحبوب:**

زرع سكان الجبل الحبوب على قدرِ حاجتهم منها، وغالبًا ما كانت مزروعاتهم من الحبوب؛ القمح والشعير والذرة والسمسم والدخن[3]، ويعد القمح أهم هذه الحبوب على الإطلاق، لأنه يمثل قيمةً غذائيةً مهمة لا يستغني عنها الأهالي في الجبل، أيضًا يعتبر القمح محصولاً ذو قيمةٍ نقديَّة، لأن السكان يتعاملون به في معاملاتهم النقديَّة،

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢) نفسه.

(٣) الدخيل: **أخلاق أهل نجد**... المصدر السابق، ص ٦٥.

وفي دفع الأجور.[1] وتعتمد زراعة هذه الحبوب على مواسم الأمطار، وبعضها لا يتم السماح بزراعته إلا إذا كانت السنة وفيرةً فيها الأمطار، مثل ما حدث سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، حين سمح محمد بن رشيد للمزارعين بزراعة الذرة، لغزارة أمطار تلك السنة، وقد سبقهذه السنة بست سنوات تقريباً منع زراعتها؛ لشح مياه الأمطار، ولأن زراعة الذرة تحتاج إلى كمية كبيرة من المياه، وإذا ما لجأ المزارعون إلى زراعتها؛ فإن ذلك سيؤثر على منسوب المياه في الآبار.[2]

ولأهمية الحبوب؛ باعتبارها مصدراً غذائياً مهماً، لجأ السكان إلى تخزينها، وحفظ الفائض منها احتياطًا في مستودعات يتم بناءها في الدور العلوي في أغلب المنازل، ذلك كي لا تتأثر بالدواب والحشرات.[3] وتتم عملية التخزين لعدم ضمان الحصول على ما يكفي في السنوات المقبلة، خصوصاً إذا ما قلَّت مياه الأمطار، لذا في السنوات التي تقل فيها الأمطار؛ يتم تأمين حاجيات الجبل من هذه الحبوب من العراق، لاسيَّما الذرة والشعير.[4] أيضاً الأرز من أهم الحبوب التي يتم تزويد الجبل بها من العراق.[5] لكن على الأغلب يلجأ الأهالي لتخزين الحبوب حتى تكون رافداً لهم في سنوات القحط والغلاء.

وأبرز المناطق التياشتُهرت بزراعة الحبوب في الجبل؛ الحائط، إذ يزرع فيها القمح والشعير والذرة، حتى أن التبغ تمت زراعته في الحائط، على الرغم من النظرة الدونية التي يرى بها السكان التبغ، لكنه كان يزرع في الحائط على نطاق ضيق، ذلك لما كان يحققه من مكاسب مادية لزارعيه، إذ كان يباع المكيال الواحد منه بنصف ريال،

(١) الصغير: المرجع السابق، ص ١٩٩.

(2) Huber: op cit, p 403.

(٣) حسني: المصدر السابق، ص ٢٦.

(٤) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ٩٩.

(٥) نولده: المصدر السابق، ص ٥٠.

ويساوي المكيال حوالي ٥٠غراماً تقريباً، لكن في المقابل يعد تبغ الحائط أقل جودةً من تبغ العلا وتيماء، حيث إن المكيال في العلا وتيماء يباع بربع مجيدي، وفي خيبر بقرش.[١]

٣. الخضروات:

من أهم الخضروات التي يحرص سكان الجبل على زراعتها؛ الباميا والباذنجان والكوسة والقرع والبصل والثوم والكراث والطماطم والخيار والبطاطس[٢]، وتزرع هذه الخضروات بشكلٍ دوري، ويلجأ المزارعون إلى بذر الخضروات بين بساتين النخيل، ذلك كي تتم سقايتها من ضمن مجاري الماء التي تسقي النخيل، كما يتم اختصار الجهد بينها والنخيل.[٣] والغالب من هذه الخضروات تتم زراعته في فصل الصيف.[٤]

وفي موسم الربيع، خصوصاً إذا زادت مياه الأمطار؛ فإنه يتكاثر في أرض الجبل الفقع أو ما يُسمى الكمأ، وبأحجام كبيرة نسبياً، وتختلف أنواعه وألوانه، حيث الأبيض والأحمر والأسود[٥]، وقد أطلق عليه كثير من الرحالة الغربيين الذين زاروا الجبل اسم الفطر، على اعتبار طريقة استخراجه ونموه من دون زراعة في الأرض، لكن أسهب هوبر في وصفه، إذ ذكر أن سكان الجبل يسمون الأحمر الصغير منه الجوبا، والأبيض يسمونه الزبيدي أو البله، لكن السكان يفضلون الأصفر منه والمسمى الحبَّار، ويعد ظهور الكمأ في الأرض بعد شهرٍ من موسم الأمطار، وتحديداً في أكتوبر أو نوفمبر من كل سنة، حيث تكون فترة نمو الفقع في الأرض ما يقارب خمسين يوماً، تعرف

---

(١) هوبير: المصدر السابق، ص ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) حسني: المصدر السابق، ص ٢٧.

(٣) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١١٦.

(٤) المارك: المصدر السابق، ج٢، ص ٥٢٦.

(٥) حسني: المصدر السابق، ص ٢٨.

بالوسم، ويكثر الفقع في الجبل في سهول الجبال في سلمى والسمراء وأجأ، والأكثر منه يوجد في بالقرب من قفار، كما ينمو الفقع في النفود، ويعرف فقع النفود بأنه من النوع الأحمر، وفي مواسم تكاثر الفقع في الجبل؛ يصل سعره بقرش واحد، وحين يقل يصل إلى أربع أو خمسة قروش، لكن لم يذكر هوبر كمية ما يباع منه، أو حتى وزنه الم ُ باع، وفي ما يبدو أنه يباع بكميات متعارف عليها، وربما أن الكيلو قد يتواءم وهذه التسعيرة التي أوردها هوبر.[1]

وعادةً ما كان السكان يقومون بتقشير الفقع قبل استخدامه، ومن ثم غسيله وسلقه بالماء، حتى يتخلص مما يعلق فيه من أتربه ورمال، ويؤكل إما مع الخبز أو الأرز، بعد أن يتم تقطيعه إلى شرائح وفي البادية كانوا يلقونه في النار غالبً ا، ويأكلونه مع الخبز.[2]

٤ . الفواكه:

أيضً ا من المزروعات المهمة التي اشتُ هر بها الجبل الفواكه؛ مثل الرمان والخوخ والمشمش والتين والبرقوق والجوافة والتفاح والكمثرى والعنب والبرتقال والليمون واليوسفي والإترنج والبطيخ بأنواعه[3]، كما وصفت أشجار الفواكه بأنها كثيرة في الجبل[4]، وهناك مزارعً ا كاملة مخصصة لزراعة أشجار الفواكه بأنواعها.[5] واستأنس المزارعون بأشجار الفواكه، فغالبً ا ما كانت مكانًا يقضون فيه أوقات جلوسهم وتسامرهم.[6]

---

(1) Huber: op cit, pp 391-392.

(2) Ibid.

(٣) الصغير: المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٤) قاجار: المصدر السابق، ص ١٤.

(٥) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أبيش، ص ٢٥٥.

(٦) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٢.

كما حرص سكان الجبل على الاعتناء بزراعة أشجار الأثل، لأنها كانت تمد السكان بالأخشاب التي تستخدم في صناعات عدَّة، منها الأدوات المستخدمة في البناء وأدوات الطبخ وغيرها،[1] وتتم زراعته خلال سنتين ليكون صالحاً للاستخدام، وقد أحاط شجر الأثل ببعض مزارع النخيل، مشكلاً حدوداً للمزارع، ومن مميزاته أنه كان قوياً وناعماً. إضافةً إلى الأثل كان يزرع الرمث والعرفج، وتستعمل عروقه للمحروقات والاشتعال، لاحتوائه على مواد مشتعلة لا تحتاج إلى تجفيف، كما تأكل منه الإبل لطراوته.[2]

---

(١) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ٧٥.

(٢) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٢٩.

الرعي

اعتمد السكان في جبل شمَّر على الرعي، على اعتبار أنه أحد الركائز الأساسية لحياتهم الاقتصادية، كما أن إقليم الجبل إقليمًا رعويًا، استفادت منه البادية على نطاق واسع لتأمين حياتهم اليومية بالضروريات الغذائية، كما استفادت الحاضرة منه أيضًا.[1] ومن المعلوم أن الحياة الرعوية تعتمد على الغطاء النباتي، الذي ينمو تلقائيًا، بعد مواسم الأمطار، لذا ارتبطت الحياة الرعوية ارتباطًا مباشرًا بمواسم الأمطار[2]، فإذا ما زاد منسوب الأمطار؛ انعكس ذلك على حياة السكان في مناحٍ عدَّة من حياتهم الاقتصادية، لعل أبرزها الرعي.

كان الجبل من أفضل المناطق النجدية مناسبةً للرعي، إذ إنه في فترات الجدب وشُحِّ الأمطار بنجد؛ نلحظ أن الجبل أقل مناطقها تأثرًا، ذلك لما يتمتع به من وفرةٍ نسبية عن غيره في الأمطار السنوية.[3] لكنه يتأثر بعموم سنوات الجدب، لذا يلجأ سكان الجبل لتوفير ما ينقصهم من حيوانات من الأقاليم الأخرى، خاصةً الشمالية من العراق والشام، ما يعني صعوبة الاكتفاء الذاتي، خصوصًا في المواسم المجدِبَة.[4] تنوَّعت الحيوانات في جبل شمَّر، وتفاوتت بالنسبة لأهميتها لدى السكان، على اعتبار التقسيم الاجتماعي بين حاضر وبادية، وإجمالاً فإن أهم الحيوانات التي رعتها الجبل كالآتي:

١. الخيول:

تُعدُّ قبيلة شمَّر الأكثر اهتمامًا بالخيول في المنطقة، وبالتالي فإن ذلك جعل السكان كافة يتأثرون بهذا الاهتمام، ولهذا الاهتمام جذوره التاريخية، إذ إن أهم فروع قبيلة شمَّر من عبدَّة يعود في أصوله إلى الضياغم من عبيدَّة قحطان، ووصولهم إلى المنطقة

---

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢) الصغير: المرجع السابق، ص ٢١١.

(٣) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٤) الزعارير: المرجع السابق، ص ٣٠.

كان بعد هجرة الضياغم من وادي تثليث، وللضياغم اهتمام بالغ في الخيول، لذا استمر هذا الاهتمام حتى بعد أن دخلوا في عبدَّة شمَّر، فحفظوا أنقى السلالات من الخيول[1]، لذلك يقول الدخيل في تحفة الألبَّاء: "والخيل تقسم عند عربان نجد إلى ثلاثة أقسام: أصيل وهو ما عرف رسنه وأصالته، وهذا القسم لا يوجد إلا عند الأمير ابن رشيد والأمير ابن السعود وبعض رؤساء العشائر النجدية"[2]، ومما يدل على أن الجبل كان يحتفظ بأفضل سلالات الخيول في العالم؛ أنَّ هدف رحلة الليدي آن بلنت المُعلن كان الحصول على الخيول العربية الأصيلة، ونلحظ من خلال رحلتها، أنها أسهبت في وصف الخيول واسطبلاتها لدى ابن رشيد وقالت: "تعد مجموعة خيول ابن رشيد الأشهر حاليًا في جزيرة العرب"[3]وأعطت أسبابًا لذلك، حين ذكرت أن حيازة الأصيل منها رمزًا للقوة والسيادة بين العرب، كما أن ثراء ابن رشيد جعله يقتني أجودها بالشراء، كذلك قوته التي جعلته يكسبها من خلال حروبه التي كان يخوضها مع المناوئين له، لاسيَّما بعد أن بدأت الأمور في شبه الجزيرة العربية تقع تحت سيطرة الإمارة، بعد أن توفي الإمام فيصل وبدأ يدبُّ الخلاف على السلطة في البيت السعودي، ومن أبرز الخيول التي حصلت عليها الإمارة في حروبها كحيلان وكروش، العائديّن لقبيلة مطير.[4] كما أن محمد بن رشيد كان يفرض على القبائل التابعة له؛ أن ترسل إليه الخيول التي تكسبها من خلال حروبها مع أطراف أخرى، كما حدث أن طلب خيول قبيلة عتيبة التي كسبتها من قبيلة مطير.[5]

---

(١) العريفي: أحمد بن فهد، **تلويحات**، مطابع جاد، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ص ص ٣٨-٤٠.

(٢) الدخيل: سليمان بن صالح، **تحفة الألبَّاء في تاريخ الأحساء**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ص ٧٢-٧٣.

(٣) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٨٩.

(٤) نفسه، ص ٢٩٠.

(٥) المارك: المصدر السابق، ج٣، ص ص ٨٨٣-٨٨٤.

وقد أخذت خيول إمارة الجبل شهرة واسعة لدى القوى العالمية، مثل الدولة العثمانية وولاة مصر وبريطانيا، لذا كانت من أنفس الهدايا التي من الممكن أن تقدمها الإمارة إلى السلاطين والولاة، وأغلى السلع التي تبيعها في الأسواق العالمية المتخصصة ببيع الخيول، كما في الهند مثلاً، إذ اعتادت الإمارة إرسال مجموعة من خيولها سنوياً لبيعها في أسواق الكويت والعراق والهند، والتي كانت تدرّ أموالاً طائلة للإمارة.[1] ولشهرة ما كان جبل شمَّر يبيعه من خيول، وتأثيره في تسلح القوى العظمى؛ لجأت الدولة العثمانية إلى منع تصدير الخيول العربية الأصيلة، خصوصاً من جبل شمَّر إلى الهند، أو بيعها لبريطانيا، وقد تعذرت بمسألة الحفاظ على سلالة هذه الخيول من الانقراض، في حين أن الهدف الرئيس عدم حصول بريطانيا عليها لتتقوى بها.[2] ورداً على ذلك أرسل محمد بن رشيد رسالةً إلى الدولة العثمانية؛ يؤكد فيها على أن الجبل لم يرسل خيوله لبيعها على الدول الأجنبية، واسترضاء الدولة العثمانية بإرسال ٥٣ خيلاً للسلطان العثماني.[3] لكن في ما يبدو أن رسالة محمد لم تكن إلا امتصاصاً لردة فعل الدولة العثمانية، التي كانت متأكدةً أن ابن رشيد كان يخرق أوامرها ببيع خيوله للدول الأجنبية، ولا أدلّ على ذلك من الإحصائيات التي ترد ببيع خيوله في الكويت والعراق، وتصدير عدد منها إلى الهند.[4]

كما كانت الخيول من أنفس الهدايا التي تقدمها الإمارة إلى القوى التابعة لها، حيث اعتادت الإمارة على إرسال عددٍ من الخيول بشكلٍ سنويٍّ إلى أئمة الدولة السعودية

---

(١) الرشيد: المرجع السابق، ص ص ٦٢-٦٣.

(٢) **إدارة الأرشيف العثماني باستانبول:** قرار مجلس شورى الدولة العثمانية بمنع تصدير الخيول العربية الأصيلة للبيع في الخارج رقم (Y.Mtv.50/84)، بتاريخ ١٣٠٨/١٠/٢٧هـ الموافق ١٨٩١/٦/٥م.

(٣) **إدارة الأرشيف العثماني باستانبول:** رسالة من محمد بن عبدالله الرشيد إلى السلطان العثماني، يفيد من خلالها أن الإمارة ممتثلةً لقرار الدولة العثمانية في منع بيع الخيول الأصيلة إلى الدول الأجنبية، ويذكر أنه أرسل ٥٣ خيلاً هديةً للسلطان برقم (Y.PRK.BSK.45/101)، بتاريخ ١٣١٣/٢/١١هـ الموافق ١٨٩٥/٨/٣م.

(٤) أوردنا جدولاً خاصاً يحصي أعداد الخيول المصدرة إلى الخارج وقيمتها، ذلك لعددٍ من السنوات.

الثانية، كما قدَّمت الإمارة خيولاً لسلاطين الدولة العثمانية أيضًا بشكل سنوي [1]، خصوصًا بعد أن أصبحت الإمارة تتجه بولائها للدولة العثمانية، أيضًا اهتمَّت الأسرة الخديوية في مصر بخيول الجبل، وقد مرَّ معنا قصة طلب الخديوي لخيل عبيد ابن رشيد كروش.

في الغالب لا يمتلك الخيول إلا من كانوا على قدرٍ من الثراء، ذلك لقيمتها المرتفعة، إضافةً إلى ما يُصرف عليها من غذاء، لأنها تتغذى على الذرة والتمر، ومن المعلوم أن هذين المصدرين الغذائيين بحاجة إلى قدرة اقتصادية عالية، ما يعني أن امتلاك الخيول بأعداد كبيرة ينحصر في أُناس معينين من أبناء الجبل، خصوصًا إذا ما كانت لمن يمتلكون اسطبلات خاصة بالخيول.[2] وعلى الرغم من ذلك إلا أن حاضرة الجبل وباديتها يمتلكون الخيول أكثر من غيرهم في المناطق الأخرى من نجد، ونسبة ما تمتلكه الحاضرة أعلى من البادية.[3]

حَرِص أمراء الرشيد على أن يتفاخروا بخيولهم وقوتها، لذا يكثرون منها في معسكراتهم التي يقيمونها خارج الجبل، كما حدث مع بندر بن طلال حين كان معسكرًا جنوب جبل سلمى بمسافة تقدر بثلاث ساعات، حيث كان لديه في المعسكر قرابة ٥٠٠ خيل، يحرسها ٣٠٠ من الموالي، ويذكر غوارماني أنه لم يكن مسموحًا الاقتراب منها خشية الحسد، ولما كانت تمثله من مظهرٍ للقوة.[4]

تحتلّ الخيول مكانةً رفيعة في نفس مالكها، لذلك حين يُقدِم أحدًا على طلب شرائها؛ فإن ذلك مما يزعجه، وإذا ما اضطرَّ إلى البيع، فإن من شروط المبايعة أن يمنح البائع وليدًا مما باعه، وغالبًا ما يكون أنثى، ولو كان ذلك بعد أمدٍ بعيد، وقد

---

(١) الحماد: المرجع السابق، ص ص ١٧٠-١٧٢.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٩٢.

(٣) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٤) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ٥٩.

تعارف السكان على ذلك. لكن مع ذلك نجد أن بيع الخيول يكون في نطاق ضيِّق من قبل الأفراد، وفي حالات الضرورة فقط.(1) ومن الأمور التي تجعل الناس يحتفظون بخيولهم؛ أنها مصدر فخرٍ واعتزاز لمالكها.(2) ومن مظاهر اهتمامهم بالخيول؛ أنها تُسجل في شجرة نسب خاصة، وكلما أُنجب خيلٌ جديد سُجِل إلى جوار أمه وأبيه في الشجرة.(3)

ومن أسباب اهتمام جبل شمَّر بالخيول أيضًا؛ ما تمثله في استراتيجية جيوشها في الحروب، إذ يعتمد جيش الإمارة على الكر والفر، والسرعة في الهجوم على الخصوم وتفادي الخطر، ما جعلها مؤثرةً بشكلٍ كبير في المعارك التي كانت تخوضها الإمارة.(4) لذلك كان استخدام الخيول في حروب الإمارة؛ عاملاً ساهم في انتصارها في كثير من معاركها التي خاضتها(5)، حتى مع أكثر الجيوش تنظيمًا وقوةً، كما حدث مع جيش الدولة العثمانية الذي تناوش مع جيش محمد بن رشيد في الجوف سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، حين أظهر فرسان الإمارة فروسيتهم وقوتهم، ما جعل قائد الجيش العثماني محمد سعيد باشا يتراجع عن استقطاع الجوف من سلطة ابن رشيد، وإعادتها مرةً أخرى إليه، بعد أن لجأوا إلى الصلح بين الطرفين، وعلى غير رغبة أهالي الجوف الذين أنفوا سيطرة ابن رشيد عليهم.(6)

٢. الإبل:

اهتمَّ أبناء البادية في شبه الجزيرة العربية بتربية الإبل بشكلٍ كبير، حتى أنها كانت تمثل بالنسبة لهم مركز الصدارة من بين الحيوانات التي يهتمون بتربيتها، لأنها تقدِّم لهم ثروة

(١) حسني: المصدر السابق، ص ٩٧.

(٢) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٦.

(٣) باشا: المصدر السابق، ص ٢٩٩.

(٤) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٥) الذكير: المصدر السابق، ص ص٢٨٢-٢٨٥.

(٦) المارك: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٨٤٤-٨٥٣.

غذائية كبيرة، وتساعدهم في حياتهم الاقتصادية، والجبل كان من المناطق التي يتكاثر فيها المهتمون بالإبل، لذلك كان أهم المناطق التي اعتمد المصريون عليها في إمدادهم بالإبل خلال حملاتهم على الدولة السعودية الثانية، وقد كثر عدد الإبل التي تمتلكها الإمارة بعد ذلك، حيث وصل عددها إلى ما يقارب ٤٠ ألف رأس من الإبل في الجبل في عهد محمد العبدالله حسب داوتي، لكن العثيمين رأى في هذا العدد مبالغةً، إذ ذكر أنها ربما أربعين ألف مما كان يستطيع ابن رشيد جمعه من القبائل التابعة له.[١] وعلى كُلٍ فإن الإبل متوافرة في جبل شمَّر بشكلٍ كبير، وتتكاثر في مجتمع البادية عنه في الحاضرة، وبمعدل يصل إلى الضعف غالباً.[٢]

لوفرة الإبل في الجبل؛ تم استغلالها اقتصادياً، من خلال تصديرها إلى خارج شبه الجزيرة العربية، إلى العراق والشام، حيث كانت إبل الجبل من النوع الجيِّد مقارنة بغيره من أنواع الإبل، كذلك بيع ما تنتجه من وبر، وتأجيرها للقوافل المارة بالجبل، سواء بقصد التجارة أو الحج، كذلك تأجيرها للمزارعين، حيث تساعدهم في استخراج المياه من الآبار.[٣]

وللإبل صفاتٍ جعلتها مفضلةً لابن البادية عن غيرها من الحيوانات الأخرى؛ لما تتصف فيه من تحملٍ لقسوة طبيعة الصحراء، وتحملٍ للعطش يصل إلى أربعة أيام، وتخزينها للطعام في سنامها، إذ تستخدمه وقت الحاجة، ما يجعلها تقدم ما يتطلبه مالكها من قوةٍ ومجهود بأقلِّ التكاليف مقارنةً بغيرها، كذلك قدرتها على تحمل عناء السفر والمشقة في أسواء الأراضي، وفائدتها في المشاركة في الحروب.[٤] كما أن أبناء البادية يلجأون إلى إرسال إبلهم في حال طال بها المقام للنقل والسفر، حتى تتقوى،

(١) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٢) حسني: المصدر السابق، ص ٢٨.

(٣) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٤) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١١٩.

وكي لا تعتاد على الراحة، وبالتالي يؤثر ذلك بشكلٍ واضح على قدرتها وتحملها في ما بعد، وغالبًا ما يلجأ إلى ذلك أبناء الحاضرة.(١)

٣. الأغنام:

تُسهم الأغنام بشكلٍ أساسي في مد السكان بما يحتاجونه من لحوم وحليب ومشتقاته والسمن(٢)، وهي متوافرةبشكلٍ كبير في الجبل، وتمتاز أغنام الجبل كبقية الأغنام في نجد؛ بأنه يغلب عليها السواد، ويكسوها الشعر بدلاً عن الصوف في الغالب، وهي بذلك أقرب إلى الماعز في شعرها، أما الماعز فأقل نسبةً في عددها عن الأغنام.(٣)

وقالت الليدي آن بلنت عن أغنام الجبل: "أما الخرافالتي ظننتها في البداية ماعزًا، فهي حيوانات عجفاء طويلة القوائم، لها وبر ناعم طويل بدلاً من الصوف، ينمو أسفل شعر أرساغها، وأذان ملساء متدلية ووجوه أسيله. وهي فاحمة السواد برؤوس بيض، مع بقع سود حول أعينها وخشومها، تبدو بها كما لو أنها كانت تشرب حبرًا. إنهلبلتو أبعد ما يكون شبهًا بالخراف، بأشكال قوائمها وذيولها ووجوهها. لكن لها مزية كبرى هي استطاعتها الاكتفاء بعشب الأدر لمدة شهر كامل دون الحاجة إلى شرب الماء. وهي لذلك يخيل لي صنف خاص من الخراف تنفرد به نجد دون سواها"(٤)، والواضح من وصف بلنت؛ أنها تصف الخراف لنجديَّة، وقد أكدت على ذلك حين قالت أنه صنفٌ تنفرد به نجد دون سواها.

وقد كانت هذه الأغنام تمثل رافدًا اقتصاديًا بجانب قيمتها الغذائية، إذ ينشط بيعها على السكان وعلى الحجاج المارين بالجبل أو القوافل الأخرى، وقد تستهلك حملات

---

(١) لوريمر: المصدر السابق، ج٦، ص ٢٢٤٥.

(٢) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٣) حسني: المصدر السابق، ص ٣١.

(٤) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٣٧.

الحج أو قوافل التجارة أعداداً كبيرة من الأغنام إذا ما مرت بالجبل، لذلك تذكر بلنت أن واحداً من الرعاة؛ كان يقتاد ٤٠ خروفاً لبيعها على الحجاج الإيرانيين.[١]

وتأتي الخيول والإبل والأغنام في سنام اهتمامات الجبل بالمراعي؛ يليها الاهتمام بالأبقار للانتفاع بلبنها وزبدها ومشتقاته، كذلك استخدامها في سحب الماء من الآبار[٢]، وربما أن ذلك يعطي دلالةً على أن استخدام الأبقار والاستفادة منها اقتصر على الحاضرة من دون البادية، ذلك لأن البادية فقط تهتم بالإبل والأغنام والخيل. إضافةً إلى استخدام الحمير في التنقلات القصيرة واستخراج المياه من الآبار.[٣]

كماوجد في الجبل الغزلان والوعول، وغالباً ما كان الأمراء يحتفظون بها في بساتينهم، ويعملون على تربيتها، إذ تعتبر من الحيوانات التي تم تدجينها وألفت المكوث في مكانٍ واحد.[٤] أيضاً اهتم السكان من الحاضرة بالدواجن والطيور بأنواعها، خصوصاً الصقور التي تستخدم في رحلات الصيد، والحمام والدجاج.[٥]

وذكر أيضاً حيوان البدن، وقد وصف أنه أقرب ما يكون للماعز البري شكلاً، يحرص السكان على صيده في المناطق الجبلية، ذلك لطعمه اللذيذ، أيضاً الأرانب والضب، من الحيوانات التي يحرص السكان على صيدها وأكلها.[٦] وعرف عن سكان الجبل، خصوصاً الحاضرة كرههم للكلاب، لذلك يصف فالين ذلك بقوله: "أما الكلاب فمبغوضة هنا، ويشمئز منها أكثر من أي بلد إسلامي آخر زرتهولا أذكر أني صادفت كلباً في إحدى قرى المنطقة. وهي تهيم هزيلة، خائفة، ولها شكل الحيوانات البرية في الصحراء المحيطة

---

(١) نفسه.

(٢) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٣) نفسه.

(٤) أوتينج: المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٥) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص١٤.

(٦) حسني: المصدر السابق، ص ٣٢.

بالأماكن المأهولة، وكأنها تريد مرافقة الإنسان وتحس أنها ستقذف بالحجارة وتطرد فيما إذا اقتربت منه"[1]. يبدو أن وصف فالين مبالغٌ فيه للغاية، لأن الكلاب كانت تؤدي وظيفة الحراسة في غالب الأحيان، خصوصاً لدى البادية، كما يُستخدم أحد أنواع الكلاب في الصيد كالسلوقي.

(١) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ١١١.

التجارة: السلع القوافل،الأسواق، العُملات

أنعشت التجارة جبل شمَّر، وجعلت منه مكان جذبٍ اجتماعي وحاضرةً اقتصادية، يلجأ إليها الناس من كل مكان في شبه الجزيرة العربية؛ حتى يتزودون بضرورياتهم الغذائية والاستهلاكية. واكتسب الجبل هذه الميزة لموقعه الاستراتيجي على طريق القوافل بين شبه الجزيرة العربية والعراق؛ ولا مبالغة إذا ما قلنا أن الجبل كان البوابة الشمالية لشبه الجزيرة العربية الاقتصادية. لذا تحدثت الكثير من المصادر والمراجع التاريخية عن هذه الميزة، ووصفت ما يوجد في أسواقه من بضائع، لا يمكن وجودها في أسواقٍ أخرى، مثل أسواق الشام والعراق والخليج العربي، الأمر الذي يؤكد أن الجبل كان محطةً تجاريةً مهمةً في قلبِ شبه الجزيرة العربية.

ولهذا الانتعاش التجاري مقومات عدَّة، أهمها:

١. قرب الجبل من الأسواق التجارية المهمة:

وهذا المقوم يدعمه الموقع الجغرافي للجبل، حيث إن أقرب الأسواق التجارية المهمة العراق شمالاً، والكويت في الشمال الشرقي، والشام في الشمال الغربي، كذلك في وسطِ شبه الجزيرة العربية الأسواق النجدية في القصيم والرياض، وغرباً أسواق الحجاز، كل هذه الأسواق كانت على علاقة قويَّة مع الجبل، حيث تصدر إليها وتستورد منها.[1] ولم تكن هذه الأهمية التجارية مقتصرةً على التاريخ الحديث وحسب؛ إذ امتدَّ ذلك إلى عصور تاريخية أقدَّم، وإلى ما قبل الميلاد، لذلك سُمِّيَ الجبل مفتاح الصحراء قديماً، لما يمتاز به من أهميةٍ اقتصادية، منحه إياها الموقع.[2]

---

(١) السلمان: المرجع السابق، ص ٣٤١.

(٢) **الموسوعة العربية العالمية**: حائل، ج٩، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٧.

واستمر ذلك في العصور الإسلامية كافة، ويدلّ على ذلك الكشوف الآثارية للأميال والأعلام الخاصة بطرق القوافل من العراق إلى الحجاز ووسط شبه الجزيرة العربية، الموجودة في حدود جبل شمَّر، ولا يزال الباحثون يعثرون على أحجار المسافة الميلية التي تستدلّ بها القوافل في المنطقة، ما يعني أن المنطقة كانت شرياناً مهماً في طرق القوافل منذ فترات تاريخية مبكرة.[1]

وأكثر أسواق نَشَطت التجارة بينها والجبل؛ الأسواق التجارية في العراق، إذ كانت هي الأكثر مسابلةً مع الجبل[2]، ذلك لقربها الجغرافي من الجبل، لذا يقول فالين: "إن العراق أقرب سوق إلى شمَّر للغذاء والمؤن، وأرخص الأسواق في سني الجفاف، وفيه يستطيع البدو بيع جمالهم التي يستغنون عنها والاستبدال بها سلعة وكماليات قد يحتاجون إليها. والعادة أن تسير إلى ما بين النهرين قوافل كبيرة من الشمَّر أربع مرات في السنة، ولكن جماعات صغيرة منهم تسافر كل يوم تقريباً".[3]

وعلى الرغم من وجود أسواق منافسة وقريبة من الجبل، لعل أهمها القصيم؛ إلا أن سوق الجبل كان الأكثر هيمنةً في لعب الدور التجاري في ربط أسواق شبه الجزيرة العربية بغيرها، ويعود ذلك لحرص الإمارة على الاحتكار، من خلال علاقتها مع أسواق العراق تحديداً[4]، كما أن سوقها كان الأكثر نشاطًا مع الأسواق الأخرى، حيث يعدُّ شرياناً نابضاً للحركة التجارية.[5] وشمالاً اشتُهرت أسواقاً أخرى غير سوق الجبل في شبه الجزيرة العربية، سواء سوق الجوف التجاري أو وادي السرحان

(١) الراشد: سعد بن عبدالعزيز، **اكتشاف حجرين ميليين من العصر العباسي في منطقة حائل – دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها**، وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ص ٢٢٧-٢٣٦.

(٢) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٣) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ص ١٠٩-١١٠.

(٤) الرشيد: المرجع السابق، ص ١١٣.

(٥) الزهراني: المرجع السابق، ص ٦٥٥.

وغيره[1]، إلا أن هذه الأسواق لم تستطع أن تسحب البساط من استراتيجية الجبل الاقتصادية، فالجبل كان مدعومًا بإرثه التاريخي في طريق القوافل، كذلك أهميته السياسية ودوره في التأثير على مجريات الأحداث، وفي الغالب؛ فإن هذه الأسواق الشمالية تنضوي تحت نفوذ الجبل، وتعدُّ من أسواقه في فترة الدراسة.

٢. رعاية الإمارة للحركة التجارية في الجبل:

سعى أمراء الجبل إلى منح التجارة اهتمامهم البالغ، لأنها الأكثر قدرةً على إنعاش المنطقة، وجعلها تتسنم مصدرًا رياديًا في شبه الجزيرة العربية، سواءً على المستوى الاقتصادي أو السياسي لذلك لم تسعَ الإمارة إلى إرهاق التجار بمزيدٍ من الضرائب، عدا الأعشار الجمركية التي تأخذها، إضافة إلى الزكاة التي يقدمها التجار الدائمون في الجبل.[2]

وفي سبيل تحقيق هذه الحرية التجارية وإنعاشها، جلب أمراء الجبل تجارًا شيعة ويهود إلى بلدهم من العراق، كذلك تجارًا من سوريا؛ كي يعملوا على تنشيط الحركة التجارية، وقُدِّمت لهم التسهيلات الاجتماعية، وساهم الحكام في دمجهم في المجتمع وحمايتهم.[3]

بدأت الإمارة هذه السياسة الاقتصادية في توطين التجار في المنطقة منذ عهد طلال بن عبدالله الرشيد[4] لذلك عُدَّ التطوير الاقتصادي للمنطقة أهم منجزاته الحضارية، خصوصًا أنه كان يدرك أن مجتمعه في الأغلب من أبناء البادية، الذين يأنفون العمل في مهنة التجارة، ما جعله يفكر في جلب من يقومون بمثل هذه المهمة من الخبراء من أسواق أكثر خبرةً تجاريةً من الجبل، كما أنه بنى لهؤلاء التجار سوقًا جديدًا وزوَّده بالخدمات التي يحتاجونها، وكان هذا السوق يحتوي على ٨٠ محلاً، وهو سوق برزان

---

(١) كمالي: المصدر السابق، ص ٣٧٥.

(٢) السلمان: المرجع السابق، ص ٣٤١.

(٣) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٣١.

(4) Musil: op cit, pp 239-240.

الذي رافق اكتمال بناء القصر في عهده، وأصبح هذا السوق الأكثر شهرةً بين أسواق شمال شبه الجزيرة العربية.[1]

أيضاً سعى طلال إلى استقطاب مجموعة من الحرفيين والتجار في المناطق القريبة من الجبل، سواء من القصيم أو الجوف والحجاز[2]، وكان تجار القصيم الأبرز في سوق الجبل من التجار الذين تم استقطابهم محلياً، ذلك لما يتميزون به من مهارةٍ في مهنة التجارة، ولقبول المجتمع لهم بشكل أكبر من غيرهم، لاسيَّما وأن القصيم من أقرب البلدان النجدية طباعاً وتواؤماً للجبل ومجتمعه[3]كان أهل القصيم في الجبل قسماً مهماً من المجتمع، ساهم في إنعاش الحركة التجارية.[4] ويصف بلغريف ما قام به طلال من إجراءات في هذا الجانب: "ذلل طلال العقبات، وكرَّس كل همه ونشاطه لتنفيذ المزيد من مشروعات الأمن ووجه طلال عروضاً سخية لتجار من البصرة، ومن مشهد علي، ومن الوسيط، وإلى أصحاب المحلات في كل من المدينة واليمن، بالحضور إلى حائل ليفتحوا فيها محلات، وبخاصة في سوق حائل الجديد، كما أبرم طلال مع بعض التجار عقوداً حكومية مربحة لهم وله، كما منح بعضاً آخر من التجار امتيازات وحصانات، وأعطاهم جميعاً الحماية والتأييد".[5]

وسعى بقيَّة حكام آل رشيد بعد طلال للحفاظ على السياسة التجارية نفسها التي عمل بها طلال، وازداد هذا في عهد محمد بن عبدالله في إعطاء مزيداً من الحريات التجارية، ومحاولة إنجاز كثير من الصناعات في الجبل، بدلاً من استيرادها من الخارج، ذلك بتوطين الحرفيين.[6]

---

(1) Baran: op cit, p 57.

(2) Ibid.

(٣) الرشيد: المرجع السابق، ص ١١٤.

(٤) السلمان: المرجع السابق، ص ٣٣٩.

(٥) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٦١.

(٦) عبيد: المرجع السابق، ص ٩٨.

٣. الحفاظ على أمن القوافل:

أفادت الإمارة كثيراً من وقوعها على طرق القوافل، سواء التجارية أو قوافل الحج؛ لذا كان لزاماً عليها العمل على تأمين هذه الطرق، حتى تتمكن من إضفاء أهمية أكبر، وتعمل على أن يكون طريقها الأكثر ريادةً من قبل القوافل. ومنذ عهد طلال العبدالله والإمارة تسعى إلى تأمين طرق القوافل المارة بها، لذلك كلَّف عمَّه عبيد بن رشيد بفرض الأمن والطمأنينة على طرق القوافل، ذلك بتتبعِ كل من كان يسعى إلى تهديد القوافل والهجوم عليها من القبائل القريبة من الطريق بين الجبل والعراق، الأمر الذي جعله وخلال فترة وجيزة يحُكم سيطرة الإمارة على القبائل، ويهدد كل من كان يسعى إلى تقليل أمن طرق القوافل[1]، وقد وصل الأمر إلى أن بدأ قواد القوافل من الزبير والكويت والعراق يطلبون حماية عبيد بن رشيد شخصياً لقوافلهم، حتى لو لم تكن ستمر بالجبل، إذ يطلبون الحماية من مناطقهم حتى حفر الباطن، ومن ثم إلى المناطق التي ينوون الذهاب إليها، سواء القصيم أو الرياض أو الأحساء.[2] الأمن الذي فرضته الإمارة على الطرق؛ جعل القوافل تستغني في الغالب عن أولئك الأدلاء المنتمين للقبائل، الذين تهدف القوافل مرافقتهم من كل قبيلة يمرون بحدودها، حتى يأمنون شرها واعتداءها على القافلة.[3]

وبعد هذه الإجراءات التي سعت الإمارة إلى تحقيقها للحفاظ على أمن القوافل؛ استطاعت السيطرة على شبكة القوافل التجارية وقوافل الحج بين العراق وفارس في الشرق والحجاز في الغرب، وبات الجبل محطةً مهمةً وكبيرة لمرورها، بل بات أكثر إغراءً لقواد الحملات، لما يتمتع به من حماية وأمن، الأمر الذي أثر في ازدهار الحركة التجارية في الجبل، بشكلٍ أكبر مما كان عليه في السابق، وتضاعف ذلك مع مرور الزمن.[4]

---

(1) Musil: op cit, pp 239-240.

(٢) العليان: عبدالحميد بن عبدالعزيز، **جواهر الزبير**، ألوان للطباعة، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ، ص ٤٩.

(٣) حسني: المصدر السابق، ص ٢٣.

(٤) الرشيد: المرجع السابق، ص ١٠٧.

وقد وصل أمن القوافل في عهد محمد العبدالله إلى أن القوافل لم تكن تحتاج إلى حراسة في بعض المناطق التي تمر بها، ويؤكد ذلك قول يوليوس أوتينج: "على حين فجأة ظهر خلفنا ستة من عساكر الشيوخ الذين خصصوا لمرافقة قافلة الأرز، وحيث إن القافلة وصلت الآن إلى منطقة آمنة فلم يصبح لوجودهم معها ضرورة، لذلك فإنهم أسرعوا عائدين إلى العاصمة، وبينما يمرون بنا مسرعين ألقوا علينا التحية، وسألونا إذا كنا نعرف شيئاً عن مصير حملة الغزو، ولكن سرعة الريح منعت حدوث أي تفاهم بيننا، فانطلقوا مسرعين واختفوا عن أنظارنا".[1] أيضاً سعى محمد إلى تقديم الهدايا حيناً والتهديد في حينٍ آخر مع قادة القوافل؛ في أن يقتصروا في طرقهم على الطريق المار بالجبل، لذلك لم تعد القوافل الآتية من العراق تمر بالأحساء أو المناطق النجدية الأخرى، كما أجبر القوافل القادمة من القصيم إلى العراق المرور بالجبل.[2]

ولعل أبرز المشكلات التي واجهها محمد العبدالله في تأمين طرق القوافل؛ مشكلته مع قبيلة حرب، التي أرهقت الإمارة في تهديداتها للقوافل، حيث رأى ابن رشيد أن على الدولة العثمانية إما أن تقوم بمراقبة أعمال هذه القبيلة عن طريق واليها في المدينة المنورة، أو أن تقوم بإرسال قوات إضافية لقوات الإمارة لحماية القوافل، أو أن تدخل في مفاوضات وإغراءات مع رؤساء حرب لكفاية خطرهم، وعلى الرغم من آمال محمد بالدولة العثمانية لإنهاء هذه المشكلة، إلا أنه في الوقت نفسه لم يكن يعتمد على ذلك، حيث سعى جاهداً إلى استقطاب رؤساء حرب لإمارته، وتقديم المكافأت والهدايا لهم، ومع ذلك لم يكن يضمن عدم اعتداءهم على قوافله، لكنه حقق أمناً من دون ثقةٍ بهم.[3]

(١) أوتينج: المصدر السابق، ص١٢٥.

(٢) موزل: **عن التاريخ**... المصدر السابق، ص ص ٢٧-٢٨.

(٣) نولده: المصدر السابق، ص ص ٧١-٧٢.

وللحركة التجارية التي اكتسبها الجبل من موقعه؛ أصبح موئلاً لأهم البضائع، وباتت صادراته تصل إلى أبعد سوق من الممكن أن تصل إليها قوافله وحملاته التجارية، لذا بات ينعم بأنواع الحركة التجارية، وهي[١]:

- **محلية**: التبادل التجاري بين المُنتِج والمستهلك من المستقرين في الجبل.
- **إقليمية**: التبادل التجاري بين حاضرة المنطقة وباديتها، أو بين بلدات الجبل والبلدان الأخرى المجاورة لها في نجد.
- **خارجية**: التبادل التجاري بين سكان المنطقة والمناطق الأخرى خارج حدود نجد وشبه الجزيرة العربية، شمالاً.

السلع التي يصدرها الجبل:

صدَّر جبل شمَّر منتوجاتٍ عدَّة إلى الأسواق الخارجية، خصوصاً أسواق العراق في الدرجة الأولى، تليها أسواق الشام والحجاز في درجةٍ ثانية؛ وكانت أبرز منتوجاته: الصوف والبر، السمن ويسمى الدّهن، الأغنام، الإبل، الخيول[٢]، كذلك التمر بأنواعه. وكان التجار غالباً ما يذهبون بالإبلِ إلى مصر والشام، كما أقام كثير من أهالي الجبل في العراق، للمشاركة في حركة النقل بينها والشام والأقطار الأخرى القريبة منها، إذ قدموا الإبل كوسيلةٍ أساسية في ذلك، وهؤلاء كانوا يسمَّون بعقيلات[٣] الجبل.[٤] وقدُّرت صادرات نجد من الإبل إلى خارج

(١) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٢) موزل: **تاريخ بيت ابن رشيد**... المصدر السابق، ص ٥٦٧.

(٣) تمت تسميتهم بعقيلات الجبل تمييزاً لهم عن عقيلات نجد الآخرين؛ الذين عملوا في التجارة في بلاد الشام والعراق ومصر، وقيل أنهم وصلوا إلى السودان والهند، وعقيلات الجبل كانوا يمارسون العمل نفسه الذي يمارسه عقيلات نجد عموماً، حيث يذهبون بإبلهم إلى الأسواق خارج شبه الجزيرة العربية محملين بأهم البضائع المحلية، وفي حال عودتهم يأتون محملين بما تحتاجه الأسواق المحلية، لكن غالباً ما كان جلَّ وقتهم خارج مناطقهم المحلية، وقد تصل غيبتهم إلى سني عدَّة، وكانت لهم طرقهم الخاصة التي يسلكونها؛ (السويداء: عبدالرحمن بن زيد، **عقيلات الجبل**، دار الأندلس، حائل، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ص ١٣-١٤١).

(٤) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٣٢.

شبه الجزيرة العربية حوالي ٢٠ ألف رأسًا، بواقع ١٠ ليرات عثمانية للرأس الواحد، ما يعني أن المجموع حوالي ٢٠٠ ألف ليرة عثمانية سنويًا؛ كان نصيب جبل شمَّر منها كبيرًا، ذلك عطفًا على أن أسواق العراق والشام ومصر كانت الأكثر استهلاكًا لها، وبالتالي قوافل الجبل كانت نشطَّةً في هذه الأسواق، ما جعلها تستهلك كل ما يُرسل من الجبل إليها، إما للبيع أو التأجير.[1]

والتمر كان يُصدَّر إلى الحجاز، والسمن إلى البصرة والكويت والحجاز، والخيول إلى العراق والخليج والهند؛ بقصدِ الربح والمتاجرة، حيث إن كلَّ سوقٍ كانت لها حاجة ألحَّ من الآخر لأحدِ منتوجات الجبل، لاسيَّما وأن خيل الجبل كانت الأجوَّد وتمثل دخلاً ثابتًا، على الرغم من أن بيع الخيل بالنسبة للإمارة؛ كان أمرًا في غاية الصعوبة، لما كانت تمثله الخيول من أهمية بالنسبة للسكان؛ إلا أن بيعها كان ملِّحًا لزيادة الدخل المادي.[2] أيضًا من الأشياء المرغوبة من صادرات الجبل في الأسواق الأخرى؛ الخيام أو بيوت الشَّعر.[3]

عادةً ما تكون المعاملات التجارية لتجار الجبل في الأسواق الأخرى بالمقايضة، حيث يقايضون ما يحملونه من بضائع وسلع بما يحتاجونه من تلك الأسواق، فمثلاً يقايضون بالأقمشة والحبوب والحُصُر وغيرها مما يحتاجون[4]، أيضًا من المعاملات التي اشتُهر التعامل بها غير الثمن الحاضر؛ الثمن المؤجل[5]، وهذا مما يؤكد ما وصلت إليه الثقة التجارية بين تجار الجبل ومن يتعاملون معهم في الأسواق الأخرى.

---

(١) الذكير: المصدر السابق، ص ٣١٩.

(٢) الدخيل: **أخلاق أهل نجد**... المصدر السابق، ص ص ٣٥-٣٦؛ العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٣) حسني: المصدر السابق، ٣٥.

(٤) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٥) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٩٦.

السلع التي يستوردها الجبل:

تأتي على رأس هذه المنتوجات الحبوب، التي يصعب على الجبل زراعتها في سنوات الجفاف وقلة الأمطار، وغالباً ما يؤتى بهذه الحبوب من أسواق العراق، ذلك لأنها الأرخص في سني الجدب، وتتوافر فيها الحبوب بشكلٍ دائم.[١] وعلى الرغم من أن الاعتماد الأساس في توفير الحبوب في أسواق الجبل من العراق، إلا أن التجار كانوا يستوردون الرز والقمح والشعير والسكر من مصر، أيضاً الرز والتوابل من الهند، والقمح والشعير والبنُ من اليمن، والفواكه المجففة من سوريا، ولكن كل ذلك كان على نطاقٍ أضيق مما يستوردونه من العراق.[٢]

أيضاً من المنتوجات التي يحتاجها الجبل باستمرار، ويوفرها من أسواق العراق وغيرها؛ الأسلحة والذخائر[٣]، وقد استوردتها الإمارة على نطاق واسع؛ ذلك باعتبارها إمارةً عسكرية حربية، انشغلت بذلك في غالب فترات حكمها، ومع تطور الآلة العسكرية في ذلك الزمن، احتاج السكان لتأمين الذخائر والأسلحة المتطورة من مدفعية وبنادق متطورة. وتركّز استيرادها الأسلحة وذخائرها من الكويت وبقية المناطق في الخليج العربي، كذلك العراق.[٤] وفي محاولة الإمارة للاكتفاء ذاتياً ببعض المنتوجات العسكرية؛ فإنها استوردت الرصاص والحديد والنحاس كي تصنع خراطيش البنادق محلياً، والكبريت لصنع البارود.[٥]

كذلك كانت تستورد عدداً من المواد الغذائية، والأقمشة التي تأتي من الهند وبريطانيا، وأشهرها البفتة، وغيرها من الملابس والمؤن، التي لا تتوافر في أسواق الجبل، كالفؤوس

---

(١) لوريمر: المصدر السابق، ج٦، ص ٢٢٤٦.

(٢) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٣) موزل: **تاريخ بيت ابن رشيد**... المصدر السابق، ص ٥٦٧.

(٤) حسني: المصدر السابق، ص ٣٦.

(٥) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٣٠.

والعتلات الحديدية والشماعات المصنوعة من الرصاص، والمجوهرات وأدوات الزينة والحُ لِي ّ ، كذلك الأحذية، والتبغ الذي يؤتى به من العراق، والعباءات الرجالية أو ما يسمى البشوت، التي يؤتى بها من الشام.[1]

---

(١) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٥١.

القوافل

اعتنت الإمارة بقوافل الحج والتجارة المارة بها، لذلك كانت لها تنظيمات مهمة في هذا الجانب، فإضافةً إلى ما كانت تسعى إليه من تأمينٍ للقوافل؛ حرصت على أن تكون لها الريادة في إمارة الحج وقوافل التجارة. وإمارة الحج منصب لم يكن طارئًا؛ إذ اهتمت الدول الإسلامية على مر التاريخ الإسلامي بهذا المنصب، وأولته عنايةً خاصة منذ عصر النبوة والخلافة الراشدة، بحيث أصبح لكل طريق من طرق قوافل الحج أميرًا يتولى شؤون الحملة وحمايتها، بل وصل الأمر إلى أن أصبح كل أمير مدينة يرسل قافلة بأميرٍ خاصٍ به في بعض الأحيان، ويأتي من الإقليم الواحد أكثر من حملة على كل واحدةٍ منها أميرًا.(1) ومن أهم القوافل التي تأتي سنويًا لأداء فريضة الحج؛ قوافل العراق وفارس، التي تمر على الأغلب عن طريق جبل شمَّر، وذلك عن طريق النجف إليها، ويعد هذا الطريق هو الطريق الرسمي لقوافل الحج العراقية، لوفرة الآبار فيه، ولأن حالته العامة أكثر أمنًا من غيره.(2) كما أن هذا الطريق لم يحوِ فقط حجاج فارس والعراق؛ إذ يأتي من خلاله تقريبًا جميع حجاج آسيا الآتون عن طريق البر، حيث يجتمعون في الكوفة، ومنها تنطلق حملاتهم إلى وسط الجزيرة العربية، وتمر من خلال جبل شمَّر.(3)

لكثرة الحجاج القادمين عن طريق العراق؛ فإن القوافل لم تأتِ فقط عن طريق الجبل، إذ كانت هنالك طرق من وسط نجد في القصيم والرياض، وحين كان مصدر الثقل السياسي الرياض، كانت قوافل الحج تمر بها، لكن يبقى الأشهر الطريق المار بالجبل، لأنه الأقرب تقريبًا

---

(1) فهد: بدري محمد، **تاريخ أمراء الحج**، مجلة المورد، العدد (٤)، المجلد ٩، العراق، ١٩٨٠م، ص ص ١٧٩-١٨٢.

(2) الراوي: عبدالجبار، **البادية**، ج١، (د.ن)، بغداد، ط٣، (د.ت)، ص ص ١٣٣-١٣٩.

(3) مالكي: سليمان عبدالغني، **طريق ركب الحاج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد**، مجلة الدارة، العدد (٢)، السنة ٩، محرم ١٤٠٤هـ/ أكتوبر ١٩٨٣م، ص ص ٩-١٠.

إلى الحجاز، كذلك ما يحتوي عليه من وفرةٍ للمياه والتجهيزات اللازمة من خانات وتوفير للجمال عن طريق سكان الجبل.(١)

للدولة العثمانية اهتمامات عدَّة في قوافل الحج؛ من ضمنها إمارة الحج، حيث أصبح لقبًا وظيفيًا فيها، يعني الرئاسة أو القيادة أو الولاية، يُعنى بقيادة الحجيج إلى مكة المكرمة والعودة بهم، ويشرف عليهم، ويحافظ على صُرَّة الحرمين التي ترسلها الدولة العثمانية إلى أشرافها، كما كان يهتم بإعداد الآبار ومنازل الحج وحراستها، وقطع المسافة في وقت مناسب، أيضًا من مهامه الحفاظ على الأمن في القافلة، وكانت الدولة العثمانية في كل عام ترسل أمرًا بتعيين أميرٍ للحج في الولايات التابعة لها.(٢)

ولأن إمارة جبل شمَّر كانت تقع على أهم الطرق لقافلة حج العراق؛ فإنها أرادت أن تكون لها الكلمة في قيادة الحملات، وتفرض تنظيمها على تنظيم الدولة العثمانية، ذلك من خلال إمرة الحج من قبلها، حيث تضمن الإمارة من خلال تسلم هذا المنصب أمن القافلة، وقيادتها من العراق إلى مكة لتحقق أكبر فائدة من ذلك، لذلك كانت الإمارة ترسل أحد أبناء آل رشيد لملاقاة الحاج عند الحدود العراقية، وفي وقتٍ متأخر أصبح أمير الحملة يدخل إلى العراق ويلتقي قواد الحملات، ويتفق معهم بعد أن يقنعهم بمرافقته ليمروا بالجبل، ويمكثوا قرابة الأسبوعين، وبالتالي تنشط حركة التجارة فيه، وبعد أن يتحرك الحجاج؛ يقوم الأهالي ببيع الجمال أو تأجيرها على الحملة.وتحقيقًا لضمان مرور القوافل وقَّع طلال بن عبدالله اتفاقيَّةً مع الفرس؛ تقضي بتوفير الأمن والأدلاء لحجاجهم، مقابل رسوم مادية على ذلك.(٣)

---

(١) النجار: جميل موسى، **الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧م**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ص ١٠٠-١٠٤.

(٢) بركات: مصطفى، **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص ص ١١٢-١١٦.

(3) Baran: op cit, p 58.

لم يكن اهتمام الإمارة بطرق قوافل الحج والتجارة على عهد إمارة آل رشيد في الجبل فقط؛ حيث اهتمَّ آل علي بذلك أيضاً، لكن هذا الاهتمام لم يكن كما هو الحال بعد ذلك في عهد آل رشيد. ومما يثبت اهتمام الإمارة بقيادة قوافل الحج والتجارة من العراق من قبل؛ أن من ضمن الآراء التي تحدثت عن ظروف تعيين عبدالله بن رشيد على إمارة الجبل، أنه في بداية الأمر عُيِّن من قبل الإمام فيصل بن تركي أميراً على القوافل في ظل وجود آل علي.[1] وبعيداً عن مسألة صحة مثل هذه الرواية؛ إلا أنها في الوقت نفسه تعطي دلالةً على اهتمام الجبل بقوافله الآتية من العراق، لذلك كان لإمارتها أهميةً بالغة، أغرت عبدالله بن رشيد في قبولها إن صحَّت الرواية.

كما أن إمارة الحج كانت تعطي مكانةً لم يتولاها من أبناء آل رشيد، ففي عهد طلال تولى أخيه متعب هذا المنصب[2]، ومن بعهد أخيه محمد، الذي قالت عنه الليدي آن بلنت أنه يجمع بين علوِّ القدر ويحقق الربح الوفير، الأمر الذي جعل محمد يعقد مجموعة من الصداقات في العراق والحجاز.[3] ومنحت إمرة القوافل محمد أيضاً مكانةً لدى الدولة العثمانية، التي عرفته قبل توليه مقاليد حكم الإمارة، ما دعا الدولة العثمانية منحه وساماً بعد توليه.[4] ولعل من أهم أسباب حرص بندر بن طلال خلال حكمه على استرضاء عمه محمد وعودته إلى الجبل بعد الجفوة التي حصلت بينهما؛ هو أن قواد القوافل والأهالي لم يعدوا يثقوا بأمنِ الطرق بعد محمد، ما جعلهم يطالبون بعودته، لما يتمتع به من ثقةٍ عالية من قبل الحملات والأهالي، ومقدرةٍ على هذه المهمة.[5] ومن أهم الأسباب التي ساعدت محمد على اعتلاء عرش الإمارة على حساب ابن أخيه بندر؛ هو استغلاله إمرة القوافل، ذلك لأنه

---

(١) الدخيل: **القول السديد**... المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٢) الرشيد: المرجع السابق، ص ١١٦.

(٣) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٢٩.

(٤) الحماد: المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٥) موزل: **تاريخ بيت ابن رشيد**... المصدر السابق، ص ٥٦٨.

استعان بقبيلة الظفير المعادية لبندر، والتي حذرّ عمّه من الاستعانة بهم، ومما يبدو أن محمدًا كان قد تعمّد الاستعانة بالظفير لاستفزاز بندر، ومن ثم إيجاد ما يقتله بسببه، لاسيَّما وأن بندر خرج إلى القافلة قبل دخولها حائل، وتلفَّظَ على عمِّهِ حتى وثب عليه وقتله. ومما يؤكد ترتيب محمد للأمر؛ أنه ما إن قتل ابن أخيه حتى حاصر حمود العبيد قصر طلال، وقتل جميع إخوة بندر باستثناء واحدًا منهم، كان صغيرًا في السن، لتخلو الساحة لمحمد.[1]

استغلّ محمد خبرته في إمرة الحج بعد توليه الإمارة؛ إذ عمل على تنشيط الحركة التجارية مع العراق، كذلك زيادة أعداد المارين بالجبل من الحجاج، وفرضَ حماية أكبر على طرق القوافل، حتى أنه بات مسؤولاً عن أي تصرف تقوم به قبيلة شمَّر أو أي قبيلة تابعة له ضد أي قافلة، حتى لو لم تكن في حدود إمارته، ومن ذلك ما تعرضت إليه قافلة تجارية عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م بين تدمر ودمشق من سلب على أيدي أفراد من قبيلة شمَّر، الذين لجأوا إلى الجبل بعد فعلتهم، ما دفع ابن رشيد بإعادة جزء مما سلبوه، ودفع تعويضات للقافلة عمَّا استُهلِك أو ما لم يتم إيجاده مما سُرق.[2]

منحت قوافل الحج إمارة الجبل طوال فترة حكمها دخلاً ماديًّا عاليًا، وصل إلى أن أُخذ من الحجاج ما يقارب مجيديًا عثمانيًا في الذهاب إلى الحجاز، ومجيديًا عثمانيًا في العودة إلى ديارهم، كما أُخذ جزء من السلع التي يحملونها بقصد التجارة خلال موسم الحج، كنوع من الأعشار عليها[3]؛ حيث كان الفرس على الأغلب يحملون عددًا من الجمال التي تحمل الأقمشة والسلع المتنوعة، وقد ذكرت بلنت أن قافلة الفرس التي مرت بحائل أثناء إقامتها؛ كانت تحمل ما يقارب ١٢ جملاً محملة ببالات القماش، الأمر الذي ينعكس على

---

(١) الذكير: المصدر السابق، ص ص ٢٦١-٢٦٣.

(٢) **إدارة الأرشيف العثماني باستانبول**: برقية من والي بغداد إلى الباب العالي برقم (Y.PRK.MYD.10/5)، يتحدث فيها عن قوافل الحج المارة بجبل شمَّر، ودور إمارة آل رشيد في الحماية وتوفير ما تحتاجه القوافل، وما تتقاضاه الإمارة من أموال وفائدة اقتصادية، بتاريخ ١٣٠٨/٥/١١هـ الموافق ١٨٩٠/١٢/٢٣م.

(٣) موزل: **تاريخ بيت ابن رشيد**... المصدر السابق، ص ٥٧١.

انتعاش الحركة التجارية في أسواق الجبل في موسم وصول الحجاج إليها، وغالباً ما كان الحجاج الفرس يتخوفون في بداية وصولهم من دخول الأسواق، إذ يسبقهم إلى دخولها دراويش بغداد، بعد ذلك تتم عملية الحركة التجارية خلال فترة مكوثهم[1]، وذلك بمبادلة ما يحملونه من بضائع بسلع يحتاجونها من سوق الجبل خلال رحلتهم إلى الحجاز كم أغذية أو جمال، وقد حرص أمراء الجبل على أن تمكث هذه القوافل أطول فترة ممكنة في الجبل، حتى يزيد ذلك من فائدة السوق، ولم يكن أمام قواد الحملات من الفرس والعراقيين وغيرهم سوى الانتظار حتى يتم الإذن لهم بالمغادرة، لأنهم كانوا تحت رحمة الإمارة وحمايتها، لذا غالباً ما يمتثلون لرغبتها.[2]

وكانت الإمارة تسعى لامتصاص استياء الحجاج ببقائهم فترةً أكثر من اللازم في الجبل؛ بما كانت تقدمه من ولائم، تصل في بعض الأحيان إلى إرسال ١٠٠ خروف تقريباً لإطعامهم يومياً، إضافة إلى تبادل الزيارات بين الأمير وقادة الحجاج.[3] وغالباً ما يصل عدد أفراد الحملة إلى ما يقارب ٣٠٠٠ حاج، تلجأ الإمارة إلى توفير الطعام لهم، كذلك تعيين أميري حج بدلاً من واحد.[4] وكل ما زاد عدد أفراد الحملة، كلَّما زادت فائدة الإمارة الاقتصادية.

أيضاً في مقابل اهتمام إمارة الجبل بقوافل الحج؛ فإنها اهتمَّت بقوافل التجارة على الدرجة نفسها تقريباً، حيث إن القوافل عموماً كانت تحقق الفائدة نفسها للإمارة، لذلك كان أمراء الجبل يرسلون سنوياً ما لا يقل عن أربع قوافل تجارية تقريباً إلى العراق، يُعيَّن عليها قائداً من قِبل الإمارة، وغالباً ما يكون من أبناء الأسرة الحاكمة، أو أن يُناب أحد رؤساء

---

(١) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ص ٧٥-٧٩.

(٢) الرشيد: المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٣) قاجار: المصدر السابق، ص ص ١٣-١٧.

(٤) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٦٣.

القبائل التي تمر من خلالها القافلة، يعمل على حصر عدد الجمال التي ترافق الحملة، ليأخذ منها الأعشار، أو الرسوم التي تفرضها الإمارة عليها، حيث كان يؤ خذ ربع مجيدي عن كل جمل للبادية، ونصف مجيدي عن كل جمل يخص التجار، وقد تقل أو تزيد هذه التعرفة الجمركية حسب سنوات الجدب والجفاف.[١]

ساهمت قوافل الحج والتجارة في ازدهار العلاقات السياسية بين العراق والجبل، إذ قوّت الصلات، ذلك لما كان من مصلحة مشتركة تقوم على أساس الحماية والحراك التجاري، لذلك لجأت الإمارة إلى سياسة عدم التدخل في الشؤون الخاصة للتجار، سواءً في أسواقها أو في الأسواق الخارجية[٢]، ما أثر في ازدهار السوق المحلية، واحتوائها على الضروريات الغذائية والاستهلاكية.[٣]

كما كان للقوافل دوراً في تنشيطالصناعة المحلية، لأن كثيراً من الحرفيين كانوا يرافقون الحملات في رحلاتها، سواءً من الجبل أو من المناطق الأخرى، سواءً من القصيم والجوف داخل شبه الجزيرة العربية، أو من العراق والشام، كما لاحظ داوتي مرافقة دروز الشام لإحدى الحملات، الأمر الذي أثر في ازدهارطلناعات، واستفادتها من خبراتٍ عدّة، من أكثر من مكان.[٤]

---

(١) موزل: **تاريخ بيت ابن رشيد**... المصدر السابق، ص ٥٦٧.

(2) Baran: op cit, p 121.

(٣) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٨٨.

(٤) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٧٤.

الأسواق

يُعدُّ السوق مركزًا مهمًا في المدن لممارسة الأعمال التجارية فيه، لذلك احتلت الأسواق مركزًا مهمًا في وسطِ المدن، وغالبًا ما كانت الأسواق في نجد مكشوفة السقف، وأُخذ في الاعتبار أيضًا اتساع شوارعها، كي تسهل التنقلات بين الدكاكين، وتسهل حركة القوافل التي تدخل السوق بشكلٍ مستمر، وكان سوق حائل عاصمة الجبل؛ من أشهر الأسواق في نجد.[1]

كان سوق حائل يقع في منتصف المدينة، وفيه مجموعة من الدكاكين، ويتصل بمجموعة من الأسواق الفرعية، حيث يوجد في اتجاه سوقًا للقمح والحطب والعلف البري، كذلك شارع فرعي لسوق النساء، يسمى بسوق الصفاقات له باب، يبعن فيه التمر وزينة النساء[2]، كما يبعن الأعشاب والسلع المشابهة لها.[3] كذلك يوجد سوق لبيع اللحوم، ويسمى سوق القصابين، خارج بوابة السوق، وحسب داوتي؛ فإن قياس السوق الممتد بشارع طويل قرابة ٢٠٠ خطوة، تنتشر الدكاكين على جانبيه، وعددها ١٣٠ دكانًا مملوكًا للأمير يستأجره التجار منه، كما امتلأ السوق بالدلالين والسماسرة الذين ينتشرون في ساحة السوق.[4]

وقبل سوق برزان الذي اشتُهر بعد عهد طلال بن عبدالله؛ كانت الأسواق موجودة في حائل داخل الأحياء، ففي كل حي كانت توجد مجموعة من الدكاكين المتناثرة، لذلك كان أهالي حائل يسمون الأحياء بالسوق، وبعد عهد طلال نجد أن السوق أخذ دوره الرئيس في الثقل التجاري، والمكان الأكثر ريادةً لحراكه، وبدأ بناء هذا السوق بثمانين

(١) الزهراني: المرجع السابق، ص ٦٨٤.

(٢) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٢٩.

(٣) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ٧٠.

(٤) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٣٠.

دكانًا[1]، وصل عددها بعد ذلك إلى ١٣٠دكانًا، ذلك بزيادة ٥٠دكانًا تقريبًا، ما يعني أن الحركة التجارية كانت في ازدياد، ما تطلب زيادة عدد المحال معها.

يبدأ العمل في السوق من بعد صلاة الفجر تقريبًا إلى الساعة العاشرة صباحًا، بعد ذلك يستأنف العمل فيه الثالثة من بعد الظهر حتى المغرب تقريبًا، وذلك بشكل يومي.[2] وكان في السوق مجموعات من الناس من أقطار مختلفة، الغالب منهم مقيمٌ في الجبل لممارسة مهنة أو تجارة، سواءً من مشهد أو البصرة أو بغداد في العراق[3]، كذلك دمشق، أو مجموعات محلية من القصيم والمناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية. كما جاء مجموعة من التجار من أقطار أخرى فقط لفترات قليلة، ومن ثم يغادرون، فقط لبيع سلع معينة، ومن ثم المغادرة.[4]

كان سوق برزان وأسواق الجبل كافة تتعامل بالطرق التجارية نفسها في عصر الدولة السعودية الثانية، والموجودة في شبه الجزيرة العربية، من خلال العرض والطلب والمقايضة، حيث يتم التعامل بالنقد الفوري أو المؤجل أو المُقسط أو المداينات، وكل هذه التعاملات التجارية كانت مكفولةً بمراقبة الإمارة لها، تحقيقًا لأوامر أئمة الدولة السعودية الثانية في مراقبة الأسواق، سواءً في ما يختص بالتعاملات أو الأسعار والأوزان والمقاييس والمكاييل، وكل ذلك كان متأثرًا بالحال السياسية والظروف الطبيعية[5]، بحيث ترتفع الأسعار في سنوات انعدام الأمن أو سنوات الجدب، وتقل في سنوات الاستقرار السياسي والسنوات التي تزيد فيها كميات الأمطار.

---

(1) Baran: op cit, p 57

(٢) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ٦٢.

(٣) نفسه، ص ٦١.

(٤) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٥١.

(٥) الزهراني: المرجع السابق، ص ص ٦٩٢-٧٠٠.

الأوزان والمقاييس والمكاييل:

كانت أوزان ومقاييس ومكاييل أسواق الجبل هي نفسها اوزان ومقاييس ومكاييل الدولة السعودية الثانية، حيث استُخدمت الموازين الآتية(١):

١. **الوزنة**: أكثر الموازين المستخدمة في نجد، وغالبًا ما كان البيع والشراء بها، واشتُهرت في وزن التمور بالجملة، وتساوي ٧ أرطال تقريبًا ويساوي ذلك ماديًا ٦٤ ريالاً فرنسيًا، وأحيانًا تقل إلى ٢٠ ريالاً فرنسيًا، وتستثنى من السلع في الوزنة اللحوم.

٢. **المَن**: يستخدم في وزن التمور أيضًا والسمن وخلافه، ويبلغ المَن في نجد حوالي ٣٣ وزنة، وغالبًا ما يستخدم في مبيعات الكميات الكبيرة نسبيًا.

٣. **الموسمية**: وهو الوزن الخاص ببيع الحبوب والأرز بالجملة، وتساوي ٢٣٠ رطلاً، وتختلف الموسمية حسب استخدامها، بحيث تختلف في الأرز عن الحبوب في ما يختص بالقياسات.

وغالبًا هذه هي الأوزان المستخدمة في الجبل؛ قياسًا على ما هو مشهور في الأسواق النجديَّة، وقد ذُكرت أنواع أخرى من الأوزان في شبه الجزيرة العربية، خصوصًا في شرقها، لكنها لم تكن مشهورةً في نجد، كما الوزنة والمَن والموسمية. كما وجدت وحدات وزن صغيرة كالحبة التي تساوي ٣ غرامات، والتولة التي تساوي ٣٠ حبة، التي تستعمل في وزن المعادن الثمينة من الذهب والفضة وخيوط الحرير والأدوية.(٢)

أما أشهر المقاييس:

---

(١) أبوعلية: **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر**... المرجع السابق، ص ص ٣٨١-٣٨٢؛ الزهراني: المرجع السابق، ص ٧١٢-٧١٣.

(٢) السلمان: المرجع السابق، ص ص ٣٦١-٣٦٢.

١. **الذراع الطبيعي**: الذي يمتد من رؤوس الأصابع حتى المرفقويساوي تقريباً ٤٥ سنتيمتر، ويستخدم في بيع الأقمشة، وفي قياس أطوال المنازل وعرضها، وقياس المساحات بشكلٍ عام.(١)

٢. **الباع**: وهو المعروف بالقامة، ويساوي أربعة أذرع، ويستخدم في بيع الحبال وقياس أعماق الآبار والعيون وغيرها.(٢)

وقد عُرفت مقاييس أخرى غير الذراع والباع، وهي الوار الذي يساوي ٠,٧٥ من الذراع، كذلك المفرس وهو عبارة عن مربع طول ضلعه يساوي ٥ أذرع، لكن هذه المقاييس نادرةجداً، وغالباً لم تستخدم في الجبل غير الذراع والباع.(٣)

أما المكاييل فكانت تُصنع من الخشب، حتى يسهل حملها، وتحافظ على شكلها ووظيفتها فترة أطول(٤)، وأشهر المكاييل(٥):

١. **الصَّاع**:وهو ما يكال به الحبوب من قمحٍ وشعيرٍ وحنطة، ويقسم إلى ثلاثة أمداد، ويقدَّر الصاع ما بين ٥,٣-٨ أرطال.

٢. **المُدّ** : يساوي ثلث الصاع، ويستخدم لإخراج الزكاة، لأنه يستخدم لكيل الحبوب المختلفة.

٣. **النصيف**:أيضاً يستخدم للحبوب، ويقسم إلى ربعين وأربعة أثمان.

---

(١) نفسه، ص ٣٦٣.

(٢) الزهراني: المرجع السابق، ص ٧١٧.

(٣) نفسه.

(٤) الدخيل: سليمان بن صالح، **خاتمة البحث في إمارة السعود**، مجلة لغة العرب، ج٨، السنة الثالثة، ربيع أول ١٣٣٢هـ الموافق شباط ١٩١٤م، ص ٣٩٦.

(٥) الزهراني: المرجع السابق، ص ٧١٦.

وتختلف الموازين والمقاييس والمكاييل من مكانٍ إلى آخر بشكلٍ بسيط، لكن الأهم في الأمر أن تحمل هذه الموازين والمقاييس المكاييل ختم الإمارة، ذلك بعد أن يطلع عليها الأمير بنفسه ويقرها، وهذا تنظيم درجت عليه الدولة السعودية الثانية، حتى يتم الحفاظ على الأسواق من الغش والتلاعب[1]، ويؤكد ذلك حرص أئمة الدولة السعودية الثانية على تحقيق العدالة من خلال رسائلهم وخطاباتهم للرعية، ومن ذلك رسالة الإمام تركي ونصيحته للأمراء التابعين له: "كذلك المكاييل والموازين وأنا ملزم كل أمير يحضر مكاييل بلده كبارها وصغارها وينظر فيها عن الخلل وتكون مكيال واحد، كذلك تفعلون بالموازين، وتفقدوا الناس في كل شهر، ولا يحل بخس المكيال والميزان، ولو كانت المعاملة مع ذمي".[2]

وبالنسبة للصاع؛ فغالباً ما كان يختلف سعره، لكن لا يختلف كيله، بحيث يقل سعره في سنوات الرخاء، ويرتفع في سني الجدب، ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن بشر لاختلاف الأسعار حسب السنوات، ومن ذلك ما ذكره في أحداث سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م من كثرة الأمطار، وزيادة الخير، حتى وصل سعر عشرة أصواع ريالاً واحداً[3]، وفي سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م بلغ سعر البر ٣٥صاعاً بريال واحد، والتمر سبعون وزنة بريال[4]، وفي سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م ٢٥ صاع من البر بريال[5]، وسنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م التي قلّ فيها المطر وغلت الأسعار وصل سعر ٦ أصواع من البر بريال، والتمر ١٥ وزنة بريال.[6]

---

(١) الدخيل: **خاتمة البحث في إمارة السعود**... المصدر السابق، ص ٣٩٦.

(٢) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ١١٧.

(٣) نفسه، ص ٦٠.

(٤) نفسه، ص ٧٦.

(٥) نفسه، ص ٩١.

(٦) نفسه، ص ١٣٩.

العملات

من المعلوم أن النظام النقدي يتصدر وسائل التعاملات التجارية في الأسواق، وحال أسواق جبل شمَّر في استخدام العملات والنقود؛ حال بقيَّةِ أسواق شبه الجزيرة العربية، حيث لم يكن هنالك نقودًا خاصةً بالمنطقة، لاسيَّما وأن لذلك أسبابًا أبرزها عدم الاستقرار السياسي، ما أدى إلى الاستعانة بالنقود المحلية في شبه الجزيرة العربية، ونقود القوى المتنفذَّة كالدولة العثمانية، أو النقود الأجنبية الأخرى التي وجدت رواجًا، بحكم قوتها المادية. لذلك قسَّمنا العملات والنقود المتداولة إلى أقسامٍ ثلاثة:

١ العُملات المحلية:

وجِد في شبهِ الجزيرة العربية مجموعةً من العملات والنقود التي تخص بعض الأقاليم، سواءً في اليمن، عُمان، الحجاز، الأحساء، وعملة سُكَّت في عصرِ الدولة السعودية الأولى، وكل هذه العملات استُخدِّمت في المنطقة النجديَّة على نطاقٍ ضيِّق، تكاد تكون في حدود مناطقها التي سُكَّت فيها، والقريبة منها.[1] غير أنها كانت موجودة ومعروفة. ومن أشهرِ العملات المحليَّة المتداولة في نجد؛ الطويلة وهي عملة تخص الأحساء، وتشبه الملقط أو المشبَّك، تُصنع من النحاس أو الفضة[2]، لجأت الدولة السعودية الأولى إلى سك عملة مشابهة لها وبالاسم نفسه، كُتب على أحدِ طرفيها اسم الإمام الذي سُكَّت في عهده.[3] لكنها لم تجد رواجًا بعد عصرِ الدولة السعودية الأولى، وبقي التداول بطويلة الأحساء فقط. ومن خلال الوثائق المتوافرة لتعاملات الجبل التجارية؛ لم نجد ذكرًا لعملةِ الطويلة، وقد يعود ذلك إلى أن هنالك

---

(١) مؤسسة النقد العربي السعودي: **تطور النقود في المملكة العربية السعودية**، إصدار خاص بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، ص ٢٦.

(٢) نفسه، ص ٢٧.

(٣) الزهراني: المرجع السابق، ص ٧٠٢.

من العملات ما يطغى في التعاملات التجارية، لكن في الوقت نفسه لا نستبعد أنه كان هنالك استخداماً لها على نطاقٍ ضيِّق جداً، بحكم شهرتها ووجودها في أسواق نجديَّة أخرى.أيضاً وجدت بعض العملات المحليةالأخرى؛ التي اشتُهر استخدامها في نجد؛ كالأحمر والمحمديَّة والجديد والمتليكة، لكنها أيضاً من العملات التي لم تجد رواجاً بحكم عدم اعتراف الدولة العثمانية فيها بتعاملاتها وزكاتها، لذلك استُخدمت على نطاقٍ ضيق في نجد.[1]

٢ العُملات العثمانية:

كانت العُملات العثمانية هي الأكثر تداولاً في تعاملات الجبل التجارية، وقد استُخدمت على نطاقٍ واسع، كما أن العملات العثمانية مرت بمراحل ومسميات، كانت بدايتها بالآقجة[2]، ومن ثم انتقلت لمرحلة القرش والبارة[3]، ومن بعدها الليرة والمجيدي. وأشهر هذه العملات العثمانية المستخدمة في الجبل:

- **القرش**: نقود عثمانية فضية بُدء في سكها عام ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م، ويعادل القرش الصحيح منها ٤٠ بارة، كما راج قرشٌ آخر يعادل ١٠ بارات[4]، لكن القرش الرائج والذي تعامل به أكثر الناس؛ هو القرش الصحيح الذي يساوي ٤٠ بارة.

---

(١) أبوعلية: **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية**... المرجع السابق، ص ص ٣٧٩-٣٨٠.

(٢) الآقجة عُملة الدولة العثمانية الرئيسة في بداية سك عملة خاصة بها، حيث سُكَّت من الفضة سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م في عهد السلطان أورخان، واستمر تداولها في حدود الدولة ما يقارب ٣٦٠ عاماً، بعدها بدأت هذه العملة تفقد قيمتها، لذلك تم استبدالها بالقروش والبارة سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م؛ (محمود: سيد محمد، **النقود العثمانية**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٢٨).

(٣) البارة عملة عثمانية فضية سُكّت لدعم الآقجة سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م، وتساوي ٤ من الآقجة، وفي البداية كانت تزن ما يقارب ٥,٥ قيراط، تناقص بعد ذلك وزنها حتى وصل إلى ٠,٥ قيراط، حيث هبطت بهبوط الآقجة وضعفها في التداول؛ (العزاوي: عباس، **تاريخ النقود العراقية**، شركة التجارة والطباعة، بغداد، ط١، ١٩٥٨م، ص ١٤٦).

(٤) القريني: محمد بن موسى، **الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ص ٢٧٧.

كما كان القرش العثماني يساوي ٠,٣ من الريال الفرنسي، و٠,١٤ روبية هندية، كما كانت المئة قرش تساوي ليرةً ذهبيةً عثمانية.[١] وقد استُخدمت القروش العثمانية في جبل شمَّر بشكلٍ كبير، حيث كانت تحدد فيها قيَّم بعض السلع الاستهلاكية البسيطة، مثل ما أورده هوبر حول أسعار الفقع والزبيدي في أسواق الجبل، و حددها بالقروش العثمانية.[٢]

- **الليرة الذهبية العثمانية:** جاءت مرحلة التعامل بالليرة العثمانية خلال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، حيث أتت هذه العملة كي تعمل على الرفع من قيمة النقد العثماني، حيث كانت تساوي ١٠٠ قرش عثماني، وباتت الليرة الذهبية هي عملة الدولة العثمانية الرئيسة.[٣] كما عُرفت هذه العملة باسم العصملي، وتساوي بالعملات المتداولة في زمنها ١ ريالاً فرنسياً، و١٢ روبية هندية، و١٨ شلناً إنجليزياً.[٤] أيضاً استُخدمت هذه العملة بشكلٍ واسع في الجبل، حيث كانت تستخدم في دفع المبالغ الكبيرة، خصوصاً في دفع الزكاة السنوية.[٥]

- **المجيدي:** يُعدُّ المجيدي من أهم العملات العثمانية الرائجة في الجبل خلال فترة الدراسة. وهي عملة فضية منها ربع مجيدي ونصف مجيدي وثمن مجيدي، والمجيدي يساوي ٢٠ قرشاً عثمانياً بعيار ٩٠ من الفضة، وتحديداً بالجرام يساوي ٢٤,٠٥٥.[٦]

(١) الزهراني: المرجع السابق، ص ٧٠٤.

(2) Huber: op cit, pp 391-392.

(٣) محمود: المرجع السابق، ص ٢٩.

(٤) الزهراني: المرجع السابق، ص ٧٠٤.

(٥) حسني: المصدر السابق، ص ٦٦.

(٦) محمود: المرجع السابق، ص ٧٤.

وكانت للعملات العثمانية مسميات وتفريعات عدَّة إضافةً إلى الليرة والمجيدي والقرش والبارة؛ حيث عرفت أسماء أخرى وتجزيئات محلية، كالشامي والقران والريال والقمري وغيره من المسميات الأخرى، للعملات العثمانية.(١) وعلى الرغم من انتشار النقد العثماني، وشهرته في التداول؛ إلا أن هنالك من العملات الأجنبية ما كان ينافسه، ويطغى عليه في بعض الأحيان، وقد تعود منافسة النقد الأجنبي للعثماني لأسبابٍ عدَّة، أهمها أن الدولة العثمانية نفسها ومنذ نشأتها كانت تقبل التعامل بالعملات الأجنبية في حدودها، كذلك ما تعرضت له العملات العثمانية من حالات تدهور في بعض الأحيان، خصوصاً لأسباب سياسية واقتصادية، لعل أهمها منافسة العالم الأوروبي للدولة العثمانية سياسياً واقتصادياً، إذ نجحت بعض العملات الأجنبية في سد الثغرة التي أوجدتها العملة العثمانية في بعضِ الفترات التاريخية، واستمرت بعد ذلك، حتى بعد أن تعافت العملة العثمانية من خلال الإصلاحات.(٢)

٣. العُملات الأجنبية:

كانت العملات الأجنبية ذات انتشار واسع في جبل شمَّر وفي شبه الجزيرة العربية بشكلٍ عام، كذلك في الأقطار القريبة الأخرى منها. يأتي على رأسها:

- ريال **ماريا تريزا**(٣): كثُر استخدامه في أسواق شبه الجزيرة العربية، وإذا ما أُطلق اسم الريال في المنطقة؛ فغالباً يكون القصد ريال ماريا تريزا النمساوي، الذي يسميه أهالي

---

(١) الصانع: عبدالرزاق وعبدالعزيز العلي، **إمارة الزبير بين هجرتين ٩٧٩-١٤٠٠هـ**، ج٢، مطابع مقهوي، الكويت، ط١ ،١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٢٥٣.

(٢) الصاوي: أحمد، **النقود المتداولة في مصر العثمانية**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م، ص ص ١٤٥-١٤٧.

(٣) الحقيقي ثالر نمساوي، غير أنه شاع خطاءً اسم ريال فرانسي بين الناس، وقد سُكَّ عام ١١٩٣هـ/١٧٨٠م في عهد الإمبراطورة النمساوية ماريا تريزا، وهو مسكوكٌ من الفضَّة، وقد حافظ الثالر النمساوي على قيمته وعياره طوال فترة استخدامه في العالم؛ (مؤسسة النقد العربي السعودي: المرجع السابق، ص ١٩).

شبه الجزيرة باسم الريال الفرنساوي[1] أو تجاوزًا في بعض الأحيان يطلق ريال على العملة العثمانية المجيدية، وقد حدث خلطٌ كبير في هذه المسألة في اسم الريال في أكثر من مكان في شبه الجزيرة العربية وخارجها.[2] ويساوي ريال ماريا تريزا شلنًا إنجليزيًا أو ما يقارب ٠,٤ بنسًا، كذلك يساوي ١,٤ روبية هندية، و٣ قروش عثمانية، وقد سمحت الدولة العثمانية في بعض المناطق التابعة لها في شبه الجزيرة العربية بجباية زكاتها بالريال النمساوي.[3]

- **الجنيه الذهبي الإنجليزي**: يوازي في شهرةِ استخدامه الريال الفرانسي في شبه الجزيرة العربية، وقد سمُيَّ أبو خيَّال، ذلك لصورة الخيَّال الموجودة على أحد وجهيه، ولقي رواجًا لثبات وزنهو عياره، بحيث يزن ٧,٩٨٨٠٥ جرامًا من الذهب.[4] وأهالي الجبل كانوا يطلقون على الجنيه الإنجليزي اسم جنيَّات أو بنتو.[5]
- **الغازي الفارسي**: كانت الإمارة تتقاضي من الحجاج الفرس المارين بأراضيها بالغازي الفارسي أحيانًا[6]، والغازي عملة فارسية قديمة، تساوي ٢٤ قرشًا عثمانيًا، واشتُهر منها نصف الغازي وربع الغازي.[7]

---

(١) الزهراني: المرجع السابق، ص ٧٠٥.

(٢) يعود الخلط في اسم الريال إلى أصل كلمة ريال اللاتيني، الذي يعني الملكي، وأول من تداوله في العالم بهذا الاسم الأسبان، حيث انتشر في الأسواق التجارية، وهو عبارة عن النقد الفضي المسمى بالبيزو، واستخدم في العالم العربي اسم الريال على العملات الفضية الكبيرة، سواءً كانت أسبانية أو فرنسية أو نمساوية، لذلك صار الاسم ريالاً لأيِّ عملة معدنية فضية كبيرة؛ (فهمي: عبدالرحمن، **النقود المتداولة أيام الجبرتي**، دراسات وبحوث ندوة عبدالرحمن الجبرتي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٥٧٨).

(٣) أبوعلية: **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية**... المرجع السابق، ص ٣٧٥.

(٤) مؤسسة النقد العربي السعودي: المرجع السابق، ص ٢٠.

(٥) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ١٨.

(٦) قاجار: المصدر السابق، ص ١٢.

(٧) الفارسي: تركية، **العلاقات التجارية والمؤثرات الحضارية بين عُمان والدولة العثمانية**، مجلة نزوى الإلكترونية، العدد (٤٦)، ٢٠٠٩/٧/١٩م.

الحِرف والصناعات

سعى النجديون إلى توفير حاجاتهم الضرورية من الصناعة محلياً، ذلك من خلال تحويل المواد الأولية إلى ما يعود عليهم بالنفع وخدمة أعمالهم اليومية، وفي الأغلب كانت هذه الصناعات بسيطة وبدائية، تطورت بتطور الإنسان، وزيادة حاجاته الاستهلاكية.(١) وتعدُّ منطقة جبل شمَّر إحدى المناطق التي ازدهرت فيها الصناعة بشكلٍ واسع، حسب إمكانات العصر ومتطلباته، يدعمها في ذلك مقومات عدَّة، لعل أهمها ما حظيت به من امتزاجٍ سكاني، ووفود فئات سكانية من خارج شبه الجزيرة العربية؛ عملت على تطوير الصناعات اليدوية.

وحال جبل شمَّر حال بقية المناطق النجدية الأخرى في ما يختص بالنظرة الاجتماعية لممارسة المهن والحرف اليدوية؛ التي تعيب أن يمارس ابن القبيلة مهنة يدوية، لما في ذلك من امتهان بحسب ما يراه الأهالي، وخدمةٍ للغير(٢)؛ على الرغمِ من الحاجة التي كانوا يؤمنون بها لضرورة وجود صناعات محلية، تعمل على الاكتفاء الذاتي، وعدم اللجوء لأسواق قد تتحكم بضرورياتهم اليومية. وقد لا يعي الحاجة الضرورية إلا أبناء المنطقة، لذلك لا بد أن تكون هذه الصناعات محلية، كي يتم تطويرها بحسب حاجة المجتمع.

ربما أن الصناعة والحرف في نجد كان سيهيأ لها مناخاً وتطوراً أفضل مما كان عليه، فيما لو أن الأهالي تخلصوا من نظرتهم تجاه من يمارسون المهن، خصوصاً وأنهم يعمقون النظرة الإقصائية، التي تترجمها الطبقيَّة التي كانوا يتعاملون بها مع الأسر التي تمارس العمل الحرفي؛ ذلك من خلال عدم تزويج أبناء هذه الطبقة، ولا حتى الزواج منهم، لذلك لم يكن المناخ الاجتماعي مناسباً لتطور الصناعة وتقدمها، لخوف أغلب السكان من إقصائهم، ودنو

(١) الصغير: المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(٢) أبوعلية: **تاريخ الدولة السعودية الثانية**... المرجع السابق، ص ٣٢٣.

مكانتهم في ما لو قاموا بالعمل اليدوي.[١] لذلك اقتصر عمل الأسر المحافظة على مكانتها الاجتماعية في الزراعة والتجارة والرعي، على اعتبار أن هذه الأعمال تم استثناؤها من الأعمال التي يُنظر على أنها مهينة.[٢]

وفي تقييمٍ عامٍ لهذه النظرة الاجتماعية للصناعة والحرف اليدوية؛ فإننا نخلص إلى أن المجتمع كان يمارس انتقائيةً واضحةً لنظرته هذه، ذلك لأن الزراعة والتجارة و الرعي كانت مهن وممارسات اقتصادية كغيرها، لكن في ما يبدو أن ابن القبيلة لم يكن ليترك هذه العوائد الاقتصادية تدرّ على غيره من دون مشاركته، لذلك مارس انتقائيته. إضافةً إلى أن الزراعة تعني امتلاك الأرض، ما يعني أن هنالك ممارسة على أساس إقطاعي، بحيث يلجأ الأهالي إلى الاتفاق مع غيرهم من الطبقات الأخرى، كي يعملوا على المشاركة في محصول الأرض، مقابل العمل اليومي، من دون المشاركة في ملكيَّة الأرض.أيضًا التجارة كانت من الأشياء المربحة، لذلك انخرط أبناء المجتمع كافة بممارستها، لاسيَّما وأنها تقوم على البيع والشراء من دون العمل يدويًا بحرفة قد تحط من القدر، وبالنسبة للرعي؛ فإن ذلك من أساسيات حياة القبيلة في البادية، وفي الغالب فإن أسر الجبل وغيرها من المناطق النجدية الأخرى، حتى وإن تحضَّرت إلا أنها في الأساس ذات منشأ بدوي، لا يرى ضيرًا في ممارسة مهنة الرعي، لذل تم استثناء الرعي والزراعة والتجارة من المهن التي نبذها ابن القبيلة.

ولعل ما فات من تقييم النظرة الاجتماعية للممارسات الاقتصادية، يؤكد على قاعدة مهمة؛ تخلُص إلى أن الاقتصاد مؤثر مهم في حياة المجتمعات، وقد يصل بها إلى التنازل عن كثير من العادات والتقاليد، حتى تم ذلك بطرق مختلفة ومبرَّرَة، ولا أدلَّ على ذلك من أنه بعد استتباب الأمن، وجنوح المجتمع في الجزيرة العربية إلى التحضُّر والتمدُّن، والتخلص من

---

(١) السويداء: عبدالرحمن بن زيد، **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**، ج٢، دار السويداء، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) الزهراني: المرجع السابق، ص ٥٥٩.

حياة الفوضى في فترات تاريخية متأخرة، خصوصاً بعد تأسيس المملكة العربية السعودية؛ نجد أن المجتمع بدأ يكسر قاعدته الاجتماعية بممارسة المهن والحرف، لأن كثيراً من أبناء الأسر والقبائل أصبحوا يمتلكون متاجراً ومحالاً للحرف اليدوية والمهن المختلفة.

وفي العودةِ إلى إمارة الجبل وحرفها والمهن التي كانت تُمارس فيها؛ فإن الإمارة سعت إلى تشجيع الصناعة والحرف المختلفة؛ ذلك من خلال تشجيع التوطين، واستجلاب أرباب الحرف والصناعات من أماكن مختلفة لتجاوز النظرة الاجتماعية، سواءً من العراق كما حدث مع أهالي مشهد لممارسة التجارة والمهن المختلفة الأخرى[1]، أو من برز من أبناء المناطق القريبة الأخرى في شبه الجزيرة العربية في حرفةٍ وصناعةٍ يفتقر إليها الجبل، من الجوف والقصيم[2]؛ لذلك كان سوق حائل مصدر جذبٍ لهذه الفئات من الناس، قصدوها من المناطق القريبة والبعيدة. وكان لأهالي القصيم النصيب الأكبر في ممارسة المهن في سوق الجبل من أبناء المناطق القريبة، ويقول بلغريف عن ذلك: "حضارة القصيم قديمة وعريقة علاوة على أن سكان القصيم يتمتعون بخبرة أكبر في كل من الصناعات اليدوية على اختلاف أنواعها، وفي التجارة، تلك الصناعات التي تتفوق تفوقاً كبيراً، على مثيلاتها الموجودة لدى القبائل الشمالية التي تكونت مؤخراً"[3]، ويقول داوتي أيضاً: "والعمال الذين يجلبون الحطب والعلف، ويقطعون من أجل ذلك مسافات طويلة داخل الصحراء، هم أولئك الذين يطلق الناس عليهم هنا اسم القصمان، وهم عمال كدّادين أجانب يفدون على حائل من القصيم، وأهل جبل شمَّر من البدو لا يصلحون لمثل هذه الأعمال"[4]، لذلك كانت قبائل المنطقة تتنقل مع مجموعة من أصحاب المهن والحرف البسيطة، ممن يحتاجون إلى خدماتهم، لأنهم لا يمكن أن يستغنوا عن صناعة ضرورياتهم، التي يحتاجون إليها بشكلٍ مستمر، مثل صناعة

---

(١) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٢) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ١٤.

(٣) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٩٦.

(٤) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ١٤.

حدوات الخيل، والأسلحة والأدوات التي يستخدمونها في الطبخ، وبعضاً منهم كان يمارس مهنة التطبيب.[1]

اشتهرت مجموعة من الصلبة في جبل شمَّر، وأخذت صيتاً واسعاً في ذلك، خصوصاً في بعض الصناعات التي كانت فيها الأبرز في الدلال والأشدَّة وغيرها. ومن أهم الصناعات المشهورة:

النجارة:

وجد النجارون موادهم الأولية متوافرة في طبيعة الجبل، ذلك لكثرة شجر الأثل، الذي يقومون بتحويله إلى مواد مستهلكة كالأطباق الخاصة بالأكل، وسرج الإبل أو ما يُسمى الأشدَّة[2]، كذلك الأبواب وأقفالها، وتهيئة الأخشاب التي يتم استخدامها في البناء، وعجلات استخراج الماء من الآبار، كذلك تخشيب أدوات الزراعة[3] وصناعتها كالمساحي والمناجل.[4] ومن أشهرِ الأسر التي مارست مهنة النجارة في سوق جبل شمَّر؛ الشدوخي[5] والجميل[6]، حيث كانت الأشدَّة والسروج والمباخر التي يصنعونها الأشهر.[7]

ومن المصنوعات الخشبية التي اشتُهرت في جبل شمَّر الآتي:

---

(١) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٩.

(٢) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ١٤.

(٣) الزعارير: المرجع السابق، ص ٢٠٠.

(٤) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٥) مجموعة من الأسر في حائل تسكن حيَّي سماح والجديِّدة؛ (القويعي: **أقوال ومسائل**... المرجع السابق، ص ١٤٨).

(٦) عدَّة أُسر تقطن حائل منذ فترات قديمة، تسكن في حي الجراد وحي البزيعي، وسوق سمير؛ (القويعي: **أقوال ومسائل**... المرجع السابق، ص ١٤١).

(٧) الصغير: المرجع السابق، ص ٢٢٤.

الأشدَّة والسلالم تُعدُّ أشدَّة الجبل الأشهر في شبه الجزيرة العربية تقريبًا، لا سيَّما الأشدَّة التي تُصنع في جبة، كذلك أشدَّة حائل، أما التي تُصنع في حائل فكانت أشدَّة الشدوخي أفضلها، لكن إذا ما قورنت بأشدَّة جبة، فإن الأخيرة الأكثر رغبةً لدى الناس، لقوتها وإتقان صنعتها. أما السلالم فبالإضافة إلى استخدامها في الصعود إلى الأماكن المرتفعة؛ كانت تستخدم كنعش يحُمل عليه المتوفى.(١)



صورة رقم (١): شداد وسلَّم من مصنوعات جبل شمَّر.(٢)

(١) رواية الأستاذ خالد بن حمود المطرود بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ، وهو مهتم بالتراث والمتاحف، وصاحب متحف "لقيت للماضي أثر" بحائل.

(٢) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.



صورة رقم (٢):شَداد من صناعة جبة.[1]



صورة رقم (٣):شدَاد من صناعة أسرة الشدوخي.[2]

٢. **الأدوات الخشبية المستخدمة في البناء:** من أهم الأدوات الخشبية المستخدمة في البناء؛ اللبَّانة وهي التي تحدد المقاس الخاص باللبن المستخدم في البناء، حتى تتم عملية تساوي اللبن، ويأخذ المقاس المطلوب، ثم يستخدم في البناء، أيضًا صناعة الأبواب والأقفال الخشبية، كذلك تهيئة الجريد والأخشاب التي يقوم

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

ستخدامها المِعمار في سقف المنازل، لذلك كان عمل النجار أساسياً في عملية البناء العام، ابتداءً بالمرحلة الأولى، وانتهاءً بالمرحلة الأخيرة في تركيب الأبواب، وتوفير ضروريات المنزل.[١]



صورة رقم (٤): نموذج اللبَّانة المستخدمة في قياس اللبن.[٢]



صورة رقم (٥): نموذج للأسقف التي كان يتم البناء على غرارها، وتتضح الأخشاب التي يتم استخدامها فيها، ويعمل النجار على تهيئتها.[٣]

---

(١) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٣٦-٢٣٨.

(٢) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.

(٣) نفسه.



صورة رقم (٦): نموذج للأقفال الخشبية القديمة، المستخدمة في جبل شمَّر.(١)

٣. **الأدوات الخشبية المستخدمة في الزراعة**: أهم هذه الأدوات التي يصنعها النجار للزراعة؛ العجلات التي تساعد على جلب الماء من الآبار، كذلك تخشيب أدوات الزراعة الأخرى، والحراثات اليدوية المصنوعة من الخشب وغيرها من الأدوات الصغيرة التي يحتاجها المزارع في عمله من الأخشاب.(٢)



صورة رقم (٧): العجلة المستخدمة في رفع المياه من الآبار، كذلك مجموعة من الأدوات الخشبية التي يحتاجها المزارع من مطارق ومحراث خشبي ومحشات.(٣)

---

(١) نفسه.

(٢) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٣) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.

٤. **عقَب البندقية:** من أهم الصناعات الخشبية التي اهتمت بها الإمارة، ذلك لأهمية الأسلحة والبنادق، لذلك كثُرت صناعتها، وأصبح لها مقاسات محدَّدة، لتتواءم وصناعة البندقية.[1]



صورة رقم (٤٨): عقَب البندقية المصنَّع في الجبل، والمقاس المُستخدَم في صناعته.[2]

٥. **الأدوات المنزلية المستخدمة بشكل يومي**:ومن هذه الأدوات ما يُسمى العرقايَّة، وهي ما تقوم بعمل الثلاجة حالياً، لكن ليست بالدرجة نفسها، إذ تعمل على حفظ اللحم بمكان مرتفع، ليبقى أيام قليلة، والعرقايَّة ليست من الأدوات الخاصة بالجبل، إذ إنها أداة استُخدمت في نجد بشكلٍ عام، أيضاً المشَّاية التي تستخدم لتدريب الطفل على المشي، كذلك أداة شبيهة بالسلم صغيرة الحجم، تُستخدَّم في تعليق اللحم لعمل الوشيِّق[3]، وهو اللحم الذي يغلى بالماء والملح يترك في الهواء ويُقدَّد، ويبقى لفترات طويلة.[4] وغير ذلك من

(١) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٢) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.

(٣) رواية الأستاذ خالد بن حمود المطرود بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.

(٤) ابن منظور: المصدر السابق، ج١٥، ص ٢١٩.

الأدوات المنزلية المستخدمة بشكل يومي من عمل النجارة، التي تعتمد على الصناعات الخشبية من دواليب وأرفف وخلافه.



صورة رقم () الأداة المُستخدمة لتعليق اللحم، وتُسمى الوشّاقَة.[1]



صورة رقم (١٠) العِزقَايَّة التي تستخدم لحفظ اللحم معلقًا في السقف، بعيدًا عن القِطط والحشرات، وتحتوي على فتحات من جميع جوانبها للتهوية على اللحم، ليساعد على حفظه لفترة أطول.[2]

---

(١) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.

(٢) نفسه.



صورة رقم (١١):مصيَّدة يتم تعليقها على السقف، يُصطاد بها الطيور.[1]



صورة رقم (١٢):مشَّايَّة تستخدم لتدريب الطفل على المشي.[2]

المحّاس َة:

كانت النحاسة في جبل شمَّر من أشهر الصناعات التي أبدع المشتغلون بها، إذ عملوا على صناعة القدور والأواني، ومن أشهر ما هو معروف من الصناعات النحاسية دلال القهوة، إذ اشتُهر منها نوعان؛ الدلال القريشيات، والدلال البغداديات، أما الدلال

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

القريشيات فكانت الأشهر والأغلى من بين ما يتم صناعته على مستوى شبه الجزيرة العربية، وقد كانت إحدى الأسر في قرية قصر العشروات هي التي قامت بصناعتها، وسميَّت بدلال قريشية، لأنها صنعت في أول الأمر بطلبٍ من أسرة القريشي[1] في حائل، ومن بعد ذلك سميَّت بهذا الاسم، أما الدلال البغدادية فكلت تسمى بذلك لكونها صُنعت في أول الأمر في بغداد، وقد اشتهرت قرية قصر العشروات أيضًا بإتقان صناعتها، وعلى الرغم من محاولة المصانع الحديثة تقليد هذه الدلال؛ إلا أنها عجزت عن إتقانها كما قرية القصر.[2] وقد اشتُهرت النِّحاسة، حتى أصبح في الجبل سوقًا يسمى بسوق النحاحيس.[3] ولم يقتصر عمل النَّحاس على صناعة الأدوات النحاسية فحسب، إذ يعمل على ربِّ ما يحتاج إلى تنظيف وإزالةِ الصدأ عنه، وتبييض القدور والدلال.[4]وقد اشتُهرت مجموعة من الأسر الحائلية بالنِّحَاسة وأتقنت صنعتها.



صورة رقم (١٣): نموذج من الأواني المنزليةالمستخدمة في الجبل قديمًا.[5]

---

(١) مجموعة أسر تنتمي إلى بني خالد، استوطنت الجبل منذ فترة طويلة، وتسكن هذه الأسر في حيِّي لبدة ومغيضة؛ (القويعي: **أقوال ومسائل**... المرجع السابق، ص ١٥٧).

(٢) الصغير: المرجع السابق، ص ٢٢٥.

(٣) موزل: **عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية**... المصدر السابق، ص ٤٨.

(٤) القويعي: **تراث الأجداد**... المرجع السابق، ج٣، ص ١٢٣.

(٥) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.



صورة رقم (١٤): مجموعة لدلال قريشيَّات بأحجام مختلفة، والأصل في صناعتها أن تكون فضيَّة ذات رأس ذهبي.[١]



صورة رقم (١٥): مجموعة دلال بغدادية من صنع حائل، بأحجام مختلفة.[٢]

الحِدَّادَة:

كان لحرفةِ الحِدادة أهمية بالغة بالنسبة لإمارة جبل شمَّر، فمن الأعمال التي كان يقوم بها الحدادون صناعة السيوف والخناجر والرماح وغيرها مما يستخدم في الحروب، كذلك عمل السكاكين، والأدوات المستخدمة في الحياة اليومية، إضافةً إلى أنه تم تدريب العاملين في الحدادة على تطوير الأسلحة التي كانت تفد إلى الجبل، من بنادق ومدافع، كذلك صيانتها بشكلٍ دوري، إضافةً إلى صناعة خراطيش البنادق، وكانوا يقومون بهذه الصناعة على أكمل وجه، الأمر الذي أفادت منه إمارة الجبل لفترات طويلة، وكان له الأثر على مسار الأحداث

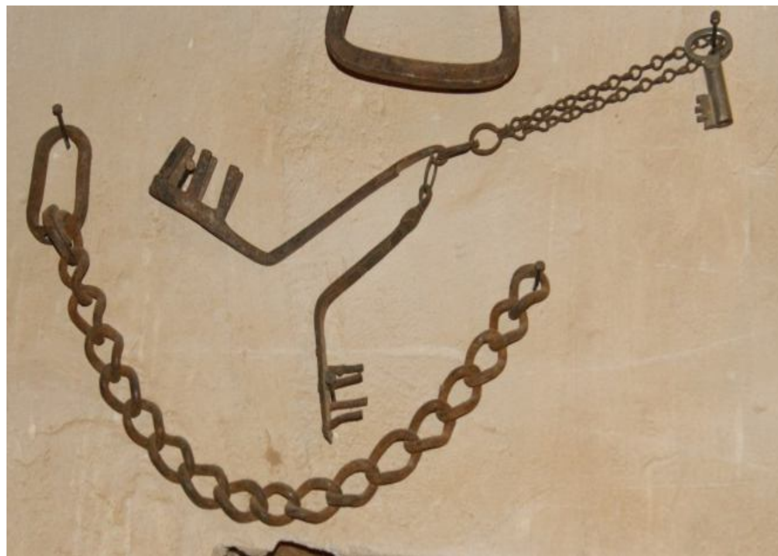
(١) نفسه.

(٢) نفسه.

والمعارك التي خاضتها الإمارة، وقد حـَرص أمراء الجبل من آل رشيد على تطوير هذه الصناعات.[1] ولاشتهار الحِدادة في الجبل، كانت سوقها مشهورة ببيع المعادن والعلب.[2]



صورة رقم (١٦)مجموعة من البنادق التي كان جزءً ا منها يستخدم في الجبل.[3]



صورة رقم (١٧):مفتاح وسلسلة من صنع الحَّداد.[4]

(١) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٤٩؛ العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٢) لوريمر: المصدر السابق، ج٦، ص ٢٢٤٦.

(٣) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.

(٤) نفسه.



صورة رقم (١٨)نجر قديم من صنع الجوف، يده صُنعت في حائل.(١)

الخياطة والحياكة والنسيج والتطريز:

عمل في حرفة الخياطة والحياكة والنسيج والتطريز النساء والرجال على حدٍ سواء، وقد يطغى عدد النساء على الرجال في هذه المهنة، كما أن الخياطة والحياكة والنسيج والتطريز أعمال متقاربة لبعضها، وإن اختصَّ البعض بشيءٍ واحدٍ منها، إذ تعتمد جميعها على إعادة تأهيل الأقمشة أو الشعر والصوف وخلافه إلى مادة مستهلكة.(٢)

كانت الخياطة والحياكة والتطريز حرفة تعمل على توفير الملابس بشكل أكبر، وذلك بخياطة الملابس النسائية والرجالية، وعادةً يعمل على الملابس النسائية خياطات من النساء، والرجالية يقوم بخياطتها الرجال، وقد يقوم النساء بالخياطة للرجال، إذا ما كان الرجال من المحارم أو الأقارب.وقد استُخدم في هذه الحرفة أنواع عدَّة من القطن والكتَّان والحرير، وأصواف الحيوانات وأوبارها وشعرها، وكانت الأصواف والوبر تستخدم لخياطة الملبوسات الثقيلة التي يُتَقَى بها من البرد، كالبشوت الوبرية، أو ما يسمى الفروة، وهي عباءة شبيهة بالبشت، إلا أنها أثقل، وتختلف عنه بأنها مليئة بالصوف من داخلها، لزيادة التدفئة، أما الحرير والقطن والكتَّان فقد تعددت استخداماته في الملابس الأخرى، سواء الصيفية منها أو

---

(١) نفسه.

(٢) الزهراني: المرجع السابق، ص ٦٠٧.

الشتويَّة، كذلك ما يخص النساء وما يخص الرجال، حيث تركزت خياطة الحرير للنساء فقط، ذلك لتحريم لبسه للرجال.(١)

والملابس كانت تتم خياطتها بمختلف أنواعها واستخداماتها، مثل الثوب الخاص بالرجل أو الخاص بالمرأة، أو الملبوسات الأخرى كالطاقية والغترة والملابس الداخلية للرجال من فانيلة أو سروال، أيضًا للمرأة ما يشابه ذلك من ملبوسات، أيضًا ما هو مخصصٌ للأطفال الذين لا تختلف ملابسهم عن الكبار كثيرًا، وبتقسيماتها بين الجنسين، وبطبيعة الحال فإن ملابس الجبل كانتهي نفسها الملابس المشهورة في المنطقة النجديَّة عمومًا؛ حيث يُلبس الثوب المرودن ذو الأردان الطويلة أو الثوب المبقَّش ذو الأكمام العريضة، وغيره من أنواع الثياب الخاصة بالرجال، وبالنسبة للنساء فأشهر الثياب التي يرتدينها المقطَّع أو الدراعة؛ وهي الألبسة التقليدية في نجد، وتتميز بأنها فضفاضة يصل طولها إلى تحت الكعبين ذات أكمام طويلة، وقد وجدت مسميات أخرى لهذه الملابس الخارجية، تختلف عن بعضها بطريقة خياطتها، أيضًا كن النساء يلبسن قطعًا خارجية أخرى، كالعباءة والشيلة، وكلها كانت أغطية تضفي سترًا على المرأة حتى لا تُكشف على الغرباء.(٢)

ومما يتم تطريزه وخياطته البشوت التي تأتي إلى الجبل كمادة خام من دون أن تصنع على أنها بشوت، ويتم تطريزها وقصّها في الجبل، وقد ذكر داوتي أنه شاهد في سوق حائل لفائفًا من الحرير، المحفوظ في أوراق الصحف.(٣)

كذلك مما اشتُهر نسجه في الجبل بيوت الشعر، التي يقبل على شرائها أبناء البادية، وكان هذا النوع من النسيج يحتاج إلى مستويين من العمل؛ إما العمل الذي يتطلب القوة والمتانة، ومستوى خاص آخر يتطلب القوة والمتانة والذوق والفن في العمل، من خلال

(١) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ٢٤٨.

(٢) دار الدائرة للنشر والتوثيق: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٢٨٦–٣٢٠.

(٣) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ١٤.

إخراجه بأشكال فنيَّة تجد إقبالاً لمن يهوى الأعمال الفنيةوالمستوى الأول غالباً ما يكون من إنتاج النسيج الأسود العادي، الذي يتصف بخشونته، ومنه تنتج بيوت الشعر وأوعية الأحمال وبعض الفرش، وعمل هذا النوع من النسج لا يتطلب مجهوداً كبيراً كما المستوى الثاني، إذ يقتصر العمل فيه على تنظيف الصوف الأسود من العوالق، ومن ثم غزله وبرمه بلونه الطبيعي، ثم يتم تمديده ونسجه، أما المستوى الثاني فيتم تجميع الصوف والوبر والشعر الملون الذي غالباً ما يكون أبيضاً حتى تسهل عملية صبغه، ومن ثم يتم تحديد أشكاله وزخارفه التي تتطلب جهداً أكبر من المستوى الأول، فيتم عليه ما يتم ما كان قبله.(1)



صورة رقم (١٩): نماذج للثياب القديمة التي كان يلبسها الرجال في الجبل.(2)

(١) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٤٨-٢٥٠.

(٢) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.



صورة رقم (٢٠) نموذج للمقطع النسائي الذي كُنَّ يلبسنه النساء في جبل شمَّر.[١]

الخرَّازة والسِّكافة:

ويُعمَل في هذه المهنة على خرّازة وسكافة الأحذية، والجلديات المختلفة، التي تستخدم في الحياة اليومية، كالقِرب والدلاء وسروج الخيل، ومحازم الرصاص، وكل ما له علاقة بالجلديات التي يتم استهلاكها من قِبل السكان.[٢] وتُعدُّ حرفة الخرّازة والسكافة من الحرف المهمة في المجتمعات المدنية، ذلك لعدم استغناء الناس عن الخرّاز، خصوصًا وأنه يقوم بتوفير ضروريات الحياة، كذلك صيانة ما يتلف منها، مما يعتمد على الجلديات في الأغلب، لذلك يدخل عمل الخرّاز والإسكافي في أكثر من شيء في الأدوات المستخدمة، وقد يمثل مرحلة من مراحل الصناعة الخاصة ببعض الأدوات التي تمر على أكثر من حرفي، مثل القِرب والدلاء التي تبدأ من الجزّار، وتمر على الدباغة، ومن ثم تنتهي إلى الخرّاز. وأدوات الخرّاز بسيطة ومهمة في الوقت ذاته، إذ يعتمد في صناعته على حَجَر يضع عليه ما يقوم بعمله من جلديات، وسكين معقوفة يقوم بمساعدتها على تشكيل الجلد بين يديه حسب ما يشاء، والأداة الرئيسية في عمله وهي المجذاب الذي يجذب به أطراف السيور الجلدية، والمِخرَز وغيره

---

(١) نفسه.

(٢) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ٢٤٦.

من الأدوات التي يستخدمها الخرّاز والإسكافي.[1] وبما أن عمل الخرّاز يقوم على الجلديات؛ فإن وفرتها أمرٌ مهم بالنسبة إليه، وغالباً ما كان الجبل كمناطق نجد الأخرى، التي تعتمد على توفيرها من الحجاز والأحساء؛ إضافةً إلى ما كان يُنتَج محلياً من جلود الإبل.[2]

ولعل أكثر الأشياء إقبالاً لدى الخرّاز والإسكافي؛ هي الأحذية، التي تُصنع من جلد الإبل، ويطلق عليها اسم نعال، لها شريط من الجلد يربط القدم، وشريط آخر أصغر منها يكون حول الإصبع الكبير من القدم، وقد اشتُهرت صناعة هذا النوع من الأحذية في الرياض والقصيم.[3] لذلك في الجبل لم تُعرف أسرةٌ من أسره اشتُهرت في هذه الحرفة كما في الحِرف الأخرى، غير أنه في وقتٍ متأخر بعد فترة الدراسة، عُرفت إحدى الأسر بهذه المهنة، التي أتت إلى الجبل من منطقة القصيم.[4]



صورة رقم (٢١) نموذج للدلاء التي يقوم بعملها الخرّاز.[5]

---

(١) دار الدائرة للنشر والتوثيق: الرجع السابق، ج٣، ص ص ٤٣٥-٤٣٧.

(٢) القويعي: **تراث الأجداد**... المرجع السابق، ج٣، ص ١١٢.

(٣) دار الدائرة للنشر والتوثيق: الرجع السابق، ج٣، ص ٣٣٤.

(٤) الصغير: المرجع السابق، ص ٢٢٤.

(٥) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.



صورة رقم (٢٢): نوع من الجلديات التي تحفظ اللحوم من التعرض للتلف، وتحفظها لفترة أطول.(١)

الصِّياغة:

صِناعة الحُليّ من الصناعات الدَّارجة في شبه الجزيرة العربية، ووظيفتها إضفاء الجمال والرونق لمن يرتديها من النساء، كذلك تزيين بعض الأسلحة مثل الخناجر والسيوف، إما بالفضة أو الذهب، وبالنسبة للمرأة فلها دلالة على الهوية الشخصية، والمركز الاجتماعي، ذلك لأن الحُليّ من الأشياء التي يمتلكها الميسورين ماديًا أكثر من غيرهم من فئات المجتمع الأخرى، يعود ذلك لارتفاع أثمانها، كذلك لأنها ليست من ضروريات الحياة، خصوصًا وأن المجتمع النجدي في فترة الدراسة كان مجتمعًا يسعى إلى تأمين حاجاته التي لا يُستغنى عنها

(١) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.

في الدرجة الأولى، كالمواد الغذائية والأدوات التي يستخدمها بشكل يومي، وكل ما يضمن البقاء من أسلحة وخلافه.(١)

دخل في صناعة الحُليّ مجموعة من المواد الخام، وتطورت هذه المواد بتطور الإنسان، حيث استخدم الخشب والحديد والنحاس والزجاج واللؤلؤ والفضة والذهب، وكل مادة كانت لها قيمتها، إذ إن الذهب أغلاها وأنفسها، لكن في الوقت نفسه كان الإقبال على هذه المواد بحسب القدرة الشرائية والحال الاقتصادية لمن يقتني هذه الحُليّ.(٢) ومن يعمل في هذه الحرفة في الغالب كان يتميز بالدقة والمهارة الفنية العالية، ذلك لإقناع المشتري على الاقتناء ودفع مبالغ توازي قيمة المصنوعات، وعادةً ما تزدهر هذه الحرفة في أوقات الرخاء واليسر في المجتمعات، وإذا ما قلّت القدرة الشرائية؛ فإن الصّائغ يعمل على إصلاح ما تضرر من الحُليّ، وإعادة تصنيعه مرّةً أُخرى.(٣)كما أن الصّاغة يعمدون إلى شراء ما يضطر الناس إلى بيعه من مقتنياتهم من الذهب والفضة بأسعار مناسبة، ومن ثم يعملون على إعادة تصنيعها أو تنظيفها، ومن ثم عرضها مرةً أخرى بسعر أغلى.(٤)

أغلب من عمل في صياغة الذهب والفضة في جبل شمَّر هم من الفئات التي وفدت من خارج المنطقة، وغالباً من العراق والشام برفقة قوافل الحج والتجارة.(٥) ومما كان يعمل على إتقانه صاغة الجبل؛ الحُليّ الخاصة بالنساء، كذلك تذهيب أغماد ومقابض الخناجر والسيوف، كما هي سيوف أسرة آل رشيد ومواليهم.(٦)

---

(١) دار الدائرة للنشر والتوثيق: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٢) نفسه، ص ص ٣٣٩-٣٤٢.

(٣) الزهراني: المرجع السابق، ص ٥٦٧.

(٤) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ٢٤٠.

(٥) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٦) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٧٥.



صورة رقم (٢٣) نماذج من الحُليّ التي كانت تُستخدم قديمًا للنساء في الجبل.(١)

صناعة الخوص:

اعتمدت حرفة الخوّاص على أوراق جريد النخل وعراجينها وليفها، بحيث يتم اختيار الجيِّد منها، الذي يساعد على إخراج العمل بشكلٍ مُتقَن، وتُعد هذه الحرفة من الحِرف القديمة التي تعَرَّف عليها الإنسان.كما أضاف إليها الخوّاص الألوان الزاهية، ذلك لأنها مادة قابلةللصبغ بمختلف الألوان، كما أن لونها الفاتح يساعد على صباغتها، ويُصنع من الخوص الأدوات الضرورية كالسلال والمراوح القديمة والمكانس التي تستخدم للتنظيف اليومي للمنزل، كذلك السُّفر التي يُؤكل عليها، وبعض الحُصُر التي يجُلس عليها(٢)، وأكثر من أتقن هذه المهنة النساء، ذلك لأنهن يعملن بها خلال وقت فراغهن، وتعتمد هذه الحرفة على المهارة والدقة في العمل، ويسمى من يعمل في هذه المهنة سفَّافًا.(٣)

---

(١) تصوير الباحث في متحف "لقيت للماضي أثر" للأستاذ خالد بن حمود المطرود بحي الزبارة بحائل، بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ.

(٢) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٥٠-٢٥١.

(٣) الزهراني: المرجع السابق، ص ٥٨٥.

الجزِ ارۆدِ باغة الجلود:

يقوم العامل بالجِزارة على ذبح الماشية من أغنام وإبل وأبقار وسَلخها وتقطيعها، وكانت مجموعة من سلأ في الحيِّ الواحد تتفق على الاشتراك بذبح إما خروفًا أو بقرةً أو ناقةً، ويوكل ذلك إلى أحدِ الجزَّارين المعروفين في البلدة، مهمته ذبحها وتقسيمها، أو يكون الذبح لصالح أسرة واحدة، كُلٌ على حسب قدرته المادية.[١] وتنتشر هذه المهنة في المدن والبلدان الكبيرة أكثر منها في القرى والتجمعات السكانية الصغيرة[٢]، ذلك لأن أهالي القرى والتجمعات السكانية الصغيرة، يقومون بذبحِ ما يخصهم وسلخه من دون اللجوء إلى الجزَّار أو القصَّاب، ولا يُعدُّ ذلك مهنةً وحرفةً إذا ما قام الشخص بذبحِ ما يخصه، إنما تلتصق المهنة أو الحرفة لمن يقوم بذلك لصالح الغير وبمقابل مادي. ارتبطت الجزارة بدباغة الجلود، ليس لكونه عمل واحد، بل لأن دباغة الجلود تأتي مرحلةً ثانية بعد الجزارة بحيث تبدأ بسلخ الحيوان واستخدام جلده، وما ربط بينهما هنا؛ النظرة الاجتماعية الدونية لمن يمارس هذه المهنة، فكل من يعمل في الجزارة أو دباغة الجلود يكون في طبقة أقل من الذين يمارسون المهن الأخرى، والسبب في هذه النظرة أن السكان كانوا يتأذون من أماكن الذبح وروائحها، كذلك دباغة الجلود التي ترافقها، أيضًا ما يتعايبه الناس من بيعٍ للحم، وفي الغالب في فترة الدراسة كان من يعمل في هذه المهنة هم من الفئات الوفدة إلى الجبل من الفرس، وقد رافق عملهم ذلك، أن قاموا بفتحِ مطاعم لبيع الطعام على الناس.[٣]وتبدأ الدِّباغة من الجزَّار باعتبار إتقانه السلخ، لأنه لا يعمل على شق الجلد أو ثقبه، وهذا الأمر يتطلب مهارةً عالية، كذلك يحرص الجزَّار على يُلاٌق في الجلد شيءٌ من اللحم أو الشحم، وبعد ذلك يقوم الدَّبَاغ بأخذ الجلد وتنظيفه مما قد يَعلق به من بقايا بعد السلخ، ثم يمُلَّح ويُترك بين ليلة أو

---

(١) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ٢٥٣.

(٢) الزهراني: المرجع السابق، ص ٦٣١.

(٣) لوريمر: المصدر السابق، ج٢، ٧٧١.

ليلتين تقريباً، فيؤخذ بعد ذلك كمية من طحين البر أو الشعير أو الأرز ويطبخ حتى يتخثر، فيوضع على الجلد المملح بعد قلبه، ويُترك بين ثلاثة إلى خمسة أيام على الجلد، ومن المناسب أن يكون ذلك في فترة الصيف، وإذا ما كان في الشتاء فيترك بين سبعة إلى عشرة أيام، وخلال هذه الأيام يقام بسكب كميات من الماء عليه يومياً، ويقلّب الجلد حتى يختلط به الماء جيداً، وذلك لزيادة سمكة الجلد ومتانته، كذلك كي يعمل على حتّ الصوف العالق فيه، ويسهل نزعه بعد ذلك، وبعد الأيام هذه يؤخذ الجلد إلى مكان رملي، لكي تُستكمل عملية حتّ الشعر العالق، ويشد جيداً ثم يُدعك بالرمل حتى يكون أملساً من وجهيه، ويغسل بالماء ويملّح مرةً أُخرى حتى تزول رائحته وأخيراً يتم تعليقه كي ينشف من الماء، ليصبح جاهزاً للدباغة، التي تتم بعملية غسله بماء الدَّباغ وتمليحه مرةً أُخرى، ثم دهنه بالشحم، حتى يكون طرياً، وأخيراً يتم تلوينه، ويصبح بعد ذلك جاهزاً لعمل الخرّاز.[1]

البِناء:

أحد الحرف التي أتقنها سكّان الجبل، وعمل بها مجموعة من طبقات المجتمع، إذ لم تنحصر في طبقة الحرفيين فقط، وذلك ببناء البيوت الطينية أو الحجرية، وقد رافق هذه الحرفة التلييس والزخرفة بالجبسيات، التي كانت تُزيّن مرافق البيت كافة.[2] ويشرف على العمل في البناء الخبير في ذلك، ويسمى الاستاد، ويعتمد على مجموعة من العاملين الذين يقوم بتوجيههم، والإشراف على عملهم، كذلك تقسيم العمل، كلٌّ حسب اختصاصه في البناء، كعمل الطين وتجفيفه، ومن ثم البناء وسقف البيوت، بعد ذلك وضع الجبسيات والتلييس، وصناعة الأبواب وأقفالها، وما إلى ذلك من أعمال البناء.[3]

---

(١) دار الدائرة للنشر والتوثيق: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٤٣٣-٤٣٥.

(٢) تم تناول حرفة البناء وعملها بالتفصيل في الفصل الأخير من هذه الدراسة، الخاص بالعمارة في جبل شمَّر.

(٣) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٣٤-٢٣٦.

التَّطبِيب:

لا يستغني الإنسان عن حاجته للطب والتطبيب، ذلك لأن الأمراض التي تصيب الناس مختلفة ومتنوعة، منها ما يصل إلى حدِّ الخطر،ومنها ما يعرقل عمل الإنسان من أمراض دورية. وقد انتشرت في شبه الجزيرة العربية مجموعة من الأمراض، منها ما يكون بسبب التقلبات الجوية ودرجات الحرارة، من حمى ونزلات معوية واضطرابات مختلفة، أيضاً الكسور والرضوض، وألام العضلات، وكل هذه الأمراض أخذت مسميَّات مختلفة، وأشهر الأمراض المعروفة:

اللجوَّة: وهو مرض باطني، ينشأ بسبب أكل لحوم نية أو سيئة الحفظ، ويعالج المريض به بالكي، ويفرض عليه الاحتجاب عن بعض المأكولات والممارسات اليومية التي قد تؤثر على سير مرحلة العلاج بعد الكي.[1]

الشَّقراء والعنكبوت: الشَّقراء قرحة تصيب باطن القدم أو ظهرها، وتعد من الأمراض الخطيرة التي تصيب الإنسان، لأنها تسري في جسده إن لم تتم معالجتها بالكي، بحيث يتم كي أحد الشرايين التي يعرفها المُعَالِج. أما العنكبوت فمشابه للشقراء، غير أنه يصيب اليد، وتتم معالجته بالكي أيضاً على شريان محدد فيها، ويسمى مرض العنكبوت أيضاً الشِّنِيَة.[2]

الجَنب أو ذاتُ جَنب: وهو مرض يصيب الرئة، يصعب معه التنفس، ويكون بسبب النوم على أماكن رطبة، أو التعرُض للبرد الشديد، وعلاجه يكون بالكي أيضاً على الشريان الموجود تحت وفوق الصدر الأيسر.[3]

---

(١) القويعي: **تراث الأجداد**... المرجع السابق، ج٢، ص ١٣٩.

(٢) الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٨٦.

(٣) حسني: المصدر السابق، ص ٩٥.

المَصع والمَشع هو ما تتعرض له العضلات من تمزُّق، يكون عادةً بسبب حمَل شيء ثقيل، أو مجهود، أو حركة خاطئة، تؤدي إلى المَصع أو المَشع، الذي يؤثر على المريض، ويعرقل حركته، ويُلجأ في علاجه إلى التدليك، واستخدام دهانات على المنطقة المصابة، وفي مراحل متقدمة يطبب بالكيّ، والمَشع عادةً أقل ألمًا من المَصع، وأكثر من يُصاب بهذا المرض الأطفال من الرُّضَّع، الذين يتعرضون لحَملٍ خاطئ من ذويهم، أو تحريك يُؤثر على عضلاته.(1)

العاهة و البَلَش كلاهما أمراض جلديَّة، حيث إن العاهة مجموعة من الحبوب التي تظهر غالبًا في وجه الإنسان، وتعالج بالكيّ على الرقبة، والبَلَش مرض جلدي أيضًا يصيب كامل الجسم بتحسس وتقرُّح، ويعد أخطر من العاهة، ويقال بأنه بسبب الاغتسال بمياه ملوثة، وغير صحيَّة، يعالج بالاغتسال بنبتة ربيعية تسمى العِلقَة، ويشرب من ماءها المنقوع أيضًا. وينتشر هذا المرض بين البادية أكثر من الحاضرة.(2)

وهنالك أمراض أخرى انتشرت في نجد خلال فترة الدراسة؛ منها الوشرة التي تصيب الرأس بالألم، أيضًا الطَّير مرض يصيب الرأس، ويحُدث غيبوبة ورعشَة، والقويق الذي يصيب فروة الرأس ويعمل على تساقط الشعر، ويتسبب في تقرحات، والرَّمَد الذي يصيب العين، كذلك الغاشية التي يُعرف بأنها الزائدة الدودية في عصرنا الحالي، والعَظم الذي يصيب لهاة الطفل يُعالج برفعِ لهاته، وغير ذلك من الأمراض التي لا تزال معروفة إلى وقتنا الحالي بين العامة، بالمسميات نفسها لدى كِبار السن.(3)

كان لكُلِ مرضٍ من الأمراض علاج لدى سكان نجد، خصوصًا في الجبل، حيث كانت أشهر طرائق العلاج الكيّ، وقد عُرِف أناس متخصصين في الكيّ، ولهم خبرة واسعة

---

(1) القويعي: **تراث الأجداد**... المرجع السابق، ج2، ص ١٤٠.

(2) نفسه، ص ص ١٤١-١٤٢.

(3) الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٨٦-٢٨٨.

في ذلك، لأنهم الأقدر على تحديد الشرايين التي تحتاج إلى كي، وبالتالي تخفف من المرض أو تقضي عليه، وكان للكيّ أُصُولٌ اشتُهرت بها شبه الجزيرة العربية، ونجد بشكلٍ خاص، وقد انتشرت حرفة التطبيب بالكي لدى قبيلتين في شمال شبه الجزيرة العبية، بين شمَّر وعنزَة. وكان الكيّ علاج لأمراضٍ عدَّة، خصوصًا للأمراض التي لا يوجد لها علاج من الأعشاب أو العقاقير المختلفة، كما يلجأ المُعالج أو الطبيب الشعبي إلى أنواع أخرى من العلاج، كاستخدام بعض أجزاء الأغنام للعلاج، فمثلاً حين يُصاب المريض بكبده؛ يُقطَع ذيل الخروف بالكامل وهو حي، ومن ثم يُقسَّم إلى قسمين، ويُربط بمحل الكبد، بحيث يبقى الذيل للداخل والشعر للخارج، ذلك لمدة يومٍ كامل، بعد ذلك يظهر على جسمه بُقع سوداء يتم كيّها بإبر خاصة، ويحتَجِب بعدها المريض لمدة أسبوع. كما يلجأ البعض إلى شرب بول الناقة خصوصًا لأمراض المَعِدَة، وذلك في الصباح والمساء لمدة ثلاثة أيام، كما يستخدم بول الإبل لمشكلات الشعر وتساقطه، أيضًا حليب الإبل يُؤخذ لمشكلات الهَضم، وقد يخُلط أحيانًا ببول الإبل لزيادة تركيزه في تسهل عملية الهضم.(١)

ومن طرائق العلاج التي استخدمت في نجد؛ عمليات الجراحة، التي كانت تُقام بكل اقتدار، وغالبًا ما كانت هذه العمليات تتم للأمعاء، بحيث تتم عملية فتح البطن ومن ثم قصّ الأمعاء المصابة، وتخييطها، وتتم عملية التخييط برؤوس النمل، إذ يوضع النمل على المكان المراد خياطته، وبعد أن تقوم بعضّ الجلد يُفصل رأسها عن جلدها، وهكذا تستخدم أعداد كبيرة من النمل للخياطة، وتبقى لفترة طويلة، حتى يتم التأكُد من التحام الجُرح، ولم تقتصر هذه العمليات على الإنسان وحسب، إذ تتم جراحة الحيوانات بالطريقة نفسها، كما تُعالج الحيوانات بالأعشاب والعقاقير المختلفة، سوء للأمراض الجلدية أو غيرها، مما يُصاب به الحيوانات.(٢)

---

(١) حسني: المصدر السابق، ص ص ٩٥-٩٧.

(٢) نفسه، ص ٩٧.

ويعدُّ التداوي بالأعشاب من أكثر الطرق رغبة لدى الناس، لما في ذلك من اعتمادٍ على الطبيعة، كذلك لأن الأعشاب أخف ألمًا من الكي، وتختلف هذه الأعشاب بين طريٍّ ويابس، ومنها ما يُؤكل وما يُسَف على وضعه الطبيعي أو بعد طحنه وسحقه، وبعضًا منها يتم نقعه وشرب مائه، أو ما يُطبخ.أيضًا من الطرق الغريبة التي كان يستخدمها الناس في نجد والجبل ما يُسمى الدميثة، باستخدام حرارة النار وإيقادها بالرمل متوسط النعومة، ومن ثم بعد تحميته يوضع المريض في حفرةٍ من هذا الرمل الحار بعد لفه بنسيج سميك، حتى لا يتأذى جسده من الحرارة، فيدفن جسمه، ويبقى رأسه خارجًا، وتستخدم هذه الطريقة في التداوي من الرضوض.أيضًا كان الناس يتداوون بقراءة القرآن، بجانب ما يأخذونه من أسباب العلاج الأخرى.(1)

أيضًا من طرق العلاج استخدام العقاقير التي يقدمها العطار أو المداوي الشعبي، بحيث يستخدم الكيماويات الطبيعية، كالكبريت، وغيره مما يُستخرج من النباتات أو المعادن، مثل الصَّبِر والحلتيت، ويتم تناول هذه الأدوية لبعض الأمراض بنسب يحددها المُعالِج.(2) وأشهر الأسر التي اشتُهرت بالعِطارة في الجبل؛ أسرة السيف، ومنهم الشيخ عبدالرحمن بن أحمد السيف.(3)

ومع نهاية هذا الفصل الاقتصادي؛ نجد أن موارد إمارة جبل شمَّر كانت عالية جدًا، مقارنةً بمصروفاتها والتزاماتها، ما يعني أنها كانت تمتلك ثروة كبيرة حسب التقديرات التي وردت في ثنايا هذا الفصل، حيث إن الغالب من تلك التقديرات كانت تعطي أرقامًا كبيرة،

(١) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٤١-٢٤٢.

(٢) نفسه، ص ٢٤٢.

(٣) وَرِثَ الشيخ عبدالرحمن بن أحمد السيف مهنة العِطَارة ابن أخيه الشيخ عبدالرزاق بن محمد السيف – أشهر العطارين بحائل – رحمهما الله، وقد ولد الشيخ عبدالرزاق سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، ما يعني أن الشيخ عبدالرحمن كان موجودًا في فترة قريبة من دراستنا في الجبل، وقد يكون عاصر جزءًا منها؛ (دار الدائرة للنشر والتوثيق: المرجع السابق، ج١١، ص ٦١٣).

وهذا يعود إلى كون الإمارة تمتلك موارداً عدَّة، سواءً بسبب وقوعها على طريق الحج والتجارة، أم من مواردها الطبيعية المتمثلة بالزراعة والرعي والثروة الحيوانية والتجارة، كل ذلك أنتج قوةً اقتصادية كبيرة، كان لها مردوداً عالياً في خزينة الجبل. كما أن الصناعة ازهرت باستقطاب يلأيدٍ عاملة ماهرة في صناعات كثيرة تحتاجها الإمارة. وبعد أن تعرفنا على الحياة الاقتصادية؛ تأتي الحياة الاجتماعية في الفصل الرابع، والتي تصف التركيبة السكانية وعلاقاتها وعاداتها وتقاليدها.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية

- فئات المجتمع:

-البدو.

-الحضر.

-الموالي.

- الاتصال الحضاري مع المجتمعات الأخرى.

- العادات والتقاليد.

لـِشبه ِ الجزيرة العربية شخصيَّة اجتماعية شبيهة بما هو موجود في المجتمعات الأخرى في العالم، إذ إن الطبقيَّة والتقسيم الاجتماعي شأنٌ قائمٌ لا يمُكن إنكاره، لكنها في الوقتِ نفسه أقلُّ حِدَّةًوأكثر تواؤمًا بين طبقات المجتمع في تعاملاتها وعلاقاتها، ويصف لويس كورانسيه[1] هذه الشخصية بقوله: "أما الوهابيون الذين خسروا ميزات المساواة الأساسية بسبب طبيعة الحكم لديهم، فإنهم ينعمون بها فيما بينهم على الأقل بفضل مبادئ مذهبهم. ليس لديهم أي شكل من أشكال التمييز، وإن الألقاب من نمط وزير، وأمير، وباشا لا تعني لهم شيئًا. وينادي بعضهم بعضًا بالأخ، وهو الاسم الذي يطلقه السيد على العبد، والذي يجيب به الخادم سيده".[2]

اختلف التقسيم الاجتماعي في شبه الجزيرة العربية عمومًا، وفي نجد على وجهِ الخصوص؛ على أساسين عِرقي واقتصادي، وفي كلا الأساسين كانت الفروق بين الطبقات واضحة.فالأساس العِرقي، هو القائم على أساس الانتساب إلى أصل معروف، ويكون فيه الناس إما معروفي النسب أو مجهوليه، أما الأساس الاقتصادي، فهو الأساس الذي يقوم على أسلوب المعيشة، ويقسم الناس بين حاضرةٍ مستقرةٍ في مكانٍ واحد، وباديَّة ترتحل في أماكن

(١) لويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسيه، كاتب فرنسي ولد سنة ١١٨٣هـ/١٧٧٠م في باريس وتوفي فيها سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م، وكان ضمن البعثة العلمية الفرنسية التي رافقت حملة نابليون بونابرت على مصر، وتولى منصب قنصل فرنسا في حلب من بعدها في بغداد، وهو عضو معهد الأكاديمية الفرنسية، وصاحب أول كتاب أُلِّف في الغرب عن الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي نشره سنة ١٢٢٤هـ/١٨١٠م؛ (كورانسيه: لويس ألكسندر، **تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م**، ترجمة: محمد خير البقاعي وإبراهيم بن يوسف البلوي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ص ص ٨-١٦).

(٢) نفسه، ص ٥٠.

عدَّة بحثًا عن أماكن الكلأ، لاعتمادهم على الرعي بشكل أساسي في حياتهم وتوفير ضرورياتهم.لذلك نجد أن إمكانية الخلط في هذين الأساسين وارد بشكلٍ كبير، إذ إنه من الممكن أن يكون في القبيلة الواحد حاضرة وبادية، فرَّق بينهم في الطبقة أسلوب المعيشة، وتجد في البادية من لا ينتسبون إلى قبيلة، لكنهم في الوقت نفسه انخرطوا في أسلوب معيشه جعلهم يرافقون القبائل البدوية، ويرتحلون معها.

وعلى الرغم من وجود أساسين في التقسم الاجتماعي لوسط الجزيرة العربية؛ إلا أن الأساس العرقي هو الأبرز والأكثر وضوحًا، لاسيَّما وأنه يترتب عليه مسألة مهمة، وهي المصاهرة، إذ من الممكن أن يتصاهر ابن البادية من ابن الحاضرة والعكس، إذا ما كانا من قبائل عربية معروفة، فيما لا يمكن أن يتصاهر أبناء الحاضرة بينهم إذا ما اختلفا بين منتسبٍ وآخرَ غير مُنتَسب، مهما كانت درجة انصهارهم وقوة تلاحمهم، فكل طبقة تتصاهر في ما بينها، على أساس الكفاءة في النسب.[1] وقد تعمقَّت هذه النظرة في مسألة كفاءة النسب، لاعتمادها أبعادًا فقهية، خصوصًا أنها وجدت لها أصلاً في الفقه الحنبلي، الذي يرى مسألة الكفاءة في النسب شرطًا مختلفًا فيه بين العُلماء، بينَ شرطٍ للزومِ وشرطٍ للصحة، حيث رأى المتقدمون أن الكفاءة شرطًا للزوم والصحة، بينما يرى المتأخرون من الحنابلة أنه شرطًا للزوم لا الصحة، إذ يصِحُّ التزاوج بالتراضي بين فئات المجتمع.[2] ومع أن المتأخرين من الحنابلة يرون أن الكفاءة في النسبِ شرطًا للزوم لا الصحة، إلا أن أهالي نجد، وبمنطلقٍ بحتٍ من العادات والتقاليد فإنهم لا يتجاوزون هذه النظرة إلا في حدودٍ ضيِّقةٍ جدًا، تكاد تكون

(١) العريني: عبدالرحمن بن علي، **الحياة الاجتماعية عند حضر نجد منذ القرن العاشر إلى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٩٠١هـ/١٤٩٤م-١١٥٧هـ/١٧٤٤م**، رسالة دكتوراة، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور: عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٤٣٥.

(٢) البهوتي: منصور بن يونس، **شرح منتهى الإرادات دقائق أولي النهى لشرح المنتهى**، ج٥، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ص ١٥١-١٥٣.

نادرة ومتأخرة أيضاً لذلك من لم يكن له نسباً معروفاً من العرب لا يُصاهر، ما يعني أن النظرة قبليَّة قبل أن تكون شرعيَّة.(١)

ومن الأمور التي تترتب على الأساس الاقتصادي في التقسيم الاجتماعي لشبه الجزيرة العربية ونجد تحديداً؛ هي تلك النظرة المتبادلة بين الحضر والبادية، حيث يرى ابن البادية أن ابن الحاضرة قد حبس نفسه في محيطٍ ضيِّق، فيما أنه هو منطلق في مساحات واسعة، ما يعطيه نوع من التحرر والتخلص من قيود الحياة المدنية، لذلك لا يخضع ابن البادية للنظم والقوانين التي تفرضها الكيانات السياسية بسهولة، لعدم ارتباطه واستقراره في أرضٍ واحدة، كما أنه من السهل أن يتخلص من هذه القيود والأنظمة بمجرد رحيله وانتقاله إلى مكانٍ يشعر فيه بحريةٍ أكبر.(٢) أما ابن الحاضرة فيرى ابن البادية عدواً لتنظيماته واستقراره، والأهم أنه يراه مهدداً لحياته المدنية، فيشعر بقربه بعدم استقرار، خوفاً من الغزوات التي اعتاد أبناء البادية القيام بها تجاه المدن والبلدان المتحضرة، ما أسس نوعاً من العلاقة العدائية في فترات عدم الاستقرار السياسي بين الطبقتين.

جبل شمَّر لم يخرج من هذا الإطار الاجتماعي الدارج في المنطقة النجدية، إذ سار على تقسيماته، وعمل بها في تنظيمه الاجتماعي وطبقيته، إلا أنه اختلف نوعا ما في ملامح شخصيته الاجتماعية ونسيجها، ذلك لانصهار مجموعات مختلفة من الناس، ومن أجناس عدَّة، باعتبار أن الجبل كان مكاناً للامتزاج السكاني بحكم موقعه الجغرافي.

---

(١) العريني: المرجع السابق، ص ٤٣٥.

(٢) العريني: عبدالرحمن بن علي، **الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر الهجري وحتى سقوط الدرعية ٩٠١هـ/١٤٩٤م- ١٢٣٣هـ/١٨١٨م**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور: عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٢١٥.

التوازن بين الحاضرة والبادية في جبل شمَّر:

انقسم مجتمع الجبل بين حاضرةٍ وبادية، ولم تكن نسبة التوازن بين هاتين الفئتين من المجتمع مستقرة، إذ تغيّر بشكلٍ ملحوظ، نتيجةً للأحداث السياسية التي مرَّت بها المنطقة، فقبل ضمِ الجبل للدولة السعودية الأولى؛ كانت نسبة البادية أعلى من الحاضرة، وقلَّت هذه النسبة بعدما توجهت القوات السعودية نحو الجبل، والتقت بموقعة العدوَّة مع الجرباء سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م وهزمتها، الأمر الذي أدى بالجرباء إلى الرحيل من الجبل إلى العراق، إذ رافقهم في هجرتهم مجموعات كبيرة من بادية شمَّر، ما أثرَّ في التوازن بين البادية والحاضرة في الجبل.[1]

إضافةً إلى هذا السبب السياسي الأبرز في تغيير نسب التفاوت بين الحاضرة والبادية، الذي حدث في عصر الدولة السعودية الأولى؛ فإن هنالك أسباباً اقتصاديةً لا تقل تأثيراً في تغيير نسب التوازن، لعل أبرزها أن أبناء البادية كانوا يسعون إلى التحضُر إذا ما انقطعت بهم سبل العيش، من خلال شُح مواطن الكلأ، ووفرة المياه واستقرارهم بالقرب منها، لذلك تحوَّلت مجموعات من أبناء البادية إلى حياة التحضر، واستقرت في الواحات القريبة من عاصمة الجبل حائل، ومنهم من استقر في حائل نفسها، ومن أراد المحافظة على أسلوب معيشته البدوية؛ كان يلجأ إلى الرحيل شمالاً برفقة الجرباء، ومنهم من وصل إلى العراق، ومنهم من انتقل إلى بلاد الشام وأجزاء من شمال شبه الجزيرة العربية، وحتى هذه الفئات من القبائل التي هاجرت إلى العراق والشام؛ فإنها مع الوقت تتجه للتحضر، لذا يقال أن العراق مقبرة الأعراب، ذلك لتحول كثير من قبائله من الحياة البدوية إلى التحضر.[2] كما أن تزايد أهمية إمارة الجبل الاقتصادي، من خلال تزايد الحركة التجارية فيها، خصوصاً بعد قيام إمارة

---

(١) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٨١.

(٢) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ص ٢٦-٢٧.

آل رشيد؛ جعل من قبائلَ بدوية عدَّة تُشارك في هذه الحركة التجارية، ما أثر بمجموعاتٍ منها، وجعلها تتجه لحياة التحضُر، وتترك أسلوب معيشتها السابق، الذي يعتمد على الترحال والتنقل، لاسيَّما وأن التجارة كانت ضماناً لحياة مستقرَّة، بعيداً عن المخاطر والصراعات على مناطق النفوذ بين القبائل.(١) كما أن للإمارة أهميةً في فرضِ الأمن على الطرق التجارية، والأماكن الواقعة في حدودها، ما جعل جزءاً من حياة البادية مقنناً بأنظمةِ الإمارة، إذ لم تستطع البادية التعدِّي كما في السابق، والكسب من الغزوات والمعارك مع الفئات الأخرى، سواءً أكانت حضريَّةً أم بدويَّة، لذا آثَرَ مجموعات من هذه الفئات البدوية الاتجاه إلى الحياة الحضرية.

لذلك لم يقتصر دور الجبل على عمل امتزاج سكاني بين فئات اجتماعية مختلفة ومن أقطار أخرى وحسب، بل عمل أيضاً على عمل امتزاج سكاني بين أبناء المنطقة أنفسهم، من حيث تواؤمهم وتقاربهم، وتخفيف الهوة بين الحاضرة والبادية، وإقامة علاقات اجتماعية متبادلة على أساس المصلحة الاقتصادية، ما أثر في تغيير كثير من هذه الفئات أسلوب معيشتها بما يتفق مع الأنشطة الاقتصادية الجديدة التي باتت تمارسها.(٢)

وعلى الرغم من هذا التغيرُّ الذي طرأ على التوازن بين البادية والحاضرة في الجبل؛ إلا أن العلاقة المتأصلة بين هاتين الفئتين ظلَّت على جفوتها وحذرها، وإن كانت هنالك علاقات على أساس المصلحة بينهما. كما أن هذه النظرة طالت حتى أبناء القبيلة الواحدة، التي ينقسم أفرادها في أسلوب معيشتهم بين حياة التحضُر أو البادية، وإن كانوا في النهاية يرتبطون بأصلٍ واحد، لكن تبقى التحالفات الجماعية المكانية هي الأكثر تأثيراً في العلاقات الاجتماعية.(٣)

---

(١) الرشيد: المرجع السابق، ص ص ١١٩-١٢٠.

(٢) لوريمر: المرجع السابق، ج٢، ص ٧٧٢.

(٣) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ص ٣٢-٣٣.

ولئ ِنيَّمقا العلاقة بين الحاضرة والبادية في الجبل بشكلٍ عام؛ فإننا نخلُص إلى أنها كانت متطورة إلى التعايش والتناغم، وإن بدأت بصراعات ومواجهات، ففي بدايةِ عصر الدولة السعودية الثانية حدثت مشكلةً بين بادية الجبل وحاضرته تدخلّ فيها الإمام تركي بن عبدالله سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، حين حدثت صراعات ومواجهات بين الأسلم من شمَّر وحاضرة الجبل، وفي وثيقةٍ للإمام تركي، يحذر فيها من تعديات البادية على الحاضرة، كذلك تعديات الحاضرة على البادية، وأن يكون هنالك حرصً ا على دفع الزكاة من الفئتين.[1] ومما يبدو أن هذه المشكلة بين هاتين الفئتين كانت الأبرز خلال عصر الدولة السعودية الثانية، إذ انشغل الجبل في ذلك، ولم يشترك غزوه مع الإمام تركي لمدة سنتين، أي حتى نهاية عهده سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م.[2] بعد هذه الحادثة لم نلحظ مشكلات كبيرة بين البادية والحاضرة، بل إن العلاقة بينهما بدأت بازدياد، نتيجة لتزايد المصالح المتبادلة، ولوجود قوة سياسية جديدة في الجبل، يمثلها آل رشيد[3] ولأصلِ آل رشيد الشمَّري أثرٌ في استتباب الأمن بين الحاضرة والبادية، على الرغم من بدايته الدموية، حيث شاركت بادية الجبل في بداية حكم عبدالله في الصراع الدائر بينه وابن علي، تزعمَّ البادية فيه نعيس بن طوالة من الأسلم وصحن بن علي متزعمً ا آل علي، لكنهما سرعان ما انخرطا في تبعية عبدالله بعد موقعة بقعاء ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، حيث آثروا مصلحة القبيلة على مصالحهم الشخصيَّة.[4]

(١) **مكتبة آل بنيان بحائل**: رسالة من الإمام تركي بن عبدالله إلى صالح وحمد الشويعر ومحمد الخطيب وعبدالله بن جبر في الجبل، يحذر فيها من تعديات البادية على الحاضرة، ووجوب دفع الزكاة، بتاريخ ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، نُقلت من أصلها بخطِ علي بن صالح آل سالم بتاريخ ١٣٨٠/٢/٢٥هـ الموافق ١٩٦١/٦/١٠م.

(٢) العتيبي: مريم بنت خلف، **الأوضاع السياسية في عهد الإمام تركي بن عبدالله آل سعود ١٢٤٠-١٢٤٩هـ/١٨٢٤-١٨٣٤م**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، إشراف الدكتور: عويضة بن متيريك الجهني، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص ص ٩٥-٩٦.

(٣) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٤) المارك: المصدر السابق، ج٤، ص ص ١٢٠٥-١٢٠٦.

وبين هذا التقارب بين البادية والحاضرة حيناً، والتنافر في آخر، نخلُص إلى أن هنالك علاقة وديَّة بين فئات المجتمع تحكمها المصالح، وثمَّة تقدير واضح بينهم، على الرغمِ من بقاء الحذر بينهم، الذي تفرضه طبيعة البدوي ومعيشته الحرَّة من دون قيود، في حين يرى ابن الحاضرة إلى أن البدوي عدوٌ لاستقراره وأمنه. وقد ناقش عبدالله العثيمين هذه القضية باستفاضة رداً على ما أثارته مضاوي الرشيد في كتابها السياسية في واحة عربية، التي عمَّقت النظرة الطبقيَّة بين فئات المجتمع بالجبل، وأوصلتها للنظرة الدونية المتبادلة بينهم، حيث أجاد العثيمين في توضيح ذلك من خلال نقاطٍ عدَّة؛ اعترف من خلالها بوجود نظرة ذِكرِه، لكنها لا تصل للدونيَّة كما ذكرت المؤلفة، بدليل حفاظ الفئات الحضرية على عرقيتها، ومصاهرتها لفئات توازيها في الطبقة، وقد تتصاهر وفئات بدوية أيضاً، في حين أنها لا تصاهر الفئات الأخرى الوافدة، وهذا يعطي دلالةً على عدم وصول النظرة إلى الدونية التي ذُكرت، ويقول العثيمين: "وإذا كان البدو يعدون الحضر أدنى مكانةً منهم فذلك لأسباب أخرى في طليعتها أنهم يرون أن وسيلة الدفاع الرئيسة لدى الحضر هي الأسوار التي يبنونها حول بلدانهم في حين أن وسيلة الدفاع لدى البدو ظهور الخيل. وهم بذلك يرون أنهم أشجع من الحضر".[(١)]

وفي النهاية تتفاوت النظرة بحسب الشخوص وتقييماتهم لبعضهم البعض، وإن كانت في العموم اتسمت العلاقة بالمصلحة المشتركة، واختلفت من فترة تاريخية إلى أخرى. كما كان لآل رشيد في الإمارة أثر في تقارب البادية والحاضرة، سعياً لتحقيق مصلحة الإمارة الكبرى، لذا سعوا إلى دمجِ فئات المجتمع، ومحاولة عدم التفريق بينهم، ومما يؤكد ذلك أبيات عبيد بن رشيد التي قال منها[(٢)]:

حضر الجبل والبدو ناتي صليبين   يتلننا جكلات سود الجدايل

(١) العثيمين: **قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ص ١٨-١٩.

(٢) نفسه، ص ٢٠.

ومما ننتهي إليه هنا؛ إلى أن الصراع موجود بين طبقات المجتمع، اختلف بين صراع بين البادية والحاضرة على أساس أسلوب المعيشة، وبين طبقات المجتمع العرقية على أساس أصولها وانتماءاتها.

التشكُّل القبلي في الجبل:

تناولنا في التمهيد لهذا الموضوع بشكلٍ مختصر أبرز القبائل التي كانت تسكن المنطقة، من بني أسد وطيء وتميم، حتى وصلت المنطقة لتشكل الحلف بقبيلة شمَّر، التي أخذ المكان اسمها، ونُسب الجبلان إليها،لكن في الوقت نفسه لم تكن شمَّر الوحيدة في المنطقة، إذ كانت تميم تشاركها الثقل الاجتماعي، وقد تفوقها في بعض المناطق التابعة للجبل من بلدان وقرى. لذلك يجب أن نتحدث في البداية عن وجود قبيلة تميم، ومن بعد ذلك شمَّر، باعتبار أن هاتين القبيلتين؛ كانتا الأكثر وجودًا وتأثيرًا في التركيبة الاجتماعية للجبل بمراحل مختلفة من التاريخ. ولم يكن لقبيلة طيء تأثيرًا في الفترة التي نتناولها لهجرة غالبية أفرادها من الجبل، وانتشارهم في أماكن عدَّة، خصوصًا في المناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية وخارجها في بلاد الشام والعراق(١)، حتى أنها تكاثرت في مناطق أخرى، مثل بلاد فارس(٢)، وذلك في فترات تاريخية مختلفة، ومنذ عصور مبكرة، ما يعني أن طيئًا هاجرت على مراحل من الجبل، آخرها في الصراع الذي حدث بين بهيج السنبسي وقبائل عبدَّة القحطانية.

وفي ما يبدو أن طيئًا سلَّمت بمجريات الأحداث التاريخية في جبليها، من تكاثرِ عبدَّة قحطان، وتركت لها الإمارة فيها وهاجرت إلى الجزيرة الفراتية في العراق(٣)، ولعل عدم رغبة الطائيين في العودة إلى الجبل مرةً أُخرى؛ أنهم كانوا قد أسسوا إمارات عدَّة خارج الجبل في العراق والشام، لذا لم تشغلهم مسألة عودتهم، على الرغم من محاولة بهيج العودة، وغزوه

---

(١) القريطي: عقيل بن إبراهيم، **تاريخ طيء**، مطابع المحيسن، حائل، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ص ٢٤-٢٩.

(٢) كان لطيء وجودٌ في بلاد فارس من قبلِ قيام الدولة العباسية، وقد كان لها ذكرٌ في خرسان، وتُعدُّ أحد القبائل العربية المشهورة هناك مع خزاعة وتميم؛ (آذر: پروين تركمني، **عرب تباران خراسان و نقش آنان در سقوط امويان**، بحوث الأرشيف الإيراني، طهران، (د.ت)، ص ١٩).

(٣) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٣، ص ص ٣٢٩-٣٣١.

الجعفر من عبدَّة، وانتصاره عليهم، إلا أنه عاد للعراق بعد أن أُخذ عليه عهداً بعدم العودة إلى الجبل، بعد أن أُصيب برمحٍ طلب من ضاربه أن يخرجه من جسده فأبى إلا بوعدٍ بالرحيل، فبر بهيج بوعده ولم يعد، ويقال أن العقيدات[1] الموجودين في بلاد الشام من نسلِ بهيج السنبسي.[2] وبعد هجرة طيء ورثت قبيلة شمَّر المنطقة، ودخل الطائيون الذين آثروا البقاء في الجبل في حلف هذه القبيلة الجديدة، التي تزعمها العبديون من قحطان.

قبيلة تميم:

توطنت تميم الجبل منذ فترةٍ مبكرةٍ من التاريخ، وغالباً أتت إلى المنطقة بعد وصول طيء إليها بفترةٍ قريبة، كما أن مناطق تميم في الجبل كانت مما يعدُّ منازلاً أصيلةً لها، فعددٌ من المصادر التي تناولت قبيلة تميم في نجد؛ أشارت إلى أن انتشار فروع عدَّة منها في المنطقة كان بعد هجرة آل مزروع[3] من قفار في الجبل إلى سدير وحوطة بني تميم، وما بينها من المناطق الأخرى، فيقول ابن لعبون[4] في تاريخه: "وينسب إلى عمرو بطون كثيرة وإلى تميم منهم قبائل

(١) من أكبر عشائر الشام الريفية، وهي مؤلفةٌ من بطونٍ عدَّة، بدأ رحيلها من حائل إلى وادي الفرات في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وانقسمت بين العراق والشام، ويقال أنها من قبيلة زبيد الطائية، التي تنتسب إلى بهيجٍ السنبسي، وكانوا يتكاثرون في الجنوب الغربي من حائل، وسمُّوا بالعقيدات نسبةً إلى موطنهم الأصلي الذي خرجوا منه في الجبل، وهو عقدَّة، التي كانت عاصمةً لبهيج قبل هزيمته ورحيله منها، وكان للعقيدات تفرعات كثيرة، ولهم أراضٍ واسعة في بلاد الشام؛ (زكريا: أحمد وصفي، **عشائر الشام**، ج١، تقديم: أحمد غسان سبانو، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٥٦٨).

(٢) النفجان: أيمن بن سعد، **الفضول**، (د.ن)، (د.م)، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ص ٢٤-٢٦.

(٣) آل مزروع بطنٌ كبيرٌ من بطونِ بني عمرو بن تميم، يعودون إلى مزروع بن رفيع بن حميد بن مخرب بن صلاة بن عبده بن جندب بن الحارث بن عبدالله بن المنذر بن عمرو الندي، ومزروع هو الذي قَدِم من قفار واشترى المكان الذي نشأت منه بلدة سدير، واستوطنها في حدود سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م؛ (ابن ماضي: تركي بن محمد، **تاريخ آل ماضي**، مطبعة الشبكشي، مصر، ط١، ١٣٧٦هـ، ص ص ٩-١١).

(٤) حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون المدلجي الوائلي، ولد قبل عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م في بلدة حرمة، وتنقل بين بلدانٍ نجديَّة، وانتهى به المقام في سدير، حيث تولى بيت المال فيها في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز والإمام عبدالله=

في جبل طيء وقبائل في نواحي العراق والبصرة واختلطوا بأهل السواد والجزائر وخلطهم غيرهم فالله أعلم هل هم من تميم هؤلاء أو من تميم يذكر في نسب طيء أو من غيرهم ودخل فيهم من ليس منهم إلا تميم نجد واليمامة فإنهم محفوظ نسبهم في أوطانهم والصريح منهم المجتمعون على أحسابهم وأنسابهم في نجد أهل قفار الذين انخزل منهم المزاريع أهل روضة سدير الذين منهم راجح جد آل ماضي وسعيد جد رميزان وهلال جد آل أبي هلال"[1]، وكان لبني عمرو أحداثًا ووقائعًا قبل الإسلام وبعده، وقد انتشروا من الجبل إلى مناطق أخرى شمالاً وجنوبًا، وهم بنو العنبر بن عمرو بن تميم.[2] كما أن من بني عمرو المهاجرين من قفار من انتقلوا إلى شرقِ شبه الجزيرة العربية في الأحساء.[3]

وعلى الرغم من أننا لم نهتد إلى تاريخ محدد لبداية وجود تميم في الجبل؛ إلا أن تميمًا تعتبر من أقدمِ القبائل التي سكنت المنطقة، وأكثرها التصاقًا بتاريخها منذ فتراتٍ تاريخية مبكرة[4]، لكن لوجود قبيلة طيء ومن بعدها شمَّر، واستئثار هاتين القبيلتين بالسلطة السياسية، جعل الكتابات عن المنطقة تنصب عليهما، وإن كان ذكر تميم واردًا ومرافقًا لهما. ويؤكد هذا الثقل الاجتماعي لتميم؛ انتشار أفرادها في قرى وبلدان عدَّة في الجبل، حتى أنه ذهب بعض الرحَّالة الذين زاروا الجبل إلى القول أن أكثر سكان جميع القرى في جبال أجأ

=بن سعود، وكان من المشتغلين بالتاريخ، توفي سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م؛ (ابن لعبون: حمد بن محمد، **تاريخ حمد بن محمد بن لعبون**، مكتبة المعارف، الطائف، ط٢، ١٤٠٨هـ، ص ٣).

(١) نفسه، ص ٢٨.

(٢) ابن حزم: علي بن أحمد، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف ، مصر، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص ٢٠٨.

(٣)أشهرهم في الأحساء أسرة آل مبارك التي اشتُهر منها كثير من العلماء والأدباء، وكان لهم دورًا في الحركة الثقافية فيها، ويقول حمد الجاسر عن آل مبارك في معجمه: "تنتمي هذه الأسر إلى الشيخ مبارك بن علي بن محمد بن قاسم بن حمد بن سلطان وتنتسب إلى عمرو بن تميم، ثم من بني جندب بن العنبر، ممن كان يسكن في بلدة قفار أشهر بلدة في إقليم الجبل قبل مدينة حائل"؛ (الجاسر: حمد، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ج٢، دار اليمامة، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٧١٧).

(٤) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ١٠٣.

وسلمى وما حولها من بني تميم، وذلك عطفاً على ما رأوه من كثرةٍ سكانية وكثافة لهم في غالب القرى التي زاروها.[1] في حين أن واقع الأمر يقول باقتسام قبيلتي شمَّر وتميم للقرى في المنطقة. ومن أكثر الأمور التي اهتمَّ بها أبناء قبيلة تميم في الجبل؛ الزراعة، حيث انشغلوا بها عن غيرها، فكان الشأن السياسي آخر ما يفكرون به[2]، لذا تصالحوا مع جميع القوى التي حكمت المنطقة منذ طيء إلى شمَّر، حتى أنهم خرجوا من بعضِ ديارهم نتيجة الضغوط السياسية، والتكاثر القبلي.[3]

ومما يدلّ على عدم جنوح تميم للصراعات السياسية قول فالين: "إن بني تميم في هذه الديار معروفون بنشاطهم ومهارتهم في الزراعة، ولا يتعاطون سواها إلا ما ندر. والشمَّر قوم نشيطون جداً يميلون للتجارة والغزو، وينظر إليهم بعكس ما ينظر لسواهم من الحضر، أي أنهم يفوقون إخوانهم البدو شجاعةً ومهارةً في فنِ استعمال السلاح، ولا ريب في أن ابن رشيد يدين لهم بجميع انتصاراته على جيرانهم أكثر مما يدين للبدو".[4] كما أن تميماً احتفظت بشخصيتها وطابعها الذي يميزها عن غيرها من القبائل في الجبل، في اللغة والعادات والتقاليد.[5]

قبيلة شمَّر:

كانت بداية شهرة شمَّر كقبيلة في المنطقة في حدودِ القرنِ الثامن الهجري، لكن ظروف نشوء هذه القبيلة غير واضح، كما أن نسبتها لرجلٍ واحد كان من الأشياء الصعبة

---

(١) موزل: **تاريخ بيت ابن رشيد**... المصدر السابق، ص٥٥٧.

(٢) لوريمر: المصدر السابق، ج٦، ص ٢٢٤٣.

(٣) من ذلك خروج تميم من أحد أهم ديارهم الأجفر الموجودة في حدود الجبل، بعد أن احتلها بنو جذيمة من بني أسد، حيث كانت البلدة لبني يربوع من تميم قبل ذلك، لكنهم هجروها بعد أن نازعهم فيها الأسديون؛ (الفريح: المرجع السابق، ص ٦٦).

(٤) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ٩٩.

(٥) نفسه، ص ١٢٧.

جداً، لكنه ورد في بعض المصادر التاريخية التي تحدثت عن القبيلة، وأعادها إلى جدٍ باسم شمَّر.

ومن أوائل من ذكروا القبيلة في المصادر التاريخية القلقشندي في كتابه نهاية الأرب، إذ قال: "بنو شمَّر: بطن من العرب، مسكنهم جبلي طيء: أجأ وسلمى، بجواره. ذكرهم الحمداني ولم ينسبهم في قبيلة"(1) وأضاف على ما قاله ابن فضل الله العُمري في مسالك الأبصار قوله: "أما نسبتهم فمختلف فيها ويرى بعض النسابة أنهم من قيس بن ثعلبة بن سلامان، والبعض الآخر أنهم من قيس بن عبد جذيمة"(2) ومما ذكره القلقشندي والعُمري نلحظ أن اسم القبيلة كان متداولاً، بل وأثبتا أن اسم شمَّرٍ آتٍ من أحد أهم أفرُع قبيلة طيء، وهما أن طيئًا خلال القرن الثامن الهجري بدأت تتخذ بطونها أسماءً تُعرف بها في الجبل، ذلك يثبته أن بني لأم كانوا الاسم الأشهر أيضًا في المنطقة، وهم القبيلة الطائية المشهورة، كما قال ابن فضلٍ عنهم: "لأم: ينتسبون إلى لأم بن عمر بن طريف بن ثمامة بن خارجة بن فطرة بن طيء، من عرب الحجاز، وديارهم جبلا طيء، أجأ وسلمى"(3)، لذلك اشتُهر في الجبل ثلاثةُ أفرُعٍ رئيسةٍ للطائيين:

1. بنو لأم بن طريف بن ثمامةَ بن خارجة بن فطرة بن طيء.
2. بنو شمَّر بن قيس بن ثعلبة بن سلامان بن غوث بن طيء.
3. بنو سُنبسُ بن غوث بن طيء، وهؤلاء منهم بهيج الطائي، آخر حكام السنابسة في الجبل.

---

(1) القلقشندي: أحمد، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م، ص 308.

(2) العُمري: ابن فضل الله، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين**، دراسة وتحقيق: دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ط1، 1406هـ/1985م، ص 153.

(3) نفسه.

ومن المراجع الحديثة التي أثبتت هذه الرؤية التي تؤيد عودة قبيلة شمَّر إلى طيء ما قاله الجاسر في جمهرة الأنساب: "ولطيءٍ فروع كثيرة هاجر أكثرها من الجزيرة، ولم يبق سوى فروع صغيرة بالنسبة للفروع الأخرى، منها شمَّر، الفرع الذي يظهر أن كثيرًا من فروع القبيلة انضم إليه حتى أصبح قبيلة عظيمة، تضم أخلاطًا من القبائل كغيرها من القبائل الكبيرة، حين تبلغ درجة من القوة، ينضوي إليها من يطلب حمايتها"[1]، وفي رؤية الجاسر هذه من الصحة الشيء الكثير، غير أنه لم يكن دقيقًا حين تحدث عن هجرة طيء في اليمن، وربطها بهجرة عبدَّة من بلاد قحطان في تثليث[2]، إذ يتضح الخلط في النقطتين الآتيتين:

١. قال في تعريف طيء: "القبيلة العظيمة التي منها حاتم الطائي وكان موطنها بلاد اليمن، ثم انتقلت إلى ما يعرف الآن ببلاد قحطان في أودية طريب وتثليث وما حولها، ثم اتجهت صوب شمال الجزيرة – في قصة أقرب إلى الخرافة ذكرها المتقدمون من المؤرخين وقال راجزهم:

إجعل طريبًا كحبيبٍ يُنسى   لكل قومٍ مُصبحٌ ومُمسى

واستقرت في بلاد الجبلين أجأ وسلمى، اللّذين عُرفا – فيما بعد باسم جبلي طيء – ثم بالجبلين، ثم بالجبل، ثم بمنطقة حايل".[3]

٢. يعود ليتحدث عن قبيلة شمَّر فيقول: "وتحضُّر شمَّر قديم، أي منذ العهد الجاهلي، فقد كانت بلادهم ذات قرى وذات نخل ومنعة، وكذا بعض الفروع الطائية كبني سنبس أصحاب القُريَّة، ومن أقدم القرى في منطقة جبلي طيءٍ تنعة، وبلطة، وغيرهما".[4]

---

(١) الجاسر: **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ٤٧٠.

(٢) سُمِّيت تثليثًا لالتقائها بين طرقٍ ثلاثة، تربط الحجاز واليمن ووسط الجزيرة العربية، وهي من البلدان الجنوبية، التي سكنتها مذحج القحطانية، (البكري: المصدر السابق، ج١، ص ص ٣٠٤-٣٠٥).

(٣) الجاسر: **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ٤٧٠.

(٤) نفسه.

أما في الأولى فقد خلط بين هجرة طيء من اليمن إبَّان سـ َيل العـ َرِم قبل الإسلام، وهجرة الضياغم في القرن السابع الهجري، وما جاء به من حديث ٍ عن وادي طريب، قد قاله البكري وياقوت من قبل، لكنهم لم يقولوا بالقصة ِ التي روى أنها أقرب إلى الخرافة ذكر ها المتقدمون من المؤرخين، فما كان يقصده الجاسر من خرافة؛ هجرة الضياغم من وادي تثليث، لذلك جاء بذكرِ تثليث مع وادي طريب. وفي الثانية يؤكد وجود شمَّر في العصر الجاهلي، على الرغم من أن هذا الاسم للقبيلة لم يشتهر إلا في العصور الإسلامية الوسطى.

وفي الخلاصةأومطاته المصادر التاريخية نصل إلى أن شمَّر ً ا قبيلةً طائيَّة، اشتهر ذكرها، وذاع صيتها في حدود القرن الثامن الهجري، انضوت تحتها مجموعات ٍ من قبائلٍ عربية ٍ أُخرى على نظام الأحلاف المتعارف عليه بين قبائل شبه الجزيرة العربية، كانت أبرزها عبدَّة قحطان، التي وفدت للمنطقة ودخلت في الحلف الشمَّري، وكان لها مشاركات سياسية، جعلتها تكسب الريادة في المنطقة، وتتسنم قيادة القبيلة. ومن هذا جاء الخلط عند الجاسر وغيره من الذين كتبوا في نسب شمَّر، بين قحطان وطيء، كما أن من أبواب ِ الخلط؛ أنَّ طيئ ًا قبيلةً قحطانية في الأساس، لتحتاج مسألة التمييز بينها وغيرها في حلف ٍ قبلي ٍّ واحد؛ الاطلاع والتعرف على هجرة طيء ومن بعدها ضيغم.

كما أن بعض ًا ممن كتبوا عن قبيلة شمَّر ونسبها، أهملوا طيئ ًا، وجعلوا عِماد القبيلة على العبديين من قحطان، وكأن شمَّر طيء ٍ تلاشـَى في شـُهرةِ عبدَة قحطان، ومن ذلك قول أحد المؤلفين: "إن أصل شمَّر يرجع إلى قحطان وموطنها الأول اليمن، وقد قال شاعرهم القديم:إن سـَلت عنا يالسويطي قحاطين أصايلٍ واللي حذانا لفايق"[1]وفي قولِ المؤلف هنا نسيان لطيء، إذ وإن كانت طيء والعبديين من أصول ٍ واحدة ٍ في قحطان، ومن منشأ واحد ٍ في ليمن، إلا أنه من الإنصاف ذكر طيء الأساس في القبيلة، والأسبق مجيئ ًا للمكان.

(١) الخريصي: هشَّال،**قبيلة شمَّر متابعة وتحليل**، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٧.

أيضًا يأتي مؤلف كتاب إمارة آل علي في منطقة حائل، ويقول بما لا أساس له في المصادر والمراجع التاريخية، إذ يحاول التأكيد على أن عبدَّة شمَّر بطنٌ من بطون طيء، ولتبرير هذه الرواية التي يأتي بها، يقول بأن وصول عبدَّة إلى تثليث كان بهجرةٍ من جبلي طيء وعودةٍ أُخرى إلى الجبل، وما وجدنا في المصادر التاريخية شيئًا من هذا، بل على العكس كل ما هو موجودٌ في المصادر يقول أن عبدَّة فرعٌ أصيلٌ من قحطان، هاجر حتى وصل إلى الجبلين واندرج في حلفِ شمَّر الطائية.[1] ومما لا أصل له أيضًا في المراجع الحديثة ما جاء به صاحب كتاب القبائل وانسابها، الذي يقول في التعريف بشمَّر: "بالتشديد أو التخفيف، قبيلة من العرب، ذات بطون، تنسب إلى شمَّر ذي الجناح من قحطان، منهم في نجد، ومنهم في العراق، والموصل إلى سنجار، والظاهر أنهم ينسبون إلى شمر يرعش بن أفريقش بن أبرهة ذي المنار، أحد ملوك التبابعة من اليمن، سمي شمَّر يرعش لارتعاش كان به، وخرج نحو العراق، ثم توجه نحو الصين، ودخل مدينة السند، وخربها وهدمها، فسميت شمر كند، أي شمر خربها، وعمرت بعد، فقيل سمرقند، وقيل شمر يرعش، فقيل شمركند، فعربت فقيل سمرقند".[2] وإيراد مثل هذا الرأي على أنه واضحُ البُعدِ عن الصواب، إلا أنه يعطي دلالةً على أن كثيرًا من الذين كتبوا في الأنساب خلطوا في نسب شمَّر، منهم من وصل ما وصله صاحب القبائل وأنسابها من بُعد.

ولتبيان مسألة الخلط، بعد أن توصلنا إلى أن شمَّرًا قبيلةً طائيَّة، لا بد من الحديث عن الضياغم وهجرتهم من جنوبِ الجزيرة العربية، إلى أن وصلوا إلى الجبل، بعد أن مروا بمناطِق عدَّة. فأول ورودٍ للضياغم في المصادر التاريخية؛ كان في منتصف القرن السابع الهجري، وتحديدًا في حوادثِ سنةِ ٦٥٨هـ/١٢٥٩م، حين جاء الحديثُ في كتاب السمط الغالي حول

(١) آل علي: محمد بن مهنا، **إمارة آل علي في منطقة حائل**، دار المؤيد، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ص ١٠٣-١٠٨.

(٢) الحسيني: محمد المهدي، **أسماء القبائل وأنسابها**، شرح وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٥٠.

منطقة الجوف[1] في اليمن، أنه كان يسكنها الضياغم، وأن لهم زعماءً فيها، امتدوا منذ منتصف القرن السادس الهجري.[2] ومنهم جاءت عبدَّة شمَّر القحطانية[3]، التي ارتحلت من بلدة تثليث الجنوبية.

وخلال الهجرة شمالاً من تثليث أسَّس الضياغم الأسياح في القصيم[4] واشتُهر خلال مسيرهم أعلامًا من القبيلة، منهم شهوان[5]، عمير وعرار[6]، وارتبطت حكاياهم بمروياتٍ شعبيَّةٍ تناقلها العامة في الجبلِ وغيرها غير أنَّ أبناء الجبل كانوا الأكثر اهتمامًا،

---

(١) محافظة الجوف تقع في الجزء الشمالي الشرقي من الجمهورية اليمنية، يحدها من الغرب محافظة عمران، ومن الجنوب الغربي محافظة صنعاء، ومن الجنوب محافظة مأرب، ومن الشرق محافظة حضرموت، ومن الشمال الشرقي المملكة العربية السعودية، ومن الشمال محافظة صعدة وقد أشار ياقوت إلى أنها من أرضِ سبأ في اليمن؛ (الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٨؛ ويكيبيديا: على الرابط **http://ar.wikipedia.org/wik**).

(٢) الهمداني: بدر الدين محمد بن حاتم، **كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن**، ج١، تحقيق: ركس سميث، جامعة كمبردج، المملكة المتحدة، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٣٣٩.

(٣) ينتهي نسبهم في ضيغم بن شهوان بن جعفر بن منصور بن ضيغم، من مذحج من ولد الحارث أبناء عبيدة، وارتحلوا من الجنوب شمالاً، وكانت لهم هجرةً أسسوا فيها مدنًا وأُرخت لهم أحداثًا؛ (العمروي: عمر بن غرامة، **منطقة تثليث وما حولها عبر العصور**، دار الطحاوي، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ، ص ص ٧٠-٧١).

(٤) سميَّت الأسياح لكثرة آبارها، حيث كانت المياه تسيح على وجه الأرض إذا ما سالت الأرض، وهي من بلدان القصيم، وقد كان المكان الذي أُسِّست فيه البلدة يسمى النِّبَاح. وقد أسسها الضياغم ولهم فيها حكايا ومرويات شعبية، أشهرها حكايا عمير وعرار؛ (العبودي: محمد بن ناصر، **الأسياح النِّبَاج قديمًا**)، مجلة العرب، ج٧،٨، السنة ٩، محرم وصفر ١٣٩٥هـ/ فبراير ومارس ١٩٧٥م، ص ص ٥٣١-٥٤٨).

(٥) شهوان بن منصور بن منيف بن ضيغم، ويعرف في بعض المصادر باسم شهوان بن منصور العبيدي، وقد كان شاعرًا وفارسًا له مشاركاتٌ في حروب لآل ضيغم في الجوف اليمانية، وهو من أهل القرن السابع الهجري، تسلم زعامة قبيلته، وقد كان أخوه عبدالله زعيمًا قبله، إذ ورد ذكر أخيه في كتاب السمط الغالي؛ (العريفي: **تلويحات**... المرجع السابق، ص ص ٢٢-٢٣؛ الهمداني: **كتاب السمط الغالي الثمن**... المصدر السابق، ص ٣٣٩).

(٦) عمير بن راشد وعرار بن شهوان، وهما من شخصيات الضياغم البارزة، وقد ارتبط اسم الاثنين ببعضهما، لأنهما أبناء عمومة، كما أنه حدثت بينهما حروب ومواقف فيها مصادماتٌ ومنازعاتٌ عدَّة في نجد؛ (الحصان: سليمان ابن محمد، **الرواية المحلية لسيرة عمير وعرار (الضياغم)**، مطابع دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ، ص ص ٣٤-٣٦).

لاسيَّما العبديَّون من شمَّر الذين اهتموا بمروياتهم، على اعتبار انتسابهم، وأصلهم الضيغمي، باعتبار أنهم وصلوا إلى الجبل بعد تكاثر القبيلة، حيث وصلوا إلى المنطقة في فترةِ زعامةِ بهيج ابن ذبيان الطائي، الذي كان متنازعًا مع أبناء عمومته، فانظم الضياغم لأعدائه، وتكاثروا عليه، وأخرجوه من الجبل، فصارت الزعامة لهم في الجبل، بعد أن دخلوا في حلفِ قبيلة شمَّر الطائية، لاسيَّما وأنهم قحطانيون، ينتسبون وطيء للقبيلة الأم نفسها.(1)

وبعد مخاضٍ سياسي تسلَّم العبديون زعامة الجبل، وتحديدًا صارت الزعامة في آل جعفر بن عجيل بن راشد بن ضيغم، ومنهم آل علي وآل رشيدالذين كانوا حكامًا للجبل من الضياغم.كما أن هنالك فروعًا أخرى من العبديين دخلت في قبيلة شمَّر، منهم آل ربيعة الذين ينتهي نسبهم في عمير بن راشد بن ضيغم، ومنهم آل نهير من عبدَّة شمَّر، الذين يسكنون الأجفر.(2) ومنهم من انتقل مع فروعٍ أخرى من شمَّر الجبل إلى العراق وإلى سوريا، في فتراتٍ تاريخيةٍ مبكرة، أو بعد هجرة الجرباء في بداية القرن الثالث عشر الهجري، ، ومن هؤلاء اليحيا والقشعم وآل محمد بن شهوان وغيرهم، حيث كانت الهجرة بين الجبل والعراق وسوريا مستمرةً من دونِ انقطاع خلال فترة الدراسة، وقبلها.(3)

فلقدقبائل شمَّر سواءً من عبدَّة أو غيرها من الأسلم وسنجارة، تسلَّمت الزعامة في الجبل بعد الطائيين، وصارت لهم الرئاسة، والثقل الاجتماعي، الذي شاركتهم فيه قبيلة تميم.

---

(1) الشعيبي: علي بن شواخ، **القشعم من كبريات القبائل العربية**، دار المعارف للطباعة، (د.م)، ط1، 1406/1986م، ص ص 134-136.

(2) ابن نهير: ندا، **تاريخ ابن نهير**، (د.ت)، مخطوطة محفوظ منها صورة لدى الباحث محمد العميري، ص 6.

(3) الشعيبي: المرجع السابق، ص ص 104-106؛ البرازي: نوري بن خليل، **البداوة والاستقرار في العراق**، معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، (د.م)، ط1، 1969م، ص ص 126-127؛ كحاله: عمر رضا، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1418هـ/1997م، ص ص 608-608.

فئات المجتمع: البدو، الحضر، الموالي

انقسم المجتمع في جبل شمَّر إلى فئات ٍ ثلاث؛ بين باديةٍّ ٍ وحاضرة، ومن ثم الموالي، وهذا التقسيم يأتي على حسب أسلوب المعيشة في الفئة الأولى والثانية، وعلى أساس الانتماء العرقي للثالثة. وقد يدخل الانتماء العرقي في البادية والحاضرة، لكن يطغى أسلوب المعيشة في التصنيف لأنه يُ شكلٌ منظومةً اجتماعيةً يندمج فيها الناس، على اختلاف أنسابهم.

البدو:

قوامُ بادية الجبل من قبيلة شمَّر، باعتبارها الأكثر نفوذًا في المنطقة، ولأن الجبل موطنها الأصلي الذي انطلقت منه للمناطق الأخرى شمالاً، إلى شمال ِ شبه الجزيرة العربية، والعراق والشام، كما كانت هنالك هجرات جنوبية، لكنها كانت محدودة وقليلة.

وقد كانت بادية شمَّر تأتمِر بزعامة ِ الجرباء، إذ إن لهم الزعامة العامة للقبيلة، خصوصً ا بين أبناء البادية، لكن بعد أن ارتحل آل الجرباء من الجبل، لم يبقَ زعامة تأتمَ رِ ُ بها القبيلة سوى زعامة آل علي في حائل، ومن بعدهم آل رشيد، أما من انتقل مع الجرباء إلى العراق وسوريا، فقد بقي في ولائه ِ لهم، باعتبارهم زعماء القبيلة.[1]

لذلك اختلفت نسبة البادية للحاضرة في الجبل، قبل دخول إمارة آل علي في طاعة الدولة السعودية الأولى، عنها بعد انضمامها، ذلك لأن كثيرً ا من بادية الجبل ارتحل مع الجرباء، ما أحدث اختلالاً في النسبة، بدا واضحً ا، وآلت الزعامة لحكام حائل، باعتبارهم الزعامة الباقية من القبيلة، التي يرتضي بها أبناؤها الباقون.[2] كما أن حركة التحضر التي

(١) الظاهري: أبو عبدالرحمن بن عقيل، **آل الجرباء في التاريخ والأدب**، موقع الوراق على شبكة الانترنت، ص ١٦.

(٢) العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد**... المرجع السابق، ص ١٨١.

رافقت ازدهار التجارة والزراعة في حائل وقرى الجبل الأخرى؛ جعلت كثيراً من أبناء قبيلة شمَّر يتجهون إلى سكنى القرى، وبالتالي أثَّر هذا الأمر في التوازن بين الحاضرة والبادية، لصالح الحاضرة، الذين زادت نسبتهم عن البادية.(1)

وعلى الرغم من تناقص عدد البادية في جبل شمَّر، إلا أنَّ السلطة السياسية لم يكن لها قوةً مباشرة على البادية، إذ كان الأمراء يلجأون إلى استمالةِ رؤوساء العشائر الشمَّرِية، ذلك من خلال الأعطيَّات وإعفائهم من دفع ضريبة المشاركة في الحروب، كذلك إعفاء عدد من أبناء القبيلة من دفع ضريبة الحرب، إضافةً إلى المشاركة في الحروب، وبالتالي المشاركة في الغنائم.(2) ومن خلال هذه السياسة كانت السلطة السياسية تستطيع للميطرة، ولو بطريقةٍ غير مباشرة على البادية في محيطها، حيث تضمن ولاء أبنائها، وتُشركهم في عملياتها العسكرية، لكن في الوقت نفسه تبقى البادية محلَّ قلقٍ دائم لدى الإمارة، تتعامل معها بشكلٍ حَذِر.

وكانت نقاط الالتقاء بين الحاضرة والبادية في الجبل واضحة، وتدعو إلى الاستقرار في العلاقة، لاسيَّما وأن جزءاً كبيراً من الحاضرة كان متواصلاً مع البادية، باعتبار صلة النسب القبلي، كذلك عملية المصاهرة بينهم التي كانت تمليها مسألة الأصل الواحد، ما سهَّلَ عملية التحضُّر بين البادية كما كان لهذه المسألة تأثيراً على التعاضد بين الإمارة والبادية، إذ إن حاضرة شمَّر وعلى رأسها أمراءها من آل رشيد وقبلهم آل علي؛ كانوا يعتبرون أنفسهم شمرِّيُون بالدرجةِ الأولى، ما أثرَ في استقرار السلطة داخلياً.(3)

وهذا التقارب بين بادية شمَّر وحاضرتها؛ لم يمنع مسألة الحذر الدائمة بين الفئتين؛ ويدلل على ذلك أن عبدالله بن رشيد خلال عهده؛ سعى إلى ضمان ولاء البادية، لكنه في

(1) نفسه.

(2) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٨٢؛ داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٦.

(3) فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٣٢.

الوقت نفسه كان يهدف من هذا تحقيق مسألة الوحدة، واستقرار حكمه بتطبيق القوانين، واحترام السلطة، بحيث حرص على صلاته مع البادية، وأجبرهم على احترامه، وبالتالي احترام القانون، لأنه يعي ما لحياتهم من فوضويَّة قد تؤثر على استقرار الإمارة، إذا ما حدثت أي مشكلة في المقبل من الأيَّام. لذلك ما إن تسلَّم طلال العبدالله السلطة بعد والده؛ إلا وقام بالتقليل من الامتيازات التي منحها والده لزعماء البادية، والتقليص من نفوذهم، حتى وإن كانوا من زعامات الجعفر، العشيرة التي ينتمي إليها طلال.[(1)] وفي ما يبدو أن ذلك سعيًا من طلال إلى تحقيق أهدافه الحضارية، التي برزت في الجانب الاقتصادي، والتي أجبرت مجموعات من البادية على التحضر أملاً في المشاركة في الكسب المادي.

ومن الواضح أن النظرة الحازمة مع البادية كانت متطورةً بتطور الإمارة، فبعد طلال وإصلاحاته، ونظرته إلى البادية، لم يسعف الأمر أخاه متعب ولا ابنه بندر كي تتضح سياستهم بشكلٍ مباشر تجاه البادية، إلا ما كان من موقف بندر من قبيلة الظفير؛ إلا أنَّ محمدًا كانت له سياسة ورؤية تجاههم، اتضحت من خلال سياسته تجاه البادية، ووصاياه لابن أخيه وولي عهده عبدالعزيز المتعب؛ إذ أكدَّ على الحذر من العصبية القبلية، وطالبه بأن يعامل قبيلة شمَّر كغيرها من القبائل الأخرى، وألا يتسامح مع البادية إذا ما تجاوزت حدودها، بل ويشد وطأته عليهم.[(2)]

وفي ما يبدو أن شيئًا من هذه النظرة الحازمة كان مبررًا تجاه البادية، يدلِّل على ذلك ما أورده هوبر في حديثه عن مجموعة من أبناء البادية في حدود الجبل بوصفهم: "سلالة صغيرة قليلة التطور. وهم غير محبوبين على الإطلاق في الجبل بسبب عدم انفتاحهم واختلاطهم"[(3)]، وربما أن عدم انفتاحهم واختلاطهم الذي وصفه هوبر، نتيجة تعاملهم معه،

---

(1) Baran: op cit, p 52.

(٢) الحماد: المرجع السابق، ص ٦١.

(٣) هوبير: **رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢**... المصدر السابق، ص ٤٧.

ولأنهم لم يقبلوا وجوده كغير مسلم بالدرجة الأولى، وأجنبي في درجةٍ ثانية، أيضاً ربما أن عدم انفتاحهم واختلاطهم، لأنهم يأنفون القيود والعيش تحت أنظمة، تحد من حرياتهم التي تتعدى على حدود حريات الآخرين.

نتيجةً لهذه السياسة الشديدة تجاه البادية، التي اتخذتها الإمارة؛ نجد أن المشكلات التي كانت تحدثها في حدود الجبل قليلة، بل كانت رئاسات القبيلة تتقرب بشكلٍ أو بآخر إلى السلطة، في سبيل الحصول على الحظوة، لاسيَّما بعد تزايد قوة الإمارة السياسية والاقتصادية في عهد محمد العبدالله، وكانت مجموعات من البادية تنصب خيامها بالقرب من الإمارة في فصل الصيف، ما يشكل منظراً مألوفاً في حدودِ الإمارة، على اعتبار التقرب من مركز القوة، والمشاركة في المياه التي تعدُّ وفيرة في حائل، مقارنة مع غيرها من المناطق الأخرى في حدودِ الجبل.إضافةً إلى أن هنالك نمطيَّةً جديدة، ذات خصوصية في بادية الجبل؛ وهي أن مجموعات من بادية الجبل، كانت تمارس الرعي والترحال، لكنها في الوقت نفسه كانت تلجأ إلى الواحات والسكنى في الحاضرة متى أرادت، اعتماداً على ما كانت تملكه من مزارع وإقطاعات.(١) وهذا الأمر يعني أن هذه الفئة من السكان باستطاعتها تغيير نمط معيشتها متى أرادت حسب معطيات الطبيعة والظروف التي تستجد عليها، وإن كانت تطمح إلى الترحال بشكل أكبر من التحضُّر، إلا أن التحضُّر كان حلاً متوافراً متى أرادوا ذلك، خصوصاً أولئك المنتمون إلى آل جعفر من عبدَّة، والقريبون من السلطة، الذي حصلوا على إقطاعات من الأراضي منذ فترات تاريخية قديمة.

وبالنسبة للفئات التي التصقت بالإمارة من القبائل الأخرى من غير شمَّر، خصوصاً في حدودها الجغرافية؛ مجموعات من مطير وسبيع وعنزة وحرب والرشايدة، وتركزَّ هذا التنوع القبلي، وإن كان قليل بالقرب من الجبل، في الجهة الجنوبية من حدوده، وقد كان لقبيلة

(١) الرشيد: المرجع السابق، ص ٢٤.

حرب دور في قلق الإمارة، لاسيَّما في مسألة تأمين طريق الحجاج، الذين يضطرون إلى المرور بأراضيهم، وبالتالي لا تأمن الإمارة الاعتداء، والدخول في مشكلة سياسية لها أبعاداً اقتصادية، ما جعل محمد بن رشيد يحاول استرضاء رؤوساء حرب حيناً بالأعطيات والهدايا وإحضارهم في عاصمته، وبالتهديد والوعيد حيناً آخر.[1]

وبما أنَّ بادية شمَّر كانت تمثل سياجاً لحدود منطقة الجبل من اعتداءات قبائل أخرى؛ إلا أنه حدثت بعض المناوشات، خصوصاً من قبيلة عنزة التي كان لها ثقلاً بالقرب من الجبل، وتحديداً في نهايات حكم آل علي، حين كانت تشن الهجمات على حاضرة حائل، وتقوم بسلبِ ماشيتهم، ما أدى إلى استنفار عبدالله وعبيد آل رشيد لأهالي الجبل، ومن ثم بدأت الجفوة بينهم وحكام آل علي، الذين كانوا معارضين للحل العسكري مع مشكلة هجمات هذه القبيلة، حتى لا يدخلون في مشكلات قد تقلل من نفوذهم، إضافةً إلى أن آل علي لم يودوا أن يكسب عبدالله وأخيه البطولة في ردِّ الغزاة.[2] ولم تقتصر مواجهة عنزة مع الجبل وتحديداً عاصمتها حائل على هذه الحادثة، إذ شاركت عنزة أهالي القصيم في هجومهم على المنطقة في موقعة بقعاء سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م.[3]

كما كان للإمارة صراعاً عسكرياً مع عنزة وعتيبة ومطير في حدود منطقة القصيم، وكانت بينها وإياهم مواجهات عدَّة، يتحالف في بعضٍ منها حاضرة القصيم وباديتها[4]، من عنزة وعتيبة ومطير، لكن هذه المواجهات لم تدخل حدود الجبل الجغرافية سوى في بقعاء، ومن قبلها في بدء الصراع بين آل علي وآل رشيد.

---

(١) نولده: المصدر السابق، ص ص ٧١-٧٢.

(٢) ابن رشيد: المصدر السابق، ص ص ١٢١-١٢٣.

(٣) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٨.

(٤) الحماد: المرجع السابق، ص ١٣٧.

الحضر:

شكَّلَت قبيلتا شمَّر وتميم جزءًا كبيرًا من حاضرة الجبل، وجاء الحديثُ عن هذا في تناول القبيلتين في بدايةِ هذا الفصل، لكن يبقى جزء آخر مهم في النسيج الحضري في الجبل، له ثقله السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي. لكن اختلفهذا النسيج، وإن كان متحضرًا في مسألة عدم انتساب أبنائه إلى إحدى القبيلتين، إضافة إلى امتهان بعضهم الحرف والصناعات السائدة آنذاكوكانت هذه الفئة من مجتمع الجبل خليطًا من أجناسٍ عربية وغير عربية، وقد أثرَّ في تكاثرهم ووجودهم انفتاح الإمارة على المناطق الأخرى، خصوصًا في المناطق الشمالية، كذلك عدم تحسُّس الإمارة من الاستعانة بكل من كان باستطاعته إفادتها، سواءً في التجارة أو الصناعة. وقد تكونت هذه الفئة من الآتي:

١. المصريون والمغاربة (عساكر المرتزقة):

ومن هذه الفئة من وفدوا إلى شبه الجزيرة العربية لأغراضٍ عسكرية وتحديدًا بعد حملات محمد علي على الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، حيث استعان عبدالله بن رشيد بحوالي ٢٥٠ جندي من هؤلاء المتخلفين من الجيش المصري(١)، الذين فضلوا البقاء وخدمة الزعامات المحلية، مقابل قبولهم في النسيج الاجتماعي، لذا كانت الفائدة متبادلة، بحيث تستفيد هذه الفئات الاستقرار وترك الحياة العسكرية المرتزقة، وتحيا استقرارًا لم تعتد عليه، كما استفاد ابن رشيد من هذه الفئة بتوطيد حكمه من منافسيه في الجبل، لاسيَّما أن هذه الفئة لم تدن بالولاء إلا لمن يعدها بما تفتقر إليه من استقرار اجتماعي واقتصادي، إضافة إلى أنهم كانوا الأقدر على استخدام الأسلحة والمدفعية التي تركتها القوات المصرية بعد رحيلها، والتي أسهمت في تطور الجانب العسكري في الإمارة.

---

(١) موزل: **تاريخ بيت ابن رشيد**... المصدر السابق، ص ٥٦٠.

مما يبدو أن هذه الخطوة التي اتخذها عبدالله بن رشيد، لم تكن الأولى، إذ سبقه عيسى بن علي الذي استعان بمئة جندي مصري أثناء وجوده في الجبل بعد خروج عبدالله منها، في بداية حملة خورشيد باشا.(١)وقد يكون هؤلاء الجند ممن دخلوا أيضاً في خدمة عبدالله بعد عيسى، لأنهم كما أشرنا يعتبرون من الجنود المرتزقة، إضافةً إلى جند خورشيد باشا الذين أمدَّ عبدالله بهم، بعد أن أقرَّهُ أميراً على الجبل بدلاً عن ابن علي.(٢) وقد قال عنهم فالين: "وحاشية ابن الرشيد مايتا شخص أكثرهم من الزنوج المعتقين ومن المصريين الذين تخلفوا من جيش إبراهيم باشا، وهم ذوو أجساد قوية يتقنون استخدام السلاح، ولهم خبرة في الحرب، ويطيعون سيدهم طاعة عمياء. وبهذه الحاشية التي هي حرس عبدالله بن رشيد، وبنفوذه الشخصي، صارت لهذا الزعيم قوته اللازمة لتنفيذ أمره وأحكامه، ومعاقبة من لا يمتثل نواهيه".(٣) وبعد ما أفادت الإمارة ممن بقي من جنود الحملات المصرية، دخلت مجموعات منهم في النسيج الاجتماعي، وتزوجوا من طبقات مساوية لهم، كما تكررت هذه المسألة مع مجموعة من الجنود المغاربة الذين كانوا يحمون أحد أبراج الجوف لصالح الدولة العثمانية، وبعد أن تأخرت رواتبهم، راحوا يهددون بتسليم الأبراج لابن رشيد، الذي لم يتوانَ في الإسراع إلى الجوف، وفي عودته جاء بهؤلاء المغاربة، حيث عملوا على خدمة الإمارة وحراستها، ومنهم واحدٌ لم يكن يحسن ركوب الخيل، فجُعِلَ حارساً على بوابة حائل، وكان يوكل إليهم حماية برزان إذا ما غادره الأمراء في غيابهم للحرب أو الصيد، وقد ذكر داوتي أنه التقى أحدهم، وذكر أن كثيراً منهم تزوجوا في الجبل واستقروا فيه، وأنهم كانوا مسرورين برواتبهم القليلة وغذاءهم الهزيل.(٤)

---

(1) Baran: op cit, p 46.

(٢) العجلاني: **الدولة السعودية الثانية**... المرجع السابق، ص ١١٩.

(٣) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ١٠١.

(٤) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ص٥٢-٥٣.

٢. الأسر العراقيَّة:

كما غذى هذه الفئة مجموعاتٌ من الوافدين إلى الجبل من التجار والحرفيين العراقيين، منهم من جاء مسلمًا، ومنهم من اعتنق الإسلام في الجبل، وقد وجدوا في الجبل مناخًا مناسبًا لممارسة أنشطتهم، وكانت الإمارة تحفزهم على الاستقرار من خلال منحهم الميزة بعدم التدخل في تعاملاتهم، وقبولهم داخل النسيج الاجتماعي. هاجر إلى الجبل مجموعات غير مسلمة، كاليهودي الذي تحدث عنه داوتي، وذكر أنه من يهود بغداد، حيث أسلم وأصبح أحد أثرياء المنطقة، كما أنه تزوج من أهالي الجبل، وأنجب طفلين في زمن زيارة دواتي.ومن الواضح أن الإمارة كانت تحُفِّز غير المسلمين بمنحهم الحرية التجارية ودمجهم داخل المجتمع إذا ما دخلوا الإسلام، إذ إن داوتي نفسه اعترف بأن الناس في الجبل كانوا يقنعونه في دخول الإسلام، ويقول عن ذلك: "كان الناس هنا يصيحون فيَّ ، اعترف أنت يا خليل أيضًا مثلما فعل ذلك الرجل قل لا إله إلا الله محمدًا رسول الله، وستكون لك ثروة ذلك الرجل، والأمير هو الذي سوف يوفر لك مثل هذه الثروة".(١)وغالبًا ما يأتي غير المسلمين من العراق، وقد أُشير إلى أُسرٍ لا تزال إلى الآن تحمل أسماءها القديمة في حائل، وفدت من العراق، واعتنقوا الإسلام في حائل، وقد أشار إليهم يوليوس أوتينج في رحلته بأسمائهم، كما أشار إلى وجود غير العرب، حين التقى رجلاً كرديًا، يقيم في حائل منذ عامين قبل زيارة أوتينج التي كانت سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، وقد كان يعمل بمهنة الحلاقة، حيث التقاه أوتينج خلال حلاقته لمرافقه في رحلته، وقد تعرَّفَ عليه بعد أن لاحظ أنهما يتحدثان التركية.(٢)

أيضًا استقطبت الإمارة بعضًا من أصحاب المهن من مناطق أخرى، وكان بعضهم من أصول يهودية، مثل ما استقطب عبيد بن رشيد بعد ضمه الجوف رجلين، وهما من

(١) نفسه، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٤٤.

(٢) أوتينج: المصدر السابق، ص ص ١٠١-١١٤.

أصول يهودية عراقية، كانا يعملان في صناعة السيوف والخناجر، والمعادن بشكلٍ عام، وكانا من أفضل الناس في هذه الصنعة، يعملان في تجليد البنادق بصفائحٍ من الذهب والفضة، وقد كان لأحدهما خبرة في هذه الصناعة في أماكن عدَّة، منها الجوف التي استُقطِبَ منها، كذلك عاش فترةً من حياته في جبال حوران في بلاد الشام، حيث كان يسأل داوتي عن شيوخ الدروز، وأصدقاءه الذين التقاهم ويتذكرهم هناك.[1] كما التقى داوتي شخصًا آخر، من أصولٍ بغداديةٍ يهوديةٍ أيضًا، وقد زاره في بيته، وتحادث وإيَّاه، وروى له قصة إسلامه على يد عبيد بن رشيد، الذي أعطاه ألف ريالٍ بدأ بها تجارته، وصار ثريًا، وتزوج وصار له عقبًا بعد ذلك.[2]

وفي الغالب كان سكان الجبل من أصحاب المهن الوافدين إليها من خارج شبه الجزيرة العربية؛ يأتون من العراق، فمنهم من يأتي لقصد التجارة أو ممارسة مهنة أخرى كما مرَّ معنا، أو أولئك الذين يتخلفون من بعد حملات الحج والتجارة المارة بالمنطقة، وقد أشار داوتي إلى أحدهم، وهو تاجرٌ ميسور الحال، تخلَّفَ عن حملة الحج لظروفه الصحيَّة، كما تحدثَ عن تخلُّفِ مجموعة من الدراويش المساكين الذين كانوا يرافقون الحملات.[3] وفي حالاتٍ نادرة يطيب المقام لمثل هؤلاء المتخلفين ويصبحون ضمن النسيج الاجتماعي في الجبل، لاسيَّما أنهم يجدون من هم من أوطانهم، وكيف دخلوا في المجتمع، ومنحوا امتيازاتٍ قد لا يحصلون عليها في بلادهم، واستقر جزءٌ منهم في حائل، بعد أن تردد بعضًا منهم إليها لقصد التجارة، وصاهروا أهلها، وصار لهم عقبًا فيها، وتكاثروا فيه، وصارت بيوتًا وأسرًا كبيرة في حائل في عصرنا الحالي.

(١) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ص ٤٥٠-٤٥٢.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ج٢، المجلد الأول، ص ٨٢.

الموالي:

من المشهور لدى أمراء آل علي ومن بعدهم آل رشيد إكثارهم للموالي والمماليك، وفي الغالب كان هؤلاء الموالي من الجنس الأفريقي، وعادةً ما اشتهر الأحباش منهم، إضافةً إلى الرقيق الأبيض، الذيكان موجوداً لدى أمراء الجبل، ولكنهم كانوا بأعداد قليلة مقارنةً بالأفارقة الأحباش. وأعداد هؤلاء الموالي لا يمكن حصرها في زمن الإمارة، ذلك لأن كل أميرٍ من الأسرة الحاكمة يمتلك منهم أعداداً كبيرة، خصوصاً من كان يتولى الإمارة، وقد كانت هنالك إشارات إلى عددهم فيبعض المصادر، حيث يُذكر أن طلال العبدالله كان يمتلك ٨٠٠عبداً[١]، وابنه بندر ٣٠٠[٢]أيضاً محمد العبدالله خلَّفَ بعد وفاته ٨٠٠عبداً.[٣] ومن المؤكد أن الأمراء الآخرين من آل رشيد؛ كانوا يملكون قريباً من هذا العدد من الموالي، على اعتبار أهميتهم في الإمارة، واعتمادهم عليهم في شؤون كثيرة.

أشارت الليدي آن بلنت إلى هؤلاء الموالي في الجبل حين تجولها مع الأمير في بساتينه بقولها: "انضم إلينا عبيد كثر، بعضهم أسود وبعضهم أبيض لتواجد النوعين كليهما في حائل"[٤]، وهؤلاء الموالي كانوا يسكنون في قصر الأمير والملاحق التابعة له، والأكثر منهم، خصوصاً أؤلئكَ الذين تكاثروا بأسرهم؛ خُصِّصَ لهم حي عفنان للسكنى، وشاركهم فيه بعضٌ من أهالي حائل، إلا أن الأغلب فيه كانوا من الموالي.[٥] كما حدثت عملية توطين لعددٍ كبيرٍ من الموالي العبيد في قرية قفار في عهد طلال العبدالله، يقال أن عددهم وصل إلى ٨٠٠ عبد[٦]ويقال أنهم وُطِنُوا بهدف المشاركة في تنشيط الحركة الزراعية، في حين أن حقيقة

(١) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ١٠٦.

(٢) نفسه، ص ٥٨.

(٣) العبيد: المصدر السابق، ص ٤١.

(٤) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٥٤.

(٥) موزل: **عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية**... المصدر السابق، ص ٤٨.

(٦) الرشيد: المرجع السابق، ص ٦٩.

الأمر أن طلالاً كان على خلافٍ مع أمير قفار زيد الخشيم، لذا لجأ إلى توطين عبيد أسرته في قفار، وأمرَّ فيها أحدهم، لكنه قُتل على يد الخشيم، الذي أعاده طلال إلى الإمارة[1]، ولكن بقي العبيد في قفار، وتكاثروا، وصاروا من أهلها.

كان لهذه الفئة من المجتمع أهميتها البالغة لدى الإمارة، كما كانوا الأقرب للأمراء، والأكثر التصاقًا بهم، إذ يتم التعامل معهم من قبل الأمراء على أنهم إخوةً لهم، ويتم منحهم الثقة الكاملة، فلشدة ولاءهم لأسيادهم، كان الأمراء حين يتقاتلون بينهم، وينتصر أحدهم ويتسلم الحكم، يعمَد إلى قتلِ موالي من كان قبله[2]، لمعرفته التامة بأنهم لا يمكن أن يوالوا غيره، وبأنهم من الممكن أن يكونوا مصدر خطرٍ عليه، وقد يتآمرون على قتله. ومما يؤكد ذلك؛ تآمر موالي عبيد بن رشيد على قتل محمد العبدالله حين تولى الحكم، حيث كانوا يخططون لقتله، لولا كشف خطتهم أحد العبيد، الذي أخبر محمدًا بالخطة، فسارع إلى القبض عليهم وإفشال مخططهم.[3] ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يحاول فيها الموالي الاستيلاء على السلطة بقتلِ الأمير، حيث سبق أن حاولوا قتل طلال العبدالله، وكان يرأسهم المولى الذي عينه طلال على قفار بعد ذلك، لكن بعد أن اكتشف طلال مخططهم، شرَّدَ جزءًا منهم، ووطن البقيَّة في قفار، وأمرَّ عليها المولى المتآمِر عليه.[4] ومما يبدو أن طلالاً لم يكن يود أن يتسرع بقتلهم والقضاء عليهم، بل وطن من تآمر عليه في بلدة بينها وبينه خلاف، وقد قُضي على القنصعي بيدِ أمير قفار لا بيد طلال، وربما أن هذا المولى كانت له مكانة بين الموالي، لذا لم يستطع طلال قتله بشكلٍ مباشر. ومحاولات موالي آل رشيد

---

(١) ذكر ابن عبيد في مخطوطته النجم اللامع معلومات مغلوطة حول خلاف طلال مع الخشيم، إذ ذكر في مخطوطته أن طلالاً كان على خلافٍ مع أمير قفار ابن حوير، والأصح أنه ابن خشيم، كما ذكر اسم المولى الذي عيَّنه طلال باسم ابن منقور، في حين أن اسمه القنصعي، حيث قرأه بشكلٍ غير صحيح؛ (العبيد: المصدر السابق، ص ٢٦).

(٢) بيل: المصدر السابق، ص ٣٣٤.

(٣) الحماد: المرجع السابق، ص ٧٦.

(٤) العبيد: المصدر السابق، ص ٢٦.

الاستيلاء على السلطة في الحادثين؛ كانت نابعةً من إحساسهم بالقوة والحظوة، واعتيادهم على العيش بأسلوب أسيادهم، ذلك لأن الأمراء كانوا يعاملونهم على أنهم إخوة، وجزء من أسرة آل رشيد، إضافةً إلى أن عدداً منهم كانوا من أبناء الأسرة الحاكمة، على اعتبار ملك اليمين، لذلك كانوا يكلفون بحماية الأمراء، ويمنحون حرياتهم، على الأغلب، إذا ما توفي سيدهم.[1]

تولى الموالي أموراً عدَّة في إمارة آل رشيد، منها خدمة الأمير، والتنقل مع حاشيته أينما ذهب، وكانت لهم ملابساً موحدَّة، بعباءاتٍ سوداء، وسيوفٍ بمقابض ذهبية وفضيَّة[2]؛ كما كانوا مكلفين بضيوف الإمارة، وكانوا مدربين على هذه الخدمةبشكلٍ متقن، حتى أنهم يتعاملون مع الضيوف بطريقةٍ لبقَّة، حتى يعطوا صورةً من كرمِ الأمير، وحرصه على راحة وتقديم ما يحتاج إليه ضيوفه، ولم يكونوا يفرقوا في التعامل مع الضيوف، إذ كانوا يتعاملون مع الناس كافة بذاتِ الاحترام والإكرام والتقدير.[3]

كما كان للموالي في أعمالٍ إداريَّةٍ كثيرة، منها تحصيل الزكاة من القبائل والبلدان التابعة للإمارة، حتى أنه يقال أن ابن رشيد كان يجُري حكمه في المنطقة من خلال عبيده[4]، ما يعطي صورةً واضحةً لأهمية الموالي بالنسبة للأمراء وثقتهم بهم. وقد برزت أسماء عدَّة للموالي الذين خدموا الإمارة، منهم عنيبر ذو الأصل الحبشي، الذي ولد في بيت عبدالله ابن رشيد، والذي يُعدُّ أخاً عبداً لطلال العبدالله، كما أنه يُنسب اسماً لآل رشيد، وقد قال عن أهميته في الإمارة داوتي: "كان شخصية كبيرة في حائل. فيما يتعلق بشؤون الإمارة وذلك منذ عهد الأمير طلال. كان عنيبر نشيطًا وواسع الأفق، وراقي السلوك، لكنه في داخله كان

---

(١) حسني: المصدر السابق، ص ٧٩.

(٢) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ٦٢.

(٣) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٥٦.

(٤) كمالي: المصدر السابق، ص ٣٧٦.

يحمل روحًا غير روح العبد، فقد نشأ على هذه الأرض وتربى عليها، كما كان كلامه مباغتًا وذهنه متشككًا مثل أهل الجزيرة العربية".[1] وكان عنيبر يحظى باحترام كبير بين الموالي الآخرين في الجبل، إذ كانوا يتعاملون معه كما لو كانوا يتعاملون مع أميرٍ من أمراء الأسرة الحاكمة، إذ إنه من عادات الموالي تقبيل أيدي أسيادهم إذا ما لقوهم بعد غياب، فقد ذكر غوارماني أن عبيد بندر الطلال حينما شاهدوا عنيبر سارعوا إليه وقبلوا يده.[2] وعاش عنيبر فترةً طويلة في عصر أمراء آل رشيد، إلى عهد محمد العبدالله، الذي أوكل له مهامًا سياسية كبيرة ومهمة، منها أنه أرسله إلى قطر، ليوطد تحالفه مع أميرها قاسم آل ثاني[3]، وكان ذو درايةٍ في أمور السياسة، وقد خطب بأهالي قطر، مخبرًا إياهم أن ابن رشيد والشيخ قاسم حلفاء، ومن يخالف الشيخ قاسم فكأنما خالف ابن رشيد، وكان ذهاب عنيبر إلى قطر بقصد دعم آل ثاني الذين كانوا يجهزون للقيام بحملةٍ على إمارة أبوظبي في الساحل المتصالح.[4]

ومن الموالي الذين كانت لهم مكانةً لدى آل رشيد غير عنيبر؛ جوهر العنبر الذي تولى إمارة الجوف، والذي تذكر الليدي آن بلنت أنه كان صديقًا مقربًا للأمير، وذو مكانة عالية بالنسبةِ إليه.[5] أيضًا مبارك الذي كان مسؤلاً عن العبيد في الإمارة، وقد ذكرت الليدي أنه

(١) جانب وصف داوتي الصواب في نظرته لأهل الجزيرة العربية، ووصفهم بذلك، إذ إن ما أورده من ذهنٍ متشكك لم يعرف عن أهل الجزيرة العربية؛ (دواتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٥٣).

(٢) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ٥٩.

(٣) قاسم بن محمد آل ثاني، ولد سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢١م، وهو مؤسس دولة قطر الحديثة، ومن استقلّ بها عن البحرين سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، وكانت له محاولات في الاستيلاء على الأحساء لولا أن وقف في وجهه العثمانيين، كما كانت له عناية بالجانب الاقتصادي وازدهاره في قطر، خصوصًا في مسألة المشاركة في صيدِ اللؤلؤ وتجارته، توفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م؛ (الزركلي: المرجع السابق، ج٥، ص ص ١٨٤-١٨٥).

(٤) الحماد: المرجع السابق، ص ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٥) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ١٥٣.

كان عبداً بالاسم، إذ لم تكن تظهر عليه الصفات الزنجية، حيث كان أبيضاً، وقد تحدثت عن مكانته، وأبهة العيش التي كان يتمتع بها في حائل، حتى أنه يبدو كما لو كان أميراً.[1]

كان من بين هؤلاء الموالي من كانوا خصيَّان، لكن في ما يبدو أنهم كانوا قلّةً مقابل من لم يتم خصيُّهم، إذ يذكر أوتينج أن الخصيَّان كانوا ٣٠ عبداً فقط[2]، والواضح أنهم كانوا من المكلفين بخدمات قصور الأمراء، إذ جرت العادة على أن يتم خصي الموالي الذين يكلفون بخدمة القصور الخاصة بالأمراء وأصحاب المكانة، لكثرة اختلاطهم بالنساء، ولكي لا ينشغلون بغير خدمة الأمراء الخاصة، وقد أشارت بيل إلى أحدهم في قصر الإمارة، واسمه سعيد[3] واشتُهرَ هذا النوع من الموالي في بلاطات الحكام خلال التاريخ الإسلامي.

أما النساء من الموالي؛ فقد كنَّ يتمتعن بحضوةٍ ومكانةٍ في قصور الأمراء، فمنهن من كنَّ من أصول حبشية وأخريات من أصولٍ قفقاسيَّة، وقد كان الأمراء يتخذونهن كزوجات، ويتمتعن بقبولٍ أكثر من غيرهن في هذا الشأن، كما كانت بعض الأسر المرموقة والقريبة من السلطة تمارس الأمر نفسه مع الجواري والإماء، كأسرة آل سبهان.[4].

وظهر في عهد محمد العبدالله الرشيد في حائل جنس من الجواري كنَّ يعرفن باسم (الكراجي)،ومعظمهنَّ شركسيات، جاء بهن النخاسون[5] من تركيا، ومنهن من كانت من أرومة عربية محضة من سوريا ولبنان كما عُرف عن بعضهنَّ أنهنَّ على درجة من الشهرة

---

(١) نفسه، ص ٣٠٤.

(٢) أوتينج: المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٣) بيل: المصدر السابق، ص ٣٣٨.

(٤) الرشيد: المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٥) كان في سوق حائل عدداً قليلاً من النخاسين الذين كانوا يجلبون الرقيق من الرجال والنساء من الدكة في المدينة المنورة ومن غيرها، ليبيعوهم في حائل، وكان جماعة من أمراء حائل ووجهائها وكبار التجار فيها يشترون المماليك لضمهم إلى خدمتهم، ومن المحسنين من كان يشتريهم فيعتقهم؛ (رسالة من الأستاذ أحمد بن فهد العريفي، رداً على استفسارات أرسلها الباحث إليه، حول بعض الفئات الاجتماعية في جبل شمَّر، بتاريخ ١٤٣٣/١/١٧هـ).

وعلو القدر في حائل.[1] ومن الواضح أنه بعد عهد محمد العبدالله زادت سوق النخاسة في حائل، ذلك لإكثار الأمير منهم، كذلك اقتنائه لعدد من الجواري الشركسيَّات، وفي ما يبدو أنه عمد إلى ذلك، وأكثر من الجواري من النوعين الشركسي والأفريقي، لكونه عقيم ًا، لم يكن قادر ً ا الإنجاب، لذا لم يتحر َّص في مسألة الإكثار من الجواري.

(١) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ص ١٩٤-٤٩٥.

المشاهدَّة:

سبقت الإشارة إلى أن طلال العبدالله الرشيد استقطّب مجموعةً من التجار الشيعة من العراق، ليمارسوا التجارة في جبل شمَّر، لكنه حين قرر العمل على هذه الخطوة، غضَّ النظر عن الاختلاف المذهبي بينهم وسكان الجبل، في سبيل الوصول إلى الهدف الذي كان ينشده لتطوير الحركة التجارية والاقتصادية، واعداً إياهم بممارسة حياتهم الدينية من دون تدخل، أو مضايقة من قبل السكان.[1] وما أن حصلوا على هذه الوعود من طلال؛ حتى جاءت أعداد كبيرة منهم وسكنت الجبل، وصاروا يمارسون التجارة وبعض الصناعات التي يتقنونها، وبدعمٍ من الإمارة. أن طلالاً لم يأتِ بفكرةِ استقطّاب المشاهدَّة من بناتِ أفكاره، إذ كان لهم وجوداً في مناطق أخرى قريبة من جبل شمَّر، في الجوف، وقد اطلّع طلال على ما يقومون به من خدمات اقتصادية، ودورٍ بارز في ذلك. وقبل أن يأتوا لي حائل؛ كانت لهم علاقات مميزة مع الجوفيين، حيث تطورت هذه العلاقة، إلى أن انتقلت أسراً شيعية عراقية عدَّة إلى الجوف، واستوطنتها بعد أن صارت بينهم وأهلها ثقةً قامت على المصالح المشتركة، وفي بداية أمر وجودهم في الجوف، كان للشيعة من المشاهدَّة موقفاً ضد نفوذ إمارة آل رشيد فيها، وذلك لسببين مهمين، أولهما كي يمارسوا تجارتهم على ما اعتادوا عليه من اتفاق وأهالي الجوف، وتعاطفهم والأهالي الذين كانوا يأنفون نفوذ الإمارة عليهم، وثانيهما الاختلاف المذهبي مع إمارة الجبل، حيث إن الإمارة كانت متمسكةً بمبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وإن كانوا قد تقاربوا وأهالي الجوف على الرغم من الاختلاف المذهبي؛ فإن ذلك عطفاً على المصلحة، لكنهم لن يضمنوا في البداية أن تسير العلاقة نفسها مع آل رشيد، الذين يتولون السياسة في الجوف.[2] ولِما اطلعت عليه الإمارة من مشاركة المشاهدَّة في إنعاش اقتصاد الجوف؛ رأت جلبهم إلى الجبل، كي يقوموا بالأمر نفسه، وتفيد

(١) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٦١.

(٢) العطية: المرجع السابق، ص ١٢٩.

منهم الإمارة، خصوصًا أنهم شيدوا قصورًا واسعة في الجوف، على طرق هندسية حديثة على شبه الجزيرة العربية.(١) كذلك كان لهم أثرًا في الجانب العمراني في الجبل بعد أن وفدوا إليه.

خُصِّصَ لهم حيٌّ في حائل، سكن فيه المشاهدَّة، وقد كان لهم أثرًا في الجانب العمراني، لاسيَّما في زخرفة الجدران بالكتابات والأشكال الهندسية، وكانت بيوتهم الخاصة تحمل عبارات مذهبية خاصة بالشيعة، ويذكر يوليوس أوتينج أن البيت الذي استأجره في حائل كان لرجلٍ من المشاهدَّة الذين عادوا إلى ديارهم، وصار بيته يُؤجر عن طريقِ وكيلٍ له في حائل، وعندما رأى أوتينج تلك الرسوم والكلمات والعبارات؛ يقول أنه كتب عبارة يا علي، تكريمًا لأؤلئك الشيعة الذين سكن بينهم، ولصاحب المنزل الذي أجره إياه.(٢)

كان تعداد الأسر الذين سكنوا الجبل من المشاهدَّة يقارب ٤٠ أسرة، ولهم رئيسٌ كان على تواصلٍ مع الإمارة، يتم الرجوع إليه في ما يُشكل بينهم والإمارة، أو يقوم بتنظيم علاقتهم مع السكان والسلطة السياسية، ورئيسهم كان رجلاً يقال له سيِّد محمود، ويبدو أنه كان سيِّدًا من سادة الشيعة الموجودين في الجبل وقد تحدَّثَ داوتي عن العلاقة بين سكان الجبل والمشاهدَّة، ومن الواضح من حديثه؛ أنها كانت علاقةً غير وديَّة، لكنها كانت قائمةً على المصلحة، يضبطها القانون الذي سعت الإمارة إلى تطبيقه ، في عدم التعديِّ من قبل السكان الأصليين على المشاهدَّة، كذلك عدم تعدِّي المشاهدَّة على الطرف الآخر، ولا حتى التقليل من الطقوس الدينية بين الطرفين، أو التضييق على الآخر.(٣)

وللمشاهدَّة في الجبل دكاكينًا خاصة لتجارتهم وحرفهم التي كانوا يمارسونها، إذ اشتهروا ببيع الأقمشة والأسلحة وغيرها من البضائع التي ترد عن طريق الخليج العربي، كذلك ممارسة مهنًا كالخياطة وبيع اللحوم والجزارة، كذلك قاموا بفتح الخانات أو المطاعم، التي كان

---

(١) نفسه، ص ١٣٠.

(٢) أوتينج: المصدر السابق، ص ١١٤.

(٣) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٥٥.

يأنف من ممارستها الناس من السكان الأصليين، الذين يرون في بيع الطعام سُبَّةً وعيباً، فيما كان هذا الأمر يمارس من قبل المشاهدَّة بشكلٍ طبيعي. والغالب في التعامل الاقتصادي بين السكان والمشاهدَّة؛ أنه كان قائماً على الثقة والمنفعة، ففي وثيقة بين أيدينا؛ كانت تتحدث عن اتفاق أحد المشاهدة مع أحد العاملات من الموالي بالخياطة لتفصيل بعض الملابس الخاصة به، إذ قام بإعطائها مبلغاً من المال كي تنجز له أثواباً، ويبدو أن المكاتبة كانت حفظًا للحقوق بينهما.(١)

كان المشاهدة يتعاملون مع أهالي الجبل بالبيع والشراء، ويشاركونهم في كتابة العقود، والتوقيع بالشهادة عليها، وقلما كان يحدث بينهم والسكان ما يعكر صفو هذه العلاقة الاقتصادية البحتة، والتي تقوم أساساً على الصدق والأمانة والثقة المتبادلة.(٢)

ومن الملاحظ أن المشاهدة لم يكن لهم تأثيرٌ ثقافيٌ على المنطقة، ذلك لوضوح الاختلاف المذهبي بينهم والسكان الأصليين، حتى أن السكان كانوا يمارسون إقصائيةً واضحة، ذلك على الجانب الاجتماعي، حتى أنهم كانوا يروون بعض الأساطير والحكايا الشعبية التي يعزلون بها أبناءهم عن هذه الطبقة، وحتى لا يختلطوا بها، إلا في ما تمليه عليهم المعاملات اليومية، على أساس الاشتراك في المكان، ومن ذلك ما يتناقله كبيرات السن في الجبل إلى عهدٍ قريب، من أن نساء المشاهدَّة كُنَّ يمارسن السحر علانيَّةً، إذ يسافرن من بلدٍ إلى آخر في لحظات، بواسطة السعف وخلافه.ومن الواضح أن هذه الروايات غير المنطقية؛ كان الهدف منها عملية العزل الثقافي، والابتعاد عن الاختلاط الاجتماعي، الذي قد يؤثر بشكلٍ أو آخر في ثقافة المجتمع.

---

(١) **مكتبة آل يعقوب**: مكاتبة غيرمؤرخة بين السيِّد حسن المشهدِّي وامراة من الموالي، بشأن الاتفاق على تفصيل بعض الثياب، وصفة خياطتها، وإعطاء مبلغ ريالين كمقدم لإنجاز الخياطة.

(٢)رسالة من الأستاذ أحمد بن فهد العريفي، رداً على استفسارات أرسلها الباحث إليه، حول بعض الفئات الاجتماعية في جبل شمَّر، بتاريخ ١٤٣٣/١/١٧هـ.

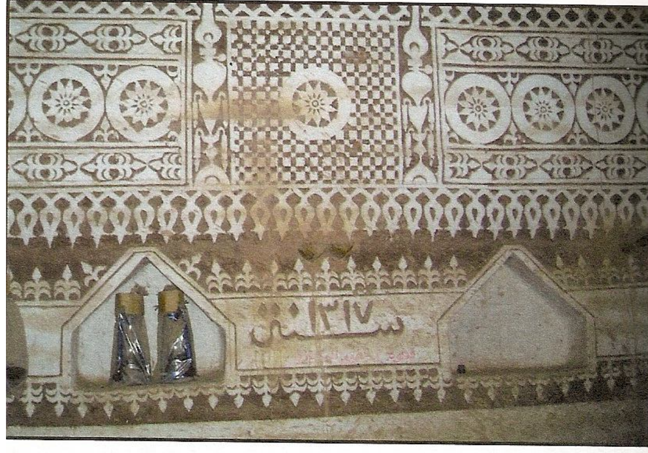
أقام المشاهدةَّ في حائل منذ عهد طلال العبدالله حتى ضم الملك عبدالعزيز لحائل سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، حيث قاموا ببيعِ ما يخصهم من أملاك وعاد جزء كبير منهم إلى العراق، فيما ارتحل بعضاً منهم إلى المدينة المنورة.[١]

وقد سكن في الجبل من المشاهدة مشاهيرٌ في الأدبِ والفنِ، من أشهرهم؛ شاعر النجف محمد سعيد الحبُّوبي[٢]، والذي زار الجبل سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ولا تعرف سنوات إقامته في الجبل، لكنه مكث فيها فترة ليست بالطويلة في حيِّ المشاهدة، وقد يكون ذلك خلال زيارته للحجاز، كذلك الفنان عبُّود المشهدي، الذي اشتُهِر بالرسمِ والكتابةِ، وله لوحات رائعة في بعضِ مجالس حائل، كان يستخدم فيها الجبس.[٣]

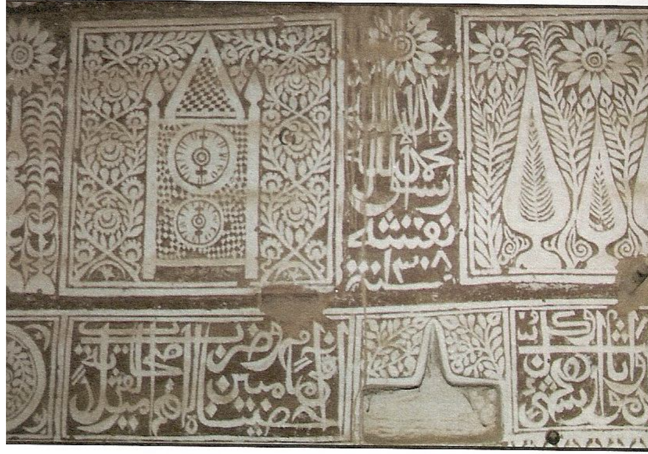
(١) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج٢، ص ٢١١.

(٢)محمد سعيد بن محمد الحبُّوبي النجفي؛ شاعر عراقي ولد في النجف سنة ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م، وأقام مدَّةً في الحجاز ونجد وكان أستاذاً للشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري، وقد انعزل لتدريس الفقه وأصوله في النجف آخر حياته، وقبل وفاته شارك جيش الدولة العثمانية حين ترأس مجموعة من المتطوعين لصد الهجوم البريطاني على العراق، وبعد نهاية الحرب، وفشلِ المقاومة لم يتمكن من العودةِ إلى النجف، فنزل الناصرة وتوفي فيها سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م؛ (الزركلي: المرجع السابق، ج٦، ص ١٤٢).

(٣) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ٧٩.



قهوة المشاري - لبدة



قهوة السيف - سرحة

صورتان رقم (٢٤) و(٢٥): نموذجان من أعمال عبُّود المشهدي في مجالس حائل، حيث تتضح أعماله في الزخارف الجبسية، والكتابة الموجودة بين هذه الزخارف.[١]

(١) نفسه، ص ٣٠٩.

عدد السكّان:

تحدثت المصادر والمراجع عن إحصائيات ٍ عدَّة للسكان في الجبل، منها ما قسَّم عدد السكان بين حاضرة وبادية، ومنها ما تحدَّث عن عدد السكان في الإمارة إجمالاً، كذلك من تناول عددهم في حائل عاصمة الجبل فقط. وتتضح هذه الإحصائيات من خلال الجدول الآتي:

السنة	عدد السكّان
١٢٦٥هـ/١٨٤٥م	سكان حائل فقط ١٥٦٠ عائلة[١]
١٢٨٠هـ/١٨٦٤م	سكان الجبل كافَّة ٧٥,٠٠٠ نسمة تقريباً[٢]
١٢٨٩هـ/١٨٨٩م	سكان الجبل كافَّة ٢٠,٠٠٠ نسمة تقريباً[٣]
١٢٩٤هـ/١٨٧٧م	سكان الجبل كافَّة ٥٠,٠٠٠ نسمة تقريباً[٤]
١٣٠٢هـ/١٨٨٤م	سكان الجبل كافَّة ٥٥,٤٧٠ نسمة تقريباً[٥]
١٣١٥هـ/١٨٩٧م	سكان الجبل كافَّة ٢٠,٠٠٠ نسمة تقريباً[٦]
١٣١٨هـ/١٩٠٠م	سكان الجبل كافَّة ٧٥,٠٠٠ نسمة تقريباً[٧]

ومن خلال الجدول نلحظ أن الأرقام غير دقيقة، إذا ما أخذنا في الاعتبار مسألة التطور والازدياد في عددِ السُّكان، نظراً إلى توافدهم للإمارة، خصوصاً مع ازدياد أهميتها في المنطقة. فالإحصائية الأولى في العام ١٢٦٥هـ/١٨٤٥م قد تكون معقولةً إلى حدٍ ما، على الرغم من أنها لن تعطي الإحصائية الدقيقة، لاختلاف أعداد أفراد الأسر، لو أننا أخذنا

(١) الزعارير: المرجع السابق، ص ٣٢.

(٢) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ١٠٣.

(٣) صبري باشا: المصدر السابق، ص ٢٥٠.

(٤) الزعارير: المرجع السابق، ص ٣٢.

(٥) هوبير: المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٦) الزعارير: المرجع السابق، ص ٣٢.

(٧) حسني: المصدر السابق، ص ٤١.

قاعدة افتراض عدد طبيعي لكل أسرة. أما الثانية، التي أوردها غوارماني سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٤م حيث ذكر أن عدد سكان الجبل ٧٥,٠٠٠ نسمة تقريبًا، فإنها توحي إلى المبالغة، خصوصًا أن غوارماني لم يذكر أنه قام بإحصائهم، لكن كان العدد تخمينيًا، كما أنه بعد ٩ سنوات من زيارة غوارماني أشار أيوب صبري باشا إلى أن عدد السكان يقارب ٢٠,٠٠٠ نسمة تقريبًا، وبذلك من المستحيل أن يتناقص العدد خلال تسع سنوات بهذا الكم على أيِّ حال. لكن الأمر يوحي إلى أن ثمة مبالغة من قبل الأول في الزيادة، وربما مبالغة من الثاني في تقليل العدد.

بينهما تأتي إحصائية داوتي سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، حيث يأخذ النصف بين الرقمين الأولين تقريبًا، ويذكر أنهم كانوا ٠٠٠ نسمة تقريبًا، فيما يورد هوبر رقمًا مقاربًا سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م بحوالي ٥٥,٤٧٠ نسمة تقريبًا. ومما يبدو أن إحصائية داوتي وهوبر، هما الأقرب إلى الصحة، وإن يكن فيها مبالغة لاعتمادها على التخمين لا الإحصاء الدقيق، لأن غوارماني بالغ كثيرًا في العدد، ومن بعده كان أقل مبالغةً ومعقوليةً، هذا إذا ما أخذنا في الاعتبار أن هذا التعداد يجمع سكان الجبل كافَّة، من دون الدخول في تفاصيل التقسيم، ويشمل أيضًا السكان باديةً وحاضرة.

أما الإحصائيتان الأخيرتان؛ ١٣١٥هـ/١٨٩٧م و١٣١٨هـ/١٩٠٠م، فمن المؤكد أن كاتب الأولى منها الألوسي اعتمد على ما ذكره صبري باشا ولم يكن دقيقًا، أما حسين حسني فاعتمد على ما قاله غوارماني، ولم يكن دقيقًا أيضاً في الرقم الذين أورده.

وبحسب معطيات ذلك العصر، ومراعاة عدد السكان وقلته في ذلك الزمن، لعدم وجود الرعاية الصحية، ولكثرة الحروب والصراعات، كذلك الهجرات بحثًا عن الرزق، وتأثير سنوات الجدب في عملية الطرد إلى الخارج، وسنوات الرخاء ودورها في استقطاب مجموعات سكانية أخرى، أو عودة المهاجرين؛ فإن عدد السكان لا يتجاوز ٠,٠٠٠ نسمة تقريبًا،

ولا يقل عن ٢٠,٠٠٠ نسمة تقريباً، وهو بينهما، مع مراعاة التحركات القبيلة أيضاً. وعلى العموم فالأكثر مبالغة كان غوارماني، الذي أورد تعداداً أيضاً لقرى الجبل، ومما ذكره أن سكان قفار كانوا ٨,٥٠٠ نسمة تقريباً[1]، ومع مراعاة صغر القرية ومحدودية سكانها، فإنه يتضح أمر المبالغة التي جاء بها.

---

(١) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ١٠٤.

الاتصال الحضاري مع المجتمعات الأخرى

كان لجبلِ شمَّر اتصالاً حضارياً مع أقطارٍ عربيةٍ عدَّة خارج شبه الجزيرة العربية، أو مع أقاليم محلّيّة داخلها شمالاً أو جنوباً، وغالباً ما يكون ذلك بالمدِّ القبلي لشمَّر، الذي جاء لأسبابٍ وظروفٍ مختلفة، وخلال فتراتٍ تاريخيةٍ مختلفة أيضاً، ولم يكن ذلك مقصوراً على قبيلةٍ من دونِ أخرى، إذ إن المدَّ القبلي البدويّ وصل إلى مناطق بعيدة جداً، كما أثرَ في تغيير التوازنات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الأماكن التي وصلوا إليها، كما أن الهجرات القبلية كانت على فترات، إذ إن التواصل بين موطن القبيلة الأصلي والجديد قائم، لذا تصبح هنالك هجرات خارج الموطن الأصلي، وهجرات معاكسة، أو عودة، وقد كانت العراق أكثر البلدان العربية خارج شبه الجزيرة العربية تأثراً بهذا المدَّ القبلي، ومنذ فتراتٍ تاريخيةٍ قديمة، ويعود ذلك لما تنعم به العراق من مقوماتٍ تحُفِّز القبائل على الهجرة، لاسيَّما على المستوى الاقتصادي، ومن العراق أيضاً انتقلت بعض القبائل إلى مناطق خارجية أخرى، كالشام ومصر وغيرها من المناطق، هذا إلى جانب الهجرات المباشرة من الموطن الأصلي إلى مناطق غير العراق، وغالباً ما كانت هذه القبائل تحافظ على عاداتها وتقاليدها وثقافتها القديمة.(١)

ولأسبابٍ سياسية أو اجتماعية نتيجةً لتضخم السكان مثلاً، إضافةً إلى الأسباب الاقتصادية؛ حدثت هجرات داخل شبه الجزيرة العربية من جبل شمَّر، سواءً إلى جنوب الجبل أو شماله، ففي الشمال تكاثر أبناء قبيلة شمَّر سواءً في الجوف أو تيماء، ونقلوا معهم ثقافتهم، وأساليب حياتهم البدويَّة، أو أولئك الذين كانوا يجنحون إلى حياة التحضُّر وعملوا في المجال الزراعي، كما حدث في تيماء، التي عمل كثير من أبناء قبيلة شمَّر فيها بالزراعة، وربما

---

(١) فريدريك: جون وإيليا مسون، **قبيلة شمَّر العربية مكانتها وتاريخها السياسي ١٨٠٠-١٩٥٨م**، ترجمة: مير صبري، دار الحكمة، لندن، ط٤، ٢٠٠٨م، ص ٤١.

أن استقرار تيماء تحت حكم إمارة الجبل فترات طويلة، يعود إلى كثرة قبيلة شمَّر فيها، والتي تنتمي لقبيلة الحاكم في الجبل.(1) وجنوبًا في نجد أسَّس الويبار من شمَّر بلد المجمعة سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، وكانت هذ الهجرة من أقدم الهجرات التي قامت بها قبيلة شمَّر في بدايات نشوئها، إضافةً إلى وجود كثيرٍ من الأسر التي تنتمي إلى شمَّر أصبحت ضمن السكان الأصليين لبعض البلدان النجدية الأخرى في القصيم وغيرها.(2)

ولم يكن هذا الاتصال الحضاري القبلي من الجبل مقصورًا على شمَّر وحسب، إذ لعبت قبيلة تميم الدور نفسه، وقد يكون ذلك منذ فتراتٍ سابقة لشمَّر، خصوصًا حين تمت الإشارة إلى هجرة قبيلة تميم إلى المناطق النجديَّة، وتأسيس كثيرٍ من البلدان فيها، سواءً في سدير وحوطة بني تميم، وغيرها من المناطق الأخرى، وذلك منذ بدايات القرن السابع الهجري، كذلك من انتقل من تميم في قفار إلى مناطق خارج الإقليم، كما حدث مع آل مبارك الذين استقروا في الأحساء.(3)

وبما أن الأغلب من هجرات الجبل كانت إلى العراق والشام؛ فإن لقبيلة شمَّر وجودًا وثقلاً جاء فيهما على مرحلتين، الأولى كانت بحدود سنة ١١٠١هـ/١٦٩٠م حين هاجر الزقاريط والأسلم من شمر إلى نهر الفرات، ودخلوا في صراعٍ سياسي مع ولاية بغداد، واستقروا جنوبًا، حتى وصلوا إلى الشمال، ومنذ ذلك التاريخ ظهر ما يُعرف بشمر العراقية، واستمرت هذه المرحلة سنة ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م حين بدأت المرحلة الثانية لهجرة شمَّر بعد وصول الدولة السعودية الأولى إلى جبل شمَّر، حيث انتقلت مجموعات أخرى من قبيلة شمَّر برفقة آل الجربا إلى العراق، لذا ازداد دورهم في العراق، وتأثيرهم الاجتماعي والسياسي، وأصبحت لهم

---

(1) الدخيل: سليمان، **تيماء**، مجلة لغة العرب، ج١٠، السنة (٣)، بغداد، جمادى الأولى ١٣٣٢هـ/ نيسان ١٩١٤م، ص ص ٥٣٨-٥٣٩.

(2) ابن لعبون: **تاريخ حمد بن محمد بن لعبون**... المصدر السابق، ص ص ٩٩-١٠٠.

(3) الفريح: المرجع السابق، ص ص ٥٠-٥٢.

مناطق واسعة في العراق، جنوباً وفي الجزيرة الفراتية، وشمالاً إلى الموصل، كما انتقل جزء من القبيلة إلى بلاد الشام، بحكم الاتصال الدائم بينهما، والحركة الاجتماعية التي لم تتوقف، وقد استمرت هذه المرحلة حتى سنة ١٢٥٥هـ/١٨٤٠م.(١) ولهجرة شمَّر الثانية تأثير أعمق من الهجرة الأولى، لأن الثانية كان لها أثراً في العادات والتقاليد، إذ حافظ المهاجرون على طباعهم ولباسهم ومظهرهم العام، وإن تأثروا بشكل نسبي طفيف بالحياة المتحضرة في العراق، إلا أن تمسكهم بما كانوا عليه كان أكبر مما تأثروا به.(٢) لا يعني ذلك أن الأولى لم تكن ذات تأثير، بل إنها في الأولى دخلت في صراعٍ سياسي مع والي بغداد، حيث اضطربت الأوضاع في العراق، ودخلت القبيلة في تحالفات عشائرية مع قبائل أخرى، وشكَّلت حلفاً في وجه السلطة العثمانية في بغداد، ما أدى إلى مواجهات عسكرية بين شمَّر ومحالفيها ضد والي بغداد وذلك في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ولو أن هذه المواجهات كانت تنشط حيناً وتهدأ آخر، إلا أنها ظلَّت تسبب قلقاً للسلطة السياسية العثمانية في العراق، ويعود ذلك إلى أن القبائل العربية كانت تأنف السيطرة غير العربية سواءً من العثمانيين، أو الفرس، في ظلِّ التكاثُر العربي، والهجرات العربية. وبعد أن أتت الهجرة الثانية لشمّر إلى العراق؛ حاولت الإدارة العثمانية كسبها إلى جانبها، ورأت أن عداءها قد يجلب خسائر كبيرة، لذا حاولوا استغلال الصراع بين هذه العشائر والدولة السعودية الأولى، وذلك بضربهم بالدولة، لكن في ما يبدو أن هذا الهدف لم يتحقق كما كانت ترغب الإدارة العثمانية آنذاك، إذ لم تستطع عشائر شمَّر العراقية ولا القبائل المتحالفة معها من المنتفق وغيرها؛ أن تؤثر على الدولة السعودية الأولى، وعاد الصراع والقلق العشائري في العراق، وازداد بازدياد الهجرات البدوية، خصوصاً من قبيلة شمَّر.(٣)

---

(١) فريدريك: المرجع السابق، ص ص ٤٣-٥٠.

(٢) نفسه، ص ص ٥٦-٥٧.

(٣) نوار: عبدالعزيز سليمان، **دراسة في الزعامة العشائرية العراقية في القرن التاسع عشر**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ص ١١٠-١١٥.

لذا كان تأثُر العراقيين بالحياة البدوية أكبر من تأثيرهم فيها، فنمط حياتهم بشكلٍ عام كان أقرب إلى البداوة منه إلى التحضُّر، ذلك لأن القبائل التي كانت تهاجر إلى العراق كانت على استعدادٍ إلى السكن والاستقرار في المدن العراقية، إضافةً إلى أولئك الذين آثروا الحفاظ على حياتهم السابقة في الصحراءونتيجةً للمدِ القبلي في العراق؛ تأثر التوازن الاجتماعي، حيث زاد عدد السكان من أبناء القبائل على الحاضرة، ووصل تعداد القبائل فيها إلى ثلاثة أرباع السكان ما بين من عملوا في الرعي، ومن اشتغلوا في الزراعة.[1] وهذا التأثير البدوي لم يكن مقصوراً على العراق، إذ إن الشام تأثرت به أيضاً، لكن بنسبةٍ أقل، وقد وصلت قبيلة شمَّر إليها في ما يقارب عام ١٠٤٩هـ/١٦٤٠م، وخاضت معارك طاحنة مع التجمعات القبلية الأخرى فيها، وسيطرت على المنطقة الشمالية من بلاد الشام، وظلت شمَّر تسيطر على المكان حتى حلَّت هجرة قبيلة عنزة التي دفعت بجزء من عشائر شمَّر إلى الفرات مرة أخرى.[2]

ومن المنطقي أن يكون لهذه الهجرة من قبيلة شمَّر أثراً في العراق والشام، على اعتبار أن هاتين المنطقتين اعتادتا ذلك منذ فترات سابقة، فمنذ القرن الميلادي الأول، وهما يعدان حضناً لهجرات العرب من شبه الجزيرة العربية، حتى بات أيّ عنصر قادم من العرب إلى العراق والشام قادر على أن ينخرط في التركيبة السكانية بشكل سريع.[3] وزادت هذه الهجرات مع توالي القرون، إذ إنه كلما حلَّ قحطٌ أو مشكلات سياسية؛ يمَّم العرب شمالاً إلى العراق والشام، ولو تتبعنا سنوات القحط في الحوليات النجديَّة، التي أثرت في هجرة النجديين إلى العراق والشام منذ منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، لوجدناها كثيرة، ومنها على سبيل المثال جلاء أهل نجد إلى البصرة سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م، والسنة التي

---

(١) الوردي: علي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط١، ١٩٧١م، ص ص ١٧-٢١.

(٢) نفسه، ص ٩٤.

(٣) النجار: المرجع السابق، ص ص ١١٤-١١٦.

تلتها، وسنة ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م حين هاجر الفضول من طيء إلى العراق[١]، أيضاً سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م[٢]، وكانت هذه الهجرات لأسبابٍ اقتصادية، لما كانت تعانيه المنطقة من قحطٍ وغلاء في بعضِ سنينها، ومن أمثلة هذه الهجرات كثير في الحوليات. ومما يُذكر عن قحط جبل شمَّر تحديداً؛ قصة أحد أهالي الجبل الذين كانوا يقطنون العراق، حين أرسل قصيدةً في إحدى سنوات القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، لأحد أصدقائه في حائل، ينصحه فيها بالهجرة إلى العراق، ويبينٌ في أبياته ما تنعم به العراق من أمطار ورزق، حيث قال[٣]:

يا راكبٍ علميِّةٍ تَــــــــــالي اللّيل كن الضّرا في ســاقتَه يَنهَشنَّه

إلى أن قال:

قَل كَان انت في دارٍ لكَم تنطر السّيل الدّيل عَاهرٍ حي فَنَّه

يضاف إلى الأسباب الاقتصادية أسباباً سياسية، ومن أمثلة الأسباب السياسية غير هجرة الجرباء، ما جاء في وثيقة مصرية تتحدث عن عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م، وتصف كره أهالي نجد للوجود المصري في ديارهم، ما جعل الكثيرين منهم يتجه إلى اللجوء للهجرة إلى بلادٍ بعيدة عن سيطرتهم، منها العراق والشام، وتحدثت أيضاً الوثيقة عن قبيلة شمَّر ووجودها بالقرب من بغداد[٤]. كما كان هنالك محفزٌ على هجرة بعض النجديين، خصوصاً من الجبل

---

(١) البسام: أحمد بن عبدالعزيز، **ورقات غير منشورة من تاريخ الشيخ إبراهيم بن عيسى ١٢٧٠-١٣٤٣هـ**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٢٦، الرياض، شوال ١٤٢٢هـ، ص ص ٢٨٣-٢٨٦.

(٢) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦٥.

(٣) القصيدة لشاعرٍ من أهالي حائل الذين كانوا يقطنون العراق، اسمه خميِّس الرزيني، وله قصيدةً أخرى يصف فيها اشتياقه إلى حائل، وحنينه إلى أرضه؛ (العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ٦٠).

(٤) **دار الوثائق القومية في القاهرة**: محفظة عابدين رقم (٢٦٧)، وثيقة رقم (١٦٣) حمراء، رسالة من خورشيد باشا مرفق بها كشف عن مقدار الغلال المشتراة من نجد والزكاة، وتقرير خاص بواردات نجد وأحوالها، بتاريخ ٢٩ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ، الموافق ١٠ سبتمبر ١٨٣٩م.

إلى العراق، وعادةً ما كانت هذه الهجرة فرديَّة أو من خلال مجموعات صغيرة من المحاربين، الذين كانوا يشاركون في عمليات عسكرية للقبيلة في العراق، ودعمهم في ذلك تنظيم الإدارة العثمانية في بغداد لما كان يسمى بفرقة الهايتة العسكرية(١)، وقد كان قوامها من أبناء العشائر المقيمين، أو أؤلئك الذين يأتون إلى العراق لفترات محددة، ويحصلون على الأموال في تقديم الخدمة تحت إمرة شيخ عشيرتهم بالهايتة، ومن ثم يعودون، وأشبه ما يكون ذلك بتنظيم المرتزقة، الذين يقاتلون أو يحافظون على الأمن بمقابل، ولمهمات محدودة، ومن ثم تنتهي علاقتهم بمن كانوا يقدمون الخدمة العسكرية له.(٢) ومن المحتمل أن يكون ذهاب عبدالله بن رشيد إلى العراق في بدايات صراعه مع آل علي، للخدمة في الهايتة، ذلك لأنه شارك في أحداث ومعارك في العراق لصالح الإدارة العثماينة، وكان تابعاً للجرباء فيها، وقد ذاع صيته في شبه الجزيرة العربية بعد هذه المشاركات العسكرية التي قام بها، حيث عُرفت جسارته وشجاعته من تلك الأحداث(٣)، ما جعل الإمام تركي يستقطبه إليه في الرياض بعد تأسيسه الدولة السعودية الثانية.

وهذا الاتصال الحضاري؛ جعل من أبناء نجد متفاعلين اجتماعياً مع ما يحدث لأبناء عمومتهم وأقاربهم من أحداث، ومن ذلك ما حدث سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، حين وقع الطاعون الذي عمَّ العراق و سار في المناطق المحيطة بها، ما دفع كثير من النجديين للرحيل إلى

(١) حاولت الإدارة العثاينة في بغداد، خصوصاً في عهد الوالي علي رضا اللاظ، تحويل النشاط العشائري في العراق إلى خدمة الدولة العثمانية وإدارتها، ذلك من خلال تنظيم الهايتة، وهي فرقة عسكرية، كان قوامها من أبناء القبائل العربية في العراق، أُوكِل إليها حماية الأمن الداخلي، على الرغم من أنها قوات أمن غير نظاميَّة، تخضع بولائها للعشائر، لذلك لم تقُم بمهمتها كما يجب، خصوصاً لعدم كفاءتها وعدم إخلاص أفرادها للدولة، خصوصاً إذا ما تأخرت رواتبهم، وقد أصبحوا في فترة من الفترات مصدر قلقٍ بدلاً من أن يكونوا مصدر أمن، إذ كانوا يتعدون على الحقوق، ويبتزون الأموال من الناس. كما شاركت الهايتة في خدمة الجيش إضافة إلى الأمن، وظلت هذه الفرقة حتى عهد الوالي مدحت باشا الذي ألغاها سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م؛ (النجار: المرجع السابق، ص ص ٧٩-٨٠).

(٢) نفسه.

(٣) الدخيل: **القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد**... المصدر السابق، ص ١٤٨.

تلك المناطق للحفاظ على ممتلكات أقاربهم من النجديين من السلب والنهب الذي تعرضوا له بعد وقوع الوباء، حيث كانت دورهم وأملاكهم مباحة للصوص، كما قاموا بدفنِ الجثث التي كانت متروكةً داخل الدور والشوارع والمساجد.(١)وعلى المستوى الاجتماعي كوّن النجديون نسقًا اجتماعيًا خاصًا بهم في الأراضي التي يهاجرون إليها، منها أنهم حاولوا التمركز بالقرب من بعضهم، كي لا ينصهروا بالمجتمع، إضافةً إلى أنهم كانوا يتفاعلون بشكلٍ كبير مع ما يطرأ على أرضهم الأم من تغيرات، وما يحدث فيها من أحداث، كما أنهم يحافظون بشكلٍ واضح على عاداتهم وتقاليدهم التي قدموا بها.(٢)

---

(١) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ص ٨٣-٨٤.

(٢) الدخيل: **نجد**... المصدر السابق، ص ص ١٩-٢٠.

العادات والتقاليد

قد تشترك أقاليم شبه الجزيرة العربية بعاداتٍ وتقاليدٍ عِدَّة، غير أن بعضها يطغى ويبرز في أقليمٍ أكثر من آخر، وعلى الرغمِ من أن المجتمع ينقسم إلى حاضرةٍ وبادية، إلا أنهم يشتركون في عاداتٍ وتقاليدٍ كثيرة، بحكم التعايش والتأثير، وإن ظهرت بعضها في البادية أكثر من الحاضرة، أو في الحاضرة أكثر من البادية.

ولإقليمِ جبلِ شمَّر عادات وتقاليد لا تختلف كثيرًا عن بقيِّةِ البلدان النجديِّة، لكنه في الوقت نفسه يتمتعُ بشهرة في بعضها، وقد يعود ذلك للتركيبة السكانية، التي تحتوي على مجموعاتٍ كثيرة، ومن أجناس وطبقات مختلفةلكن في عمومياتِ العادات والتقاليد؛ فإن أبرزها على الإطلاق الآتي:

الكرَم:

يُعدُّ الكرم صفةً ملازمةً لجبلِ شمَّر، ويعود ذلكلما اشتُهر به حاتم الطائي، الذي كان يسكن الجبل قبل الإسلام، حتى أنه بات مثلاً في الكرم والجود، وقد ظلَّت هذه الصفةُ في قبائل طيء ولا تزال، وأورثوها كلَّ قاطنٍ للجبل، حتى أن طغى الكرم وبات ملازمًا لكلِ من سكن الأرض من بعدِ حاتم، سواءً من طيء أو من أيِّ طبقةٍ اجتماعيةٍ أخرى في المنطقة.(١)
وقد جاء في وصف رحلات الأجانب إلى الجبل الكثير من المواقف التي تتحدث عن الكرم

(١)قد اشتُهر غير حاتم في الجبلِ من طيء الكثيرين؛ منهم أوس بن حارثة بن لأم الطائي، شيخ بني لام، كذلك من بعده الكثيرين؛ منهم شيوخ شمَّر من دونِ استثناء، فهنالك الجرباء، الذين عرف عن شيوخهم الكرم من دونِ استثناء، ولعل أشهرهم عبدالكريم الجرباء، الذي أطلق عليه "أبو خوذه"عطفًا على كرمه، حيث إن كل سائلٍ كان يطلب منه، كان يقول له "خوذه" بلهجته البدوية، التي تعني خذها، كذلك بعض المشاهير من أبناء الجبل مثل ابن عليَّان، الذي اشتُهر كرمه بالذئب، وسُمِّي بالعاميَّة مْعشيِّ الذيب"، وغير ذلك من الشواهد الكثير، منها ما سنناقشه – إن شاء الله تعالى حول كرمِ أمراء آل رشيد؛ (أبوسديرة: المرجع السابق، ص ٣٨؛ الظاهري: **آل الجرباء في التاريخِ والأدب**... المرجع السابق، ص ٢).

والضيافة، سواءً في قصرِ الإمارة أو لدى الأهالي، ولعله مرَّ معنا من قبل الحديث عن الولائم التي يعدها الأمير في قصره لضيوفه بشكلٍ يومي، للوافدين من خارج الجبل وللأهالي وشيوخ القبائل.[(١)] وقد وصف بلغريف هذه الضيافة بقوله: "ومكثنا في المقهى[(٢)] إلى أن أعدت القهوة وقدمت كما هو متبع، ويعود إلينا، سيف بعد أن تركنا برهة قصيرة، ليبلغنا أن طلال الرشيد، سوف يعود حالاً من رحلته المسائية التي يقوم بها إلى إحدى الحدائق لاستنشاق نسمات المساء، وأننا إذا ما انتقلنا إلى الفناء الخارجي، ستتاح لنا فرصة تقديم فرائض الاحترام لجلالته، وأردف سيف قائلاً لنا: سوف نجد العشاء جاهزاً، وبعدها سنقضي الليل في منزلٍ طيب، كما أبلغنا أيضاً أن القهوة وما فيها رهن إشارتنا وتحت تصرفنا طوال فترة تشريفنا حائل بإقامتنا فيها"[(٣)]، ومن هذا يتضح حرص الأمير وحاشيته على إبراز مظاهر الكرم والضيافة لكل زائرٍ إلى الجبل، يضاف إلى ذلك وجود أماكن خاصة تتبع الأمير، وهي بيوت تخصص للزائرين، يقطنونها من دونِ مقابل، وقد اعتاد الرحالة جميعهم على ذلك، فكل رحالة زار المنطقة، لم يذكر أنه سكن بيتاً من حسابه الخاص، بل كانت تعطى لهم البيوت من قبل الإمارة. ومما وصفه هوبر عن ضيافة الجبل وكرم أهله: "كل الغرباء الذين يصلون إلى حائل هم ضيوف الأمير إذا لم يكن لديهم من يضيفهم، لكن من المعتاد أنه عند وجود شخص مهم بالمدينة سواكان شيخاً أو لا، فإن كبار المدينة يدعونه لتناول القهوة خلال اليوم أو بعد تناوله العشاء. في مثل هذه المناسبة يقدم الفرد الفاكهة قبل القهوة، ويقدم اللبن مع الزبد إذا كان متوافراً ثم تأتي بعد القهوة الدخون".[(٤)] كما يقول هوبر أيضاً عن زيارته لعقدَّة: "اضطررت إلى الدخول إلى تسعة عشر منزلاً أو خيمة حيث قدمت لي القهوة وطبق كبير من

---

(١) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٣٣.

(٢) عُرف المجلس أو المضيف في بيوت الجبل باسم القهوة، ذلك لأنه المكان الذي تدار فيه القهوة ويتم تبادل الأحاديث، وقد سميَّ بالقهوة لأنها رمزاً من رموز الكرم والضيافة، ولشدَّة ولع الناس في الجبل وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية بالقهوة والبن؛ أُطلق اسم القهوة على المجلس؛ (حسني: المصدر السابق، ص ٨٥).

(٣) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٣٨.

(4) Huber: op cit, p 421.

البطيخ أو الشمام المقطع مكعبات، وأقول اضطررت إذ إن أحدهم ما أن يلمحني سائرًا حتى يأخذ مطيتي من الرسن ويقودني إلى بيته متجاهلاً ملاحظاتي".[1]

ومما يبدو أن الكرم والضيافة كان عامًا في حدود الجبل كافة، حيث تحدثت الليدي آن بلنت عن ضيافة أهالي جبة حين زارتها، وقد قالت عن ذلك: "كل من يعمد لزيارة الجزيرة العربية ليس عليه إلا دخول أية دار تروق له، فيلقى بها الترحيب دونما ريب. وتبقى القهوة مفتوحة للضيوف طوال النهار"،[2] وهنا تؤكد بلنت على قضيةٍ مهمة، وهي أن أهالي الجبل يتعايبون إغلاق باب الدار، بحيث تبقى القهوة مفتوحةً بشكلٍ دائم، حتى لو لم يكن أهل الدار ينتظرون ضيفًا، ويتبع ذلك أن تبقى دلال القهوة والنار جاهزة لاستقبال أيِّ زائر، ومن المعيب أن يأتي أحدهم إلى الدار ويجد بابه مقفلاً وقهوته غير جاهزة.[3]

ومن العادات والتقاليد التي تعارف عليها أبناء الجبل في ضيافتهم؛ أن المُضيف لا يمكن أن يأكل مع ضيفه إذا ما قدَّمَ إليه الطعام بأيِّ حالٍ من الأحوال، بل ينسحب من المكان بعد أن يرحب بضيفه، ويتركه مع غيره من المدعويِّن على شرفه من الجيران والمعارف، الذين يشاركون الضيف طعامه، كما أنه من العيب أن يقوم أحد المدعويِّن قبل أن ينتهي الضيف، ولا يقوم أي شخص حتى يفرغ الضيف أيضًا من عادات الضيافة أنه إذا ما نوَّخ الغريب ركابه أمام دار أحدهم؛ صار ضيفه، لذا يعدُّ له الطعام، ويبقى في ضيافة صاحب الدار ثلاثة أيامٍ دون أن يسأله المُضيف عن حاجته، وإن لم يكن صاحب الدار موجودًا؛ تولَّت زوجته أمر الضيافة، كأنما لو كان زوجها موجودًا.[4]

---

(١) هوبير: المصدر السابق، ص٨٥.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ص ٢٢٧-٢٢٨

(٣) العتيق: المرجع السابق، ص ص ١٤-١٧.

(٤) صبري باشا: المصدر السابق، ص ص ٢٨١-٢٨٢.

كما كان لتقديم القهوةِ عاداتٍ وتقاليد؛ منها أن المُضِيف لا يملأ فنجان الضيف بالقهوة، بل يقدمه إليه وقد ملأ ربعه إلى النصف تقريبًا[1]، ويبقى مقدِّم القهوة واقفًا والضيف متكئًا، كما أنه لا بد أن يقوم برفعِ الدلَّة إلى أبعد مسافة يمكنه إبعادها عن الفنجان وهو يقوم بصبِّ القهوة[2]. أيضًا من العادات التي تقدم بها القهوة؛ أنه إذا ما كان الضيف قادمًا من مكانٍ بعيد، أو غير معروف؛ فإن المُضيفوم يعمل دلَّةِ قهوةٍ خاصةٍ به، ويضعها بجانبه، كي يشرب منها دون أن يشعر بالحرج، وكأنه يأمره بشربها كاملةً.[3]

المساواة وقبول الآخر:

من الأشياء التي لاحظها بلغريف خلال رحلته، أن الأهالي متساوون في ما بينهم في كثيرٍ من تفاصيل حياتهم، عدا مسألة الطبقية والمصاهرة، وكان يصف هذا التساوي حين اجتمع الناس في ساحة المسحب في حائل، حيث جلس الناس بشكلٍ عشوائي، وكان يصف رؤيته للبسطاء وهم يجلسون بين من أسماهم الأعيان، ويقول: "في منتصف الساحة نفسها، يجلس بين الأعيان عدد كبير من الناس، تعبيرًا عن الأخوة والمساواة العربية التي تجمع بينهم، برغم أن ملابسهم الرثة وملامحهم الجامدة توحي بأنهم يمتهنون الميكانيكا[4]، وأنهم من الفقراء. ويختلط بهؤلاء الناس مجموعة من البدو، تعرفهم بملابسهم المهلهلة وتملقهم".[5]

---

(١)الهدف من ذلك كما هو متعارفٌ عليه في الجبل، كي لا يشعر الضيف بضجر من يقدم له القهوة، بحيث إنه إذا ما ملأ فنجانه؛ فهذا يعدُ إشارةً إلى أنه ملَّ خدمته، وكون أنه يصب أقل من نصف الفنجان، فذلك يدلُّ على أنه مستمتع بخدمته.

(٢)ذلك لأن هذه الحركة تدلّ على أن القهوة لاتزال حارَّة وطازجة، فإذا كانت باردة يتضح ذلك من خلال الفقاعات في الفنجان، حيثتنتشر فيه، أما إن كانت حارَّة فإن هذه الفقاعات سرعان ما تتلاشى.

(٣) حسني: المصدر السابق، ص ٨٥.

(٤) بلغريف الميكانيكا عطفًا على ما هو متعارفٌ عليه في بلاده، من أن العاملين في المكيانيكا دائمًا ما تكون ثيابهم رثَّة، لا أن في الجبل من يعمل في الميكانيكا.

(٥) بلغريف: المصدر السابق، ج١، ص ١٣٣.

ومن الأمور التي اشتُهر بها أهالي الجبل؛ أنه من الممكن كسب ودهم بالمعاملة الطيبة، وقد ذكر داوتي أن جميع من كانوا يعادونه حين حلّ عليهم ضيفًا - بحكم أنه أعلن نصرانيته -ما أن ارتحل إلا وأصبحوا أصدقاءً له، حتى أنهم حاولوا إقناعه بدخول الإسلام، ووعدوه أن يكون جزءًا من نسيجهم الاجتماعي، كما حدث مع غيره ممن دخلوا الإسلام.(١) وحدث الأمر نفسه مع هوبر خلال زيارته، إذ كان يذكر أنه كان يتجول في كل مكان، ويزور أي مكان يريد زيارته، وأن الجميع كانوا ينادونه بالأخ والصديق، ويقول أن الأمر وصل إلى أن قيل بأنه واحدًا منهم، وأنه شمَّرِي.(٢)

اللباس والمظهر العام:

لِباس الرجال من أهالي الجبل هو اللباس المتعارف عليه في شبه الجزيرة العربية، الذي يتكون من ثوب طويل، وعلى الرأس الشماغ الأحمر أو الغترة البيضاء، يعلوها في بعض الأحيان العقال الأسود الذي يُصنع عادةً من الصوف والحرير، كما يرتدي البعض من الناس، خصوصًا الأمراء وكبار المسؤولين في الإمارة، وبعض الحرس وتابعي الأمير البشت، وهو المشلح الذي يأخذ ألوانًا منها الأسود والبني والبيج والرمادي، وهذه الألوان هي المشهورة للمشلح.(٣)وبالنسبةِ للعقال فإن البعض يستعيض بالمنديل أو ما يسمى العصابة البيضاء بدلاً عنه، وقد يعود ذلك لعدمِ القدرة على شرائه، كما أن مسألة الحصول على العصابة أو القماش الأبيض أسهل وأرخص(٤)، كما كان أبناء البادية يرون أن لبس العمامة البيضاء، سواءً فوق الغترة أو الشماغ، أو من دونها، يعني التبعيَّة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب،

---

(١) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ص ٦٨-٧٣.

(٢) هوبير: المصدر السابق، ص ٥٣.

(٣) أبوعلية: **تاريخ الدولة السعودية الثانية**... المرجع السابق، ص ٣١٥؛

Huber: op cit, p 433.

(4) Rutter: Eldon, A journey to Hail, Geographical Journal, Vol 80, 1932, pp 325-331.

ذلك لأن أتباع الدعوة كانوا يحرصون على لبسها، ومن بعد ذلك صارت شكلاً يوحي بتمسك لابسه بالدعوة، وقد تكون هذه النظرة أعم في البادية منها في الحاضرة، ذلك لأن بعض العلماء قاموا بلبس الشماغ والعقال الأسود، كي يشعروا الناس بأن مثل هذه الفكرة لا أساس لها، ومنهم الشيخ محمد بن راشد الغنيمي.(١)

ويختلف مظهر البدوي في الجبل عن ابن الحاضرة، ذلك أن ابن الحاضرة أكثر هنداماً وترتيباً في لبسه، ويعود ذلك لطبيعة الحياة، حيث إن ابن البادية لا يتوافر لديه ما يتوافر لابن الحاضرة من وقتٍ واهتمامٍ بذلك، خصوصاً في ما يتعلق بغسلِ الملابس بشكلٍ دوري، فالحاضرة يعمدون إلى غسل ملابسهم بالتراب، إذ لم تعرف مواد يغسلون بها كما كان في بعض الأقطار الأخرى، كالصابون مثلاً.(٢) كما أن لوفرة المياه دور في ذلك، إذ إن ابن الحاضرة قد تكون لديه وفرة في الماء أكثر من ابن البادية.

أما في ما يختص بالملابس الداخلية، ففي الغالب يلبس الرجال سراويلاً واسعة تحت ثيابهم، وتكون هذه السراويل من القماش،(٣) كما أن ثيابهم واسعةً أيضاً وفضفاضة، وقد يكون سبب لبس كل ما هو فضفاض؛ عادة المجتمع في كثرة الحركة، إذ إن الملابس الضيقة ربما تعيقهم في القيام بواجباتهم اليومية، التي تعتمد على القوة الجسدية، والحركة الدائمة. والثياب مصنوعةً من الأقمشة والأصواف الكشميرية، ذلك للناس الأكثر ثراءً، أما من قلت به الحال، خصوصاً أبناء البادية؛ فإن لباسهم من قماش الصوف الخشن.(٤)

---

(١) العريني: **الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد**... المرجع السابق، ص ٤٤٦؛

Huber: op cit, p 433.

(٢) حسني: المصدر السابق، ص ٨١.

(٣) مانجان: فليكس، **تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية**، ترجمة وتعليق: محمد خير البقاعي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، ص ٢١٥.

(٤) كورانسيه: المصدر السابق، ص ١٨٦.

وفي ما يتعلق بصناعة الملابس؛ فإنه لم تعرف صناعة الملابس إلا في حدودٍ ضيقة، حيث تصنع الأشمغة والغتر من غزل القطن، لكنها صناعة قليلة جداً، إذ إن أكثر ما يحصلون عليه من الملابس؛ يأتي عن طريق الخليج العربي، وعن طريق العراق، ولعل الأغلب في جبل شمَّر هو ما يأتي من العراق. أما العباءات فتصنع في شبه الجزيرة العربية، ومنها ما تتم خياطته في الجبل بعد أن يأتي كمادة خام من الشام والعراق، كذلك ما يأتي من الأحساء.[١] ومن الأشياء التي لا يمكن أن يلبسها الرجال؛ الحرير، ذلك لأنها محرمة شرعاً، حيث يقتصر لبسها على النساء فقط.[٢]

وما يتعلق بلبس النساء؛ فإنه في الأعمِّ والأغلب؛ كان يرتكز على كل ما هو ساتر لها، ويضفي عليها عفَّةً، حيث إن العباءة السوداء التي تحيطها هي اللباس الذي ترتديه أثناء خروجها من المنزل، كذلك الشيلَّة وهي عبارة عن قطعة سوداء يُغطى بها الوجه، ويلف بها الرأس، وقد يلبسن النساء الشيلَّة حتى في المنزل، لأنها تمنع كشف شعر الرأس، إضافة إلى البرقع، وهو غطاء تظهر منه عينا المرأة، وقد عُرف بشكلٍ أكبر لدى نساء البادية. أما الثياب، فقد تعددت أشكالها بالنسبة للمرأة، كذلك تفاصيلها، ولعل أشهرها الكرتة، وتعود شهرتها لسهولة خياطتها، وهي التي تضيق من منطقة الخصر، وتكون فضفاضة من الأسفل، أما الألوان ففي الأغلب تكون ألواناً داكنة، على الرغم من وجود ألوان فاتحة.[٣] وتختلف ملبوسات النساء بحسبِ الحال الاجتماعية، والقدرة الاقتصادية، خصوصاً في ما يتعلق بنوعيتها، وغلاء الأقمشة ورخصها، حيث تشتري النساء الأكثر ثراءً الحرير الهندي، الذي

---

(١) الريكي: حسن بن جمال، **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب**، دراسة وتحقيق وتعليق: عبدالله الصالح العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ص ٢٨٥-٢٨٦؛ داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ٥١.

(٢) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ٢٤٨.

(٣) دار الدائرة للنشر والتوثيق: المرجع السابق، ج٣، ص ص ٢٨٦-٣٢٠.

يُعدُّ الأغلى من بين أنواعِ الحرير، وقد يأتي في بعض الأحيان محلاً بالذهب.[1]كذلك الحُليّ من مجوهرات وذهب وفضة ونحاس، وتُصنع منه الخواتم والقلائد والخلاخل، وغالباً ما تُصنع هذه الحُليّ في الجبل، لوجود حرفيين متخصصين في هذا الجانب وتتجمّل النساء بلبسِ هذه الحُليِّ لدى أزواجهنَّ وفي حضرةِ غيرهن من النساء، خصوصاً في المناسبات، التي تتمثل في الزواجات وغيرها، كما يستخدمن الكحل في العيون، والحناء الذي يصبغن به كفوفهنَّ وأرجلهن، إضافةً إلى شعورهن، طيباً يتعطرنَّ بالبخور والعطور المختلفة.[2]ومن الأشياء التي كانت موجودة بين القليل من نساء الجبل؛ الوشم، وقلته لأنه محرماً شرعاً، ولكن لقرب المنطقة من العراق، ولكثرة الوافدين منها؛ فإن بعضاً من نساء الجبل كُنَّ يشمن أنفسهن بوشومٍ خاصة بقبيلتهن أو عوائلهن، وغالباً ما كان ذلك في الأسر العراقية، وقبائل الشمال.[3]

الزواج:

الزواج في الجبل كان يعتمد على أمر مهم جداً، وهو مسألة الكفاءة في النسب، إذ إن هذا الأمر، هو أوّل شرطٍ من شروط الزواج تعارف عليه العامة، فطبقة القبائل تتصاهر ما بينها، وأصحاب المهن فيما بينهم، كذلك الموالي فيما بينهم. وفي ما يتعلق بالقبائل، فقد اشتُهر الزواج من القبيلة نفسها، إذ إنه من النادر جداً أن يتم الزواج من قبيلة أخرى، حتى وإن كانت مكافئة في النسب.[4]

ومن الأمور التي كانت مشهورةً بين عائلات الجبل باختلاف طبقاتها؛ مسألة التَّحجير أو التَّحيير، وذلك حين يقوم ابن العم بتحجير ابنة عمة، بحيث لا يتزوجها غيره

---

(١) العريني: **الحياة الاجتماعية عند حضر نجد**... المرجع السابق، ص ٤٦٢.

(٢) مانجان: المصدر السابق، ص ٢١٦.

(٣) حسني: المصدر السابق، ص ٦٩.

(٤) العتيق: المرجع السابق، ص ١٤٥.

مهما كانت الأسباب، وقد تصل مسألة تجاوز هذه المسألة إلى القتل والثأر، لذلك لا تُزوج الفتاة من بعيدٍ عنها إلا حين يحلّلها ابن عمها، ويسمح لها بالزواج، وفي بعض الأحيان يتم سؤال ابن العم القريب قبل الموافقة على ابن العم البعيد، حتى لا تحدث مشكلات بعد ذلك، فحين يحير ابن العم بنت عمه أو يحجّرها؛ فإنه لا يحق حتى لوليها أن يتصرف بتزويجها[1] لذلك كان مثل هذا العرف من الأمور الحسّاسة، والتي يُعدُّ التجاوز فيها أمراً قد يورد إلى القتل، وتثور بسببه المشكلات.

ومن أهم المواصفات التي يسعى الرجل إليها في المرأة؛ هي أن تكون حسنَّة الخُلُق والصفات،وتكون قادرةً على مساعدته في تخطي مصاعب الحياة اليومية، وأن تتميز بالقوة البدنية، ذلك لأنها كانت تقوم بأعمال شاقَّة، منها تسلُّق الجبال من أجل جمع النباتات، التي تستخدم طعاماً للماشية، كذلك تقوم المرأة أحياناً بالاحتطاب، ويكثر ذلك في أبناء البادية، إضافةً إلى كونها تكلف بجلب الماء يومياً إلى المنزل من الآبار القريبة، إن لم يكن داخل المنزل بئراً.[2]

كما كانت المرأة تتزوج في سنٍ مبكرة، قد يبدأ من سن ١٣ عاماً، ولم يكن الناس يبالغون بالمهور بينهم، ذلك لأن المعدل الطبيعي لمهر المرأة كان بين ٤–٨ مجيديّات، قد ينقص إلى مجيديَّين، وقد يصل كحد أعلى ١٠ مجيديَّات، وهذاعادةً ما يكون للبكر، أما الثَّيِّب فلا يتعدى مهرها ٦مجيديَّات، ومن العرف الخاص بالمهر؛ أن المرأة إذا ما طُلِّقت في بداية زواجها، فإن عليها إعادة نصف المهر الذي دفعه لها زوجها.[3]

ومن العُرف الدَّارِج في الجبل حول المهور، ما يُسمى الكسوَّة وهو المهر النقدي، كذلك يُقدِم بعضهم الذهب، ومن بعده الدّفاع، ويشتمل على قماش وعباءات رجالية

(١) الصغير: المرجع السابق، ص ص ٨٧–٨٨.

(2) Huber: op cit, p 395.

(3) Ibid, p 437.

ونسائية، وبُن وهيل ودخون وأرز وغيره، مما يقدمه الزوج.[1] وغالبًا يختلف ذلك بحسبِ قدرة المتزوج المادية.

المرأة:

أهم العادات والتقاليد السائرة في الجبل؛ كانت تلك التي تستمدُّ وتنبع من الشريعة الإسلامية، ولعل أهمها عدم كشف المرأة على الرجل الغريب[2]، ويمثل ذلك التزامهن بالحجاب الشرعي، الذي يغطين به أجسادهن ووجوههن، وقد يفرض الحجاب في بعضِ الأحيان على النساء إذا ما سافر أزواجهن، سواءً للحرب أو للتجارة وخلافه، وإن كُنَّ في بيوتهن، ذلك ربما يعود إلى مظهر الحزن الذي تبديه المرأة إذا ما غادرها زوجها، ولا ينزعن الحجاب عن وجوههن حتى يسمعن بقربِ وصول أزواجهن، احتفاءً بهم.[3]

ويوكلُ للمرأة أعمالاً يومية، تشارك فيها أسرتها أو زوجها، فإضافةً إلى ما يوكل إليها من عنايةٍ بالمنزل وطهيٍ للطعام وتربية الأطفال والقيام بمهام المنزل اليومية؛ فإنها تقوم بتحمل أعمالٍ أخرى، خصوصًا النساء في البادية، واللاتي يشاركن في الرعي والاحتطاب وجمع الأعشاب، كذلك في الحاضرة المرأة تشارك زوجها إذا ما كان فلاحًا في زراعة الأرض، وتقوم ببعضِ المهام التي تتواءم وطبيعتها.[4]

كما كان للمرأة في الجبلِ مشاركةً فاعلة في العملية الاقتصادية، ذلك من خلال مشاركتها في العمليات التجارية بالبيع، وقد خُصِّصَ لهنَّ أماكنًا معزولة في سوق حائل، سُمِّيَ بسوق الصَّفَّاقات، كذلك قامت المرأة بالمشاركة في الصناعات المختلفة، سواءً في عمل

(١) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) حسني: المصدر السابق، ص ٦٩.

(3) Huber: op cit, p 398.

(4) Ibid, p 395.

الخوص، أو دبغ الجلود، أو الحياكة والخياطة والتطريز، وهذه الصناعات أقرب لطبيعة المرأة منها للرجل، إذ اشتهرت النساء في هذه الصناعات أكثر من الرجال.(١)

وللمرأة دورٌ في نيابة الرجل في الجبل؛ فحين يكون الزوج في سفرٍ أو بعيدًا عن منزله أو داره، في البادية والحاضرة،فإن المرأة تقوم بدوره إذا ما حلّ على المنزل ضيوف، وذلك بتهيئة المكان لهم في الدار، وإرسال القهوة، وتصل إلى أن تقوم هي بذبح أحد الأغنام أو الإبل لهم، وهذا في إطار عدم كشفها لهم أو الجلوس معهم، فهي تقوم بذلك وهي في مكانها داخل المنزل، من دون أن تتعرض للرجال.(٢)

الأطفال:

يحظى الأطفال في الجبل بعنايةِ ذويهم كما في أيِّ بلدٍ آخر، وتتمثل هذه العناية بتوفير ضروريات الحياة والتربية، وأهمها التعليم، وقد سعى الكثيرون من الأهالي في الجبل إلى تعليم أطفالهم، واحتفوا بهم إذا ما وصلوا إلى مراحل متقدمة في التعليم، ذلك من خلال حفلة الختمة، أو الانتقال من مرحلةٍ إلى أخرى، ويسمى ذلك بزفّةِ الطالب.(٣)

وكانت بين الكبار والأطفال علاقة قويّة، تتمثل هذه العلاقة بتعويدهم على مجالسة من هم أكبر منهم سنًا، كي يستفيدوا من خبراتهم ويتعلموا منهم عاداتهم وتقاليدهم وطباعهم، ويقول فالين عن ذلك: دُهشت كثيرًا لرؤيتي الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث واثنتي عشر فيقلون المسنين، ويسمح لهم بمبادلتهم الحديث، ويُستشارون أحيانًا في

(١) السويداء: **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**... المرجع السابق، ج٢، ص ٢٤٨.

(٢) قد يُستغرب إذا لم تقُم المرأة بذلك، لأنها إن لم تقم على إكرام الضيوف أو خدمتهم من دون تقصير؛ فإن ذلك سيكون سُبَّةً على زوجها، والعكس إذا ما قامت بإكرامهم، حيث يعلي ذلك من شأنها أمام زوجها، ويرفع من مكانة زوجها أمام الناس، ولعل حادثة زوجة زيد الخشيم أمقفار خيرُ شاهدٍ على ذلك؛ (العريفي: **معجم الشعراء**... المرجع السابق، ص ١٤٥).

(٣) السويداء: **الثقافة والتعليم**... المرجع السابق، ص ص ٣٠-٣٢.

مواضيع تفوق مستواهم مُصغين إلى أقوالهم، ويعيش الصغار مع أهلهم في محبة وألفة، ولم أرَ في الصحراء تلك المشاهد الكريهة المألوفة بمصر، مشهد والد حانق يضرب ابنه، ولا رأيت الاستعباد الذي يلقاه صغار الأتراك إذ لا يسمح لهم بالجلوس أو الكلام في حضرةِ أبائهم المتعجرفين. في العالم كله أولاداً أكثر تعقُّلاً وأحسن خلقاً وأكثر طاعةً لأبيهم من أبناء البدوي".(١)

اهتمَّ الأهالي بصحةِ أبنائهم، فإضافةً إلى الختَان الشرعي لهم، والذي يتم في عمرٍ مبكرة للطفل، كان الأهالي يحرصون على تلقيح أطفالهم ضد الأمراض والفصد، ويقوم بعملية الختان والتلقيح أناس متخصصون في ذلك، يتقاضون مبالغًا على أعمالهم تصل إلى نصف مجيدي أو ربع مجيدي.

وحين يتم خِتان الطفل يقوم والده بدعوة الناس إلى وليمة الختان، وهي العقيقة، وتتراوح هذه الوليمة بعدد الأغنام التي تذبح بها، فالأسر الغنية تذبح أعداداً قد تصل إلى ستة أغنام، بينما العدد الطبيعي والمتعارف عليه بين الناس واحدة، لكن الزيادة تكون لدى الأسر الغنية والموسِرة في الجبل. كما تقام مثل هذه الولائم للأطفال الذين يحتفل أهاليهم بإتقانهم التعليم.(٢)

أما في ما يخص أسماء الأطفال فقد كان أهالي الجبل لا يسمون أبناءهم بأسماء أبائهم وهم أحياء، خوفًا من فألٍ سيء، لأنهم اعتادوا على أن تتم تسميَّة الأبناء أو البنات بالأموات من أجدادهم، خصوصاً وأنهم يرون في هذا تخليد لذكرى الميت الذي سمُيَّ باسمه، سويَّ بالأبِ أو الأمِ بعد وفاتهما، أما في حياتهما فقد كان مكروهاً لدى الأهالي.(٣)

---

(١) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ١٠٧.

(2) Huber: op cit, p 435.

(٣) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ١٣٨-١٣٩.

كما أن مسألة الإرضاع كانت من الأمور التي درجَ عليها الأهالي، فتجد أن كثيرًا من الرجال والنساء إخوة لأنهم رضعوا من امرأة واحدة، وتتم مسألة الإرضاع من دون النظر في قضيَّةٍ طبقية، حيث نجد أن كثيرًا من الناس كانوا إخوةً من الرضاع على الرغم من اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، خصوصًا وأن مسألة الإرضاع كانت من باب التكافل الاجتماعي، وشدَّة القربى بين الأهالي، كما أن كثيرًا من المرضعات يقمن بهذا العمل طلبًا في الأجر من الله تعالى، ومن دون مقابل، ومن كثرة ما تم إرضاعه؛ كان البعض يقوم بحصر من تم إرضاعه من أحدهن، وكتابة أسماءهم في ورقة، حتى يُعرفون إن كانوا إخوة مع الزمن.[1]

الطعام والوجبات اليومية:

كان الطعام في الجبل؛ هو الطعام التقليدي إلى حدٍ كبير في نجد عمومًا، الذي ينقسم إلى ثلاث وجباتٍ رئيسة، إفطار وغداء وعشاء، وفي الأغلب التمر والقهوة هما الرئيسان في الإفطار، مع السمن البري والخبز، ذلك كي يمنحهم طاقةً في بدايةِ يومهم، خصوصًا وأن أعمالهم شاقَّة، تتطلب الحركة الدائمة، التي تدعوهم إلى تناول كميات كبيرة من السعرات الحرارية، ووقت الإفطار يكون بعد صلاة الفجر، وما أن تحلّ فترة الظهيرة حتى يتناولون الغداء، الذي يكون الأرز فيه الطبق الرئيس، وبحسبِ غنى الأسرة أو حالها المادية؛ فإن اللحم لا يتوافر باستمرار، إذ يستعيضون بذلك بالمرق الذي يطبخ مع الخضروات، وأغلب الخضروات ما يزرع محليًا من الكوسةوالقرع والباذنجان وخلافه، وقد اشتُهرت أنواع عدَّة من الأرز، أشهرها على الإطلاق في الجبل أرز التَّمَّن الذي يجلب من العراق، أما العشاء فيختلف أمره بحسب الحال أيضًا، فإذا ما كانت الأسرة ميسورة؛ عمدت إلى طبخ الأرز أو ما يشابهه من هريس وجريش أو مرقوق، وغيره من المأكولات الشعبية المعروفة في الجبل

(١) نفسه، ص ١٥٦.

والمنطقة النجديَّة عمومًا، أو أن يكون الطعام مقصورًا على بعض الفاكهة في بعض الأسر التي لم تكن ميسورة الحال.[1]

يُطبخ الأرز بمرقة اللحم إن كان متوافرًا، أو مرقة الخضروات، بعد أن يصفى منها، ومن ثم يُقدَّم الأرز مع جزءٍ مرقته، سواءً أكانت لحمًا أم خضروات، ومن عاداتهم في أكل الوجبات أن يأكلوا الفاكهة قبل تناول الوجبة، وربما يكون لذلك أبعادًا صحيَّة، فبما أن الفواكة تحتوي على السكريَّات فمن الأفضل عدم تناولها بعد الأكل الذي يحتوي على الدهون، والطعام الذي يُثقِل عمل المَعِدَّة، إضافةً إلى أنهم لا يأكلون البصل الأخضر إلا مطبوخًا، كما أنهم يأنفون أكل الثُّوم لكراهية رائحته، ولم يعرف عنهم استخدام السمن في طبخهم إلا على نطاقٍ ضيق، خصوصًا إذا ما كان الأرز مطبوخًا مع اللحم، لأنه يحتوي على الدهون من دون اللجوء إلى استخدام السمن.واعتاد الناس على قلّةِ الطعام، إذ اقتصرت كميات أكلهم بما يساعدهم على سدِّ الجوع فقط، ويوصف نسبة ما يأكله النجديين على أن ثلاثة منهم يأكلون ما يأكله الرجل الطبيعي في العراق.[2]

وسائل التسلية:

مما عُرف في الجبل، وذُكِر في المصادر، وجود من يعملون بالإلعاب البهلوانية، وخصوصًا أؤلئك الذي يتقنون الرقص بطرق صعبة بالسيف والرمح، ومنها ما حدث لعبدالله بن رشيد، حين حاول أحد الذين يقومون بهذه الألعاب قتل عبدالله، لولا عناية الله ثم تنبههم إلى أنه يحاول تصويب الأمير، وكان حضور الأمير طبيعيًا لمثل هذه الألعاب البهلوانية، فبعد أن ذاع صيت الرجل الذي يقوم بذلك وكان اسمه أبوهادي، حضر الأمير

(١) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ١٨٤؛ أبوعلية: **تاريخ الدولة السعودية الثانية**... المرجع السابق، ص ٣١٥.

(٢) حسني: المصدر السابق، ص ص ٨٣-٨٤.

عرضًا له في ساحة المسحب، ويعطي ذلك دلالةً على أن مثل هذه العروض مما كان مألوفًا، ومما لا يستنكره الأهالي، بل يستمتعون به، ويتجمعون لوجوده، وربما أن الأغلب ممن يقوم بمثل هذه الأعمال هم من خارج المنطقة، فأبوهادي كان من القصيم.(١)

كما كان يقوم بالألعاب البهلوانية بعض العبيد الموجودين في الإمارة، إلا أنه في ما يبدو أن ذلك لم يكن على هوى العلماء والمشائخ وطلبة العلم، فمما أورده هوبر؛ أنه حين كان يشاهد مشاهدًا وألعابًا بهلوانية بحضرة الأمير، توقف العرض فجأةً، وكان السبب وصول الشيخ عبدالله الخطيب.(٢)

ومما يدخل ضمن وسائل التسلية؛ الصيد أو ما يُسمى المقناص، حيث يعمد الكثيرون إلى ذلك، منهم من يأخذه من باب المتعة والتسلية، ومنهم من يمارسه حرفةً يتكسب من خلالها، بحيث يقوم ببيع ما يصطاده في الأسواق. وقد ذكر داوتي أنه تم استدعاؤه للمشاركة في رحلة صيد، وغالبًا ما يصطاد الناس البدن والأرانب والغزلان والحبارى وغيرها، ويمكثون في رحلات صيدهم أكثر من أسبوع، يكون غذاءهم فيه مرهونًا على ما يتم اصطياده.(٣) أيضًا يُضاف إلى هذه الوسائل ما هو متعارفٌ عليه من ركوب الخيل والسباقات والمصارعة في ما بينهم، كذلك العرضة النجدية ورقصاتها.(٤)

كما عرفت النزهة في الجبل بشكلٍ واسع، ذلك حين يلجأ الأهالي إلى الذهاب مجموعات إلى البريَّة، خصوصًا المناطق القريبة، التي تشتهر بجمالها، وقربها، ونقاء هوائها، خصوصًا في الشِّعاب والجبال القريبة.(٥) كذلك الاجتماع المسائي، الذي يطلق عليه الأهالي

---

(١) المارك: المرجع السابق، ج١، ١٧٨-١٨٥.

(2) Huber: op cit, p 435.

(٣) داوتي: المصدر السابق، ج٢، المجلد الأول، ص ١٩.

(٤) أبوعلية: **تاريخ الدولة السعودية الثانية**... المرجع السابق، ص ٣١٤.

(٥) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٦.

الشبَّة، والاسم مأخوذ من شبِّ النار، بحيث يجتمع الرجال حول النار، وهي مشتعلة، ويتسامرون ويتبادلون الأخبار والأحاديث.

وكان الناس في الجبل أيضًا يقومون خلال الأعياد بما يُعدُّ تسليةً، ولها مسميات، مثل الخِشرَة حين تجتمع الفتيات في أحدِ البيوت، ويقضين وقتًا مع بعضهن يتحادثن ويتسلين، كما يقمن بجمع الخِشرة من التسالي في الأكل، وفي ليلة العيد تستعد جميع بيوت الحيّ بعمل وليمة لصباح العيد، بحيث يأتي كل بيت بما يقدمه من طعام، وتصف الصواني بجانب بعضها، فينتقل الناس من صحنٍ إلى آخر، كما يفرح الأطفال بما يسمى العيدية، بحيث يمرون على بيوت الحيّ ويحصلون على عيديتهم من حلويات وخلافه. كما يقيم أهل البلد عرضةً بمناسبة العيد.(١)

الأخلاق العربية الأصيلة:

وبشكلٍ عام فإن أهالي الجبل حافظوا على العادات والتقاليد العامة التي تنبع من التشريع الإسلامي، وكانت لصيقةً بالعادات والتقاليد العربية الأصيلة، من شجاعةٍ وبسالةٍ ووفاءٍ وإباء وصدقٍ وشَرَف ومروءة وعدم خيانة الجار والضيف(٢)، والتعامل الحسن المهذب مع الآخرين، وتصف الليدي آن بلنت ذلك بقولها: "بينما كنا نترجل همس محمد الأمير. قال ولفرابلسلام عليكم، فأجاب الجميع بصوتٍ عالٍ مبتهجٍ بمودة مطمئنة: وعليكم السلام، حينها فكرت بأنني لم ألقَ في حياتي هذا العدد من الوجوه الباشة مجتمعة، أو أناسًا بهذا التهذيب الجم".(٣) ومن الأخلاق العربية الأصيلة في الجبل؛ حسن الجوار، فكثيرًا ما تناقل أهالي الجبل قصصًا واقعيَّةً عن أحداثٍ تصف حسن الجوار، ومن الأشياء التي كان متعارفًا

(١) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج٢، ص ص ١٩٨-٢٠٠.

(٢) العزاوي: **تاريخ نجد**... المصدر السابق، ص ١٦٧.

(٣) بلنت: المصد رالسابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٤٧.

عليها حول ذلك، ما يسمى الرِكِدِي، وهم مجموعات من البادية، تأتي في فصل الصيف وتسكن في أحياء الحاضرة، بحيث يقوم البدوي بنصب خيمته في وسط الحي، أو قرب بيت من البيوت، ومن ثم يكون بينه والأهالي صحبة وحسن جوار، وكانوا يسمونه رِكدِي.(١)

وفي نهاية هذا الفصل نجد أن معلوماته في الأغلب جاءت حول التركيبة السكانية للجبل، والقبائل التي سكنته منذ القدم، وهذا ما دعانا إلى الحديث عن استيطان القبائل في المنطقة قبل فترة الدراسة، ذلك كي تتضح الرؤية بشكل عام عن فترة استيطانها، وحركة الهجرة إلى الخارج، والهجرة المعاكسة، والفئات الاجتماعية الوافدة إلى الجبل. كذلك تقسيمات المجتمع في الجبل، خصوصاً التقسيم على أساس طبقي والتقسيم على أساس أسلوب المعيشة. وقد لحظنا من خلال هذا الفصل أن الجبل كان يزخر بحراكٍ اجتماعي ملحوظ، وبتركيبةٍ اجتماعيةٍ متفاوتة. ومن ذلك نجد أننا تناولنا جميع الجوانب الحضارية لجبل شمَّر، إذ لم يبقَ سوى الحديث حول الحياة العمرانية فيه، حتى تكتمل الصورة الحضارية، حيث سيتم تناول ذلك في الفصل الخامس والأخير إن شاء الله تعالى من هذه الدراسة.

(١) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج٢، ص ٩٣.

الفصل الخامس

الحياة العمرانية

- العوامل المؤثرة في المظاهر العمرانية في منطقة جبل شمَّر.
- المواد المستخدمة في البناء.
- الفن المعماري: دار الإمارة "قصر برزان"، الأسوار، المنازل، الطرق.

تُعد العمارة في حائل نمطاً مألوفاً لا يختلف عما هو عليه في إقليم نجد وسط شبه الجزيرة العربية؛ ذلك لأنه يتأثر بالمؤثرات نفسها، أيضاً يستخدم المواد الأولية في البناء نفسها تقريباً، إضافةً إلى أن النسق المعماري متشابه إلى حدٍ ما بين المدن والمناطق النجدية.

وربُما أن جبل شمَّر امتاز عن غيره من الأقاليم النجديَّة الأخرى ببعض الزخرفات والكتابات التي كانت على جدران البيوت، كما أن المواد الأولية في البناء كانت متنوعة في الجبل، ما يجعل من المنطقة متنوعة في المواد المستخدمة في البناء، لاتساع المنطقة واختلاف مكوناتها الصخرية، حيث تعتمد أغلب المناطق على البناء الطيني، فيما تعتمد أخرى على الصخور، ويعود ذلك إلى نوعية الأرض التي يُقام عليها البناء، وإذا توافرت فيه الصخور، التي تُعد عملية حملة مشكلة للمِعمَار المحلي.

وفي بداية هذا الفصل؛ سيتم تناول العوامل المؤثرة في العمارة في جبل شمَّر، ومن ثم المواد المستخدمة في البناء، فأبرز المظاهر العمرانية؛ التي جمعت بين العمارة النجدية، والتأثيرات الخارجية من الأقطار الأخرى خارج نجد، خصوصاً القادمة من شمال شبه الجزيرة العربية، مع مجموعة من الذين وفدوا إلى الجبل، وأصبحوا جزءاً من نسيجه الاجتماعي خلال فترة الدراسة.

العوامل المؤثرةفي المظاهر العمرانية في منطقة جبل شمَّر

أولاً : العامل الجغرافي:

من المنطقي أن تتأثر العمارة بالعامل الجغرافي، الذي يجعل من التكوينات الجغرافية والجيولوجية للأرض ومناخها وموقعها؛ مؤثراً مهماً ورئيساً في نمطية وشكل العمارة، فموقع الجبل جعل منه منطقة تربط العراق وفارس بشبه الجزيرة العربية، لذا تأثر المكان بهذه الحركة السنوية النشطة، التي تغذي المكان بالطاقة السكانية والاقتصادية والحضارية، بالتالي تحُدث حراكاً داخلياً خاصاً للمكان، تصطبغ به مناحٍ عدَّة في المكان، منها العمارة.

وهذا الموقع الجغرافي أعطى الجبل أهميةً منذ عصورٍ تاريخيةٍ قديمة، كممرٍ مهمٍ للقوافل، نقل معه ثقافة معمارية من العراق وبلاد الشام وفارس[1]، لذا نجد أن ثمة اختلاف في فن الزخرفة والتلوين على الجدران، أما الغالب في العمارة مشابه لما هو موجود في نجد عامةً . لذا تمتع الجبل بخصائصٍ اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية؛ بسبب موقعه الاستراتيجي.

كما أن المناخ أثر بدوره في الفن المعماري، إذ إن مناخ الجبل كان مناخاً قارياً جافاً، لذا كان لا بد على المعمار أن يأخذ بدوره مراعاة التقلبات المناخية، كي يتواءم البناء والحرارة المرتفعة صيفاً، والبرودة شتاءً ، كذلك مراعاة البناء وتعرضه لمياه الأمطار، التي يمر على المنقطة مواسماً قد يصعب معها صمود البناء أمام السيول الجارفة. يؤيد ذلك ما أورده هوبر في رحلته وتسجيل يومياته في الجبل سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، التي توافقت وموسم السيول والأجواء الباردة، حيث أورد في أحد يومياته في ١٩ نوفمبر أن البيت الذي يسكنه في الجبل تأثر بشقين اثنين من جدرانه، وأن مياه الأمطار أحدثت نهراً من الفيضانات ما بين حائل وجبل

(١) الحواس: المرجع السابق، ص ٤٧.

أجأ، ما جعل هذه الأنهار من الفيضانات تجري في المدينة، وتحول سوق مشهد إلى بحيرة من المياه، وصل ارتفاعها إلى ٧٠سم، ما أثر في انهيار كثير من الجدران، الأمر الذي أحدث بعض الرعب في نفس هوبر، وهو يروي يومياته.(١) أيضًا في يوم ٤ يناير من السنة نفسها ذكر أن العواصف المطيرة خرَّبت أنحاء المدينة، الأمر الذي أضعف جدران المنازل، وفي هذا اليوم بالتحديد تسببت مياه الأمطار في انهيار منزلين، كذلك بعده بأربعة أيام، في ٨ يناير انهارت العديد من المنازل.(٢)

وفي حديث هوبر دلالة على أهمية مراعاة تماسك البناء ومتانته أمام الأمطار والسيول، لكن معطيات ذلك الزمن لم تؤمن للمعمار الأدوات التي تضمن قوة البناء وتماسكه في مواجهة السيول والأمطار كما ينبغي، لذلك عمل على زيادة سماكة البناء، واستخدام المواد الجبسية التي تساعد في التماسك، وعلى الرغم من ذلك تنهار بعض المنازل بسبب مياه الأمطار.

أما في ما يتعلق بدرجات الحرارة، فإن استخدام الطين كمادة أساسية في البناء أكسب البيوت برودةً في فصل الصيف، ودفئًا في الشتاء، ذلك بنسبٍ محدودة، تخُفف من تأثيرات درجات الحرارة، خصوصًا في فصل الصيف؛ بحيث يلجأ المعمار إلى زيادة سماكة الجدران كعازل حراري، ويعمد إلى توجيه فتحات البيت إلى الفناء الوسطي له(٣)، كي يضمن حركة التيار الهوائي المحمي من أشعة الشمس بظلِ الفناء. إضافةً إلى أنه تم الأخذ بالاعتبار الرياح، إذ عَمِد المِعمَار إلى عمل نسيج عمراني تتخلله الطرق الضيقة والمتعرجة، للحد من

---

(1) Huber: op cit, p 397.
(2) Ibid, pp 424-425.
(٣) العمير: عبدالله بن إبراهيم، **العمارة التقليدية في نجد**، الجمعية السعودية للدراسات الآثارية، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ص ١٩-٢٠.

سرعة الرياح وأضرارها التي تجلب معها الأتربة والغبار، أيضاً العمد إلى بناء المناور التي تحتفظ بالهواء في المنزل، وجعل واجهات البيوت غير مستقيمة، كي يقلل من سرعة الرياح.(١)

كما أن التكوينات الجيولوجية للأرض أثرت بشكل بارز في فن العمارة في الجبل، حيث إن المعمار استفاد من المواد المحيطة به من طبقات الأرض، ووظفها حسب قدرته في تماسك البناء وقوته وصلابته، وقد تميز الجبل بتوافر أكثر من مادة رئيسة تستخدم في البناء، ما بين المناطق الصخرية والرسوبية(٢)؛ لذا استعان المعمار بالحجارة في تكوين أساسات البناء، وبالطين والجبس كمادة أساس، ولم يستخدم الحجر في البناء كاملاً، لصعوبة استخراجه وجلبه لمسافات بعيدة، وتدويره ليكون مادة مناسبة في البناء، لذا استفاد منه في الأساسات، والطين كان مادة أكثر طواعيةً في يد المعمار، وأسرع في تكوين البناء، واستعاض بذلك في مسألة سماكة الجدران، التي كان لها أكثر من وظيفة، منها المحافظة على القوة والصلابة لفترات طويلة.

ثانياً: العامل الاجتماعي:

راعى المعمار في حائل العادات والتقاليد في بناء البيوت، إذ عمد إلى فصل الرجال عن النساء في ما يخص أماكن التجمع، كغرف الاستقبال والمجالس والأفنية الداخلية(٣)، كما وضع العوازل كي لا يكشف الضيوف أثناء دخولهم البيت من الداخل، فتُكشف الحُرمات، لذلك لا يمكن رؤية الفناء الداخلي للأسرة، وبعض البيوت يحتوي على فنائين، أحدهما يخص الضيوف، والآخر للأسرة بشكل عام.

---

(١) نفسه.

(٢) الحواس: المرجع السابق، ص ٥٢.

(٣) العمير: المرجع السابق، ص ص ٢٥-٢٦.

وفي الجانب الاجتماعي روعي في التصميم الخارجي للبيوت، ذلك من خلال مراعاة عدم تقابل الأبواب مع الجيران، حتى لا يتم كشف الحُرمات(١)؛ لذا من الصعب جداً أن نجد بيت يفتح بابه مقابل باب جاره، لذا يراعي المِعمار هذه المسألة أثناء البناء. ومن خلال المسح الميداني بالبيوت الطينية القديمة لحائل، لم أجد أثراً لباب يقابل الآخر، حيث إن الحرص بدا واضحاً في تباعد الأبواب، ما يصعب معه الكشف على المحارم.(٢)

كما أن تصميم المجالس(٣) متوافقاً والعادات والتقاليد الاجتماعية، من خلال الفصل بين النساء والرجال، واتساع هذه المجلس لا سيما الخاصة بالرجال، التي توحي أن المجتمع كان مضيافاً، حيث إنه حينما يفد ضيف على أحد الأحياء؛ فإنه من الواجب أن يقوم بزيارة جميع بيوت الحي، حتى لو من خلال المرور والمكوث لتناول القهوة والفاكهة إن كان ينوي الرحيل عاجلاً، إذ يتبعه أهالي الحي في كل بيت يقوم بزيارته، ما يستوجب مراعاة اتساع هذه المجالس، ويورد هوبر حول هذا: "كل الغرباء الذين يصلون إلى حائل هم ضيوف الأمير إذا لم يكن لديهم من يضيفهم، لكن من المعتاد أنه عند وجود شخص مهم بالمدينة سواء كان شيخاً أم لا، فإن كبار المدينة يدعونه لتناول القهوة خلال اليوم أو بعد تناوله العشاء. في مثل هذه المناسبة يقدم الفرد الفاكهة قبل القهوة واللبن مع الزبد إذا كان متوافراً".(٤) وكان الاهتمام كما ذكرنا بمجلس الرجال أكثر منه بالمجلس الخاص بالنساء، لذا نجد أنه أكثر اتساعاً، ويحتوي على زخرفات جبسية عدة(٥)، إما بأشكال هندسية إسلامية، أو بكتابة آيات قرآنية أو أدعية.

---

(١) الحواس: المرجع السابق، ص ٥٤.

(٢) زيارة ميدانية للبيوت الطينية القديمة في حيي لبدة ومغيضة بحائل، بتاريخ ١٤٢٧/١٢/١٣هـ.

(٣) في اللهجة العامية الدارجة في الجبل؛ يطلق على المجلس القهوة.

(4) Huber: op cit, p 421.

(٥) الحواس: المرجع السابق، ص ٥٦.

اشتركت الوحدات السكنية في الجبل بمرافق واحدة، كما هو الحال في بقية مناطق نجد الأخرى، مثل الآبار والفتحات بين البيوت، الأمر الذي يعطي صورة من صور التلاحم الاجتماعي بين الجيران[1]، على الرغم من بعض الاختلافات الطبقية بين الجيران، إلا أنها لم تكن بادية أو واضحة في تعاملاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية. وكان لمجتمع الجبل تمسك واضح في مثل هذه العادات والتقاليد، فإلى فترة قريبة كان الناس يتشاركون في المزارع، وفلاحتها والسكن فيها، إضافةً إلى وجود الفتحات بين بيوت الجيران، و الاشتراك في مرافق واحدة.

كما أن البساطة الاجتماعية كانت باديةً في كثير من البيوت، لذلك الغالب من بيوت الجبل القديمة تتحلى بهذه البساطة في البناء، وعدم التكلف، والتشابه في أسلوب البناء والمرافق، عدا بعض البيوت التي توحي بثراء أصحابها، التي تحتوي بيوتهم على الكثير من الزخرفات والاتساع في البناء.[2]

ثالثاً : العامل الاقتصادي:

من أهم الأمور التي يجب مراعاتها في العمارة والبناء، هو العامل الاقتصادي، حيث يجب أن يراعى قرب موقع البناء من مواد البناء الخام، كالطين والجص والحجارة والنخيل، ذلك كي لا يكن البناء مكلفاً أو صعباً[3]، إضافةً إلى مراعاة قرب المكان من المزارع، وفي بعض الأحيان يكون البناء أو المسكن داخلها.أيضاً يعمد المعمار إلى بناء فناء في البيت خاص لتربية الحيوانات، كالأغنام والأبقار، ذلك لما تقدمه من قيمة غذائية يومية، كذلك العمد إلى بناء مرافق لتخزين الأغذية مثل التمر والقمح، ومخازن الحطب.[4] وبما أن المياه تعد عصباً للحياة، فإن البيوت تكون قريبةً من الآبار، وفي بعض الأحيان يشترك الجيران في بئر

---

(١) الزهراني: المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٢) زيارة ميدانية للبيوت الطينية القديمة في حيي لبدة ومغيضة بحائل، بتاريخ ١٤٢٧/١٢/١٣هـ.

(٣) دار الدائرة للنشر والتوثيق: المرجع السابق، ج٤، ص ٢١٣.

(٤) الزهراني: المرجع السابق، ص ص ١٥٣-١٥٤.

واحدة، إذ إن وفرة المياه مهمة لبيئة زراعية كالجبل، ولعل النخيل التي تعد مصدراً غذائياً مهماً، حرص السكان على زراعتها في بيوتهم، وفي مزارعهم، ومن خلال تقسيم الأحياء في الجبل، نجد أنها دائماً ما تكون قريبة من المناطق الزراعية، ولعل بعض البيوت تكون داخل هذه المزارع التي تعد داخل حدود هذه الأحياء.(١)

كما أن البساطة في البناء ذات بعد اقتصادي، لأن الحال الاقتصادية لغالب سكان الجبل كانت قليلة، لذلك يكون البناء عادةً بسيطًا في تصميمه(٢)، يعتمد على مواد يسهل على صاحب المنزل الحصول عليها، وقد لا يكلفه في البناء سوى أُجرة المِعمار وأتباعه، الذي يساعدونه في عملية البناء. أما المواد فإنه يحصل عليها من دون مقابل، لتوافرها في الطبيعة.

رابعاً: العامل الديني:

التزم سكان جبل شمَّر بتعاليم الدين الإسلامي، لذلك أُخذ في الاعتبار الخصوصية التي تضمن حرمة البيت بتصميم ممرات متعرجة داخله، لا يمكن من خلالها رؤيته من الداخل، وبالتالي الكشف عن المحارم، ما يجعل النساء يتحركن بحرية في بيوتهن، من دون الخوف من كشف الغريب عليهن، كذلك صمَّم المِعمَار الطُّرمة، وفي فتحة صغيرة تكون في الباب عادةً، كي يشاهد من خلالها أهل البيت الطارق. إضافة إلى أن تصميم البيوت كان يضمن عدم كشفها للجيران، ذلك بعدم عمل فتحات أو نوافذ باتجاههم، كما أن البناء الخارجي للمنزل كان بسيطًا، لا توجد فيه زخرفات ونقوش زائدة، وإن كان ثمة نقوش فهي تتوافق والشريعة الإسلامية.(٣)وربما أن مثل هذه البساطة في البناء الخارجي، عطفاً على طبيعة أهالي شبه الجزيرة العربية التي كانت معروفةً منذ القدم، إضافة إلى أن كثير من السكان

---

(١) الحواس: المرجع السابق، ص ص ٥٨-٥٩.

(٢) الزهراني: المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٣) الحواس: المرجع السابق، ص ص ٦٠-٦٤.

في أصولهم مرتبطين بالبادية وإن تحضروا، لذلك يصعب مع ذلك حرصهم على الزخرفة الخارجية للبيوت.(١)

ومن خلال اقتراب المساكن من بعضها، نلحظ أن السكان حرصوا على اللحمة الاجتماعية، والتواصل الدائم في ما بينهم، إذ إن المساكن كانت متراصة ومتلاصقة ببعضها، وهذا مما يعد تحقيقًا لأمر ديني يقضي بحث الناس على التواصل والتلاحم بينهم، وكما ذكرنا سابقًا؛ فإن الجيران – في الغالب – يقومون بعمل فتحات بين البيوت؛ حتى تسهل مسألة التزاور بينهم، وكي تنتقل النساء بين البيوت من دون حرج الخروج من البيوت، والتعرض للمارة من الرجال.(٢) ومن أهم الأمور التي تمت مراعاتها في تصميم المدينة؛ هو توسط المسجد للمباني، على اعتبار ما يلعبه من دورٍ ديني تعليمي، لذلك تلتف حوله المساكن بشكل يسهل معه الوصول للمسجد بشكل سهل من أبعد بيت في الحي الواحد. لذلك احتوى كل حي من أحياء الجبل على مسجد خاص به.(٣) وقد أورد موزل ذلك، حين ذكر أن في الجبل أربعة مساجد، واحدًا في برزان، والثاني في لبدة، والثالث في سماح، والرابع في سوق النحاسين، ومن المؤكد أنه روعي في ذلك خدمة كل مسجد لأبناء الحي كافة، ذلك من خلال اقترابه منهم، ومن خلال أثره التربوي التعليمي، وأثره الاجتماعي، غير أن الأكبر من مساجد الجبل والأكثر ارتيادًا، هو مسجد برزان، لأنه الخاص بالسلطة السياسية في الجبل.(٤)

سبق أن ذكرنا في الحديث حول العامل الاجتماعي؛ مسألة عدم تقابل الأبواب بين المنازل، على اعتبار أنها تضمن حقوق الجار الاجتماعية، وفي حقيقة الأمر أن مثل هذه المسألة ذات منشأ ديني فقهي، يعرف باسم تنكيب الأبواب، وهو عدم تقابل الأبواب في

---

(١) وزيري: يحيى، **موسوع عناصر العمارة الإسلامية** مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م، ص ٧.

(٢) العمير: المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٣) نفسه، ص ١٥٢.

(4) Musil: op cit, p 253.

البناء الخارجي.[1]وتنكيب الأبواب يعدُ من سمات العمارة الإسلامية في تخطيط الحارات داخل المدن.[2]

ومن خلال المسح الميداني لوحظ طول الأسوار الخارجية للمنازل، كذلك طولها بين الجار وجاره بما لا يحبس عنه الهواء (انظر الصورتان رقم ٢٨، ٢٩) ذلك تحقيقاً لحديث الرسول ﷺ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: "من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بمؤمن وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه أتدرون ما حق الجار إن استعانك أعنته وإن استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض عدته وإن مات شهدت جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه وإذا شريت فاكهة فاهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقيثار قدرك إلا أن تغرف له منها" رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وسويد بن عبد العزيز وعثمان بن عطاء. [3] وفي طول الجدران سترٌ للجار كما جاء في حديث الرسول ﷺ من دون الطول الزائد الذي ربما يؤذي الجار، ويمنع عنه الريح والهواء البارد.

---

(١) العمير: المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) عبدالمقصود وعطية: فيصل وإيمان محمد، **الحلول المعمارية التقليدية وكيفية تطويرها واستحداث تطبيقات معاصرة (الحارة السكنية التقليدية كنموذج تطبيقي)**، بحوث ندوة الإسكان الثالثة، الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، الرياض، ٢٠٠٧م.

(٣) الطبراني: سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، **مسند الشاميين**، ج٣، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، (د.م)، ط١، ١٤٠٥هـ، ص ٣٣٩.



صورة رقم (٢٦): أحد أطلال البيوت القديمة بحي مغيضة بحائل، توضح طول الجدران الخارجية.[١]



صورة رقم (٢٧): أحد أطلال البيوت القديمة بحي مغيضة بحائل، توضح تحصيص أعالي الجدران.[٢]

(١) تصوير الباحث، خلال الزيارة الميدانية بتاريخ ١٤٢٧/١٢/١هـ.

(٢) نفسه.

المواد المستخدمة في البناء

أولاً : الطين:

يُعد الطين مادةً أساسية في الأدوات المستخدمة في البناء في جبل شمَّر، ذلك لسهولة الحصول عليه، على الرغم من أنه عرضة للانهيار أكثر من غيره من المواد الأخرى، خصوصاً حينما يتعرض لمياه الأمطار الغزيرة والسيول، إذ إنه يصعب أن يصمد طويلاً في وجه عوامل التعرية[1]. وقد راعى المِعمار في الجبل هذه المشكلة، وعمل على أن يصمد الطين في وجه عوامل التعرية الطبيعية، ذلك من خلال القيام ببناء الجدران بشكل سميك جداً يصعب معه الانهيار السريع لهذه المباني، كما جعل من أساسات البناء قوية وبناها من الحجارة، كي تساعد على التماسك بشكل أكبر[2]، لذلك انتقد داوتي المواد المستخدمة في بناء بيوت الجبل، لكنه في الوقت نفسه امتدح طريقة البناء وتوظيف الطين بشكل يجعله أكثر قوةً وصلابة.

كان البناء في الجبل يعتمد على الطين والطوب المجفف في الشمس، لذلك تميز بنوع من القوة عن غيره من المباني، على اعتبار زيادة الطبقات فيه، خصوصاً إذا ما كانت التربة المأخوذ منها من النوع الجرانيتي، وهذا مما شاهده داوتي في قرية موقق التابعة لجبل شمَّر، حين

---

(١) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٥١.

(٢) يذكر ماركو ألبيني في كتابه العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية؛ أنه كان الاعتقاد السائد هو أن اللبن المجفف بالشمس عبارة عن مادة فقيرة تستخدم في المعمار المتواضع، ويؤكد أنه في كثير من الأقاليم وعلى امتداد الزمن الذي شهد تطور وسائل وتقاليد استخدام اللبن ثم تشييد كلتا النماذج المعمارية المتواضعة ورفيعة المستوى وهي ما زالت باقية إلى حد ما حتى الآن. ويسوق مجموعة من الشواهد التي تُبرهن نظرته في أماكن أخرى في أفغانستان ونيومكسيكو، الكاميرون، حوض البحر الأبيض المتوسط، البيرو وغيرها، ويخلص إلى أن اللبن يخضع إلى لوسائل وأساليب أولية من شأنها أن تُعبر عن عمارة قوية، لا سيما إن توافر مكونات الطمي والقش بكميات هائلة، ومناخ حار يساعد على استعماله في البناء القوي؛ (ألبيني: ماركو، **العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية (المنطقة الوسطى)**، ترجمة: أسامة محمد الجوهري، الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١١هـ، ص ١١).

قارنها بتيماء التي مر بها قبل مروره بموقق، وذكر أنها لا تتشابه بقوتها وطريقة بنائها، إذ تميزت بيوت موقق عنها بطبقات الطين.[1] كما وصف هذه الطبقات بالسُّمك ويدفن فيها كتل من الحجر تتميز بثقلها.[2]

بهذا يكون الطين من أهم المواد المستخدمة في البناء في الجبل، والمادة الأولى التي يتم الاعتماد عليها،[3] خصوصًا وأن طبيعة جبل شمَّر تميزت بوجود الأودية، التي يتوافر فيها الطين المناسب في البناء، وأفضله ذلك الذي يجلب من المزارع، لأنه يقاوم التشقق في الجدران أكثر من غيره من الأنواع الطينية، ذلك لاستخدامه في الزراعة وريه بالماء، الأمر الذي يطرد الأملاح، التي تساعد على سرعة التشقق، لكن في الوقت نفسه كان الاعتماد على هذا النوع من الطين قليل، لأن المزارع كان بحاجة إليه أكثر من المِعمَار[4]، إلا أنه استخدمه في بناء بعض البيوت، وربما بيوت أصحاب المزارع، الذين لن يمانعوا في بناء بيوتهم من نوعية جيدة من الطين. وتتم الاستفادة من الطين؛ بطريقة خلطه من مناطق معروفة بالمطينة، حيث يشكل فيها خلاَّط الطين اللبن، على هيئة كتل متساوية تقريبًا ويضيف عليها الرمل، أو أن يجلب الطين في موقع البناء نفسه ويقوم بالعملية بعد أن يوفر كمية من الرمل، كما يعمل على إضافة مواد عضوية كالتبن والقش وروث البقر وغيره، ليكون اللبن أكثر تماسكًا وقوة، وصلاحيةً في عملية البناء. ومن بعد ذلك يعمل على وضع كتل الطين في الشمس، كي تكون قاسية وصلبة، وفي بعض الأحيان يقوم الخلاَّط بعمل كتل اللبن بواسطة قوالب خاصة به، حتى يأخذ اللبن الشكل المطلوب والمتساوي.[5]

---

(١) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤١٩.

(٢) نفسه، ج٢، المجلد الأول، ص ١٢.

(٣) فالين: **صور**... المصدر السابق، ص ٧٥.

(٤) الحواس: المرجع السابق، ص ١٠١.

(٥) العمير: المرجع السابق، ص ١٦١؛ الزهراني: المرجع السابق، ص ٨٥.

ثانياً: الحجارة:

استفاد سكان جبل شمَّر من أرضهم الجبلية، حيث حصلوا على الحجارة لبناء أساسات منازلهم ومبانهم، ضماناً لقوة وتماسك البناء في قواعده، لذا كانت الحجارة مادة مهمة اعتمد عليها المِعمار في الجبل، على الرغم من أنها لم تكن تفي بتغطية الأبنية بكاملها، لصعوبة الحصول عليها في مناطق الجبل كافة، وصعوبة تشكيلها بما يكفي لبناء كامل.

كما أن بعض المناطق التابعة لجبل شمَّر اعتمدت بشكل مباشر على الحجارة في البناء، كما هو الحال في الحائط وفيد وبقعاء، ذلك لتوافر الحجارة بأراضيها، التي تعد حرَّةً تتكاثر فيها الحجارة الصالحة للبناء، التي يسهل حملها واستخدامها، فيما أن حائل عاصمة الجبل لم يتوافر فيها حرَّات كما في الحائط وفيد وبقعاء والبلدات المجاورة لها، لذا اعتمدوا فيها على البناء من الطين الموجود في السهول والأودية، الأمر الذي أثر في تنوع الطُّرُز المعمارية في الجبل، حسب المواد المستخدمة منها.[1]

ويصعب الحصول على الحجارة في حائل والمناطق الأخرى التي لا توجد الحرَّات بها بكثرة، لكون جمع الحجارة من أشق الأعمال التي يقوم بها العاملون في البناء، ذلك من خلال البحث عن المواقع الصخرية التي تتوافر فيها القطع الصخرية الحجرية ذات الأشكال التي تتوافق مع عملية البناء، وغالباً ما يجلبون الأحجار الموجودة على سطح الأرض في متناول أيديهم، والتي لا تحتاج إلى جهدٍ مضنٍ في حملها إلى موقع البناء خصوصاً وأن مسألة تكسير الجبال والحصول على الأحجار المناسبة؛ أمر في غاية الصعوبة بالنسبة للعامل في البناء، أو ما يسمى الحجَّار.[2] إضافةً إلى أن سكان حائل والمناطق الأخرى التي يصعب الحصول فيها على الحجارة بوفرة، استخدموا الحجارة في أساسات البناء، فإنهم استخدموها

(١) الحواس: المرجع السابق، ص ص ٦٥-٦٦.

(٢) العمير: المرجع السابق، ص ١٥٩.

أيضًا في بناء الأساطين التي تستند عليها الأسقف، خصوصًا في الغرف والمباني ذات المساحات الكبيرة مثل المساجد، وهذه الأساطين عبارة عن اسطوانات حجرية، توضع الواحدة فوق الأخرى، كي تضمن ثبات السقف، ونظرًا إلى أن الحجارة يصعب تشكيلها بشكل متساوي، ولكي تظهر للعيان على أنها شكل هندسي؛ عَمِد المِعمَار إلى أن يدهن هذه الأساطين بالجص، حتى يخفي تلك البروزات الحجرية فيها.[1] وتسمى هذه الأساطين في جبل شمَّر المِيَلَة للجمع، والمِيل للمفرد.

وعطفًا على ما فات؛ نستخلص أن منازل الجبل تتنوع في طُرُزِهَا المعمارية حسب موادها الأساسية المستخدمة فيها، وحسب وفرتها وسهولة الحصول عليها، فالأماكن التي تقل فيها الحجارة الصالحة للبناء؛ يتم استخدام الطين فيها، والحجارة لبناء الأساسات والأساطين، كي تكون أكثر تماسكًا ومقاومةً للانهيار، بينما المناطق التي تكثر فيها الحجارة تكون مادتها الأساس فيها الحجارة، وقلة استخدام الحجارة في مباني حائل؛ صَعَّبَ بناء أكثر من دورين في المنازل والمباني الأخرى[2]، إلا ما ندر، والمناطق التي استخدمت فيها الحجارة بشكل أساس، نجد أن مبانيها تصل إلى أكثر من دورين اثنين، لقوة الحجارة التي تساعد على مثل ذلك. (انظر الصورة رقم ٢٨)

اعتقد بعض الباحثين أن منطقة الجبل كافة كانت بيوتها من الحجارة، في حين أنها متنوعة كما مر معنا وربما هذا الاعتقاد جاء نتيجة إلى طبيعة الجبل الجغرافية، كما ورد في كتاب حصة بنت جمعان الزهراني "الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية"؛ حين ذكرت أن منطقة جبل شمَّر غلُب عليها البناء بالحجارة، في حين أن الغالب في البناء كان الطين[3]، بل الحجارة كانت في مناطق محدودة في الجبل.

---

(١) ألبيني: المرجع السابق، ص ١٤؛ العفنان: المرجع السابق، ص ٢٣٦.

(٢) الحواس: المرجع السابق، ص ص ٩٩-١٠٠.

(٣) الزهراني: المرجع السابق، ص ١١١.



صورة رقم (٢٨)مبانٍ قديمة في مدينة الحائط التابعة لجبل شمَّر.[١]

ثالثًا: الأخشاب:

يستخلص الخشب من مصدرين من الأشجار، من خشب شجر الأثل وجذوع النخيل، ويتم استخدام الأخشاب في أكثر من مجال في عملية البناء، ولعل أهمها سقف المنازل والأبنية، كذلك صناعة الأبواب.[٢] وبالنسبة لسقف المنازل؛ فإنه يتم وضع خشب الأثل بشكل متساوٍ على السقف ومن ثم جذوع النخيل الصالحة للسقف وتغطى بطبقة من السعف، كي يتم سد الفجوات التي تعلوه من مادة الطين، وكي لا يتسرب الطين من بين هذه الجذوع.[٣]

(١) صورة مأخوذة من كتاب آثار منطقة حائل الصادر من وزارة المعارف (التربية والتعليم)، ص ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ٤٣١.

(٣) الحواس: المرجع السابق، ص ص ١٠٢-١٠٣؛ فالين: صور... المصدر السابق، ص ١٢٦.

لتُخدم شجر الأثل والنخيل أحسن استخدام، وبالنسبة للأثل فإنه كان الأقوى والأكثر صلابةً، إذ إنه بعد تقطيعه بشكل متساوٍ يتم تجفيفه بالشمس، كما تم تصنيع الأبواب من شجر الأثل وحشوها بجذوع النخيل، ليكون قويًّا ومتماسكًا يؤدي وظيفته، بحيث يوضع رباط جلدي لزيادة تماسكه، ومن ثم يثبت بعوارض خشبية من الأثل تُدق بالمسامير.[1] أيضًا يتم تصنيع الأقفال من الخشب، وقد ذكرت الليدي آن بلنت عنه أنها غريبة في تصنيعها[2]، وفي الغالب تكون أقفال هذه الأبواب مثبتة بقطعة كبيرة من الخشب متحركة، بحيث يتم تمريرها داخل الجدار للغلق، وفي حال الفتح تُسحب، لذلك يحفر لها في الجدار بما يفي بضمان دخولها وصعوبة حركتها إلا بتمرير يدوي، وهذا من الداخل، والأبواب الداخلية، أما الأبواب الخارجية فإنها كانت من الخشب أيضًا، لكن كان لها مفتاحًا ذو أسنان يُدخل في مجرى خشبي فيه فتحات مطابقة لعدد الأسنان، تعمل على إخراج الأسنان الساقطة من القطعة العليا في المجرى، وعادةً ما تكون المفاتيح والأقفال مخفية.[3] (انظر صورة رقم ٢٩)

(١) الحواس: المرجع السابق، ص ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ج١، ترجمة: صبري محمد حسن، ص ٢٢٨.

(3) ward: op cit, p 17.



صورة رقم (٢٩): أحد الأبواب القديمة بجبل شمَّر.[١]

وفي بوابات الحصون كان يستخدم مع خشب الأثل وجذوع النخيل؛ الحديد، ذلك بالتصفيح، حيث إن ذلك يضمن مَنَعَة الحصن ضد الاعتداءات الخارجية، ويجعل البوابات مستعصيَّةً على كل من أراد الهجوم على البلدة.[٢]

(١) صورة مأخوذة من كتاب (Hail oasis of Saudi Arabia) لمؤلفه (Philip Ward)، ص ١٧.

(٢) غوارماني: المصدر السابق، ترجمة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ٦٧.

رابعاً: الجص:

كان الجص من المواد التي لا يستغني عنها المِعمَار في البناء، حيث يتم استخراجه من باطن الأرض على شكل حجري ذو لون أخضر، ومن ثم يتم تسخينه على درجة عالية من الحرارة بواسطة أفران خاصة، وبعد عملية التسخين تُبَرَّد مادة الجص، المتكونة على هيئة كتل، ومن ثم يتم طحنها بالفأس، حتى تصبح جاهزة للاستخدام. وقد اهتم أهالي الجبل بتجصيص منازلهم، ذلك لما يوفره الجص من وضيفة في حفظ حرارة البناء خلالفترة النهار، كذلك قدرته على امتصاص الرطوبة، وبالتالي في حال تعرض لهواء جاف؛ فإنه يعمل على التخلص من الرطوبة بتبريد الجدران والهواء المار بالقرب منها، الأمر الذي يساعد على خفض درجة الحرارة في الأماكن المطلية بالجص.[1]

وفي بعض مباني جبل شمَّر نجد أن الجص استخدم في الجدران الداخلية والخارجية، أما البعض الآخر فقد اكتفى بتجصيص النوافذ والمداخل الخارجية والجدران الداخلية للبناء، خصوصاً الأماكن التي يرتادها الزوار كالمجالس الخاصة بالرجال والخاصة بالنساء[2]، وقد استغلت المساحات البيضاء من الجص بالزخرفة والتزيين بألوان مختلفة وأشكال هندسية، كذلك قولبة الجدران بالجص حسب حاجاتهم[3]، وقد وصف داوتي منزل أحد أهالي الجبل بقوله: "فقد وضع على جدران المنزل المبنية من الطين والمدهونة بالمغرة، نماذج على شكل طيور وزهور، كما تزين تلك الجدران أيضاً بآيات قرآنية مكتوبة بالجبس الأبيض، الذي يعثرون عليه في كل مكان في رمل الصحراء".[4]

---

(١) الحواس: المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٢) نفسه، ص ١٠٥؛ العفنان: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(٣) ألبيني: المرجع السابق، ص ١٤.

(٤) داوتي: المصدر السابق، ج١، المجلد الثاني، ص ص ٤٥٠-٤٥١.

وفي بعض المباني المتواضعة، كان يتم استخدام الجص على نطاق ضيق، بحيث يقتصر استخدامه على تزيين الجدران الطينية بأشكال من الجص، من دون دهن الجدران بشكل كامل به؛ كما وصفت الليدي آن بلنت البيت الذي سكنته في الجبل بقولها: "كانت الزينات الوحيدة التي في المنزل عبارة عن نماذج محددة باللون الأبيض وسط الدهان البني الذي دهنت به الجدران"[1]؛ وفي الغالب أنها ذكرت أن الجدران بنية اللون، عطفاً على لون الطين، إذ يساور الشك مسألة دهن الجدران بدهان آخر لونه بني، ذلك لأنه لم يُمكّن صاحب البناء من دهن الجدران، فمن الأولى دهنه بالجص.

أبدع المِعمار في الجبل في استخدام الجص؛ حيث عمل على تشكيله بطريقة فريدة في بعض المباني، ومن خلال الزيارة الميدانية لبعض أطلال تلك المباني؛ وجدنا أنه قام بطلاء الجدران بشكل كامل، لكنه في الوقت نفسه قام بحفر الجص مشكلاً أشكالاً هندسية أبدع فيها، كذلك الكتابة بحفر الجص على الجدران، إذ وجدنا آيات قرآنية، وأقوال وأدعية، كذلك أسماء الله الحسنى، وغالباً ما المبالغة في هذه الزخرفة بالجص كانت في المجالس، خصوصاً الخاصة بالرجال، فيما وجدنا بعض البيوت التي استُخدم فيها الجص ولكن بشكل متواضع، ودهان فقط من دون زخرفة، وإن كان ثمة تغيير في الجص؛ فإنه يكون بتلوين جزء من الجدار، أيضاً تحصيص حواف بعض الجدران والأسطح إضافةً إلى ذلك استُخدم الجص في عمل بروزات في الجدران لاستخدامات عدة، منها الكمار الذي يستخدم في أركان المجالس، ويحتوي على أرفف، توضع عليها دلال صاحب المنزل، وأباريقه والمنفاخ وغيره من الأشياء التي يستخدمها للضيافة، وكان الكمار يعبر عن ضيافة صاحب البيت، كذلك يصنع منه الوجار الخاص بإشعال النار تحت الكمار، أيضاً لعمل الكوات التي تعمل داخل الجدران لتعليق الأسرجة.[2]

(انظر الصور رقم ٣٠-٣٦)

---

(١) بلنت: المصدر السابق، ج١، ترجمة: صبري محمد حسن، ص ٢٢٨.

(٢) زيارة ميدانية للبيوت الطينية القديمة في حيي لبدة ومغيضة بحائل، بتاريخ ١٤٢٧/١٢/١٣هـ.

بذلك تكون أهم المواد المستخدمة، أو المواد الرئيسة في البناء في جبل شمَّر؛ هي الطين، الحجارة، الأخشاب، الجص، وخلاف ذلك فقد يستخدم المواد العضوية وخلافه، كمواد ثانوية من الممكن تعويضها حسب توافرها.



صورة رقم (٣٠): أطلال أحد البيوت القديمة من الداخل بحي لبدة، توضح الطلاء بالجص، كذلك الكتابات والأساطين التي ترفع الأسقف.[1]

(١) تصوير الباحث بتاريخ ١٤٢٧/١٢/١هـ.



صورة رقم (٣١): أطلال أحد البيوت القديمة من الداخل بحي لبدة، توضح الطلاء الجصي على جدران البيت.[١]



صورة رقم (٣٢): أطلال أحد البيوت القديمة من الداخل بحي لبدة، توضح الكتابات على الجدران بالجص، واستخدام ألوان عدة فيه.[٢]

(١) تصوير الباحث بتاريخ ١٤٢٧/١٢/١هـ.

(٢) تصوير الباحث بتاريخ ١٤٢٧/١٢/١هـ.



صورة رقم (٣٣): أطلال أحد البيوت القديمة من الداخل بحي لبدة، توضح وجود الكمار في أحد المجالس، والزخرفة وأماكن صف دلال القهوة وأباريق الشاي.(١)



صورة رقم (٣٤): أطلال أحد البيوت القديمة ملالداخل بحي لبدة، وتوضح أحافير ً ا في أحد أساطين المنزل، تتضح من خلاله الحجارة المستخدمة في بنائه.(٢)

---

(١) تصوير الباحث بتاريخ ١/١٢/١٤٢٧هـ.

(٢) تصوير الباحث بتاريخ ١/١٢/١٤٢٧هـ.



صورة رقم (٣٥): أحد أطلال البيوت القديمة من الداخل بحي لبدة، ويتضح من خلالها الكتابة بالجص على الطين، وتجصيص جزئي للجدار.(١)



صورة رقم (٣٦): أحد أطلال البيوت القديمة من الداخل بحي لبدة، توضح الكتابة بالجص على الجدران الطينية.(٢)

(١) تصوير الباحث بتاريخ ١٤٢٧/١٢/١هـ.

(٢) تصوير الباحث بتاريخ ١٤٢٧/١٢/١هـ.



صورة رقم (٣٧): أحد أطلال البيوت القديمة من الداخل بحي لبدة، توضح تجصيص جزئي للجدران القريبة من الأرض.[1]

(١) تصوير الباحث بتاريخ ١/١٢/١٤٢٧هـ.

الفن المعماري

دار الإمارة "قصر برزان"[1]:

كان لبرزان رمزيَّةً سياسية في جبل شمَّر ولأسرة آل رشيد تحديداً، ذلك لأن قصر برزان أُكمل بناؤه وصار مقراً للحكم في عهدهم، على الرغم من أنه بُدِء في بنائه في عهد محمد بن عبدالمحسن بن علي قبل حكم آل رشيد[2]، وحين استولى عبدالله بن رشيد على الإمارة؛ أمر بإكمال بنائه[3] ليكون مقراً لحكمه، بحيث يشغل مساحةً تصل إلى ١٠% من مساحة حائل، غير أنه لم ينته بناء القصر إلا في عهد ابنه طلال.[4]

يُعدُّ موقع برزان استراتيجياً بالنسبة لحائل، لذلك سمُيَّ بهذا الاسم، لبروزه من بين المباني وموقعه، حيث بُني بالقرب من السوق والمسجد الجامع، وتحيطه أسوار فيها عدد من الأبراج للمراقبة[5]، وتطل بوابة القصر على الميدان العام المسمى بالمَسحَب من الغرب، وفي تلك الجهة أيضاً ٨٠ دكاناً، وكانوا يطلقون عليها المخازن، كذلك المسجد الجامع ومدرسة المرشدي، إضافةً إلى سوق المشاهدة أهالي مشهد، وسوق الجدَيّدة وعفنان، ومن الشرق يحد القصر سوق صديان، وفيه بستان تابع للقصر، أما من الجنوب فسوق البَرْكَة، وجنوبي السوق

---

(١) قال الشيخ حمد الجاسر عنه: "برزان بفتح الباء وإسكان الراء بعدها زاء فألف فنون — من البروز — اسم قصر كان في مدينة حائل في عهد الإمارة الرشيدية، مبني من الطين، وكان مقر الحاكم وجنده ومواليه، وكان في جانب المدينة، وقد أصبح داخلها فأُزيل الآن"؛ (الجاسر: **المعجم الجغرافي**... المرجع السابق، ج١، ص ١٨١).

(٢) ردَّد الأهالي أهزوجةً لا تزال النساء ترددها إلى وقتٍ قريب:

بيننا لنا قصرٍ ببرزان   عريض الدرج زين المباني
وبنَايته تسعين رجال   وتسعين عبدٍ وطحانِ

(العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ٢٤).

(٣) بعد أن اشتراه من ورثة آل علي، ليكمل بناءه؛ (نفسه، ص ٢٤).

(٤) الرشيد: المرجع السابق، ص ٦١.

(٥) بقي من هذه الأبراج اثنين حالياً، وهما برجان دائريان يقعان في سوق برزان في حائل، قطر البرج الشمالي ٧م تقريباً، والجنوبي ٩م تقريباً، بارتفاع ١٠م؛ (وزارة المعارف: المرجع السابق، ص ٢٠٦).

باب الصفاقات، الذي خُصِّص لبضائع النساء وممارستهن للتجارة في مكان يضمن لهن الخصوصية، من دون الاختلاط مع الرجال في سوقٍ واحد، وأُخذ الاسم من هذه الخصوصية، حيث سُمِّيَ الصفاقات، بمعنى أنه كان مغلقاً بباب، يفتح لممارسة بيعهن فيه.[1]

(انظر الصور رقم ٣٨-٤٠)



صورة رقم (٣٨): مدخل باب الصفاقات بسوق حائل.([2])

---

(١) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ص ٢٦-٢٩.

(٢) صورة مأخوذة من كتاب (Hail oasis of Saudi Arabia) لمؤلفه (Philip Ward)، ص ٣٠.



صورة رقم (٣٩): أحد أبراج سور برزان الباقية.[١]



صورة رقم (٤٠): البرج الآخر الباقي من أبراج سور برزان.[٢]

---

(١) تصوير الباحث بتاريخ ١٤٢٨/٢/٢٤هـ.

(٢) تصوير الباحث بتاريخ ١٤٢٨/٢/٢٤هـ.

وبالنسبة لجدار القصر من الخارج فقد كانت سميكةً تصل إلى ثمانية أقدام تقريبًا، وارتفاع من ٣٠–٣٥ قدمًا تقريبًا.[١] أما من الداخل فلا يختلف كثيرًا عن بقية المباني الأخرى في الجبل، إذ يحتوي على فنائين ومكان فسيح لاستقبال الضيوف وغرفة استقبال خاصة للأمير، كما يتألف من مكان لسكن الأمير وعائلته، واسطبلات لخيوله. كان ملحقًا بالقصر من جهة الميدان غرفًا لإقامة ضيوف الأمير، ومجموعة من البيوت الصغيرة الملحقة به، وتخص أبناء الأسرة الحاكمة من آل رشيد، وقد حَرِص آل رشيد أن يكون هنالك مكانًا خاصًا لمواليهم بالقرب من القصر؛ لذلك خُصِّص لهم حيًّا خلفه، من الجهة المعاكسة للميدان. يعدُّ برزان قاعدة استراتيجيةً لآل رشيد في الإمارة، ما يوحي لاختلاف قوة الإمارة عن سابقتها، الأمر الذي جعلهم يبنون تحصيناتٍ توحي بقوة المكان ومنعته، وتعطي صورةً حيَّةً لقوة القبضة السياسية فيه، ما يعني أن الحاكم سعى إلى أن يكون له عزلةً مكانية عن العامة، حتى يحظى بمزيدٍ من الأُبهة بينهم، فتتعاظم هيبته في أنفسهم أكثر، إضافةً إلى أنه هدف إلى حماية نفسه من أي محاولة اغتيال، ما دعاه إلى وضع حراسة دائمة على بوابات قصره، تعمل على حمايته وتنظم دخول العامة إليه.[٢]

يحتوي القصر على دهاليز عدة، تفضي إلى داخله، وقد وصفت بلنت تلك الممرات المعتمة والمداخل؛ أنها كانت للدفاع، و في نهاية هذه الدهاليز بوابات لموقع استقبال الضيوف، بطول ٧٠ قدمًا وعرض ٢٥ قدمًا، وفيه أيضًا خمسة أساطين تدعم الأسقف قطر الواحد منها ٤ أقدام تقريبًا، وفتحات في أعلى الجدران للإضاءة. أما الجدران فمطلية بالجص الأبيض المائلة للسمرة، فيها مجموعة من الأوتاد لتعليق السيوف، ومكان لدق القهوة، وموقد أو وجار لعملها للضيوف، ناره مشتعلة باستمرار.[٣]

---

(1) Baran: op cit, p 56.

(٢) الرشيد: المرجع السابق، ص ٦٢.

(٣) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٤٨.

أُلحِق ببرزان مكانًا مخصصًا للسجن، ذلك بهدف احتجاز مثيري الفتن في الإمارة وحدودها من زعماء البلدان والقبائل، كذلك المذنبون من أهالي الجبل، الذين يُنتظر إقامة الحد عليهم.(١)

من خلال ما فات نلحظ أن وجود القصر بالقرب من السوق؛ يعطي مؤشرًا مهمًا وهو استشعار الأهمية الاقتصادية، لذا كان القصر قريبًا من السوق، حتى يضفي عليه نوعًا من الهيبة والحماية، خصوصًا وأن الجبل كان يمتاز بموقعه على طريق القوافل.

كان القصر مبنيًّا من الطين ومغطى بمادة الجص الأبيض، بارتفاع يصل إلى ٠٤ قدمًا تقريبًا(٢) وهو المبنى الأبرز في حائل، حيث إن المقبل عليها يراه بارزًا بين المباني، وباديًا للعيان أكثر من غيره.(٣)

غالبًا ما يتبادر إلى الذهن أن الاستراتيجية التي حظي بها برزان كانت بتخطيط من آل رشيد، في ما يختص بالأهمية الاستراتيجية، اقتصادية وسياسية، وهذه الأبهة التي كانوا يعمدون إليها؛ في حين أن الفضل – بعد الله عزوجل في بناء برزان يعود إلى من عَزَمَ على بنائه؛ محمد بن عبدالمحسن بن علي، لكن في ما يبدو أن غالب الذين كتبوا حول برزان في المصادر والمراجع التاريخية؛ يعلمون أن ابن علي من شرع به، لكنهم في الوقت نفسه ينسبون الفضل في ذلك لعبدالله بن رشيد وأسرته، الذين استغلوا مثل هذه الفكرة الخلاَّقة التي بدأها غيرهم.

يذهب المؤرخ الحائلي أحمد بن فهد العريفي إلى فكرة جديدة في كتابه مقامات حائلية حول برزان؛ إذ يذكر أن أول من بناه محمد بن عبدالمحسن، ويوحي في حديثه أنه تم

(١) الرشيد: المرجع السابق، ص ٦٤.

(٢) لوريمر: المصدر السابق، ج٢، ص ٧٧٠.

(٣) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٤٥.

استخدامه في عهده لصالحه، ويدلّل على هذه الفكرة أنَّه قال: "ووسع القصر خلفه صالح بن علي وأحكَم تحصينه، وبعد انسحاب قوات محمد علي باشا من منطقة نجد، اشتراه عبدالله بن رشيد من ورثة محمد بن علي، وألحق به مباني جديدة، وانتقل إليه من قصر مغيضة بأسرته، وصار مقرًا له، وفي عهد ابنه طلال جرى أيضًا توسيع القصر وتحصينه"(١)، وهنا يُعارض العريفي المصادر والمراجع التاريخية التي تحدثت عن برزان كافة، التي قضت أن القصر لم تتم الاستفادة منه إلا في عهد طلال العبدالله.

وهنا نأخذ رأي الأغلبية في مسألة بناء القصر بشكل كامل، ذلك لأنه لم تتوافر بين أيدينا الدلائل الكافية لرواية العريفي، على الرغم من أن لديه ما ليس لدى غيره من خبايا تاريخ الجبل.

(١) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ص ٢٤-٢٥.

الأسوار:

اعتادت البلدان النجدية بناء أسوار حولها، ذلك دفاعاً عنها في حال الهجوم من قوى أخرى، لذا حَرِص النجديون على أن تكون هذه الأسوار قويةً منيعةً تستعصي على الغزاة، فاجتهدوا في بنائها وعملوا على زيادة سُمك جدرانها، إضافةً إلى ارتفاع هذه الأسوار، فلا تكون سهلة التجاوز. وبذلك يجوز تسميتها حصوناً بدلاً من أسوار. ويتضمن سور حائل أربعة أبراج، موزعةٌ على أركانه، الهدف منها المراقبة، وتتخللها ثقوبٌ تستخدمها الإمارة في استهداف الغزاة في حال الحِصار.(١)

أما البوابات ففي رسمٍ لحائل ضمنه حمد الجاسر لكتابه المعجم الجغرافي، نسبه لسليمان الدخيل؛ أن لحائل أبواباً خمسة؛ فمن الجنوب باب الإمارة، وباب أجأ من الغرب، وباب سماح وباب القبلة من الشمال، وباب لبدة من الشرق.(٢) لكن بعد الاطلاع على الرسم ومقارنة بالمصادر والمراجع الأخرى، ومن خلال ما هو معروفٌ لدى أهالي حائل حالياً؛ فإن هذا الرسم تضمن أخطاءً، وهي كالتالي: (انظر ملحق الخرائط، خريطة رقم ١)

أولاً: أن الجهات التي ذكرها الدخيل في رسمه لم تكن صحيحة، فحين أشار إلى الجنوب، لم يُشر إلى الشمال، وبديهيًّا أن يكون في الجهة المعاكسة، لكنه في الوقت نفسه عكس الاتجاه بين الغرب والشرق، وجعل كُلٌّ واحدٍ منهما مكان الآخر، فحين أشار إلى الغرب ذكر أن البوابة التي يتضمنها باسم بوابة أجأ، وفي الرسم كانت الاتجاه للشرق أو الشمال الشرقي، ومن باب أولى أن يقول باب السمراء، على اعتبار أنه مقابل لجبل السمراء، لكنه في ما يبدو أنه حصل لديه شيء من الخلط في الرسم، كما أنه متعارف بين أهالي حائل أن اسم البوابة الشمالية الشرقية غَطَاط، وقد أشار العريفي لباب غطاط وموقعه في كتابه

---

(١) الزهراني: المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٢) الجاسر: **المعجم الجغرافي**... المرجع السابق، ج١، ص ٣٩٠.

مقامات حائلية: "ويمتد سوق عفنان من الجنوب حتى يبلغ شعيب غطاط في الشمال الشرقي، وكان في ذلك الموضع باب من أبواب السور يحرسه رجل اسمه غطاط".[1]

ثانياً: أطلق اسم باب الإمارة على البوابة الجنوبية، وقد يكون هذا الاسم صحيحاً في زمن الإمارة، لكن في الوقت نفسه لا نعتقد أنه اسمٌ دارج بين الناس، على اعتبار أن المشهور بينهم أن اسم البوابة الجنوبية؛ باب قفار، وباب القبلة، على اعتبار أن بلدة قفار تقع جنوب حائل، إضافة إلى أن قبلة أهالي حائل إلى الجنوب.

ثالثاً: من المعروف أن لشمال حائل بوابتان، إحداها باب سماح، والآخر باب مشهد، نسبةً لسوق المشاهدة، وقد أصاب الدخيل في إحداها، وجانب الصواب في الأخرى، حين رسم من الجهة الشمالية باباً باسم باب القبلة، إذ إن قبلة أهالي حائل كانت الجنوب لا الشمال.

وإجمالاً فإن بوابات حائل خمسة كما ذكر الدخيل، لكنها في حقيقة الأمر كالتالي:

١. جنوباً: باب قفار، أو باب قبلة، وقد ذكرت الليدي آن بلنت أن اسمها بوابة مكة.[2]
٢. غرباً: باب غَطَاط.
٣. شمالاً بابان: الأول باب سماح يميل للركن الشمالي الشرقي، والآخر باب مشهد يميل للركن الشمالي الغربي، ويؤدي إلى سوق المشاهدة.
٤. شرقاً: باب عقدة.

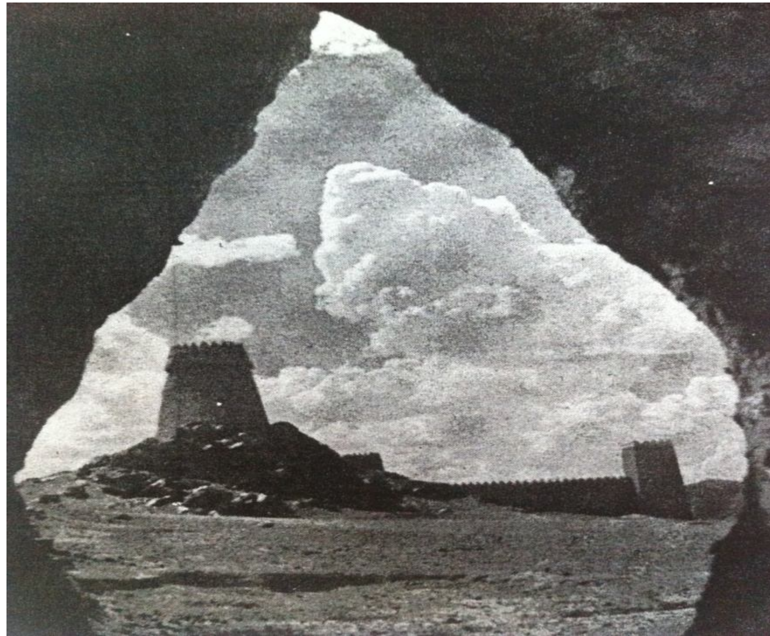
وقد اشتُهرِت أسماء أخرى لبوابات حائل غير هذه المذكورة، لكن ما أوردناه الأشهر بين الناس، كما أن البعض بالغ في تعداد البوابات، كما أورد العريفي نقلاً عن بلغريف أن

---

(١) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ٢٨.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أبيش، ص ٣٠٩.

لحائل عشر بوابات[1]،وآخرين عددوا أبواباً لا يعرف لها ذكر من قبل، أو أنها أخذت مسميات غير دارجة بين الناس[2]، لكن لتعدد الأسماء حصل الخلط في مسألة العدد. (انظر الصورة رقم ٤١)



صورة رقم (٤١): سور حائل من الخارج.[3]

---

(١) العريفي: **مقامات حائلية**... المرجع السابق، ج١، ص ٤٤.

(٢) عبيد: المرجع السابق، ص ٢٠.

(٣) صورة مأخوذة من كتاب (Hail oasis of Saudi Arabia) لمؤلفه (Philip Ward)، ص ٣٠.

المنازل:

اعتاد سكان جبل شمَّر أن يبنوا بيوتهم بشكلٍ بسيط ومتشابه، بعيدٍ عن التكلفِ في البناء، وقد يعود ذلك إلى عدم إمكانية بناء شيء مختلف عن المألوف، إذ إن المواد الرئيسة المستخدمة في البناء لا تُفسح المجال لمزيدٍ من الإبداع لدى المِعمَار، إضافةً إلى أن الغالب من بيوت الجبل اعتمدت في بنائها على مادة لا تسمح بذلك، وهي الطين، حيث اكتفى الغالب من أهالي الجبل ببناء دور واحد لبيوتهم، والبعض تجاوز إلى دورين كحد أقصى(١)، إلا في بعض المناطق التي مر معنا ذكرها، كفيد وبقعاء والحائط للاعتماد على الحجارة، لذلك تجاوزت الدورين على نطاق ضيق.

تمايزت البيوت عن بعضها نوع ما، حسب القدرة الاقتصادية لصاحب البناء، فإن كان ميسوراً؛ عَمَدَ إلى تخصيص بيته من الداخل والخارج، وبالغ في زخرفة الجدران، والكتابة عليها، واستخدام بعض الألوان.(٢) وعادةً ما يحتوي البيت على النخيل، أو أن يكون ضمن مزرعة صغيرة منه.(٣)

ونسبيًا وحسب معطيات العصر الذي نتحدث عنه، فإن عدد البيوت قُدِّرَ بحوالي ٤٠٠٠ منزل في عهد محمد بن عبدالله الرشيد(٤)، ما يعني أن البيوت كانت معقولة العدد، وهذا في حائل عاصمة الجبل فقط. وجميع هذه البيوت التي بنيت في ذلك العصر؛ ذات نمطية معمارية واحدة، تختلف عن بعضها في الأغلب بمساحةِ البناء واتساعه، ويؤخذ في الاعتبار في ذلك الحال الاقتصادية، وعدد أفراد الأسرة.

---

(١) لوريمر: المصدر السابق، ج٢، ص ٧٧٠.

(٢) حسني: المصدر السابق، ص ٤٤.

(٣) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٤٥.

(4) Musil: op cit, p 253.

وإذا ما أخذنا أنموذجاً لذلك العصر من خلال كتابات الرحالة الأجانب؛ فإن الليدي آن بلنت قد وصفت البيت الذي قطنته وزوجها في الجبل خلال رحلتها[1]، حيث وصفته أنه ليس بالفخم، وهذا البيت نعتقد أنه لا يختلف كثيراً عن غيره من البيوت؛ إلا في المساحة والاتساع. وقد اعتقدت الليدي أن البيت كان عبارة عن منزلين منفصلين، على اعتبار أن طبيعتها لا تعي وظيفة البيت وتقسيماته، إذ إن بيوت الجبل كافة كانت مقسَّمة إلى قسمين، واحداً للنساء، والآخر للرجال، ومن خلال هذا العزل، ذو الأبعاد الاجتماعية والدينية والثقافية؛ ذهبت إلى أنه منزلين منفصلين، ما يعطي صورةً حيَّةً لمدى الخصوصية، والحرص على حُرمَة البيت.[2] وربما أن ملحقات كل قسم بررت قول الليدي؛ لأن كل قسم كان يحوي مجلساً، أو قهوة كما في لهجة أهالي الجبل، وغرفتين صغيرتين، كان الغرض منهما إقامة الضيوف إذا ما احتاج الأمر لذلك، وفناء صغير يناسب هذا القسم، أما قسم النساء كما وصفت بلنت؛ ففيه أيضاً فناء آخر صغير، ذكرت بأنه كفى أفراسهم الثلاثة، ما يعني أن حجم الفناء بطول ٣ أمتار وعرض ٣أمتار تقريباً، إذا ما أخذنا في الاعتبار حجم الأفراس، ومساحة قليلة للحركة، وفيه أيضاً دهليز يفضي إلى غرفتين صغيرتين، أقامت فيهما الليدي وزوجها.

في الغالب كانت البيوت ذات طابق واحد، يعلوه سطح يستخدم على نطاق ضيق، وغالباً للنوم حين يكون الجو لطيفاً، وتعد الأفنية في البيوت أمراً رئيساً، ومركزاً مهماً لها، وشرياناً يؤدي إلى مخارج البيت وأقسامه، لكن في المقابل لا يمكن أن يكون لهذا الفناء باب على الخارج، إذ إن مداخل البيت تغلق بنهايات طينية مستطيلة كبيرة، عادة ما تكون في الزوايا.[3]

(١) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٥١.

(2) ward: op cit, p 16.

(٣) الرشيد: المرجع السابق، ص ٢٢.

أما بالنسبة لاتساع البيوت؛ فكانت حسب حجم الأسرة، وإذا ما افترضنا أن الغالب في عدد الأسر من ٤-٧، فإن البيت يتكون بذلك من مجلس في قسم الرجال وفناء صغير، في بعض البيوت يحتوي هذا القسم على غرف للضيوف، أما القسم الخاص بالعائلة فيحتوي على مجلس للنساء وعدد ٣-٤غرف، يخْتلَف في استخدامها حسب عدد أفراد الأسرة، وعادةً ما يوضع في فناء البيت الداخلي رواق يكون فيه ظل للجلوس في فترة الصيف، أو جزء من الفناء صغير مسقوف بحوالي متر إلى مترين يتكئ على الأعمدة، يستخدم للوظيفةِ نفسها، ويسمى المشراق، يجلس فيه أهل البيت في فترات الصباح الأولى. وحين يزيد عدد أفراد الأسرة الواحدة، يَعمَد صاحب البيت إلى بناء غرف إضافية، إن كانت لديه مساحة كافية.[1]

وإذا ما سقنا أنموذجًا آخرًا للبيوت في الجبل، يعطي أكثر تفصيلاً، وهو منزل حميدان الشلاقي[2]، فإن المدخل الرئيس للبيت يفضي إلى ممرٍ طويل ينتهي إلى جدارٍ طيني، وفي بداية هذا الممر باب على يساره، يؤدي إلى فناء متوسط الاتساع بحوالي ٧م عرضاً و١٠م طولاً تقريبًا، يحتوي على مجلس مجصص بطول ٨م وعرض٤م تقريبًا، إضافةً إلى غرفة صغيرة كانت تستخدم لقضاء الحاجة كدورة مياه بالمصطلح الحديث، ولا يزال يتذكر الباحث تصميمها القديم الذي تم تعديله حسب تطورات العصر الحديث قبل هَدم البناء. وهذا يعد قسم الرجال، وإذا ما عُدنا إلى الممر الطيني فإنه يؤدي إلى ممرٍ آخر على يمينه، أقل طولاً، ينتهي إلى فناء كبير غير مسقوف في أحد جهاته خمس غرف، وأخرى مجلس خاص بالنساء يطلق عليه المصَخَن[3] يقع تحت الدرج الذي يقود إلى سطح المنزل، المبني من دور واحد

---

(١) السويداء: **الألف سنة**... المرجع السابق، ج١، ص ٢٠٣.

(٢) مشاهدات ميدانية للباحث لمنزل حميدان الشلاقي بحي الزبارة، ولا يوجد آثر للمنزل حاليًا، وهو المنزل الذي قطنه أخوال الباحث استئجارًا، من العام ١٣٩٩-١٤٠٥هـ.

(٣) المصَخَن باللهجة الحائلية تعني مكان اجتماع أهل البيت خلال الشتاء، على اعتبار تجهيز هذا المجلس بوجار تُشعل فيه النار، للتدفئة، لذلك سمُي مُصَخَن، كذلك يستخدم لاستقبال الضيوف من النساء.

فقط، وفي جهةٍ أُخرى من البيت ملحق عبارة عن مطبخ، بجانبه ممر صغير جداً، يؤدي إلى ملحق صغير يستخدم كدورة مياه، تم تعديلها حسب الاستخدامات الحديثة، ومن الممر نفسه إلى فناء كبير جداً، مفروشةٌ أرضه بالسماد العضوي، يستخدم لتربية الأغنام وغيرها، إضافةً إلى غرفة صغيرة داخل هذا الفناء يحفظ فيها الحطب، والأعلاف، ويسمى هذا الفناء باللهجة المحلية؛ المراغة.

وبشكل عام هنالك ما يختلف نوع ما عن هذه الطريقة في البناء، إذ إن البعض يغير هذه التصاميم حسب رغبته[1]، غير أن الغالب في تقسيمات البيوت، والشكل العام لها كان حسب النماذج التي سقناها.

وبالنسبة للقصور التي تُعد قليلة في المنطقة النجدية، والجبل تحديداً، فإنها لم تختلف كثيراً في تصاميمها عن بيوت العامة، إلا في ما يتعلق بمسألة المساحة وزيادة بعض الزخرفات الجبسية، خصوصاً في مجالسها، إذ تحتوي القصور على أجنحة منفصلة داخلها، لكل جناح خصوصيته، وعادة ما يكون ذلك لتعدد زوجات صاحبه، كما هو الحال في قصر حمود بن عبيد الرشيد، الذي جعل لكل زوجة من زوجاته قسماً خاصاً، أيضاً في قصر محمد بن عبدالله الرشيد[2]، ويربط هذه الأقسام مجموعة من الممرات والأفنية، تقوم بتوزيع الأجنحة، ولكل جناحٍ مجلسٌ خاصٌ به للنساء، ومجموعة من الغرف الصغيرة.وقلة القصور في الجبل؛ لأنها اقتصرت على أصحاب السلطة من رجال الدولة والأمراء، ومن كان له مكانةً سياسية واجتماعية، ومن تجاوز عدد أسرته العشرات، إضافةً إلى كثرة ملاحق هذه القصور من اسطبلاتٍ للخيل، وحظائر للحيوانات، وأماكن للأعلاف، وتحتوي على آبار خاصة بها على الأغلب.[3]

---

(١) الزهراني: المرجع السابق، ص ٩٥.

(٢) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أبيش، ص ٢٥٩.

(٣) السويداء: **الألف سنة**... المرجع السابق، ج١، ص ٢٠٥.

ملاحق المنازل:

لا يمكن الاستغناء عن الملاحق في الطراز المعماري النجدي عموماً، وفي الجبل تحديداً، إذ إن أغلب البيوت تحتوي على الملاحق نفسها، وعادةً ما تكون مستقلة عن البناء كالمطابخ والمخازن وأماكن قضاء الحاجة (دورات المياه)، وحظائر الحيوانات، بحيث تكون مواقعها متناسبة ووظائفها التي وضعت من أجلها، وغالباً ما تكون في الطرف الخلفي من البيوت.[1] ومن أهم هذه الملاحق المطبخ، الذي عادة ما يكون في موقع طرفي، بعيد نوع ما عن وسط البيت، أو أماكن التجمع الدائمة لأصحاب المنزل، ذلك تفادياً للروائح التي تخرج منه نتيجة للطبخ، أيضاً يُعمَد إلى عَمل فتحة في سقف المطبخ كي تساعد على انتقال رائحة الطبخ إلى الخارج، وتكون هذه الفتحة باتجاه معاكس للبيت، بحيث تساعد على عدم تسرب الرائحة، وتُسمى هذه الفتحة السَّواقَة، يتم فتحها وغلقها من خلال حبل متدلي منها، يغلق في الأوقات التي لا يطبخ فيها الأكل.[2] وقد روعي كثرة هذه الفتحات، ورفع السقف بشكل أكبر من الغرف الأخرى، لغرض التهوية.[3]

ومن الملاحق أيضاً؛ حظائر الحيوانات، تستخدم كإسطبلات للخيول إن وجدت، أو مراغةً للأغنام والإبل، وغيرها من الحيوانات التي تتم تربيتها في المنزل، ومثل هذه الحظائر لا يمكن أن تفضي مداخلها إلى داخل البناء، ذلك لما تحدثه من روائح بشكل مستمر، وفي بعض الأحيان يلجأ صاحب المنزل إلى بناء مكان مخصص للحيوانات منفصل عن المنزل، وقريب منه.[4]

---

(١) الحواس: المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٢) نفسه؛ مشاهدات الباحث في منزل حميدان الشلاقي.

(٣) دار الدائرة للنشر والتوثيق: المرجع السابق، ج٤، ص ٢٧٦.

(٤) السويداء: **الألف سنة**... المرجع السابق، ج١، ص ٢٠٤.

كما حَرِصت أغلب الأسر في الجبل على أن يحتوي المنزل على بستان صغير، تتم زراعة أهم المنتوجات المستهلكة لأصحاب المنزل، كالنخيل والحمضيات من الفواكه، وقد انتشرت زراعة الإترنج في بيوت الجبل، إضافةً إلى بعض الخضروات وورقيات يستهلكها الناس باستمرار.(١)

إضافةً إلى ذلك هنالك غرفًا خاصة في المنزل من الملاحق، يتم بناءها خصيصًا لتخزين الأطعمة، مثل غرفة تخزين التمور، وتُسمى الجصَّة، وغرفة تخزين القمح(٢)، وغرفة لتخزين الحطب، والأخيرة هذه يكون موقعها في حظيرة الحيوانات عادةً.

وتعد المراحيض أو أماكن قضاء الحاجة من أهم الملاحق المرفقة في البيوت، بحيث يتم توزيعها حسب حاجة المنزل، وغالباً ما يكون واحدًا في القسم الخاص بالرجال، والآخر في القسم الخاص بالنساء.(٣) وفي الغالب يتم بناء هذه الأماكن بغرفة مسقوفة، لها فتحة من الأعلى للتهوية من خلالها، ويتم تنظيفها بشكل دوري، تُسمَى الزَّرَابة باللهجة المحلية في الجبل.(٤)

الأثاث:

يُعد الأثاث بسيطًا في الجبل، إذ استخدم على نطاق ضيق، وفي حاجات ضرورية جدًا، مثل الأشدَّة التي توزع في المجالس، بحيث تستخدم للاتكاء عليها، وتوزع على الجدران، بحيث يفصل بين كل واحد والآخر مكان لجلوس اثنين، وفي بعض الأحيان لا يأخذ المكان إلا شخص واحد بين شدادين، وهذا في المجالس الكبيرة جدًا، وهذه الأشدَّة هي التي

(١) الحواس: المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) السويداء: **الألف سنة**... المرجع السابق، ج١، ص ٢٠٤.

تستخدم على ظهور الإبل عند الركوب، صار لها استخداماً آخر في أثاث المنازل، ويُذكر أن مبعوثًا للدولة العثمانية حين حلّ في مجلس ابن رشيد من قِبل الدولة العثمانية؛ اتجه بعد أن سَلَّم على الأمر إلى الشِّدَاد وجلس عليه، ظنًا منه أنه مكانًا للجلوس يؤدي وظيفة الكرسي.(١)

أما بالنسبة للفرش المُستخدم في الجبل، فكان من الحصر المنسوجة من سعف النخيل والقصب، وعادة يوضع فوقها الزَّل، وفي بعض البيوت نجد المساند الملاصقة للجدران التي يتم اتكاء الظهر عليها، وهي مصنوعة من القطن.(٢) كما يُعدّ من الأثاث الكمار، وهو ما مرَّ معنا سابقًا.(٣)

---

(١) حسني: المصدر السابق، ص ٤٥.

(٢) الزهراني: المرجع السابق، ص ١١٦.

(٣) الحواس: المرجع السابق، ص ص ١٠٨-١٠٩؛

ward: op cit, p 16.

الطُّرُق:

كانت الطرق مرتبة ونظيفة بشكلٍ مستمر، إذ حرصت الإمارة على ذلك، لأن الطرق تعطي صورة عامة للمدينة ومدى ترتيبها ونظافتها، لذلك وصفت بلنت شعورها الغامر بالسعادة حين دخلت إلى حائل، وذكرت أن الشوارع كانت نظيفة للغاية، وبأناقة بالغة، حيث وصفتها بأنها أقرب ما تكون للخيال منها للواقع.(١)

تم الاهتمام بالطرق في الجبل في عهد طلال بن عبدالله الرشيد، حيث كانت ضمن خطته لتطوير الخدمات البلدية في الجبل، ومنها كان اهتمامه بالطرق، إذ شق المزيد منها داخل المدينة، وعمل على ترتيبها، والحرص على نظافتها، ففي عهد عبدالله لم يتم الاهتمام بالجوانب الحضارية المعمارية كما في عهد طلال؛ بسبب انشغال الإمارة في الكثير من الحروب، وتعرضها لعدد من الحروب من قوات محمد علي، سواء في آخر عهد آل علي أو في عهد مؤسس إمارة آل رشيد.(٢)

كانت هذه الطرق طويلة ومتوازية حولها البيوت من جانبين، الأمر الذي يؤدي وظيفة التظليل على المارة أوقات النهار، كما روعي في ذلك طول أسوار البيوت الخارجية، التي تخرج من خلال عدد من المزاريب التي تُصرف مياه الأمطار إلى الخارج على هذه الطرق.(٣)

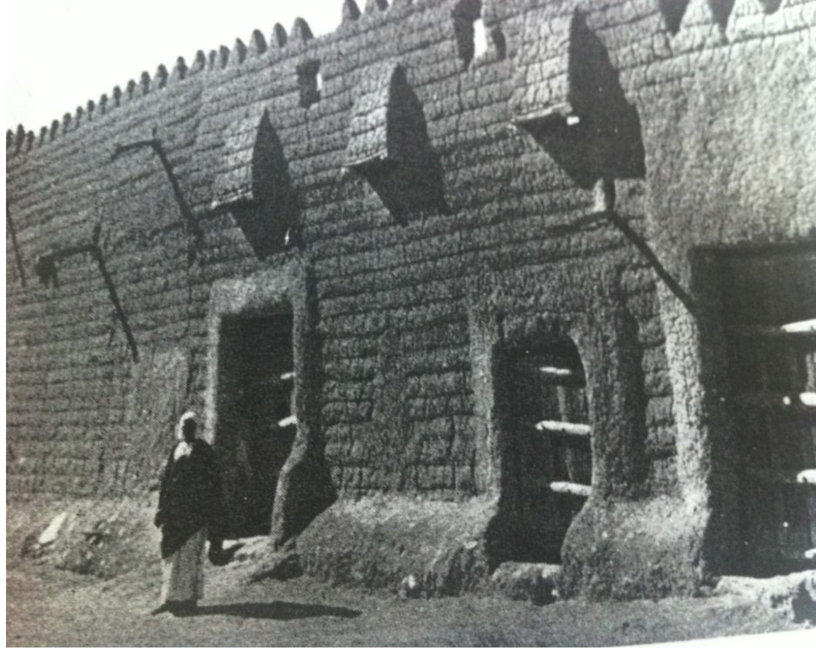
وفي كل حي من الأحياء نجد طرقًا رئيسة، تتفرع منها أخرى فرعية، تؤدي إلى مركز المدينة مرورًا بالأحياء الداخلية، وقد روعي في شق هذه الطرق اتساعها، لتسهيل حركة مرور الحيوانات من أغنام وحمير وجمال، التي تؤدي وظائفًا عِدَّة في حياة الإنسان اليومية. وبالنسبة

(١) بلنت: المصدر السابق، ترجمة: أحمد أيبش، ص ٢٤٦.

(2) Baran: op cit, p 57.
(3) ward: op cit, p 30.

للطرق الفرعية فكانت ضيقة ومتعرجة، ذلك للحماية المناخية، وللتقليل من قوة التيارات الهوائية، الحارة صيفاً والباردة شتاءً، ومن تأثير أشعة الشمس.[1]

وتنتشر في هذه الطرقات السّوابيط، وهي أسطح أو غرف خارجية تخرج من أحد البيوت في دورها العلوي إلى الآخر، بحيث تؤدي أكثر من وظيفة، منها التظليل على الشارع، كما تستخدم لجلوس أهالي الحي تحتها في الطرق، وغالباً ما تكون بالقرب من المساجد، كي تجتمع داخلها النساء وقت صلاة الجمعة أو العيد لسماع الخطبة، وهن في مكان منزل فيه خصوصية تامة.[2] (انظر الصورتان رقم ٤٢، ٤٣)



صورة رقم (٤٢): مجموعة من البيوت المتلاصقة ببعضها في الجبل في أحد الطرق.[3]

(١) دار الدائرة للنشر والتوثيق: المرجع السابق، ج٤، ص ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) نفسه.

(٣) صورة مأخوذة من كتاب (Hail oasis of Saudi Arabia) لمؤلفه (Philip Ward)، ص ٣١.



صورة رقم (٤٣): أحد ممرات الشوارع القديمة في الجبل، ويتضح في آخر الشارع سابوط يربط بين بيتين، ويظلل على الشارع.[١]

(١) صورة مأخوذة من كتاب (Hail oasis of Saudi Arabia) لمؤلفه (Philip Ward)، ص ٣١.

المساجد:

في حائل عاصمة الجبل؛ كانت توجد أربعة مساجد، واحدً ا منها المسجد الجامع في برزان، وهو الجامع الرئيسي في المدينة، ملحق به مدرسة المرشدي، ومسجد في حي لبدة، وحي سماح، وسوق النحاسين.(١)ومسجد برزان يقع تحديدً ا في الطرف الجنوبي من ساحة المَ سحَ ب، في مركز المدينة، بحيث يسهل الوصول إليه من قبل العامة في أحياء الجبل كافة، إضافة إلى أنه ملحقٌ بقصر برزان.(٢) ولم يتم التكلف في بناء المساجد في الجبل، ذلك لأن المادة المستخدمة في البناء واحدة، لكن تختلف المساجد في تصميم بنائها، ذلك على اعتبار وظائف المسجد الدينية والعلمية والاجتماعية، لذلك اتسم بناء المساجد بالبساطة، إذ لم يحرص الأهالي على القيمة الجمالية في بنائه بقدر ما كانوا يأملون في البناء على مساحة كافية، وبمختلف المرافق التابعة له.(٣)

تُفرش هذه المساجد بالحصير، ويعملالسكان على تنظيفها بشكل مستمر تطوعً ا من عندهم، أيضً ا تُفرش بالحصباء اللينة، والقطائف والمنتوجات الصوفية، أيضً ا بالرمل الأحمر في بعض الأحيان.(٤)

أما العناصر المهمة في تصميم المساجد بشكلٍ عام؛ فهي الخلوة، وهي أول ما يُ بدأ فيه بالبناء، بحيث يحفر لها في باطن الأرض، وتشبه القبو في وقتنا الحالي، تكون مساحتها بمساحة المسجد، وعمقها على الأغلب مترين تقريبً ا، ويتم تقسيمها إلى ثلاثة أقسام أو أربعة، يوجد بها محراب موازٍ لمحراب المسجد، وفُرج صغيرة لوضع المصاحف، وتفرش الخلوة

---

(1) Musil: op cit, p 253.

(٢) لوريمر: المصدر السابق، ج٤، ص ٧٧٠.

(٣) السويداء: **الألف سنة**... المرجع السابق، ج١، ص ٢٠٩.

(٤) الزهراني: المرجع السابق، ص ٨٥.

بالرمل الأحمر على الأغلب. وباعتبارها حفرة داخل الأرض؛ فإن الضوء يصعب دخوله إلا من خلال منافذ ضوئية في جدارها الشرقي المطل على ساحة المسجد الشرقية.[1]

إضافةً إلى ذلك هناك أروقة أو ما يسمى بمصابيح المسجد، ليقام فيها الصلاة في الأجواء اللطيفة في فصلي الربيع والخريف.أيضاً هنالك الصحن أو السرحة وهو فناء في آخر المسجد بين الأروقة، مستطيل أو مربع الشكل، يُصلى فيه صيفاً صلوات الفجر والمغرب والعشاء.[2] أما المحراب فتجويفٌ باتجاه القبلة بجانبه منبر لإلقاء خطبة الجمعة يرتفع ثلاث درجات عن الأرض.[3]

أما المآذن فتأخذ شكلين، إما دائرية اسطوانية، أو مربعة تضيق من الأعلى، يصعد إليها المؤذن للنداء للصلاة، يراعى فيها أنها مكشوفة من جهاتها كافة، حتى يصل صوت المؤذن لأكبر عدد ممكن من المحيطين بالمسجد من أهالي البيوت أو السوق، كما تُبنى في المساجد حجرة كبيرة تتخذ كمدرسة لأبناء الحي، وهي الكتاتيب، لتعليم القرآن والكتابة والحساب، وأخيراً مكان الوضوء والغسل، يكون بجانب المسجد.[4]

ومع نهاية هذا الفصل برزت لدينا أهم موضوعات الجانب العمراني، من خلال العوامل المؤثرة فيه، والتي كان لها أثراً بارزاً في مظاهر العمران، خصوصاً العوامل الاجتماعية والدينية، والتي لا تختلف كثيراً عما هو موجود في مناطق نجد الأخرى. كذلك المواد المستخدمة في البناء خلال فترة الدراسة، وأبرز نماذج العمارة في الجبل، وبما أن الجبل أخذ نمطًا مميزاً خلال الفترة التي تناولناها، خصوصاً من حيث بقاء نماذج معمارية لا تزال شاهدةً على هذا النمط المعماري، كذلك بقاء أبرز نماذج العمارة شاهدةً في أذهان الكثيرين، حتى أن بعض الأسماء

(١) دار الدائرة للنشر والتوثيق: المرجع السابق، ج٤، ص ٢٣٦.

(٢) نفسه، ص ٢٣٧.

(٣) حسني: المصدر السابق، ص ٤٤.

(٤) دار الدائرة للنشر والتوثيق: المرجع السابق، ج٤، ص ص ٢٣٨-٢٤٠.

الخاصة بمثل هذه العمارة لا تزال مستخدمة حتى وقتنا الحاضر، وقد يُبنى ما يشابه وظيفتها في وقتنا الحالي، وتحمل الأسم نفسه، كما هو حال المصَخّن مثلاً .

الخَاتِمَة

من خلال هذه الدراسة الحضارية لجبلِ شمَّر في عصر الدولة السعودية الثانية؛ برزت مجموعة من النتائج، تتلخص في الآتي:

١. أن الموقع الجغرافي لمنطقة جبل شمَّر أعطاها ميزات حضارية عدَّة، ومع ازدياد أهمية الجبل سياسيًا تم استغلال هذه الميزات، التي عُطِّل كثيرًا منها قبل عصر الدولة السعودية الثانية، وقد يعود عدم استغلالها إلى جنوح حكَّام الجبل من أسرة آل علي – قبل آل رشيد – إلى للسِّلم، وعدم تفعيل مشاركتهم السياسية، إلا في ما يتعلق بحدودهم الضيقة، أو من خلال تلك التكليفات التي أجبروا عليها من قِبل الدولة السعودية الأولى في شمال شبه الجزيرة العربية.أما ما استغلَّه حكَّام آل رشيد من معطيات جغرافية؛ كان يتمثل في الآتي:

- سعي آل رشيد إلى التَّحكُم في طريق التجارة والحج الآتي من العراق، حيث كانت هنالك مجموعة من الطُّرق كان طريق الجبل واحدًا منها، فسعى حكَّام آل رشيد إلى زيادة أهمية الطريق المار بهم، من خلال فرض مزيد من الحماية عليه، كذلك تحفيز وترغيب قادة حملات التجارة والحج على المرورمن خلال بلدهم، أيضًا المشاركة الفاعلة في المنافسة على استقطاب رؤساء الحملات قبل انطلاق حملاتهم من العراق. وهذا ما زاد من الدخل الاقتصادي للجبل.
- تنويع التركيبة السكانية في المنطقة، فزيادة عدد حملات الحج والتجارة، وتركيزها على الجبل، جعل منها منطقة جذب اقتطدي، لذا كانت مقصدًا للطامحين من الناس، خصوصًا أؤلئك الباحثين عن الفائدة الاقتصادية، سواءً من تجُار أو حرفيين

أو من انخرطوا في الخدمة العسكرية في الإمارة.كما أن الإمارة سعت أيضًا إلى ترغيب هؤلاء الطامحين في المكوث في ديارهم، خصوصًا أؤلئك الذين يفتقر الجبل لخدماتهم، من تجُار بارزين، وأرباب حرف نادرة.

- استغلال موقع الجبل الاستراتيجي الرابط بين وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها سياسيًا، حيث سعت الإمارة وبشكلٍ متطور إلى تهدئة الأمور والتواؤم والقوى السياسية في الوسط، وفرضت سيطرتها كقوة مطلقة في الشمال، لذلك سعت إلى بناء عُمق سياسي لها شمالاً، وتهيئة الأمور للسيطرة السياسية جنوبًا، وهذا ما تجلَّت ملامحه حين تلاعبت الإمارة بمسألة توازن القوى، من خلال سعيها إلى كسب القصيم وقياداته السياسية لصالحها، خصوصًا وأن للقصيم أهمية استراتيجية، اكتسبتها من موقعها في قلب المنطقة النجديَّة. وبعد البداية العدائية مع القصيم، سعى محمد بن رشيد إلى التقرب من حكامها من خلال مصاهرة حكَّام بريدة، ودعمهم السياسي، وتقريبهم منه. من بعد ذلك أبدى حسن النوايا باستغلال الصراع القائم بين أبناء الإمام فيصل بن تركي، ذلك بالتدخل المباشر في صراعهم، ووقوفه لجانب ضد آخر، حتى وعى الوضع بشكلٍ كامل في عاصمة الدولة السعودية الثانية، وانتظر الفرصة المناسبة في تقويض الدولة.
- وثقافيًا كان لموقع الجبل الجغرافي أثرًا واضحًا، حيث كثرت الكتب التي بدأت ترد على الجبل، من العراق والشام والحجاز ونجد، وهذا الأمر أحدث ثَورةً ثقافيَّةً رعاها الحُكَّام بطرقٍ عدَّة، من خلال التَّحفيز في نسخ الكتب وشراءها ووقفها، وإنشاء المكتبات التي اكتسبت شهرةً واسعة، جعلت من علماء المناطق الأخرى يطلبون الكتب ونسخها من الجبل.

٢.من خلال مناقشة الأسماء التي عُرفت بها المنطقة على مر العصور، واندثار بعضها، وبقاء الآخر؛ اتضَّحت تلك الأهمية التي لم تقلّ على مر التاريخ للجبل، فكثرة

الأسماء تأتي من الحركة الاجتماعية الدائمة، حيث حلّ في الجبلِ مجموعات سكانية، ظلّت زمنًا ومن ثم هاجرت، وغالبًا ما تكون هذه الهجرات نتيجةً لضغوطٍ سكانية أخرى وافدة، كما فعل بنو أسدٍ مع تميم في بعض مناطقهم في الجبل، كذلك طيء حين أقصت بني أسد، وعبدّة شمّر قامت بالأمر نفسه مع السلطة الطائيّة. ومن خلال هذه التغيرات السكانية تعدّدت الأسماء في المنطقة، حيث أطلقت هذه المجموعات السكانية على المنطقة أسماءً تخصها، كما أن هذا الأمر كان بينًا وواضحًا، في ما يتعلق باسم جبلي طيء، ومن بعدهم جبلي شمّر، كذلك جبلي أجأ وسلمى، اللذان يخصان العماليق، والقُرَيَّة الذي يخص بني أسد.

٣.من خلال إعطاء خلفية تاريخية لمنطقة الجبل قبل فترة الدراسة؛ اتضحت بعضًا من الملامح المجهولة، خصوصًا خلال التاريخ الوسيط، إذ تقودنا مثل هذه الملامح إلى المزيد من البحث وتوجيه الباحثين في تلك الحقبة إلى استنطاق المصادر التاريخية، خصوصًا وأن دراسة مصادر المناطق القريبة، التي كانت على علاقة مع الجبل؛ ستوفر لنا معلومات في غاية الأهمية. وقد بدا ذلك من خلال الاطلاع على تاريخ الحجاز وعلاقته بالجبل، حيث كانت هنالك مجموعة من الحملات العسكرية التي قادها الأشراف على المنطقة.أيضًا دراسة المصادر العراقية قد يوفر معلومات أكثر أهمية، لاسيَّما في ما يتعلق بالحركة العشائرية القبلية، وانتقال كثيرًا من القبائل الطائية والشمّرية إلى العراق، ودراسة ظروف انتقالهم، حيث يعطي ذلك ملامحًا أكثر وضوحًا عن تاريخ المنطقة في التاريخ الوسيط.

٤.لم يكن للجبلِ شخصيةً واضحةً في نظام الحكم في فترة الدراسة، ذلك لأن النظام الذي جرى في المنطقة سار بشكلٍ رأسي وأفقي، وهذا نتيجة للصراع على الحكم، في عقبِ مؤسس الإمارة عبدالله بن رشيد، وفي ما يبدو من خلال دراسة تاريخ المنطقة؛ أنَّ عبدالله بن رشيد كان يطمح إلى أن يكون نظام الحكم رأسيًا في أبنائه،

يؤكد ذلك أن ابنه طلال بعد أن تولى الحكم؛ أشركَ أخويّه متعب ومحمد في العمل السياسي، وتعامل مع متعب على أساس أنه وليًا للعهد وشريكًا في السُّلطة، ولم نجد ما يؤكد أنه سمى وليًا لعهده، وبشكلٍ طبيعي حين انتهى عهد طلال انتقل الحكم إلى متعب، لكن مطامع ابن أخيه بندر في الحكم لم تجعل من أفقية الحكم شأنًا بارزًا، ومن ثم بعد بندر يأتي محمد وينتزع الحكم بقتله. وبذلك تكون الشخصية في نظام الحكم غير واضحة، كما أنه لم يكن هنالك دستور أو تنظيم تسير عليها الأسرة، غير أنه كان في عَقِبِ عبدالله بن رشيد. وفي ما يبدو أنه لو كان لمحمد بن رشيد عقبًا لجعل الحكم رأسيًا في عقبِه، إلا أن كونه عقيمًا جعله يختار ابن أخيه عبدالعزيز المتعب وليًا للعهد، ما جعل شخصية الحكم – حتى بعد فترة الدراسة – بلا ملامح.

٥من خلال دراسة النظام الإداري في الجبل، اتضَّح أنه كان مركزيًا في الحاكم، الذي تعود إليه أمور الدولة كافة، حيث كان الأمير يدير الإمارة من خلال أشخاص يعتمد عليهم، وعادةً أشبه ما يكونوا بالوزراء، قد يتغيرون من حاكم إلى آخر، ومنهم من استمرَّ في مكانه ومنصبه.لكن بشكلٍ عام كان السلطة مركزية.

٦. اعتمدت الإمارة على رجال الكفاءة أكثر من اعتمادها على المقربين من الأسرة الحاكمة أو أقاربها وعشيرتها، يتضح ذلك من اختيار الإمارة للوزراء وأمراء البلدان التابعة لها. كما اعتمدت الإمارة في نظامها القضائي على أؤلئك الذين ترسلهم الدولة السعودية الثانية في البداية، وبعد أن أصبحت الإمارة تتمتع بنوعٍ من الاستقلالية أو الجنوح إليها؛ بدأت تُعين القضاة وتعزلهم من تلقاء نفسها، وتحاول التضييق وإبعاد من لا ترغب به، وفي نهاية فترة الدراسة وجدنا أن الإمارة بدأت تستقطب وتبقي من توده من القضاة من الخارج، وتعتمد على القضاة المحليين بشكلٍ أكبر.

٧كان للإمارة سياسةً تجاه البلدان التابعة لها بحسبِ الجهة، فالبلدان الشمالية تختلف عن الجنوبية والغربية، إذ كانت قبضة الإمارة على الشمال أشدّ من غيرها من الجهات، إذ لم تتهاون الإمارة بأيِّ حالٍ مع أي جنوحٍ إلى استقلالٍ أو تمرد. وكانت الإمارة على استعداد لخوضِ حربٍ حتى مع الدولة العثمانية إذا ما استدعى الأمر ذلك شمالاً، لأن الإمارة ترى أنها الأحق بتلك الجهات، ولما يمثله الشمال من عمقٍ اجتماعي واقتصادي للجبل. أما البلدان الجنوبية؛ فكان كسبها إلى جانب الإمارة بحدِ ذاته نقطةً إيجابية، لأن أيَّ تمدُّدٍ جنوبًا يُعدُّ تحدٍ لنفوذ قوى أخرى، في القصيم ومن ثم عاصمة الدولة السعودية الثانية، وإذا ما كَسِبَ ابن رشيد ولاء أمراء القصيم في فترة من فترات حكمه؛ فهذا لا يعني أنه ضمن تبعيتهم، يدل على ذلك أنه على الرغم من التقارب الذي حدث بين الإمارة وآل أبا الخيل في بريدة وآل سليم في عنيزة، وسياسة التّصاهر التي قام بها محمد بن رشيد، إلا أنه لم يكن واثقًا في حكامها، ومع أول تنافر حدثت معركة كبيرة بين الطرفين في المليدا. وفي الجهة الغربية؛ كان أيَّ مكسبٍ تحققه الإمارة مرضٍ بالنسبةِ لها، لأن الدخول في صراع مع الأشراف في الحجاز وقبائلها يعني أن الإمارة ستفقد كثيرًا في طريق الحاج، لذلك كان الحفاظ على علاقات الود أمرًا ضروريًا مهما كانت التنازلات، التي لا ترضي كبرياء الإمارة أحيانًا، كما كان يحدث مع شيوخ قبيلة حرب، الذين كانوا يعلمون مدى تأثيرهم على مصلحة الإمارة إذا ما قطعوا طريق قوافلها.

٨.أن الإمارة كانت عسكريةً وحربيةً منذ بدايتها؛ فإنها أولت الجوانب العسكرية أهميةً كبرى، خصوصًا في ما يتعلق بالتسليح، حيث سعت الإمارة إلى الحصول على كل ما هو جديد من الأسلحة، وجاءت بها من أسواق الخليج، كذلك سعت إلى تطوير هذه الأسلحة، واستقطاب من كان لهم قدرةً على تصنيع ما كانوا يحتاجون إليه من ذخيرة وإعادة تهيئة هذه الأسلحة. كذلك حرصت الإمارة على الحفاظ على عدد

كبير من الجند التابعين لها، ذلك من خلال جيش الإمارة الأساسي، وما يتبعه من جند القبائل الذين قُدِّمت لهم ميزات منها الإعفاء من دفع الخوَّة، وإشاركهم في الغنائم.

علمياً كان للإمارة حظًا وافراً، إذ زاد الحراك الثقافي فيها، نتيجةً لأولئك العلماء الذين كانوا يفدون إلى الجبل من مناطق عدَّة في نجد، ووجود جيل من العلماء وطلاب العلم الذين نهلوا من هؤلاء العلماء الوافدين، لذلك انتعشت حركة التعليم، ونسخ الكتب ونشوء المكتبات.ووفرة الكتب في الجبل كانت نتيجةً لحرص الأمراء من آل رشيد ونساءهم والوجهاء في المجتمع على وقفها، حتى باتت الإمارة عاصمة للكتاب في فترة الدراسة.

١٠. اقتصادياً كان للإمارة موارداً كثيرةً اكتسبتها من زيادة الحركة التجارة ووقوعها على طريق قوافل الحج والتجارة، وحرص الإمارة على إيجاد فئات من مجتمعات خارجية لتنشيط هذا الجانب.كما أن مصروفات الإمارة كانت أقلّ من وارداتها، لذلك تكوَّنت ثروةً كبيرة في الجبل.إضافةً إلى ذلك ما كانت تتمتع به الإمارة من بيئةٍ زراعية ساعدت على إنعاش الحياة الاقتصادية، كذلك الثروة الحيوانية.أما الحِرف والصناعات فقد انتعشت بشكلٍ واضح، وصار الجبل موئلاً لكثير من أرباب الحِرف.

١١. اللُّحمَة الاجتماعية التي سعت الإمارة إلى تحقيقها، إذ لم تمُايز بين طبقةٍ اجتماعيةٍ وأخرى، وقد مرَّ معنا أن الأسرة المتنفذة والحاكمة كانت تنتمي إلى الجعفَرّ من شمَّر؛ إلا أن هذا الانتماء لم يبدو ظاهراً بشكلٍ عنصري، سواء في توزيع مصادر الثروة أو الحضوة، بل كانت الكفاءة هي أساس القُرب من السُّلطة، لذلك نجد أن السلطة اعتمدت على أسر الجبل كافة، سواءً من أسر عبدَّة المتحضرة في عاصمة الجبل، أو أهالي الحِرف وغيرهم، حيث عاملتهم بشكلٍ متساوٍ، إلا في ما يتعلق

بمسألة المصاهرة والنسب. كما أن قبول أي غريب في المنطقة كان مألوفًا، أيًّا كان انتماءه أو أصله أو ديانته السابقة إذا ما دخل في الإسلام، بل كانوا يسعون جميعًا، الإمارة والمجتمع، إلى صهر الوافد إلى بلدهم بهم، وصبغه بطباعهم، عدا المشاهدة، الذين تمسكوا بمذهبهم الشيعي، الذي أجبرهم على التعامل والتواصل مع السكان الأصليين على أساس المصلحة ليس إلا، بل إن المجتمع في الجبل كان يسعى إلى عزل المشاهدة وثقافتهم، وتحذير الناس من معتقداتهم، تحقيقًا للتحصين. لكنهم في الوقت نفسه لم يتعاملوا معهم بشكلٍ عدواني إلا في ما ندر، وفي حالات ضيِّقة.

١٢. كان للجبلِ شخصيةً عمرانيَّةً مميَّزة، فعلى الرغم من تشابه العناصر المعمارية وطرائق البناء ومواده مع ما هو موجودٌ في المنطقة النجديَّة؛ إلا أنه تميَّز بتلك الرسومات والنقوش والكتابات التي كانت تزيِّن جدرانه، بشكلٍ مختلف عما هو دارجٌ في نجد، إضافةً إلى ما كان موجودًا من تنوعٍ في المواد المستخدمة في البناء، حيث وجد البناء الطيني والحجري في المنطقة، بحسب توفر المواد وسهولة الحصول عليها.

الملاحق:

١. ملحق الصور.

٢. ملحق الخرائط.

٣. ملحق الوثائق.

(١)

ملحق الصور

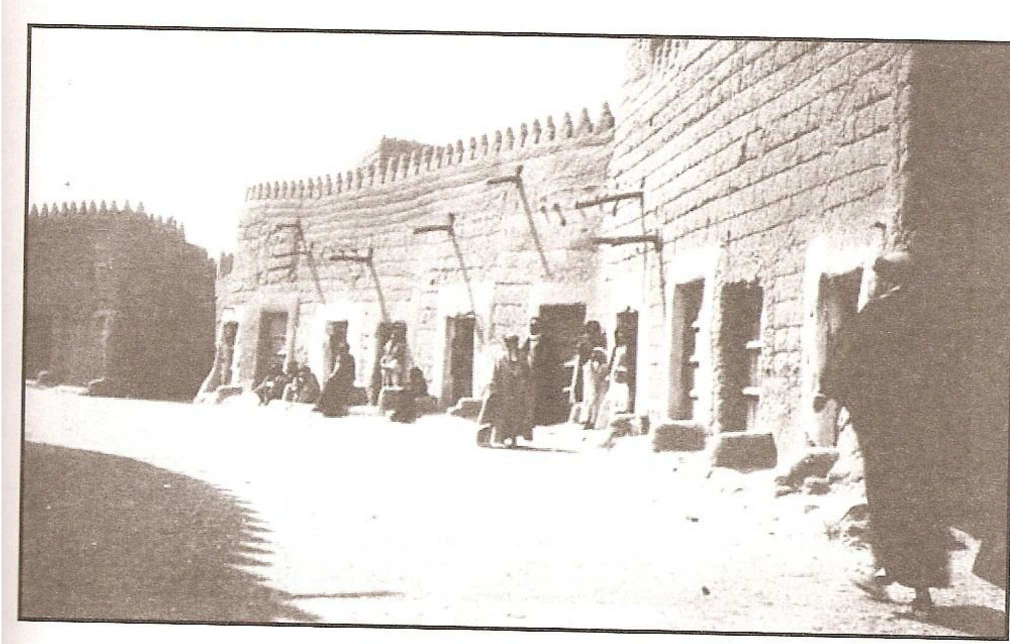
(١)



قصر برزان Berman - 1944

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

(٢)



المسحب 1914 - Bell

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

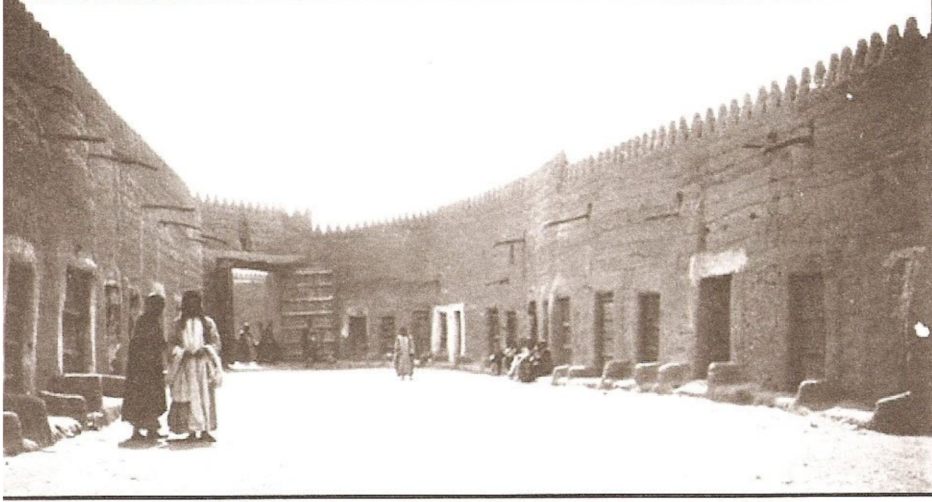
(٢)



مئذنة جامع برزان 1914 - Bell

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

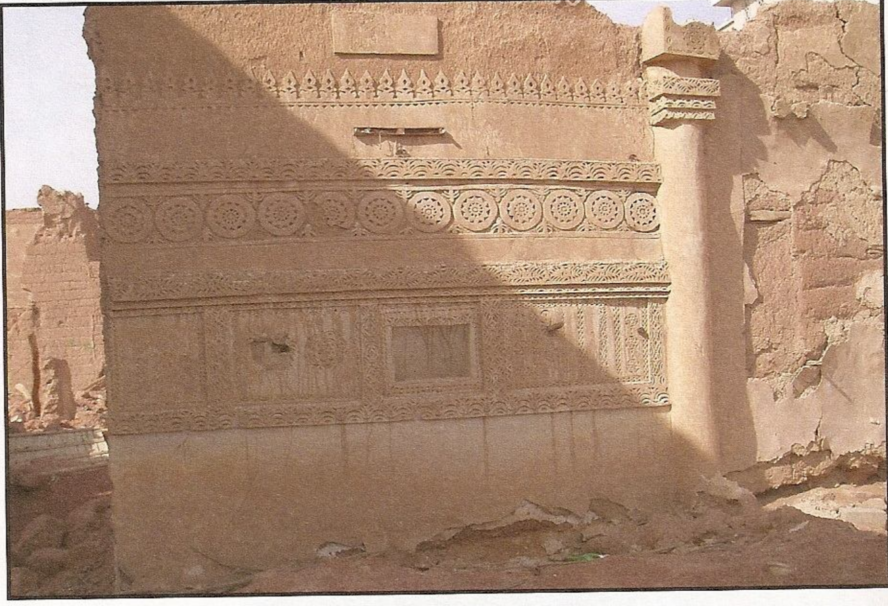
(٣)



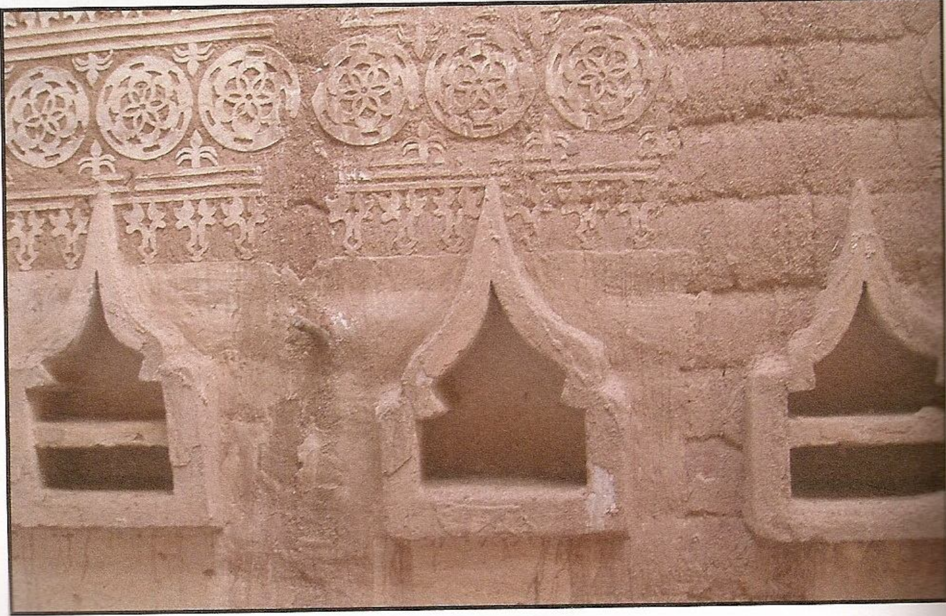
باب الصفاقات 1914 - Bell

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

(٤)



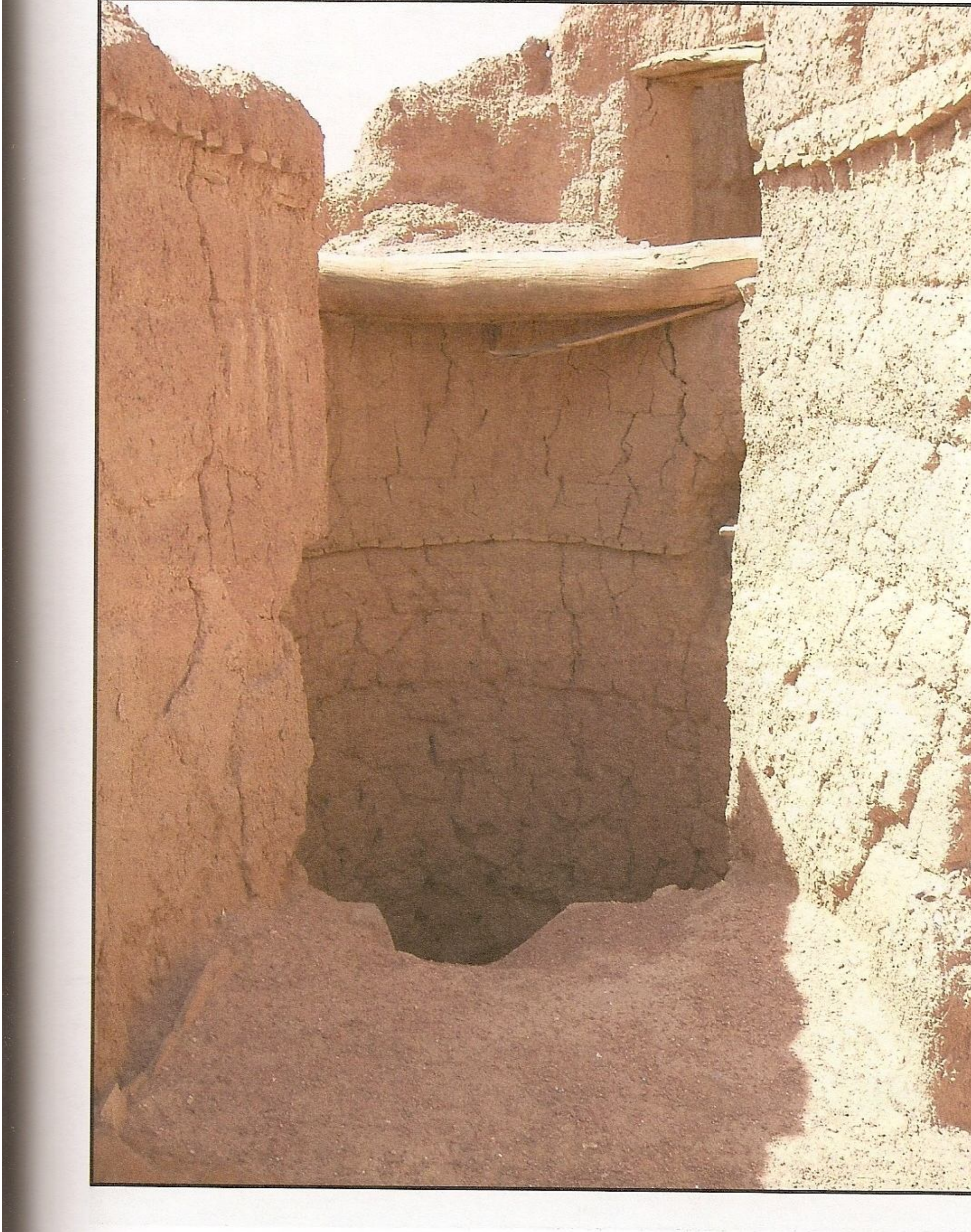
أطلال ليوان العرافا – لبدة



ليوان العرافا

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

(٥)



عسيلان بئر العرافا - لبدة

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

(٦)

مقامات حائلية



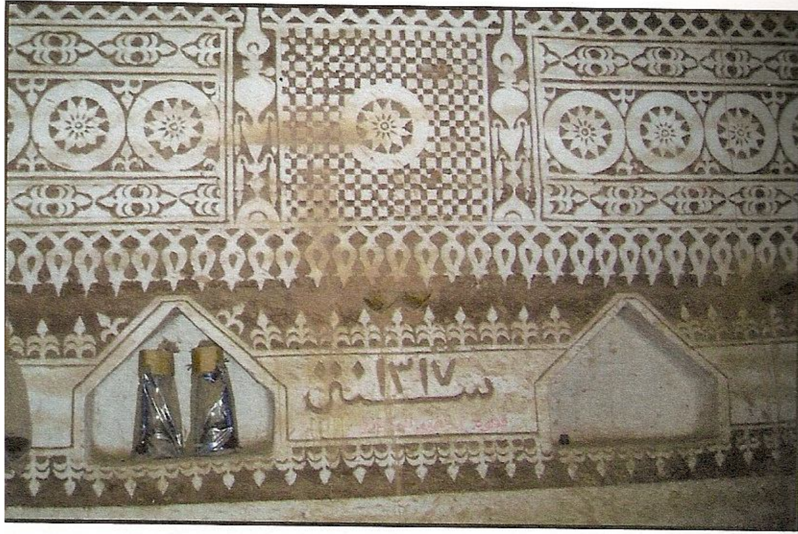
أطلال بيت الحجاجا - لبدة



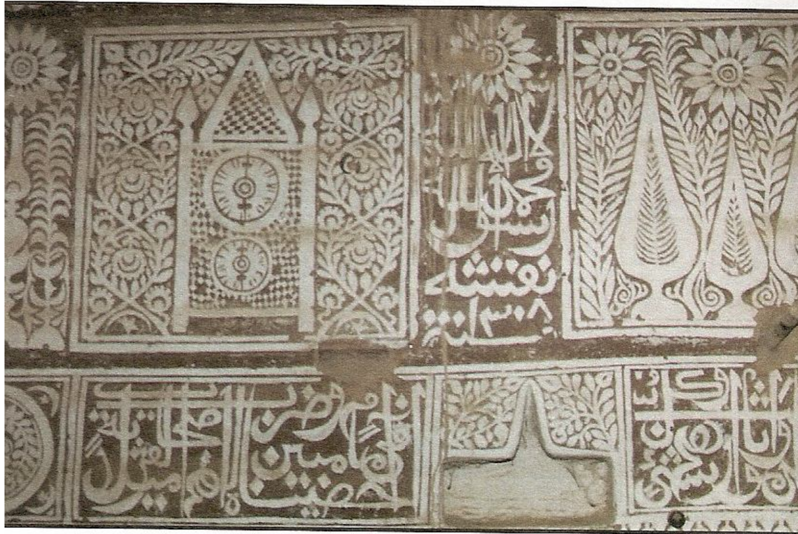
قهوة الحجاجا - لبدة

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

(٧)



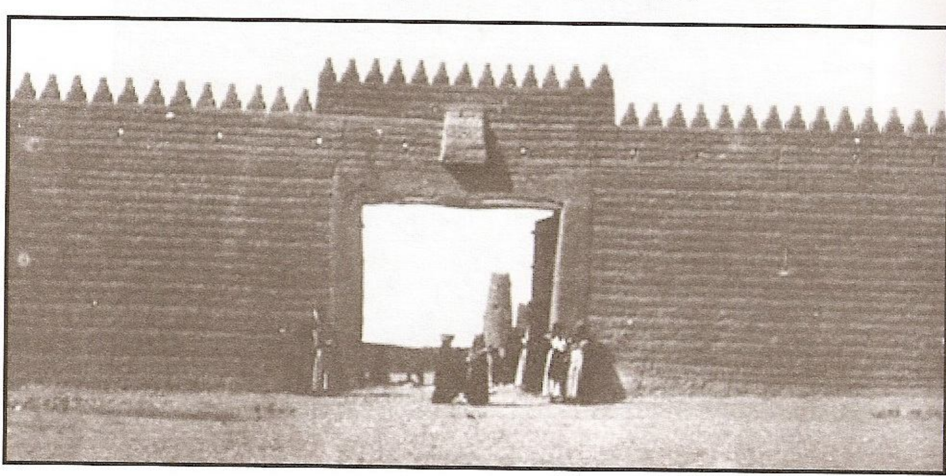
قهوة المشاري – لبدة



قهوة السيف – سرحة

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

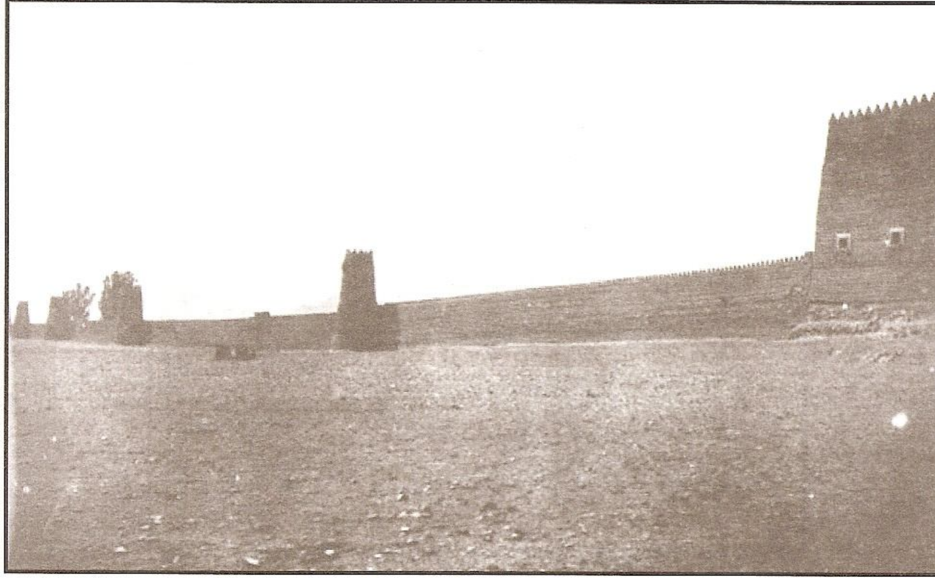
(٨)



باب قفار 1914 - Bell

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

(٩)



سور حائل 1914 - Bell

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

(١٠)



نقوش قهوة السيف

صورة مأخوذة من كتاب مقامات حائلية لمؤلفة أحمد العريفي

(١١)



موقع الجمالين في سوق حائل القديم

صورة مأخوذة من كتاب (Hail oasis of Saudi Arabia) لمؤلفه (Philip Ward)

(١٢)





ريال **ماريا تريزا**

(١٣)



بارة عثمانية فضية سُكت سنة ١٢٩٣هـ



بارة عثمانية فضية سُكت سنة ١٢٢٣هـ

(١٤)



عملة المجيدي العثماني سُك سنة ١٣٢٧هـ

(١٥)



قروش عثمانية ذهبية سُكت ١٢٧٧هـ

(١٦)



عُملة الطويلة المستخدمة في شبه الجزيرة العربية

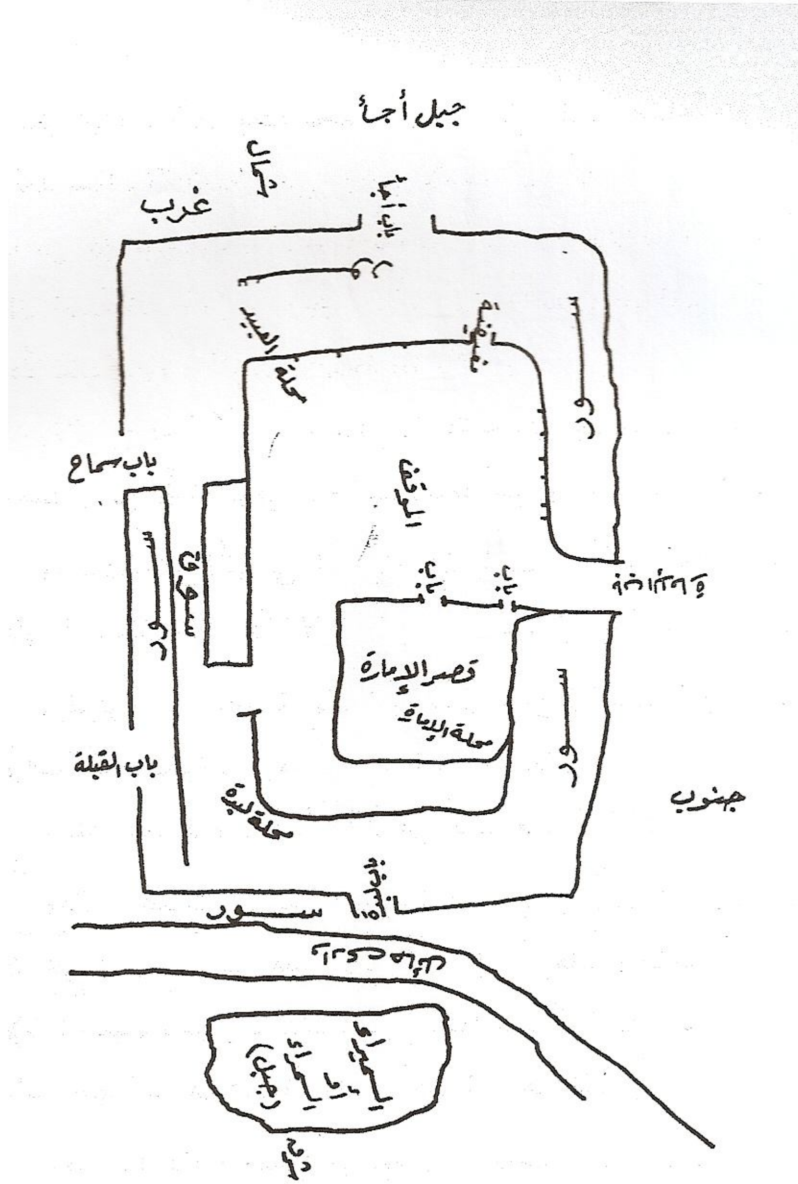


طويلة الأحساء

(٢)

ملحق الخرائط

(١)



خريطة رسمها سليمان الدخيل لحائل

من كتاب المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة)

(٢)

خريطة من عمل الباحث، توضح موقع جبل شمَّر وحدوده الإدارية.

(٣)

ملحق الوثائق

بسم الله الرحمن الرحيم

حضر عقيل بن محمد بن قبال وناصر بن راشد بن حمود وعلي بن محمد بن حماد بن مفيد ودخيل بن مفيد وذكروا
ان قبال وراشد ومفيد احدثوا البلاد المعروفه بالقصر من بلدان الجبل ومما قد راس في هذه البلاد ان ماءها
الاعلى يفسد ماءها الاسفل . وقسم الثلاثه الارض اثلاثا . الثلث الاعلى لراشد والاوسط لقبال والاسفل
لمفيد وكل واحد من الثلاثه حفر [illegible] وصاحب الاعلى افسد على من تحته . وتنازعوا وطال النزاع
بينهم في الجاهليه . ثم احدثوا قسمة بعد ذلك لكل منهم عشرون باعا ولعيال قبال عشرة [illegible] وجاء
الاسلام وهم على ذلك فيلزم ما اسلموا عليه ولا يحدث كل منهم في سهمه الاسفل ما يحدث الاعلى في [illegible]
وعدد الغروب ولا يزيد احد على احد ولا ضرر ولا ضرار واما ما قسم بينهم قبل هذا فهم على الامر الذي
جاء الاسلام وهم عليه واقر عقيل ودخيل ان لكل واحد منهما في سهم الاخر قليب اذا نقص عليه ماءه [illegible]
استملح هذا ما جرى بينهم بمحضر من الامام [illegible] وجماعة من المسلمين يوم الجمعه رابع عشر من رجب سنة
اثنين واربعين والف ومائتين من الهجره النبويه على صاحبها افضل السلام وازكى التحية قال ذلك احمد بن
عبيد الحنبلي وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم (الختم) صورة طبق الاصل بقلم علي الصالح السالم
الاصل مع ابن دخيل ومع محمد [illegible] صوره ومع سالم [illegible] صورة منه ١٣٧٨ [illegible]

وثيقة منسوخة لحكم الشيخ أحمد بن سليمان بن عبيد للخلاف الذي كان بين أهالي قصر العشروات في الجبل سنة ١٢٤٢هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن عبدالله إلى الأخ صالح وحمد الشويعر ومحمد الخطيب وعبدالله بن جبر سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
أشرفنا على خط مع حزاب كتابك يا صالح وشيمك معطيه ما كان ببلدانه حميد و[illegible] ولا استظهرت الا الحقه والله تبارك
وتعالى أمر بوفاء العهد فيوم شفنا خطك ما جينا الصلح إلى وقت لانها تخالف ما في خطك وفصلنا لهم مثل ما فصلنا
لابن طوالة العشير من غير زيادة ولا نقصان وعلى ترتيب ابن طوالة الذي رتب له في الخرص ورضيوا بذلك وانا وفيت بذلك
للحضر وها الخط ما يعقبه خطوط ولا طلبه فان جاني احد يشكي فانا جازيه وما سبق هذا الخط فلا عليه عمل وعمال الجحيش
منقطع إن حصل منهم المشا الجميل فهو المطلب والا يكون هذا عذرنا منهم حرر في ربيع الأول سنة سبع وأربعين فان جاني
شكا بعد هذا فالعتب عليك يا صالح والسلام وكفل لي حزاب وهباس على جميع الوهب فما جرى منهم من العايبات لو كلمة
على حضري أو طقه بعصا وأنا كفلت لهم بان ما جاهم العايبات من الحضر فانا اقوم لهم عليهم وأنت كفيل على الجميع يا صالح ولا يلزم
يجعلون آل جحيش عندكم مثل سبيع عندي ولا يكون طلايب عقب هذا وقالة الشعيب وما سبق هذا فهو مدفون
فان أحدثوا بعد هذا الخط فانا مدخل حلالهم بيت المال وترى زيد بيد من أهل الجبل ان ما كفيته والسلام وأنت يا حمد الشويعر
تأمل الخط وترك حضرتي وما بذمتي بذمتك توقف لهم بأخذ حقهم وتنظر فيه تراهم ما بينك وابن علي ناظرة الجميع
والسلام وخطهم هذا إذا اشترطوا عليه ردوه عليهم والسلام والعيش عيش ها السنة لازم رده فان كان من [illegible] البلاد دعوى بينك
[illegible] ابن طوالة فهو داركه والحقت على آل جحيش كذلك ما كان لهم من الكراوي لازم جميعها يردوه عليهم والسلام

وباسفله ما نصه   بسم الله الرحمن الرحيم

الخط المرقوم أعلاه نقل طبق أصله وعليه ختم الإمام تركي رحمه الله حتى لا يخفى قال ذلك كاتبه عبدالله بن [illegible] البليهد [illegible]
ونقله من النقل المذكور الذي [illegible] كاتبه اسمه ويظهر لي أنه بقلم الشيخ عبدالله [illegible] وكتبه علي [illegible]

٥٥ ١٣ ج [illegible] ٨ ٢٥/ ٢

ها الخط ورد علينا مع آل جحيش ننقله بيدهم فهو صورة مع الأصل بيده

وثيقة منسوخة لرسالة من الإمام تركي إلى صالح وحمد الشويعر ومحمد الخطيب وعبدالله بن جبر بشأن الخلاف الذي حدث في عهده بين البادية والحاضرة في جبل شمَّر.

بكلام فوق رأسي وإذا برجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق
قط وثياب لم أرها على خلق قط فأقبلا يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي لا
أجد لأخذهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر فقال
أحدهما لصاحبه افلق صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال
له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال اغد كذا
سالما فرجعت بها رقة على الصغير ورحمة على الكبير ذكره أحمد وسئل أي الناس خير
قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث وما بعدهم شر إلى يوم القيمة وسئل لعله
عن أحب الناس إليه فقال عائشة فقيل ومن الرجال قال أبوها فقيل ثم من قال ثم عمر
وسأله علي والعباس أي أهلك أحب إليك قال فاطمة بنت محمد قالا ما جئنا نسألك
عن أهلك قال أحب أهلي إلي من أنعم الله عليه وأنعمت عليه أسامة بن زيد قالا ثم من قال
علي بن أبي طالب قال العباس يا عمك آخرهم قال إن عليا سبقك ذكره الترمذي
وحسنه وفي الترمذي أيضا أنه سئل أي أهل بيتك أحب إليك قال الحسن والحسين وسئل أو علي وعمك قال وهو
أي الأعمال أحب إلى الله قال الحب في الله والبغض في الله ذكره أحمد وسئل عن امرأة كثيرة
الصلاة والصوم والصدقة غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال في النار وقيل إن
فلانة فذكروا صيامها وصلاتها وصدقتها ولا تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في الجنة
ذكره وسألته عائشة رضي الله عنها فقالت إن لي جارين فإلى أيهما أهدي فقال
إلى أقربهما منك بابا ذكره البخاري هذا ما وجد ذكره المؤلف رحمة الله عليه والحمد لله
رب العالمين وصلى

علقه إبراهيم بن موسى بن محمد عتيق لأخيه عبد الـ...
بن صالح بن خزام مضى شهر الله المحرم رجب سنه
١٢٥٤ غفر الله لكاتبه و...
لوالديه ولذريته ولمن ...
حب النسخ ومؤلفها
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

نَسخ إبراهيم بن عتيق لكتاب إعلام الموقعين سنة ١٢٥٤هـ.

محفظة ٦٧٠٦ عابدين
صورة المركز العربي للوثيقة
التركية رقم ١١٠ حمراء -

ايراد ومصروف [illegible]
ولايات من محرم سنة ٥٥
لغاية رجب سنة [illegible]

كشف

عن بيان ايرادات ومصروفات حسابات أوردي نجد وغيرها بوجه مقايسة عن مدة من ابتداء غرة محرم سنة ١٢٥٥ لغاية سلخ رجب سنة ١٢٥٥ بما فيه مشمول الحساب عن الوارد خلاف المصروف ولم يعلم صرف المدة المرقومة .

٦٩٧٥٨ ٢٤٠٤٧٧ ٢٩٢٢٤٩ أصول الإيرادات الواردة بالمدة

١٥٤٠٨ ١٤٥٠٦ ---

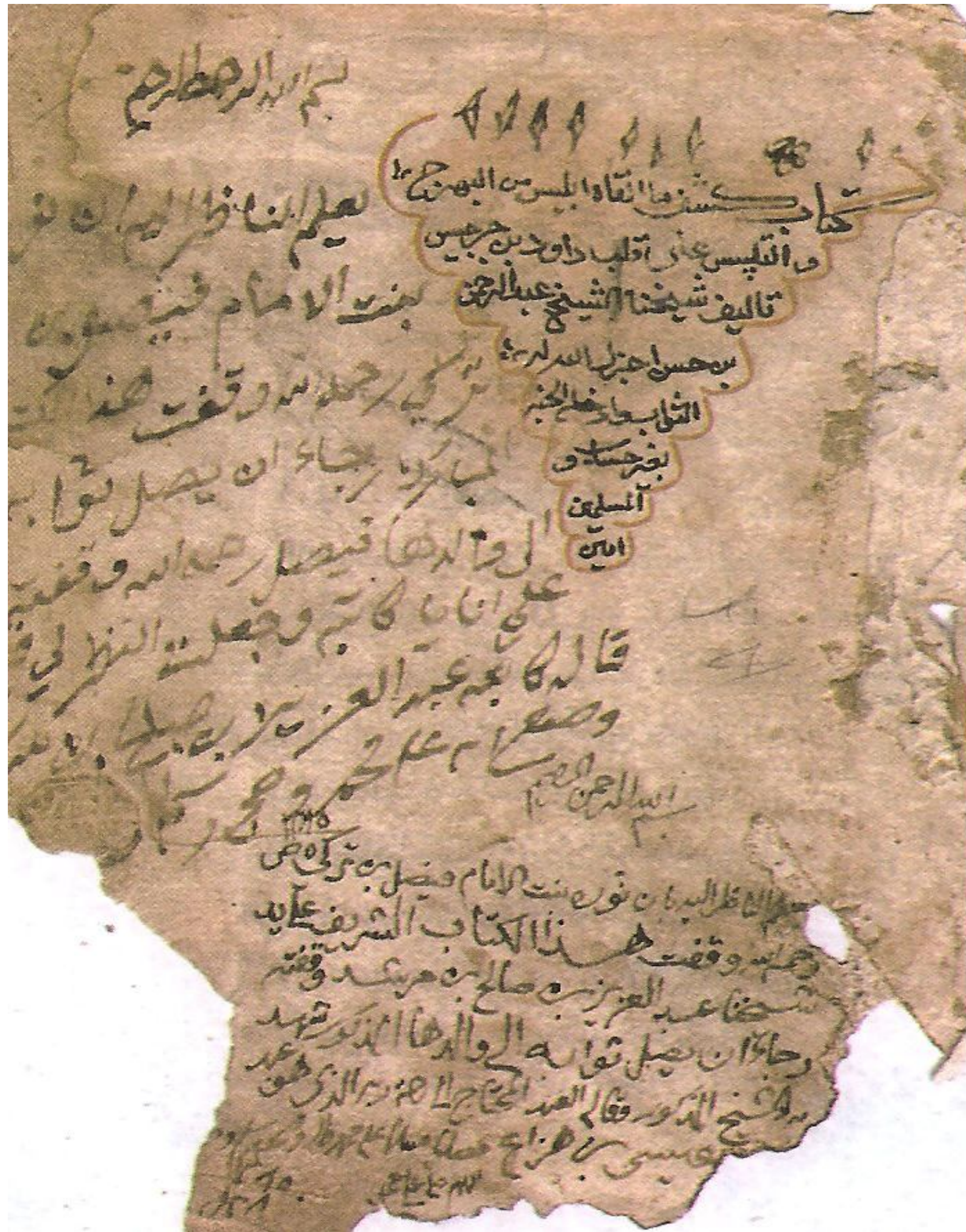
من الوارد من جهة المدينة المنورة والخاكية
١٥٤٠٨ غلال
١٢٧٤ قمح
١٥١ شعير
١٥١ عدس
١٤٥٠٦ أصناف
١٢٢٧٨ ارز
١١١٩ [illegible]
٦٦١ صابون
٢٤٨ [illegible] ٢٢٠٩٧١ ٢٤٩٢٥

مشتروات من جهات
٢٤٢٦٤ ١٨٠٠٠ ٠٠٠

مصرف من جهة القصيم وغيره
١٤٢٦٤ غلال
٥٠٠٠ القصيم
٢٥٠٠ شمر
١٤٩٤ [illegible]
١٢٢٠ سدير
٢٤٩٨ المحمل
٩٧٧ [illegible]
٥٠٠ القويعية
٩٧١ العارض
٢٥٤ الخرج
٥٠٠ الافلاج
٢٥٠ الدواسر ١٠٠٠٠ ١٨٠٠٠
٦٧١ ١٥٠٩٧١
من الحساب جميع أوردو [illegible]

الصفحة الأولى من إيرادات ومصروفات نجد، ومنها جبل شمَّر سنة ١٢٥٥هـ.

مسألة في الفرائض للشيخ عوض الحجي سنة ١٢٨١هـ.

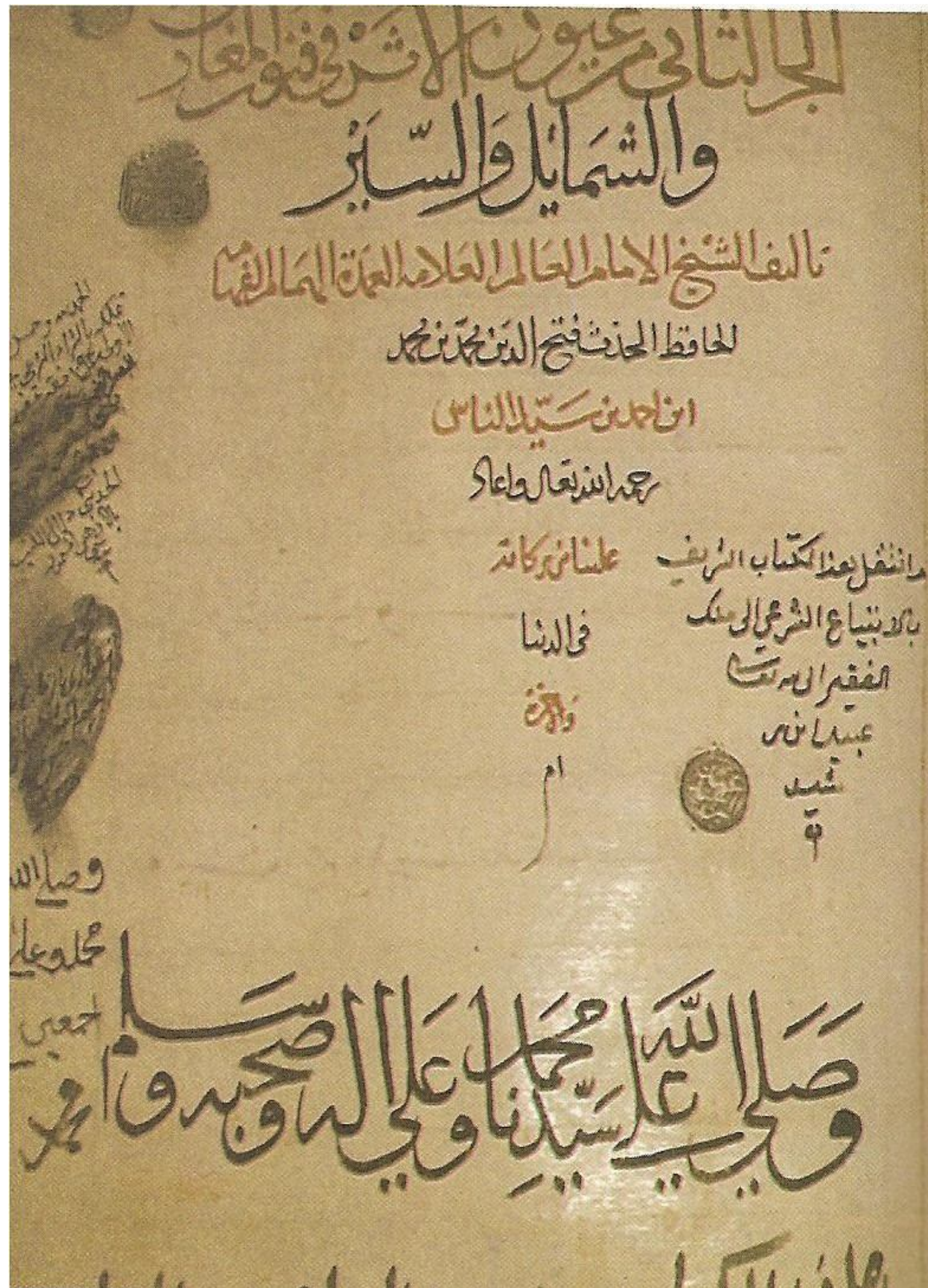


وقف الأميرة نورة بنت الإمام فيصل بن تركي على الشيخ عبدالعزيز بن صالح المرشدي لكتاب كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس سنة ١٢٨٥هـ.

قال عوض بن محمد عفى الله عنه

[illegible]

قصيدة للشيخ عوض الحجي بخطِ يده.


الجزء الثاني من عيون الأثر في فنون المغازي
والشمايل والسير
للحافظ المحدث فتح الدين محمد بن محمد
ابن أحمد بن سيد الناس
رحمه الله تعالى
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تملُّك عبيد بن رشيد بالشراء الشرعي ووقفه لكتاب عيون الآثر في فنون المغازي والشمائل والسير.

شفرة عثمانية مرسلة إلى إمارة مكة المكرمة تفيد بعدم دفع محمد بن رشيد الزكاة للدولة العثمانية منذ سنة ١٢٩٥هـ.

تخميس الشيخ حسن الحجي لقصيدة الشيخ إسماعيل المقري ، بخط يده.

لا تلبسي الحق بالباطل

رباب يا بنت أبي مالك إنا إذا جارت دواعي الهوى وأنصت السامع القائل

لا نجعل الباطل حقا ولا نلط دون الحق بالباطل

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر صاحب مناقب شيخ الإسلام رحمهما الله تعالى الماخذ ذكر بعض تلامذة شيخ الإسلام
ابن تيمية قال ومنهم الشيخ الإمام العلامة الحافظ عماد الدين ثقة المحدثين عمدة
المؤرخين علم المفسرين أبو الفدا إسمعيل ابن الشيخ العالم الخطيب أبي حفص عمر بن كثير بن ضو
بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي الشافعي ولد في سنة إحدى
وسبعمائة بمجيدل القرية من عمل بصرى إذ كان أبوه خطيبا بها وتوفي سنة
أربع وسبعين وسبعمائة وكانت له جنازة حافلة مشهورة ودفن بوصية
في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق
له عدة مصنفات منها تفسير القرآن العظيم وكتاب التاريخ الكبير
المسمى بالبداية والنهاية والجامع المسانيد وغير ذلك من الفوائد

بسم الله الرحمن الرحيم قد وقف هذا الكتاب محمد ابن عبد الله
ابن رشيد في يد يعقوب ابن محمد ابن سعد طلبا للثواب
وعملا بحديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له شهد
على ذلك ناصر ابن محمد ابن عتيق وسبهان ابن سلامة
وأخوه ناصر الشهيد وشهد به كاتبه يعقوب ابن
١٣٠٢
حرر سنة ألف وثلاثمائة واثنين من محرم
٣٢٥

وقف محمد بن رشيد لكتاب تفسير ابن كثير سنة ١٣٠٢هـ.

٩

يلدز سراى همايونى
باش كتابت دائرهسى

ابن رشيدك اوتدرى ويساوته كلوكلرى اثناده ابن رشيده دخى بعضاً امثالى وجهله هر سنه ايچون
برمقدار عطيهٔ سنيهٔ تخصيص واحسانى وعد وتبشير بيورلمش وهرنقدر كندوسى حكومت سنيهيه ويركو
اعطاسيله مكلف ايسه ده برمنوال محرر هر سنه درجه وقيع وحيثيتيله متناسب اعيرجه برخلعت وياخود
مقدار كافى عطيهٔ سنيه ويرلمسى طرف حجازيهنك تأمينى مقصديله متخذ اولان تدابيرده معدود اوله جغندن
ظهور معاملهٔ لازمه نك ايفاسى عقوم شرف صادر اولان ارادهٔ سنيهٔ جناب خلافتپناهى ٢٩ شعبان ٣٠٦
تاريخنده باتذكره خصوصيه تبليغ قلنمش ايدى اول وقت طرفوارشده حضرت شهرياريده احاله بيوريلان هدايانك
سنه ملوكانه ايله شرفنشر قلنان نامهٔ همايونى مرحوم محمد جناب ظل اللهى دخى كندوسنه تيسير قلنمش ايدى
ابن رشيدك هر سنه حضور همايونه ايله كوندرلمك اوزره برصره تخصيص وكندوسى وسائر بعضى مشايخ
ايچون خلعت اعطاسى ايله طلبنى طرف حجازيهنك تأمينه مدار اوله جغى ماعدا كندوسنك مقاصد
اجانبه تمايلى فسخ وفوت بولديده القاآت محرره اجنبيهيه فاتيشر خلافت عظماء نأيبد روابطى استلزام
ايده جكنده وبوصورت معناً ومادةً موجب محسنات اوله جغندن هر سنه برصره همايونه ايله كندوسى
معرفتيله توزيع واعطا اولنمق اوزره مشايخ سائره ايچون مقدار كافى خلعت ترتيب وتخصيص كيفيتك
مجلس مخصوص وكلاده تذكرينه قرار نامه بالمطالعه عرض عتبه قلنمش شرف صادر اولان ارادهٔ سنيهٔ جناب
پادشاهى اقتضاى عاليسنه بوبنده اولغله اولبابده امر وفرمان حضرت من له الامركدر

٢٠ شعبان ٣٠٥ و ٢٠ مارت ٣٠٤

كاتب سر حضرت شهريارى
ثريا

وثيقة عثمانية بشأن الخِلَع المُخصَّصة لمحمد بن رشيد من الديوان الهمايوني سنة ١٣٠٥هـ.

باب عالی

مجلس مخصوص

قرار مجلس الخصوص في الدولة العثمانية بتخصيص خلعة سنوية لمحمد بن رشيد ومن يتبعه من شيوخ القبائل والأعيان سنة ١٣٠٥هـ.

هذا كتاب النونية تصنيف إمام أهل السنة
القامع بالحجة كل صاحب بدعة الشيخ
العلامة أبو بكر بن أيوب ابن
قيم الجوزية رحمه الله
تعالى



وقف الشيخ راشد الغنيمي لكتاب النونية سنة ١٣٠٥هـ.

وقفية بنات عوض وأمهم
شرح صحيح مسلم للنووي
ومجمع البحار
وميزان الاعتدال
وشرح معاني الآثار
وسنن الترمذي
وسنن ابن ماجه
وسنن الدارمي
وسيرة ابن هشام
ومقدمة ابن خلدون
وكشف الغمة
وشرح النونية خط
وشرح السراجية
الرسالة القشيرية
وبعض [illegible]
وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام
وكتاب المدهش لابن الجوزي في الوعظ
وحاشية الصبان جلدين
ومجموع فيه عدة نسخ اختصار الأولى [illegible]
ومجموع فيه ألفية العراقي
وشرح الشاطبية
وكتاب رحمة الأمة واختلاف الأئمة
[illegible] والمد والدعوى
وكتاب الصارم المنكي
والرسالة العزية
وعمدة الفقه وعمدة الأحكام جميعًا وشرح دليل الطالب
وشرح خلاصة الفرائض
وأسماء رجال صحيح البخاري
وشرح خالد للأزهري

مجموعة من الكتب التي أوقفها بنات الشيخ عوض الحجي.

قال بعض السلف رحمه الله

مهما تفكرت في ذنوبي ... خفت على قلبي احتراقه
لكنه ينطفي بحبي ... بذكر ما جاء في البطاقة

والكاتب الحقير الفقير إلى عفو ربه ومغفرته صالح بن سالم تشطيرها

مهما تفكرت في ذنوبي ... وما جرى لي من الحماقة
وما استحييت من رقيبي ... خفت على قلبي احتراقه
لكنه ينطفي بحبي ... وجرعني حلوة المذاقة
وأطمع في رجا حبيبي ... بذكر ما جاء في البطاقة

ولكاتبها أيضاً

[illegible] بخلك سائل بسؤاله ... فرجوعه من سوء قولك مأثم
[illegible] فضلك للفقير أذى ... ويمنعه من حسن قولك [illegible]
[illegible] باب دارك سائلاً ... والنفس من خبث الطوية تسأم
[illegible] من كرم الإله موسع ... وبذاك في الخيرات ليس تقدم
[illegible] عن معادك غافل ... عن حر نار جمرها يتضرم

قصيدة للشيخ صالح السالم آل بنيان بخطِ يده.

كتاب اقسام القران والكلام على ذلك
تاليف الشيخ الامام العامل العلامة شمس الدين
ابي عبد الله محمد ابن ابي بكر ابن ايوب
الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية
تغمده الله برحمته
وعفى عنه بمنه
وكرمه
امين
تم

في ملك صالح بن سالم البنيان

تملُّك الشيخ صالح السالم آل بنيان لكتاب أقسام القرآن.

Y.PRK.MYD
10/5

برقية من والي بغداد إلى الباب العالي بشأن أحوال ابن رشيد، وأحوال طريق الحاج العراقي سنة ١٣٠٨هـ.

Y.PRK.UM
21/69

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

رسالة من محمد بن رشيد إلى والي بغداد تصف أحوال البلاد، وارتباط الإمارة بالدولة العثمانية سنة ١٣٠٨هـ.

Y. MTV. 50-84

قرار مجلس شورى الدولة العثمانية بمنع بيع الخيول في أسواق الخليج العربي على الدول الأجنبية سنة ١٣٠٨هـ.

69об.

гораздо безопаснѣе, чѣмъ въ самой Месопотаміи, не говоря уже о сирійской пустынѣ, несмотря на хищническія наклонности бедуиновъ Неджеда, съ которыми справляться нелегко. И, если Даути удалось благополучно окончить свое странствованіе по пустынѣ, то лишь потому, что бедуины знали, что онъ былъ принятъ Ибнъ-эръ-Рашидомъ и не разъ имя могучаго Ши спасало жизнь отважнаго путешественника.

Границы и физическія особенности Неджеда.

Неджедъ, собственно, значитъ возвышенное мѣсто, плато, каковымъ въ дѣйствительности и является вся средняя часть Аравійскаго полуострова, представлявшаго собою, въ концѣ прошлаго вѣка, ядро Вахабитскаго Царства. По мѣрѣ успѣховъ Вахабизма и расширенія власти Вахабитскихъ Эмировъ расширялось и понятіе о Неджедѣ и терминъ этотъ изъ географическаго перешелъ въ политическій. Въ настоящее время границы Неджеда, какъ владѣнія Ибнъ-эръ-Рашида, могутъ быть опредѣлены приблизительно такъ:

Сѣверная часть Неджеда, извѣстная подъ именемъ Джофскаго оазиса, сопри-

642 ٣٠٩

صورة من تقرير السفارة الروسية في استابول إلى وزارة الخارجية الروسية، تصف أحوال نجد، وتتحدث عن تطور الأحداث وتاريخ المنطقة، مؤرخة في ١٣٠٨هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من رسالة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ حين كان في حائل إلى الشيخ نعمان الآلوسي في العراق، يتحدث فيها عن أحوال البلاد والحال الدينية بين البلدين، مؤرخة سنة ١٣٠٩هـ.

رسالة الشيخ نعمان الآلوسي من العراق إلى الشيخ صالح السالم آل بنيان، يطلب فيها نسخ مجموعة من الكتب الموجودة في حائل، مؤرخة في ١٣١١هـ.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

أ. وثائق محلية:

مركز الوثائق الوطنية بدارة الملك عبدالعزيز:

١. وثيقة رقم (٧٨٢)، رسالة من الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى محمد بن عبدالله ومحمد ابن عمر آل سليم في القصيم، بتاريخ ١٢٨١هـ.

وثائق مكتبة فهد العريفي الخاصة بحائل:

٢. رسالة من عبدالله بن خزام إلى عبدالله بن رشيد، حول خلاف في تيماء في مسألة طلاق، عام ١٢٥٧هـ/١٨٤١م.

٣. رسالة من عبدالله بن رشيد إلى سلامة وسالم وبدر، من دون تاريخ.

وثائق مكتبة آل بنيان بحائل:

٤. رسالة من الإمام تركي بن عبدالله إلى صالح وحمد الشويعر ومحمد الخطيب وعبدالله بن جبر في الجبل، يحذر فيها من تعديات البادية على الحاضرة، ووجوب دفع الزكاة، بتاريخ ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، نُقلت من أصلها بخطِ علي بن صالح آل سالم بتاريخ ١٣٨٠/٢/٢٥هـ الموافق ١٩٦١/٦/١٠م.

٥. رسالة من عبيد بن رشيد إلى سالم العمر وعلي بن ربيعان وأهل المستجدَّة، غير مؤرخة، نقلها من أصلها الشيخ علي الصالح السالم بتاريخ ١٣٧٨/١١/١٤هـ.

٦. رسالة من الشيخ عبدالقادر بن عبدالله العبادي – أحد علماء العراق – إلى الشيخ صالح بن سالم البنيان بتاريخ ١٣٠٧/٧/٢٦هـ الموافق ١٨٩٠/٣/١٨م، يطمئن على

أحواله، ويسوق له البشائر في تكاثر أتباع السلفية في العراق والهند، واهتمامهم بكتب الدعوة.

٧. رسالة من الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في جبل شمَّر إلى الشيخ نعمان بن محمود الألوسي في العراق، بشأن الرد على طلبه نسخ بعض الكتب التي يحتاجون إليها في العراق، بتاريخ ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، نسخها من أصلها الشيخ صالح بن سالم البنيان في السنة نفسها.

٨. رسالة من الشيخ خيرالدين نعمان بن محمود الألوسي للشيخ صالح بن سالم البنيان، يطلب فيها نسخ بعض الكتب غير المتوافرة لديهم في العراق، مؤرخة في ١٣١١هـ/١٨٩٣م.

٩. رسالة نُصح غير مؤرخة من الشيخ صالح بن سالم البنيان إلى الملك عبدالعزيز رحمهما الله؛ نسخها الأستاذ حسَّان الرديعان في كتابه الشيخ صالح بن سالم آل بنيان.

١٠. فهرس لوقفيات بنات الشيخ عوض بن محمد الحجي رقية وشماء ووالدتهن قوت، من دون تاريخ.

وثائق مكتبة آل يعقوب بحائل:

١١. نسخ إبراهيم بن موسى بن عتيق للشيخ عبدالله بن صالح بن خزام إعلام الموقعين عن رب العالمين سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م.

١٢. مكاتبةغير مؤرخة بين السيِّد حسن المشهدِّي وامرأة من الموالي، بشأن الاتفاق على تفصيل بعض الثياب، وصفة خياطتها، وإعطاء مبلغ ريالين كمقدم لإنجاز الخياطة.

وثائق خاصة:

١٣. شجرة نسب محفوظة لدى أسرة البغدادي في حائل، حصل الباحث على نسخة منها من يوسف بن عبدالرزاق بن محمد القاسم البغدادي.

ب. دار الوثائق القومية في القاهرة:

١٤. محفظة عابدين رقم (٢٦١)، وثيقة رقم (٣١٣) حمراء ٣٧، رسالة من المير لواء محمد إسماعيل إلى أحمد شكري، تصف أحوال شبه الجزيرة العربية ومسار الأحداث فيها، بتاريخ ٤ ربيع أول ١٢٥٣هـ الموافق ٧ يوليو ١٨٣٧م.

١٥. شريط رقم (٤)، وثيقة رقم حمراء ٣٧ (٣١٣)، رسالة من المير لواء محمد إسماعيل إلى الوالي أحمد شكري، بتاريخ ٤ ربيع الآخر ١٢٥٣هـ/٧ يوليو ١٨٣٧م.

١٦. شريط رقم (٤)، وثيقة رقم (١٨٩)، رسالة من خورشيد باشا إلى الوالي محمد علي باشا، بتاريخ ١٧ رجب ١٢٥٣هـ، الموافق ١٨ اكتوبر ١٨٣٧م.

١٧. شريط رقم (٥٤)، محفظة عابدين (٢٦٤)، وثيقة رقم (٢٦٤)، رسالة من خورشيد باشا إلى الوالي محمد علي باشا، بتاريخ ٢٢ ربيع أول ١٢٥٤هـ.

١٨. محفظة عابدين رقم (٢٦٧)، وثيقة رقم (١٦٣) حمراء، رسالة من خورشيد باشا إلى الجناب العالي، مرفق بها كشف عن مقدار الغلال المشتراة من نجد والزكاة، والتقرير الخاص بواردات نجد وأحوالها، بتاريخ ٢٩ جمادى الأول ١٢٥٥هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٨٣٩م

١٩. محفظة عابدين رقم (٢٧٠)، مجموعة رقم (٧)، وثيقة رقم (١٤٩) حمراء (تركية)، رسالة من مخورشيد باشا إلى باشمعاون الجناب العالي، بتاريخ ٣ شعبان ١٢٥٦هـ، الموافق ٣٠ سبتمبر ١٨٤٠م.

٢٠. محفظة ذوات حجاز رقم (١٤٣)، رسالة من الجناب العالي في مصر إلى طلال بن رشيد شيخ جبل شمَّر، بتاريخ ١٢٨٠/١٢/٢٥هـ، الموافق ١٨٦٤/٦/١م.

ت. إدارة الأرشيف العثماني باستانبول:

٢١. رسالة محفوظة في مجلس مخصوص برقم (٢٨٩٦) من والي ولاية الحجاز أمير مكة المكرمة إلى الصدر الأعظم في الدولة العثمانية، حول تدخل محمد بن رشيد في إدارة

خيبر واقتراحه التدخل العسكري ضده وتأديبه، بتاريخ ١٢٩٥/٧/١١هـ الموافق ١٨٧٨/٧/١١م.

٢٢. إخبارية من محتسب المدينة المنورة إلى الباب العالي، حول استقبال محمد بن رشيد ١٧ إنجليزياً مدوه بتسعة صناديق محملة بالأسلحة، برقم (Y.MTV 14/43) بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٣٠١هـ.

٢٣. قرار إدارة مجلس الخصوص بمجلس المالية التابع لنظارة المالية برقم (I.MEC.MAH/4139) القاضي بتخصيص صُرّة سلطانية لمحمد بن رشيد والمشائخ التابعين إليه، بتاريخ ١٣٠٥/٩/١٠هـ الموافق ١٨٨٨/٥/٢١م.

٢٤. تقرير استخباراتي مقدم من مدير شرطة المدينة المنورة للباب العالي، حول تحركات محمد ابن رشيد وتسليحه، برقم (Y.MTV 49/47) بتاريخ ١٣٠٦هـ الموافق ١٨٨٨م.

٢٥. برقية من والي بغداد إلى الباب العالي برقم (Y.PRK.MYD.10/5)، يتحدث فيها عن قوافل الحج المارة بجبل شمَّر، ودور إمارة آل رشيد في الحماية وتوفير ما تحتاجه القوافل، وما تتقاضاه الإمارة من أموال وفائدة اقتصادية، بتاريخ ١٣٠٨/٥/١١هـ الموافق ١٨٩٠/١٢/٢٣م.

٢٦. معروض مرسل من قائمقامية النجف إلى الباب العالي برقم (Y.PRK.U.M 21/44) حول قوة محمد بن رشيد في الجبل، بتاريخ ١٣٠٨/٨/٦هـ الموافق ١٨٩١/٣/١٧م.

٢٧. محضر معدّ للباب العالي حول موقعة المليداء، بشأن الأسلحة التي استخدمها في الموقعة، برقم (Y.MTV 50/72) ، بتاريخ ٢٣ شوال ١٣٠٨هـ الموافق ١٨٩١/٦/١م.

٢٨. قرار مجلس شورى الدولة العثمانية بمنع تصدير الخيول العربية الأصيلة للبيع في الخارج رقم (Y.Mtv.50/84)، بتاريخ ١٣٠٨/١٠/٢٧هـ الموافق ١٨٩١/٦/٥م.

٢٩. رسالة محفوظة في ملف ولاية بغداد برقم (Y.PRK.UM 21/69) من محمد بن رشيد إلى والي بغداد، بتاريخ ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، وتاريخ اليوم ٣ هجرياً، غير أنه لم يتضح من خلال صورة الوثيقة الشهر.

٣٠. رسالة من محمد بن عبدالله الرشيد إلى السلطان العثماني، يفيد من خلالها أن الإمارة ممتثلةً لقرار الدولة العثمانية في منع بيع الخيول الأصيلة إلى الدول الأجنبية، ويذكر أنه أرسل ٥٣ خيلاً هديةً للسلطان برقم (Y.PRK.BSK.45/101)، بتاريخ ١٣١٣/٢/١١هـ الموافق ١٨٩٥/٨/٣م.

ث. وثائق السفارة الروسية في استانبول:

٣١. تقرير استخباراتي برسالة من بونافيدين إلى خارجية الإمبراطورية الروسية في موسكو، محفوظة في القائمة ٥١٧/٢، إضبارة ١٢٣٤، بتاريخ ٨ شوال ١٣٠٧هـ الموافق ٢٨ مايو ١٨٩٠م.

ثانيًا: المخطوطات:

الداود: عبدالله بن علي

٣٢. **مخطوطة لشعراء الجبل وشعراء من نجد،** جمعها ونسخها: لافي بن شبَّاب الشريطي، مصورة من مكتبة الأستاذ راشد بن عساكر، (د.ت).

الدخيل: سليمان بن صالح

٣٣. **البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم،** مخطوط محفوظ في جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٢٦م.

ابن صالح: مطلق

٣٤. **شذى الند في تاريخ نجد،** قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مخطوطة رقم ٤٨٠.

الصويغ: فهد بن خالد

٣٥. **مخطوطة الصويغ**مخطوطة محفوظة لدى أسرة الصويغ جمُع فيها عدداً من القصائد النبطيَّة، ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م.

الطريفي: يوسف بن عبدالعزيز

٣٦. **مكتبة آل يعقوب،** مخطوطة محفوظة لدى المؤلف كمسودة ينوي طباعتها في كتاب، (د.ت).

العزاوي: عباس

٣٧. **تاريخ نجد،** دار صدام للمخطوطات، بغداد، مخطوط محفوظ على مايكروفيلم رقم ١٢٦.

العبيد: محمد العلي

٣٨. **النجم اللامع للنوادر جامع،** مخطوطة محفوظة نسخة مصورة منها في مكتبة الأستاذ راشد بن عساكر.

كمالي: سليمان شفيق

٣٩. **حجاز سياحتنامه سي،** نسخة محفوظة في مكتبة جامعة استانبول، برقم (٤١٩٩ت).

ابن نهير: ندا

٤٠. **تاريخ ابن نهير،** (د.ت)، مخطوطة محفوظ منها صورة لدى الباحث محمد العميري.

هوبر: تشارلز

٤١. **مخطوطة عبيد بن رشيد،** كتبها لهوبر أحد سكان الجبل، متحف اللوفر، باريس، رقم ١٩١.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

الحماد: حمد بن عبدالله

٤٢. **حكم محمد العبدالله بن رشيد لنجد ١٢٨٩-١٣١٥هـ/١٨٧٣-١٨٩٧م،** رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، إشراف الدكتور: علي بن إبراهيم الخليف، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الشمري:ساير بن غربي

٤٣. **الأحوال السياسية في حائل في عهد إمارة عبدالله بن علي بن رشيد،** رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد بن عبدالله السلمان، القصيم، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الصغير: إبراهيم بن صالح

٤٤. **منطقة حائل – دراسة إقليمية –**، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف الدكتور: محمد الأمين البصير، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

العتيبي: مريم بنت خلف

٤٥. **الأوضاع السياسية في عهد الإمام تركي بن عبدالله آل سعود ١٢٤٠-١٢٤٩هـ/١٨٢٤-١٨٣٤م،** رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، إشراف الدكتور: عويضة بن متيريك الجهني، الرياض، ١٤٢٠هـ.

العريني: عبدالرحمن بن علي

٤٦. **الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر الهجري وحتى سقوط الدرعية ٩٠١هـ/١٤٩٤م- ١٢٣٣هـ/١٨١٨م**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور: عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٤٧. **الحياة الاجتماعية عند حضر نجد منذ القرن العاشر إلى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٩٠١هـ/١٤٩٤م-١١٥٧هـ/١٧٤٤م**، رسالة دكتوراة، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور: عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

رابعًا: المؤلفات العربية:

إبراهيم: عبدالعزيز عبدالغني

٤٨. **أمراء وغزاة**، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

ابن الأثير: علي بن محمد

٤٩. **الكامل في التاريخ**، ١١جزءًا، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

أرسلان: شكيب

٥٠. **تاريخ الدولة العثمانية**، جمع وتحقيق: حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير ودار التربية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

ابن إسحاق: محمد

٥١. **سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي**، تحقيق وتعليق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، (د.م)، الطبعة الأولى، (د.ت).

الآلوسي: محمود شكري

٥٢. **تاريخ نجد**، تحقيق وتعليق محمد بهجة الأثري، دار المعالي، عَمَّان، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الأندلسي: ابن سعيد

٥٣. **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، جزءان، تحقيق: نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عَمّان، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

البادي: عوض

٥٤. **الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية**، دار بلاد العرب للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٥. **الرحالة الأوربيون في شمال وسط الجزيرة العربية – منطقة حائل (١٨٤٥–١٩٢١م)**، دار برزان للنشر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

البرازي: نوري بن خليل

٥٦. **البداوة والاستقرار في العراق**، معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

بركات: مصطفى

٥٧. **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

البسام: عبدالرحمن الصالح

٥٨. **تاريخ عبدالرحمن الصالح البسام**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد الخامس، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

آل بسام: عبدالله بن عبدالرحمن

٥٩. **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، ٦ أجزاء، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

البسام: عبدالله بن محمد

٦٠. **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق،** دراسة وتحقيق: إبراهيم الخالدي، المختلف للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

ابن بشر: عثمان بن عبدالله

٦١. **عنوان المجد في تاريخ نجد،** جزءان، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الر ياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

البصري: عثمان بن محمد

٦٢. **مطالع السعود بأخبار الوالي داود،** خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد السادس، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

البكري: عبدالله بن عبدالعزيز

٦٣. **معجم ما استعجم،** ٤ أجزاء، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

البلادي: عاتق بن غيث

٦٤. **الإشراف على تاريخ الأشراف،** دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

البهوتي: منصور بن يونس

٦٥. **شرح منتهى الإرادات دقائق أولي النهى لشرح المنتهى،** ٧ أجزاء، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

التيمائي: محمد حمد

٦٦. **تيماء،** الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الجاسر: حمد

٦٧. **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، جزءان، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٦٨. **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٩. **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة)**، ٣ أجزاء، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الجرجاني: حمزة بن يوسف

٧٠. **تاريخ جرجان**، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الجوزي: عبدالرحمن بن علي

٧١. **المنتظم**، ٩ جزءًا، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ.

الحجي: حسن

٧٢. **صدى الحرب**، مطبعة اللواء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٠هـ.

الحربي: دلال بنت مخلد

٧٣. **نساء شهيرات من نجد**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

ابن حزم: علي بن أحمد

٧٤. **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف ، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

حسن: حسن إبراهيم

٧٥. **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ٤ أجزاء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٦٤م.

الحسني: محمد بن عبدالله

٧٦. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، جزءان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

الحسيني: محمد المهدي

٧٧. **أسماء القبائل وأنسابها**، شرح وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

الحصان: سليمان بن محمد

٧٨. **الرواية المحلية لسيرة عمير وعرار (الضياغم)**، مطابع دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

حمزة: فؤاد

٧٩. **في بلاد عسير**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

الحموي: ياقوت بن عبدالله

٨٠. **معجم البلدان**، ٥ أجزاء، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).

الحواس: فهد بن صالح

٨١. **عمارة المنزل بمنطقة حائل**، وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف (التربية والتعليم)، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

الحيدري: إبراهيم فصيح

٨٢. **عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد**، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

الخريصي: هشَّال

٨٣. **قبيلة شمَّر متابعة وتحليل**، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

خزعل: حسين خلف

٨٤. **تاريخ الكويت السياسي**، ٥ أجزاء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.

ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد

٨٥. **مقدمة ابن خلدون**، جزءان، تصحيح وفهرسة: أبوعبدالله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

دارة الدائرة للنشر والتوثيق:

٨٦. **الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية**، ٢ جزءاً، الدائرة للنشر والتوثيق، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

دحلان: أحمد زيني

٨٧. **تاريخ أشراف الحجاز،** تحقيق وتحليل: محمد أمين توفيق، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

الدخيل: سليمان بن صالح

٨٨. **تحفة الألبَّاء في تاريخ الأحساء،** الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٨٩. **القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد،** دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ.

الذكير: مقبل بن عبدالعزيز

٩٠. **مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود،** خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد السابع، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الرازي: محمد بن عبدالقادر

٩١. **مختار الصحاح،** جزءان، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

الراشد: سعد بن عبدالعزيز

٩٢. **اكتشاف حجرين ميليين من العصر العباسي في منطقة حائل – دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها،** وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الرافعي: مصطفى صادق

٩٣. **تاريخ آداب العرب**، ٣ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

الراوي: عبدالجبار

٩٤. **البادية**، جزءان، (د.ن)، بغداد، الطبعة الثالثة، (د.ت).

الرديعان:حسَّان بن إبراهيم

٩٥. **منبع الكرم والشمائل في ذكر أخبار وآثار من عاش من أهل العلم في حائل**، منشورات مكتبة فهد العريفي، حائل، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٩٦. **الشيخ صالح بن سالم آل بنيان (حياته، آثاره، جهوده العلمية)**، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

ابن رشيد: ضاري بن فهيد

٩٧. **نبذة تاريخية عن نجد**، تحقيق: عبدالله بن صالح العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس الرياض، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

الرشيد: مضاوي

٩٨. **السياسة في واحة عربية (إمارة الرشيد)**، ترجمة: عبدالإله النعيمي، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

الرفاعي: أنور

٩٩. **النظم الإسلامية**، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

آل رواف: سليمان بن عبدالله

١٠٠. **خروج آل أبا الخيل من سجن ابن رشيد،** جمع وترتيب وتصحيح: عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، المجلد الرابع، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الروسان: محمود محمد

١٠١. **القبائل الثمودية والصفوية،** جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الريكي: حسن بن جمال

١٠٢. **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب،** دراسة وتحقيق وتعليق: عبدالله الصالح العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

الزركلي: خير الدين

١٠٣. **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،** ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى٥، ٢٠٠٢م.

الزعارير: محمد بن عبدالله

١٠٤. **إمارة آل رشيد في حائل،** بيسان للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

ز كريا: أحمد وصفي

١٠٥. **عشائر الشام،** جزءان، تقديم: أحمد غسان سبانو، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الزهراني: حصة جمعان

١٠٦. **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية (١٢٤٠-١٣٠٩هـ/١٨٢٤-١٨٩١م)**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

السباعي: مصطفى

١٠٧. **من روائع حضارتنا**، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ابن سحنون: محمد

١٠٨. **آداب المعلمين**، (د.ن)، تونس، الطبعة الأولى، ١٣٤٨هـ.

أبوسديرة: السيِّد طه

١٠٩. **حائل في صدر الإسلام**، دار الأندلس، حائل، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

السكران: علي بن فهيد

١١٠. **نبذة عن آل رشيد**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد الرابع، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

السلمان: محمد بن عبدالله

١١١. **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية**، المطابع الوطنية، (د.م)، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

السنجاري: علي بن تاج الدين

١١٢. **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ٦ أجزاء، تحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

السنيدي: عبدالعزيز بن راشد

١١٣. **مدينة فيد**، مطابع سفير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

السهيلي: عبدالرحمن

١١٤. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، ٧ أجزاء، تحقيق وتعليق وشرح: عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

السويداء: عبدالرحمن بن زيد

١١٥. **أسرة السويطي**، (د.ن)، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١١٦. **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**، ٣ أجزاء، دار السويداء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١١٧. **الثقافة والتعليم في منطقة حائل قبل المدارس النظامية**، دار السويداء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١١٨. **شعراء الجبل**، دار الأندلس، حائل، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١١٩. **عقيلات الجبل**، دار الأندلس، حائل، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٢٠. **منطقة رمان حائل**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٢١. **نجد في الأمس القريب**، ٣ أجزاء، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

السويدي: أبو الفوز محمد أمين البغدادي

١٢٢. **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).

السويكت: سليمان بن عبدالله

١٢٣. **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، (د.ن)، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

السيف: إبراهيم بن محمد

١٢٤. **المبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر وبعض تلامذتهم**، ٥ أجزاء، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

الشعيبي: علي بن شواخ

١٢٥. **القشعم من كبريات القبائل العربية**، دار المعارف للطباعة، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤٠٦/١٩٨٦م.

الشناوي: عبدالعزيز

١٢٦. **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ٤ أجزاء مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، (د.ت).

الشهابي: محمد سليم

١٢٧. **الرحلة الحجازية**، المطبعة التجارية، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ١٣١٧هـ.

آل الشيخ: عبدالرحمن بن عبداللطيف

١٢٨. **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

الصانع: عبدالرزاق وعبدالعزيز العلي

١٢٩. **إمارة الزبير بين هجرتين ٩٧٩-١٤٠٠هـ،** ٣ أجزاء، مطابع مقهوي، الكويت، الطبعة الأولى ،١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

الصاوي: أحمد

١٣٠. **النقود المتداولة في مصر العثمانية،** مركز الحضارة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.

صفوة: نجدة فتحي

١٣١. **الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)،** ٧ أجزاء، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

الضبعان: محمد ويوسف الشمري

١٣٢. **المواقع وأسماؤها في منطقة حائل،** دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

الطبراني: سليمان بن أحمد

١٣٣. **مسند الشاميين،** ٤ أجزاء تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

الطبري: محمد بن جرير

١٣٤. **تاريخ الأمم والملوك،** ٣جزءً ا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الظاهري: أبو عبدالرحمن بن عقيل

١٣٥. **آل الجرباء في التاريخ والأدب**، موقع الوراق على شبكة الانترنت.

١٣٦. **مسائل من تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة دار الأصالة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

عبيد: جبَّار يحيى

١٣٧. **التاريخ السياسي لإمارة حائل**، تقديم: عبدالله بن محمد المنيف، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

العتيق: سليمان

١٣٨. **حائل قبل مئة عام**، دار الأندلس، حائل، الطبعة الأولى، (د.ت).

العثيمين: عبدالله بن صالح

١٣٩. **قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد**، ألوان للطباعة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٤٠. **تاريخ المملكة العربية السعودية**، جزءان، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٤١. **نشأة إمارة آل رشيد**، مطابع الشريف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٤٢. **معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد**، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

العجلاني: منير

١٤٣. **تاريخ البلاد العربية السعودية – الدولة السعودية الأولى (عهد الإمام سعود الكبير)**، ٤ أجزاء، دار الشبل، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٤٤. **تاريخ البلاد العربية السعودية (الدولة السعودية الثانية)**، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

العريفي: أحمد بن فهد

١٤٥. **قضاة مدينة حائل ١٢٠٠–١٣٤٠هـ**، دار الجلس، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٤٦. **مقامات حائليَّة**، جزءان، مطابع الناشر العربي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٤٧. **علماء لبدة طرف من أخبارهم وآثارهم**، (د.ن)، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٤٨. **معجم الشعراء الشعبيين**، جزءان، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

العزاوي: عباس

١٤٩. **تاريخ النقود العراقية**، شركة التجارة والطباعة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م.

١٥٠. **عشائر العراق**، ٤ أجزاء، مكتبة الصفا والمروى، لندن، الطبعة الأولى، ١٩٤٧م.

١٥١. **موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين**، ٨ أجزاء، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

العطية: معاشي بن ذوقان

١٥٢. **أوراق جوفية**، (د.ن)، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

العفنان: سعد بن خلف

١٥٣. **حائل وعبقرية المكان**، مطابع المعرفة، حائل، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

العليان: عبدالحميد بن عبدالعزيز

١٥٤. **جواهر الزبير**، ألوان للطباعة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

أبوعلية: عبدالفتاح حسن

١٥٥. **تاريخ الدولة السعودية الثانية**، دار المريخ، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٥٦. **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر**، دار المريخ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

آل علي: محمد بن مهنا

١٥٧. **إمارة آل علي في منطقة حائل**، دار المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

العمروي: عمر بن غرامة

١٥٨. **منطقة تثليث وما حولها عبر العصور**، دار الطحاوي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

العُمري: صالح بن سليمان

١٥٩. **علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم**، جزءان، (د.ن)، (د.م)، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

العُمري: ابن فضل الله

١٦٠. **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين**، دراسة وتحقيق: دوروثيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

العمير: عبدالله بن إبراهيم

١٦١. **العمارة التقليدية في نجد**، الجمعية السعودية للدراسات الآثارية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ابن عيسى: إبراهيم بن صالح

١٦٢. **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم**، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

العيسى: مي بنت عبدالعزيز

١٦٣. **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ابن غنام: حسين

١٦٤. **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، جزءان، مطبعة مصطفى البابلي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

الفريحي: فاطمة محمد

١٦٥. **تجارة السلاح في الخليج العربي ١٢٩٧-١٣٣٣هـ/١٨٧٩-١٩١٤م**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الفريح: عبدالرحمن

١٦٦. **قفار**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

القاضي: إبراهيم بن محمد

١٦٧. **تاريخ القصيم السياسي**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد الثامن، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

القاضي: محمد بن عثمان

١٦٨. **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**، ٣ أجزاء، مطبعة الحلبي، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

القاضي: محمد بن عبدالله

١٦٩. **وثائق تاريخية (علاقات تراثية) عشيرة القضاة بالعلا**، (د.ن)، (د.م)، الطبعة الأولى، (د.ت).

القريطي: عقيل بن إبراهيم

١٧٠. **تاريخ طيء**، مطابع المحيسن، حائل، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

القريني: محمد بن موسى

١٧١. **الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

القلقشندي: أحمد

١٧٢. **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،** تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

قورشون: زكريا

١٧٣. **العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني ١٧٤٥-١٩١٤م،** الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

القويعي: عقيل بن ضيف الله

١٧٤. **أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل،** مطابع النهضة الوطنية، حائل، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

القويعي: محمد بن عبدالعزيز

١٧٥. **تراث الأجداد،** ٣ أجزاء، (د.ن)، (د.م)، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

ابن كثير: إسماعيل بن عمر

١٧٦. **البداية والنهاية،** ٤جزءً ا، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).

كحاله: عمر رضا

١٧٧. **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة،** ٥ أجزاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

كشك: محمد جلال

١٧٨. **السعوديون والحل الإسلامي**، مودي جرافيك، لندن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

كمال: محمد سعيد حسن

١٧٩. **الأزهار النادية من أشعار البادية**، ٨جزءاً، مكتبة المعارف، الطائف، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ.

ابن لعبون: حمد بن محمد

١٨٠. **تاريخ حمد بن محمد بن لعبون**، مكتبة المعارف، الطائف، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

١٨١. **تاريخ ابن لعبون**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، المجلد الأول، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

اللواتي: محمد بن عبدالله

١٨٢. **رحلة ابن بطوطة**، جزءان، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

المارك: فهد

١٨٣. **من شيم العرب**، ٤ أجزاء، مكتبة الشقري، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

ابن ماضي: تركي بن محمد

١٨٤. **تاريخ آل ماضي**، مطبعة الشبكشي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.

مؤسسة النقد العربي السعودي

١٨٥. **تطور النقود في المملكة العربية السعودية**، إصدار خاص بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

المحبِّي: محمد أمين

١٨٦. **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،** ٤ أجزاء، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).

محمود: سيد محمد

١٨٧. **النقود العثمانية،** مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

مدني: أمين

١٨٨. **التاريخ العربي وجغرافيته،** دار القوافل، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

المرمش: عبدالعزيز بن سلطان

٩هـاو. ْ قَقَ ْ ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

المقدسي: المطهر بن طاهر

١٩٠. **البدء والتاريخ،** ٦ أجزاء، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، الطبعة الأولى، (د.ت).

المكي: العباس بن علي

١٩١. **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس،** جزءان، مكتبة المعارف، الطائف، الطبعة الأولى، (د.ت).

ابن منظور: محمد بن مكرم

١٩٢. **لسان العرب،** ٩ جزء ً ا، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).

الموسوعة العربية العالمية

١٩٣.**حائل**، ٣٠جزءًا، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الميداني: عبدالرحمن حسن

١٩٤. **الحضارة الإسلامية**، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

الميمان: محمد بن إبراهيم

١٩٥. **من مفردات التراث الشعبي**، منشورات لجنة التراث والفنون الشعبية بالجمعية العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

النجار: جميل موسى

١٩٦. **الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧م**، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

النجفي: جعفر الحلّي

١٩٧. **كتاب سحر بابل وسجع البلابل تراجم الأعيان والأفاضل**، مطبعة العرفان، صيدا، الطبعة الأولى، ١٣٣١هـ.

نخلة: محمد عرابي

١٩٨. **تاريخ الأحساء السياسي (١٨١٨-١٩١٣)**، ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

النفجان: أيمن بن سعد

١٩٩. **الفضول**، (د.ن)، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

الهاشمي: رحيم كاظم

٢٠٠. **تجارة السلاح في الخليج العربي ١٨٨١-١٩١٤م**، دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

الهذال: عاشق بن عيسى

٢٠١. **جبة**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

هريدي: محمد عبداللطيف

٢٠٢. **تاريخ شبه الجزيرة العربية من المصادر التركية العثمانية**، دار الزهراء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

ابن هشام: عبدالملك

٢٠٣. **السيرة النبوية**، ٤ أجزاء، تعليق وتخريج: عمر عبدالسلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الهمداني: بدر الدين محمد بن حاتم

٢٠٤. **كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن**، جزءان، تحقيق: ركس سميث، جامعة كمبردج، المملكة المتحدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

الهندي: علي بن محمد

٢٠٥. **زهر الخمائل في تراجم علماء حائل**، تحقيق: إبراهيم بن عبدالله الحازمي، دار الشريف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

وزارة المعارف (التربية والتعليم)

٢٠٦. **سلسلة آثار المملكة العربية السعودية – آثار منطقة حائل**، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

الوردي: علي

٢٠٧. **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ٣ أجزاء، مطبعة الإرشاد، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

وزيري: يحيى

٢٠٨. **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

الوليعي: عبدالله بن ناصر

٢٠٩. **بحار الرمال في المملكة العربية السعودية**، (د.ن)، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

خامسًا: البحوث والمقالات:

البسام: أحمد بن عبدالعزيز

٢١٠. **ورقات غير منشورة من تاريخ الشيخ إبراهيم بن عيسى ١٢٧٠-١٣٤٣هـ**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٢٦، الرياض، شوال ١٤٢٢هـ.

بيتر وآخرون

٢١١. **التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لمسح المنطقة الشمالية**، مجلة أطلال، العدد (٢)، وزارة المعارف (التربية والتعليم)، الرياض، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الحربي: دلال بنت مخلد

٢١٢. **فاطمة السبهان – حياتها ودورها في إمارة آل رشيد،** مجلة الدرعية، العددان السادس والسابع، السنة الثانية، شوال ١٤٢٠هـ/يناير ٢٠٠٠م.

٢١٣. **إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد،** بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ٢٥–٢٧ محرم ١٤٢٠هـ.

الدجيلي: كاظم

٢١٤. **مكتبات النجف،** مجلة لغة العرب، السنة الثالثة، ج١١، جمادى الآخر ١٣٣٢هـ/آيار ١٩١٤م.

الدخيل: سليمان بن صالح

٢١٥. **أخلاق أهل نجد،** مجلة العرب، السنة الأولى، ج٢، شعبان ١٣٢٩هـ/آب ١٩١١م.

٢١٦. **أقسام إمارة السعود،** مجلة لغة العرب، ج٧، السنة الثالثة، بغداد، صفر ١٣٣٢هـ/ كانون الثاني ١٩١٤م.

٢١٧. **إمارة آل رشيد،** مجلة لغة العرب، ج١١، السنة (٣)، بغداد، جمادى الآخر ١٣٣٢هـ/ آيار ١٩١٤م.

٢١٨. **تيماء،** مجلة لغة العرب، ج١٠، السنة (٣)، بغداد، جمادى الأولى ١٣٣٢هـ/ نيسان ١٩١٤م.

٢١٩. **خاتمة البحث في إمارة السعود،** مجلة لغة العرب، ج٨، السنة الثالثة، ربيع أول ١٣٣٢هـ الموافق شباط ١٩١٤م.

٢٢٠. **نجد،** مجلة لغة العرب، ج١، السنة (١)، بغداد، رجب ١٣٢٩هـ/ تموز ١٩١١م.

السبيت: عبدالرحمن وآخرون

٢٢١. **منطقة حائل،** مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (٨)، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

السرجاني: راغب

٢٢٢. **الكتاتيب في الحضارة الإسلامية**، موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

صابان: سهيل

٢٢٣. **مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م**، مجلة جامعة الملك سعود، العدد ٢٠، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

عبدالمقصود وعطية: فيصل وإيمان محمد

٢٢٤. **الحلول المعمارية التقليدية وكيفية تطويرها واستحداث تطبيقات معاصرة (الحارة السكنية التقليدية كنموذج تطبيقي)**، بحوث ندوة الإسكان الثالثة، الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، الرياض، ٢٠٠٧م.

العبودي: محمد بن ناصر

٢٢٥**الأسيَ االحِّنبر(َاح قديمً ا)**، مجلة العرب، ج٨،٧، السنة ٩، محرم وصفر ١٣٩٥هـ/ فبراير ومارس ١٩٧٥م.

العريفي: أحمد بن فهد

٢٢٦. **بهيج السنبسي... صاحب عقدة**، مجلة العرب، ج٢،١، السنة ٢٨، الرياض، رجب – شعبان ١٤١٣هـ/يناير – فبراير ١٩٩٣م.

العفنان: سعد بن خلف

٢٢٧. **المكتبات في حائل**، مجلة تجارة حائل، العدد ٩١، السنة ١١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

عقل: محمد

٢٢٨. **النقود المتداولة في فلسطين في العهد العثماني**، بحث منشور على موقع رابطة أدباء الشام على شبكة الانترنت.

الفارسي: تركية

٢٢٩.**العلاقات التجارية والمؤثرات الحضارية بين عُمان والدولة العثمانية**، مجلة نزوى الإلكترونية، العدد (٤٦)، ١٩/٧/٢٠٠٩م.

فهد: بدري محمد

٢٣٠. **تاريخ أمراء الحج**، مجلة المورد، العدد (٤)، المجلد ٩، العراق، ١٩٨٠م.

فهمي: عبدالرحمن

٢٣١. **النقود المتداولة أيام الجبرتي**، دراسات وبحوث ندوة عبدالرحمن الجبرتي، القاهرة، ١٩٧٦م.

موزل: ألويس

٢٣٢. **تاريخ بيت ابن رشيد**، مجلة العرب، الجزء السابع والثامن، السنة (١٠)، الرياض، محرم وصفر ١٣٩٦هـ/ كانون٢ وشباط ١٩٧٦م.

٢٣٣. **فصول من كتاب شمال نجد**، مجلة العرب، ج١، السنة ٨، الرياض، رجب ١٣٩٣هـ/ أغسطس ١٩٧٣م.

مالكي: سليمان عبدالغني

٢٣٤. **طريق ركب الحاج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد**، مجلة الدارة، العدد (٢)، السنة ٩، محرم ١٤٠٤هـ/ أكتوبر ١٩٨٣م.

نوار: عبدالعزيز سليمان

٢٣٥. **دراسة في الزعامة العشائرية العراقية في القرن التاسع عشر**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس، القاهرة، ١٩٦٩م.

سادسًا: المؤلفات المُعَرَّبَة:

ألبيني: ماركو

٢٣٦. **العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية (المنطقة الوسطى)**، ترجمة: أسامة محمد الجوهري، الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف (التربية والتعليم حاليًا)، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

أوتينج: يوليوس

٢٣٧. **رحلة داخل الجزيرة العربية ١٨٨٣م**، ترجمة: سعيد فايز السعيد، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

باشا: أيوب صبري

٢٣٨. **مرآة جزيرة العرب**، ترجمة وتعليق: أحمد فؤاد متولي، والصنعاني أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

بلغريف: وليام جيفورد

٢٣٩. **وسط الجزيرة العربية وشرقها**، جزءان، ترجمة: صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠١م.

بلنت: آن

٢٤٠. **الحج إلى نجد**، جزءان، ترجمة: صبري محمد حسن، تقديم ومراجعة: رءوف عباس حامد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٢٤١. **رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية**، ترجمة: أحمد أيبش، دار المدى، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

بيل: جيرتروود

٢٤٢. **رسائل جيرتروود بيل ١٨٩٩-١٩١٤م**، ترجمة: رزق الله بطرس، مراجعة وتعليق وتقديم: ماجد شبر، دار الوراق، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

جودت: أحمد

٢٤٣. **تاريخ جودت**، ترجمة: عبدالقادر أفندي الدَّنا، تحقيق: عبداللطيف بن محمد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

حسني: حسين

٢٤٤. **الأوضاع العامة في منطقة نجد**، ترجمة : سهيل صابان، نسخة محفوظة لدى المترجم، الرياض، عام ١٤١٤هـ.

داوتي: تشارلز

٢٤٥. **ترحال في صحراء الجزيرة العربية**، ترجمة: صبري محمد حسن، مراجعة وتقديم: جمال زكريا قاسم، جزءان وأربع مجلدات، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

الدمشقي: أبوبكر بن بهرام

٢٤٦. **جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير**، ترجمة وتحقيق: مسعد بن سويلم الشامان، مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

دي بور: ت.ج

٢٤٧. **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، (د.ت).

غوارماني: كارلو

٢٤٨. **شمال نجد**، ترجمة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، تقديم: دوغلاس كارترز، كتاب غير منشور، (د.ت).

٢٤٩. **نجد الشمالي رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم**، ترجمة وتعليق: أحمد أيبش، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

فاسيلييف

٢٥٠. **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة: خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

فالين: جورج أوغست

٢٥١. **رحلات فالين إلى جزيرة العرب**، ترجمة: سمير سليم شلبي، مراجعة: يوسف إبراهيم يزبك، دار الوراق، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٢٥٢. **صور من جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر**، ترجمة: سمير سليم شلبي، أوراق لبنانية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

فريدريك: جون وإيليا مسون

٢٥٣. **قبيلة شمَّر العربية مكانتها وتاريخها السياسي ١٨٠٠–١٩٥٨م**، ترجمة: مير صبري، دار الحكمة، لندن، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٨م.

قاجار: محمد ولي ميرزا

٢٥٤. **سفر نامه حج ١٢٦٠هـ**، نسخة مترجمة لدى الباحث تركي القداح، (د.ن)، (د.م)، الطبعة الأولى، (د.ت).

كورانسيه: لويس ألكسندر

٢٥٥. **تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م**، ترجمة: محمد خير البقاعي وإبراهيم بن يوسف البلوي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

لوريمر: ج.ج

٢٥٦. **دليل الخليج (القسم الجغرافي)**، ٤جزءاً، ترجمة: مكتب أمير دولة قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، الطبعة الأولى، (د.ت).

ليسي: روبرت

٢٥٧. **المملكة**، ترجمة: دهام العطاونة، (د.ن)، لندن، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

مانجان: فليكس

٢٥٨. **تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية**، ترجمة وتعليق: محمد خير البقاعي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

موزل: ألويس

٢٥٩. **أخلاق الرولة وعاداتهم**، ترجمة: محمد بن سليمان السديس، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٦٠. **عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية**، ترجمة: شركة الوراق، دار الوراق، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

نولده: إدوارد

٢٦١. **الأوضاع السياسية وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٩٣م/١٣١٠هـ**، ترجمة: عوض البادي، دار بلاد العرب، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

هوبير: شارل

٢٦٢. **رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢م**، ترجمة: إليسار سعادة، مطبعة ألف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

سابعًا: الروايات الشفويّة:

٢٦٣. رواية مستقاة من إبراهيم بن سعيد الهمزاني القاطن بمحافظة الخرج عن طريق الهاتف، يوم الأربعاء ١٤٣١/١/٦هـ.

٢٦٤. رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الجمعة ١٤٣١/١/٨هـ.

٢٦٥.رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث يوم الاثنين ١٤٣١/٩/٢٠هـ.

٢٦٦. رواية محمد بن عبدالرزاق بن محمد القاسم البغدادي للباحث في حائل، بتاريخ ١٤٣١/١٠/١هـ.

٢٦٧. رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث ١٤٣١/١٠/٢٤هـ.

٢٦٨. رواية أحمد بن فهد العريفي للباحث بتاريخ ١٤٣١/١٠/٢٥هـ.

٢٦٩. رواية الأستاذ خالد بن حمود المطرود بتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٠هـ، وهو مهتم بالتراث والمتاحف، وصاحب متحف "لقيت للماضي أثر" بحائل.

٢٧٠. رواية مستقاة من الأستاذ أحمد بن فهد العريفي، بتاريخ ١٤٣٣/١/١٥هـ.
٢٧١. رواية الأستاذ عبدالرحمن بن زيد السويداء، بتاريخ ١٤٣٣/١/١٦هـ.
٢٧٢رسالة من الأستاذ أحمد بن فهد العريفي، ردًا على استفسارات أرسلها الباحث إليه، حول بعض الفئات الاجتماعية في جبل شمَّر، بتاريخ ١٤٣٣/١/١٧هـ.

ثامنًا: المؤلفات والبحوث الأجنبية:

Baran, Michael

273. **The Rashidi Amirate of Hayl**, adissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor of philosophy History, The university of Michigan, Associate professor Richard P. Mitchell, 1992.

Huber, Charles

274. **Journal d'un voyage en Arabie (1883-84)**, Paris, 1891.

Musil, Alois

275. **Northern Negd**, New York, Strauss Offsetdruck, first edition, 1928, p 237.

Ward, Philip

276. **Oasis city of Saudi Arabia**, the oleander press, New York, first edition, 1983.

Rutter, Eldon

277. **A journey to Hail**, Geographical Journal, Vol 80, 1932.

آذر: پروين تركمني

٢٧٨. **عرب تباران خراسان و نقش آنان در سقوط امويان،** بحوث الأرشيف الإيراني، طهران، (د.ت).

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقد مة	١

تمهيد	
لموقع الجغرافي لمنطقة جبل شمَّر	٢٠
اريخ منطقة جبل شمَّر في عصر الدولة السعودية الأولى	٣٨
لحياة السياسية في منطقة جبل شمَّر في عصر الدولة السعودية في دورها الثاني	٤٤

الفصل الأول (التنظيمات الإدارية)	
لهيكل الإداري لإمارة منطقة جبل شمَّر: (الأمير، نواب الأمير، الولاة)	٥٩
القضاء	١٢٣
الشرطة	١٣٦
التنظيمات العسكرية	١٤٠

الفصل الثاني (الحياة الدينية والعلمية)	
التعليم الديني: الكتاتيب، وسائله ومناهجه	١٦٦
العلماء: رحلاتهم، حلقاتهم	١٧٦
نسخ الكتب	٢٠٩
المكتبات الخاصة	٢١٩
الأدب والشعر	٢٢٨

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثالث (الحياة الاقتصادية)	
الموارد المالية: الواردات، الصادرات، الضرائب	٢٤٦
الزراعة	٢٦٩
الرعي	٢٨٢
التجارة: سلع، القوافل،الأسواق، العُملات	٢٩١
حِرف والصناعات	٣١٧
الفصل الرابع (الحياة الاجتماعية)	
فئات المجتمع: البدو، الحضر، الموالي	٣٦٥
الاتصال الحضاري مع المجتمعات الأخرى	٣٨٨
العادات والتقاليد	٣٩٥
الفصل الخامس (الحياة العمرانية)	
لعوامل المؤثرة في المظاهر العمرانية في منطقة جبل شمَّر	٤١٤
المواد المستخدمة في البناء	٤٢٣
الفن المعماري: (دار الإمارة "قصر برزان"، الأسوار، المنازل، الطرق)	٤٣٧
الخاتمة	٤١٩
الملاحق	٤٦٧
قائمة المصادر والمراجع	٥١٣
الفهرس	٥٥٧